

(١١٧٥)

الركض

ومعانيه في القرآن الكريم
من مصنفات التفسير

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة
ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

(يركضون)

[يسرعون، ويستحثون]، ركضت الفرس، إذا حثثته على المر السريع،." [1]

"فعدا، ولا يقال فركض.

(لعلكم تسئلون)

أي: لتسألوا عما كنتم تعملون.

وقيل: إنه على [استهزاء بهم].

(حصيدا خامدين)

أي: خمدوا كالنار، وحصدوا كما يحصد الزرع بالفأس.

([و] لا يستحسرون)

لا يتعبون، ولا ينقطعون عن العمل، من البعير الحسير، وهو المعيى.

(ينشرون)

يحيون الموتى، أنشر الله الموتى فنشروا.

(ومن يقل منهم إني إله)." [2]

"(اركض برجلك)

حركها، واضرب بها الأرض، فضرب فنبعت عينان، اغتسل في إحداهما، فذهب ظاهر دائه، وشرب من الأخرى فذهب باطن دائه.

(ووهبنا له أهله)

كانوا مرضى فشفاهم.

وقيل: غائبين فردهم.

وقيل: موتى فأحياهم.

(ومثلهم معهم)

الخول والمواشي.

---

(١) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ٢/٩٢٣

(٢) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ٢/٩٢٤

وعن الحسن: وهب لهم من أولادهم مثلهم.

(وخذ بيدك ضغثا)

جاءته بأكثر مما كانت تأتيه من خبز الخبز، فخاف خيانتها.." [(١)]

"الثانية عشرة- واختلفوا في وجوب الصداق للمستكرهة، فقال عطاء والزهري: لها صداق مثلها، وهو قول مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي ثور. وقال الثوري: إذا أقيم الحد على الذي زنى بها بطل الصداق. وروي ذلك عن الشعبي، وبه قال أصحاب مالك وأصحاب الرأي. قال ابن المنذر: القول الأول صحيح. الثالثة عشرة- إذا أكره الإنسان على إسلام أهله لما لم يحل أسلمها، ولم يقتل «١» نفسه دونها ولا احتمل أذية في تخليصها. والأصل في ذلك ما خرجه البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة ودخل بها قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة فأرسل إليه أن أرسل بها إلي فأرسل بها فقام إليها فقامت تتوضأ وتصلي فقالت اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك فلا تسلط علي هذا الكافر فغط حتى ركض برجله «٢» ". ودل هذا الحديث أيضا على أن سارة لما لم يكن عليها ملامة، فكذلك لا يكون على المستكرهة ملامة، ولا حد فيما هو أكبر من الخلوة. والله أعلم. الرابعة عشرة- وأما يمين المكره فغير لازمة. عند مالك والشافعي وأبي ثور وأكثر العلماء. قال ابن الماجشون: وسواء حلف فيما هو طاعة لله أو فيما هو معصية إذ أكره على اليمين، وقاله أصبغ. وقال مطرف: إن أكره على اليمين فيما هو لله معصية أو ليس في فعله طاعة ولا معصية فاليمين فيه ساقطة، وإن أكره على اليمين فيما هو طاعة مثل أن يأخذ الوالي رجلا فاسقا فيكرهه أن يحلف بالطلاق لا يشرب خمرا، أو لا يفسق ولا يغش في عمله، أو الولد يحلف ولده تأديبا له فإن اليمين تلزم، وإن كان المكره قد أخطأ فيما يكلف من ذلك. وقال به ابن حبيب. وقال أبو حنيفة ومن اتبعه من الكوفيين: إنه إن حلف ألا يفعل ففعل حنث، قالوا: لأن المكره له أن يوري في يمينه كلها، فلما لم يور ولا ذهبت نيته إلى خلاف ما أكره عليه فقد قصد إلى اليمين. احتج الأولون بأن قالوا: إذا أكره عليها فنيته مخالفة لقوله، لأنه كاره لما حلف عليه.

---

(١). ينظر هذا على ما رواه أبو داود والترمذي والنسائي، وابن ماجة وفية" من قتل دون أهله شهيد". كشف الخفاج ص ٢٦٩.

---

(١) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ٢/١٢٤٦

(٢). ذكر المؤلف هذا الحديث مختصرا، في شرح القسطلاني، كتاب البيوع ج ٤ ص ١٢٢ طبعه بولاق.
الغط هنا هو العصر الشديد والكبس، والركض الضرب بالرجل.." [١]

"مذموم شرعا والنشاط ضده. وقد يكون التكبر وما في معناه محمودا، وذلك على أعداء الله والظلمة.
أسند أبو حاتم بن حبان عن ابن جابر بن عتيك عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:" من الغيرة ما يبغض الله عز وجل ومنها ما يحب الله عز وجل ومن الخيلاء ما يحب الله عز وجل ومنها ما يبغض الله فأما الغيرة التي يحب الله الغيرة في الدين والغيرة التي يبغض الله الغيرة في غير دينه والخيلاء التي يحب الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة والاختيال الذي يبغض الله الخيلاء في الباطل"
وأخرجه أبو داود في مصنفه وغيره. وأنشدوا:

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعا ... فكم تحتها قوم هموا منك أرفع
وإن كنت في عز وحرز ومنعة ... فكم مات من قوم هموا منك أمنع

الثانية- إقبال الإنسان على الصيد ونحوه ترفعا دون حاجة إلى ذلك داخل في هذه الآية، وفيه تعذيب الحيوان وإجراؤه لغير معنى. وأما الرجل يستريح في اليوم النادر «١» والساعة من يومه، ويجم فيها نفسه في اطرح والراحة ليستعين بذلك على شغل من البر، كقراءة علم أو صلاة، فليس بداخل في هذه الآية. قوله تعالى:" مرحا" قراءة الجمهور بفتح الراء. وقراءة فرقة فيما حكى يعقوب بكسر الراء على بناء اسم الفاعل. والأول أبلغ، فإن قولك: جاء زيد ركضا أبلغ من قولك: جاء زيد راكضا، فكذلك قولك مرحا. والمرح المصدر أبلغ من أن يقال مرحا. الثالثة- قوله تعالى: (إنك لن تخرق الأرض) يعني لن تتولج باطنها فتعلم ما فيها (ولن تبلغ الجبال طولا) أي لن تساوي الجبال بطولك ولا تطاولك. ويقال: خرق الثوب أي شقه، وخرق الأرض قطعها. والخرق: الواسع من الأرض. أي لن تخرق الأرض بكبرك ومشيك عليها. (ولن تبلغ الجبال طولا) بعظمتك، أي مقدرتك لا تبلغ هذا المبلغ، بل أنت عبد ذليل، محاط بك من تحتك ومن فوقك. والمحاط محصور ضعيف، لا يليق بك

---

(١). في ح:" في اليوم البارد".." [٢]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٠/١٨٦

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٠/٢٦١

"وقال الكلبي: والجسد هو المتجسد الذي فيه الروح يأكل ويشرب، فعلى مقتضى هذا القول يكون ما لا يأكل ولا يشرب جسما وقال مجاهد: الجسد ما لا يأكل ولا يشرب، فعلى مقتضى هذا القول يكون ما يأكل ويشرب نفسا ذكره الماوردي. قوله تعالى: (ثم صدقناهم الوعد) يعني الأنبياء، أي بإنجائهم ونصرهم وإهلاك مكذبيهم. (ومن نشاء) أي الذين صدقوا الأنبياء. (وأهلكنا المسرفين) أي المشركين. قوله تعالى: (لقد أنزلنا إليكم كتابا) ١٠ يعني القرآن. (فيه ذكركم) ١٠ رفع بالابتداء والجملة في موضع نصب لأنها نعت لكتاب، والمراد بالذكر هنا الشرف، أي فيه شرفكم، مثل" وإنه لذكر لك ولقومك" «١» [الزخرف: ٤٤]. ثم نبههم بالاستفهام الذي معناه التوقيف فقال عز وجل: (أفلا تعقلون). وقيل: فيه ذكركم أي ذكر أمر دينكم، وأحكام شرعكم وما تصيرون إليه من ثواب وعقاب، أفلا تعقلون هذه الأشياء التي ذكرناها؟! وقال مجاهد:" فيه ذكركم ١٠" أي حديثكم. وقيل: مكارم أخلاقكم، ومحاسن أعمالكم. وقال سهل بن عبد الله: العمل بما فيه حياتكم. قلت: وهذه الأقوال بمعنى والأول يعمها، إذ هي شرف كلها، والكتاب شرف لنبينا صلى الله عليه وسلم، لأنه معجزته، وهو شرف لنا إن عملنا بما فيه، دليله قوله عليه السلام: (القرآن حجة لك أو عليك).

[سورة الأنبياء (٢١): الآيات ١١ الى ١٥]

وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢) لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون (١٣) قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (١٤) فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (١٥)

---

(١). راجع ج ١٦ ص ٩٣ فما بعد.." [(١)]

"قوله تعالى: (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة) يريد مدائن كانت باليمن. وقال أهل التفسير والأخبار: إنه أراد أهل حضور «١» وكان بعث إليهم نبي اسمه شعيب بن ذي مهدم، وقبر شعيب هذا باليمن بجبل يقال له ضنن «٢» كثير الثلج، وليس بشعيب صاحب مدين، لأن قصة حضور قبل مدة عيسى عليه السلام، وبعد مئين من السنين من مدة سليمان عليه السلام، وأنهم قتلوا نبيهم وقتل أصحاب الرس في ذلك التاريخ نبيا لهم اسمه حنظلة بن صفوان، وكانت حضور بأرض الحجاز من ناحية الشام، فأوحى الله إلى

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١١/٢٧٣

أرميا أن ايت بخت نصر فأعلمه أني قد سلطته على أرض العرب وأني منتقم بك منهم، وأوحى الله إلى أرميا أن احمل معد بن عدنان على البراق إلى أرض العراق، كي لا تصيبه النقمة والبلاء معهم، فإني مستخرج من صلبه نبيا في آخر الزمان اسمه محمد، فحمل معد وهو ابن اثنتي عشرة سنة، فكان مع بني إسرائيل إلى أن كبر وتزوج امرأة اسمها معانة. ثم إن بخت نصر نهض بالجيوش، وكمن للعرب في مكان- وهو أول من اتخذ المكامن فيما ذكروا- ثم شن الغارات على حضور فقتل وسبى وخرب العامر، ولم يترك بحضور أثرا، ثم انصرف راجعا إلى السواد. و"كم" في موضع نصب ب"- قصمنا". والقصم الكسر، يقال: قصمت ظهر فلان وانقصمت سنه إذا انكسرت والمعني به هاهنا الإهلاك. وأما الفصم (بالفاء) فهو الصدع في الشيء من غير بينونة، قال الشاعر: «٣»

كأنه دملج من فضة نبه ... في ملعب من عذارى الحي مفصوم

ومنه الحديث (فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا). وقوله:"كانت ظالمة" أي كافرة، يعني أهلها. والظلم وضع الشيء في غير موضعه، وهم وضعوا الكفر موضع الإيمان. (وأنشأنا) أي أوجدنا وأحدثنا بعد إهلاكهم (قوما آخرين). (فلما أحسوا) أي رأوا عذابنا، يقال: أحسست منه ضعفا. وقال الأخفش:" أحسوا" خافوا وتوقعوا. (إذا هم منها يركضون) أي يهربون ويفرون. والركض العدو بشدة الوطي. والركض

(١). وتروى حضوراء (بالألف الممدودة) وفي ح الجمل بوزن شكور.

(٢). كذا في الأصول: الأب ففيه ضئن كثير الملح صححه في الهامش.

(٣). هو ذو الرمة يذكر غزالا شبهه وهو نائم بدملج فضة قد طرح ونسى. ونبه: أي منسى نسيته العذارى في الملعب.." [1]

"تحريك الرجل، ومنه قوله تعالى:" اركض برجلك" «١» [ص: ٤٢] وركضت الفرس برجلي استحثته ليعدو ثم كثر حتى قيل ركض الفرس إذا عدا وليس بالأصل، والصواب ركض الفرس على ما لم يسم فاعله فهو مركوض. (لا تركضوا) أي لا تفروا. وقيل: إن الملائكة نادتهم لما انهزموا استهزاء بهم وقالت:" لا تركضوا". (وارجعوا إلى ما أترفتم فيه) أي إلى نعمكم التي كانت سبب بطركم، والمترف المتنعم، يقال: أترف على فلان أي وسع عليه في معاشه. وإنما أترفهم الله عز وجل كما قال:" وأترفناهم في الحياة الدنيا" «٢» [المؤمنون: ٣٣]. (لعلكم تسئلون) أي لعلكم تسألون شيئا من دنياكم، استهزاء بهم، قاله قتادة. وقيل:

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٧٤/١١

المعنى" لعلكم تسئلون" عما نزل بكم من العقوبة فتخبرون به. وقيل: المعنى" لعلكم تسئلون" أي تؤمنوا كما كنتم تسألون ذلك قبل نزول البأس بكم، قيل لهم ذلك استهزاء وتقريعا وتوبيخا. (قالوا يا ويلنا) لما قالت لهم الملائكة:" لا تركضوا" ونادت يا لثارات الأنبياء! ولم يروا شخصا يكلمهم عرفوا أن الله عز وجل هو الذي سلط عليهم عدوهم بقتلهم النبي الذي بعث فيهم، فعند ذلك قالوا" يا ويلنا إنا كنا ظالمين" فاعترفوا بأنهم ظلموا حين لا ينفع الاعتراف. (فما زالت تلك دعواهم) أي لم يزالوا يقولون:" يا ويلنا إنا كنا ظالمين". (حتى جعلناهم حصيدا) أي بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل، قاله مجاهد. وقال الحسن: أي بالعذاب. (خامدين) أي ميتين. والخمود الهمود كخمود النار إذا طفئت فشبه خمود الحياة بخمود النار كما يقال لمن مات قد طفئ تشبيها بانطفاء النار.

[سورة الأنبياء (٢١): الآيات ١٦ الى ١٨]
وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (١٦) لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين (١٧) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (١٨)

---

(١). راجع ج ١٥ ص ٢١١.
(٢). راجع ج ١٢ ص ١٢١ فما بعد.." [١]

"قوله تعالى: (وأيوب إذ نادى ربه) أي واذكر أيوب إذ نادى ربه. (أني مسني الضر) أي نالني في بدني ضر وفي مالي وأهلي. قال ابن عباس: سمي أيوب لأنه آب إلى الله تعالى في كل حال. وروي أن أيوب عليه السلام كان رجلا من الروم ذا مال عظيم، وكان برا تقيا رحيما بالمساكين، يكفل الأيتام والأرامل، ويكرم الضيف، ويبلغ ابن السبيل، شاكرا لأنعم الله تعالى، وأنه دخل مع قومه على جبار عظيم فخاطبوه في أمر، فجعل أيوب يلين له في القول من أجل زرع كان له فامتحنه الله بذهاب ماله وأهله، وبالضر في جسمه حتى تناثر لحمه وتدود جسمه، حتى أخرجه أهل قريته إلى خارج القرية، وكانت امرأته تخدمه. قال الحسن: مكث بذلك تسع سنين وستة أشهر. فلما أراد الله أن يفرج عنه قال الله تعالى له:" اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب" [ص: ٤٢] فيه شفاؤك، وقد وهبت لك أهلك ومالك وولدك ومثلهم معهم. وسيأتي في" ص" «١» ما للمفسرين في قصة أيوب من تسليط الشيطان عليه، والرد عليهم إن شاء الله تعالى.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٧٥/١١

واختلف في قول أيوب:" مسني الضر" على خمسة عشر قولا: الأول: أنه وثب ليصلي فلم يقدر على النهوض فقال:" مسني الضر" إخبارا عن حاله، لا شكوى لبلائه، رواه أنس مرفوعا. الثاني- أنه إقرار بالعجز فلم يكن منافيا للصبر. الثالث- أنه سبحانه أجراه على لسانه ليكون حجة لأهل البلاء بعده في الإفصاح بما ينزل بهم. الرابع- أنه أجراه على لسانه إلزاما له في صفة الآدمي في الضعف عن تحمل البلاء. الخامس- أنه انقطع الوحي عنه أربعين يوما فخاف هجران ربه فقال:" مسني الضر". وهذا قول جعفر بن محمد. السادس- أن تلامذته الذين كانوا يكتبون عنه لما أفضت حاله إلى ما انتهت إليه محوا ما كتبوا عنه، وقالوا: ما لهذا عند الله قدر، فاشتكى الضر في ذهاب الوحي والدين من أيدي الناس. وهذا مما لم يصح سنده. والله أعلم، قاله ابن العربي. السابع- أن دودة سقطت «٢» من لحمه فأخذها وردها في موضعها فعقرته فصاح" مسني الضر" فقيل: أعلينا نتصبر. قال ابن العربي: وهذا بعيد جدا

---

(١). راجع ج ١٥ ص ٢٠٧.

(٢). في ك: سقطت من جلده فطلبها ليردها فلم يجدها. فسيأتي.." [1]

"فقلت: ليس هذا شكاية وإنما كان دعاء، بيانه (فاستجبنا له) والإجابة تتعقب الدعاء لا الاشتكاء. فاستحسنوه وارتضوه. وسيل الجنيد عن هذه الآية فقال: عرفه فاقة السؤال ليمن عليه بكرم النوال «١». قوله تعالى: (فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قال مجاهد وعكرمة: قيل لأيوب صلى الله عليه وسلم: قد آتيناك أهلك في الجنة فإن شئت تركناهم لك في الجنة وإن شئت آتيناكهم في الدنيا. قال مجاهد: فتركهم الله عز وجل له في الجنة وأعطاه مثلهم في الدنيا. قال النحاس: والإسناد عنهما بذلك صحيح. قلت: وحكاه المهدوي عن ابن عباس. وقال الضحاك: قال عبد الله بن مسعود كان أهل أيوب قد ماتوا إلا امرأته فأحياهم الله عز وجل في أقل من طرف البصر، وآتاه مثلهم معهم. وعن ابن عباس أيضا: كان بنوه قد ماتوا فأحيوا له وولد له مثلهم معهم. وقاله قتادة وكعب الأحبار والكلبي وغيرهم. قال ابن مسعود: مات أولاده وهم سبعة من الذكور وسبعة من الإناث فلما عوفي نشروا له، وولدت [له «٢»] امرأته سبعة بنين وسبع بنات. [قال «٣»] الثعلبي: وهذا القول أشبه بظاهر الآية. قلت: لأنهم ماتوا ابتلاء قبل آجالهم حسب ما تقدم بيانه في سورة" البقرة" «٤» في قصة" الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت" [البقرة: ٢٤٣]. وفي قصة السبعين الذين أخذتهم الصعقة فماتوا ثم أحيوا «٥»، وذلك أنهم ماتوا

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٢٣/١١

قبل آجالهم، وكذلك هنا والله أعلم. وعلى قول مجاهد وعكرمة يكون المعنى:" وآتيناه أهله" في الآخرة ومثلهم معهم" في الدنيا. وفي الخبر: إن الله بعث إليه جبريل عليه السلام حين ركض برجله على الأرض ركضة فظهرت عين ماء حار «٦»، وأخذ بيده ونفضه نفضة فتناثرت عنه الديدان، وغاص في الماء غوصة فنبت لحمه وعاد إلى منزله، ورد الله عليه أهله ومثلهم معهم، ونشأت سحابة على قدر قواعد داره فأمطرت ثلاثة أيام بلياليها جرادا من ذهب. فقال له جبريل: أشبعت؟ فقال: ومن

---

(١). في ك: كريم النوال.

(٢). من ب وج وز وط وك.

(٣). من ب وج وز وط وك.

(٤). راجع ج ٣ ص ٢٣٠.

(٥). راجع ج ١ ص ٤٠٤ وج ٧ ص ٢٩٥.

(٦). في ج: جار. [.....]." [١]

"يقال: أوعب بنو فلان لبني فلان إذا جاءوهم بأجمعهم. وقال ابن السكيت: يقال أوعب بنو فلان جلاء، فلم يبق ببلدهم منهم أحد. وجاء الفرس بركض وعيب، أي بأقصى ما عنده. وفي الحديث: (في الأنف إذا استوعب جدعه الدية) إذا لم يترك منه شي. واستيعاب الشيء استئصاله. ويقال: بيت وعيب إذا كان واسعا يستوعب كل ما جعل فيه. والضمنى هم الزمنى، واحدهم ضمن زمن. قال النحاس: وهذا القول من أجل ما روي في الآية، لما فيه عن الصحابة والتابعين من التوقيف أن الآية نزلت في شي بعينه. قال ابن العربي: وهذا كلام منتظم لأجل تخلفهم عنهم في الجهاد وبقاء أموالهم بأيديهم، لكن قوله" أو ما ملكتم مفاتحه" قد اقتضاه، فكان هذا القول بعيدا جدا. لكن المختار أن يقال: إن الله رفع الحرج عن الأعمى فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه البصر، وعن الأعرج فيما يشترط في التكليف به من المشي، وما يتعذر من الأفعال مع وجود العرج، وعن المريض فيما يؤثر المرض في إسقاطه، كالصوم وشروط الصلاة وأركانها، والجهاد ونحو ذلك. ثم قال بعد ذلك مبينا: وليس عليكم حرج في أن تأكلوا من بيوتكم. فهذا معنى صحيح، وتفسير بين مفيد، ويعضده الشرع والعقل، ولا يحتاج في تفسير الآية إلى نقل. قلت: وإلى هذا أشار ابن عطية فقال: فظاهر الآية وأمر الشريعة يدل على أن الحرج عنهم مرفوع في كل ما يضطرهم

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٢٦/١١

إليه العذر، وتقتضي نيتهم فيه الإتيان بالأكمل، ويقتضي العذر أن يقع منهم الأنقص، فالحرج مرفوع عنهم في هذا. فأما ما قال الناس في هذا الحرج هنا وهى: الثانية– فقال ابن زيد: وهو الحرج في الغزو، أي لا حرج عليهم في تأخرهم. وقوله تعالى:" ولا على أنفسكم" الآية، معنى مقطوع من الأول. وقالت فرقة: الآية كلها في معنى المطاعم. قالت: وكانت العرب ومن بالمدينة قبل المبعث تتجنب الأكل مع أهل الأعذار، فبعضهم كان يفعل ذلك تقذرا لجولان اليد من ال أعمى، ولانبساط الجلسة من الأعرج، ولرائحة المريض وعلاته، وهي أخلاق جاهلية وكبر، فنزلت الآية مؤذنة.." (١)

"من أمرهم، وربما كان في استبدادها برأيها وهن في طاعتها، ودخيلة في تقدير أمرهم، وكان في مشاورتهم وأخذ رأيهم عون على ما تريده من قوة شوكتهم، وشدة مدافعتهم، ألا ترى إلى قولهم في جوابهم: (نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) قال ابن عباس: كان من قوة أحدهم أنه يركض فرسه حتى إذا احتد ضم فخذيه فحبسه بقوته. الثالثة– قوله تعالى: (والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) سلموا الأمر إلى نظرها مع ما أظهروا لها من القوة والبأس والشدة، فلما فعلوا ذلك أخبرت عند ذلك بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها. وفي هذا الكلام خوف على قومها، وحيطة واستعظام لأمر سليمان عليه السلام." وكذلك يفعلون" قيل: هو من قول بلقيس تأكيدا للمعنى الذي أرادته. وقال ابن عباس: هو من قول الله عز وجل معرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته بذلك ومخبرا به. وقال وهب: لما قرأت عليهم الكتاب لم تعرف اسم الله، فقالت: ما هذا؟! فقال بعض القوم: ما نظن هذا إلا عفريتا عظيما من الجن يقتدر به هذا الملك على ما يريده، فسكتوه. وقال الآخر: أراهم ثلاثة من العفاريت، فسكتوه، فقال شاب قد علم: يا سيدة الملوك! إن سليمان ملك قد أعطاه ملك السماء ملكا عظيما فهو لا يتكلم بكلمة إلا بدأ فيها بتسمية إلهه، والله اسم مليك السماء، والرحمن الرحيم نعوته، فعندها قالت:" أفتوني في أمري" فقالوا:" نحن أولوا قوة" في القتال" وأولوا بأس شديد" في الحرب واللقاء" والأمر إليك" ردوا أمر هم إليها لما جربوا على رأيها من البركة" فانظري ماذا تأمرين" ف" قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة" أهانوا شرفاءها لتستقيم لهم الأمور، فصدق الله قولها." وكذلك يفعلون" قال ابن الأنباري:" وجعلوا أعزة أهلها أذلة" هذا وقف تام، فقال الله عز وجل تحقيقا لقولها:" وكذلك يفعلون" وشبيه به في سورة" الأعراف"" قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم. يريد أن يخرجكم من أرضكم" تم الكلام، فقال فرعون:"فماذا تأمرون".

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٢/٣١٣

وقال ابن شجرة. هو قول بلقيس، فالوقف" وكذلك يفعلون" أي وكذلك يفعل سليمان إذا دخل بلادنا.." [1]

"أبو إسحاق: وقد عرفها غيرهما أنه يقال «١» وزف يزف إذا أسرع. قال النحاس: ولا نعلم أحدا قرأ" يزفون". قلت: هي قراءة عبد الله بن يزيد فيما ذكر المهدوي. الزمخشري: و" يزفون" على البناء للمفعول. و" يزفون" من زفاه إذا حداه، كأن بعضهم يزف بعضا لتسارعهم إليه. وذكر الثعلبي عن الحسن ومجاهد وابن السميقع" يرفون" بالراء من رفيف النعام، وهو ركض بين المشي والطيران. قوله تعالى:" قال أتعبدون ما تنحتون" فيه حذف، أي قالوا من فعل هذا بآلهتنا، فقال محتجا:" أتعبدون ما تنحتون" أي أتعبدون أصناما أنتم تنحتونها بأيديكم تنجرونها. والنحت النجر والبري نحته ينحته بالكسر نحتا أي براه. والنحاتة البراية والمنحت ما ينحت به." والله خلقكم وما تعملون"" ما" في موضع نصب أي وخلق ما تعملونه من الأصنام، يعني الخشب والحجارة وغيرهما، كقوله:" بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن" [الأنبياء: ٥٦] وقيل: إن" ما" استفهام ومعناه التحقير لعملهم. وقيل: هي نفي، والمعنى وما تعملون ذلك لكن الله خالقه. والأحسن أن تكون" ما" مع الفعل مصدرا، والتقدير والله خلقكم وعملكم وهذا مذهب أهل السنة: أن الأفعال خلق لله عز وجل واكتساب للعباد. وفي هذا إبطال مذاهب القدرية والجبرية. وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إن الله خالق كل صانع وصنعته" ذكره الثعلبي. وخرجه البيهقي من حديث حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن الله عز وجل صنع كل صانع وصنعته فهو الخالق وهو الصانع سبحانه" وقد بيناهما في الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى.

[سورة الصافات (٣٧): الآيات ٩٧ الى ٩٨]

قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم (٩٧) فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين (٩٨)

---

(١). الزيادة من إعراب القرآن للنحاس.." [2]

"ذهب به إلى المنة قال: من عليه، فإذا أخرجه مخرج الأمر أبرز النونين، لأنه كان مضاعفا فقال امنن. فيروى في الخبر أنه سخر له الشياطين، فمن شاء من عليه بالعتق والتخلية، ومن شاء أمسكه، قال قتادة والسدي. وعلى ما روى عكرمة عن ابن عباس: أي جامع من شئت من نسائك، واترك جماع من

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/١٩٥

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٥/٩٦

شئت منهن لا حساب عليك." وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب" أي إن أنعمنا عليه في الدنيا فله عندنا في الآخرة قربة وحسن مرجع.

[سورة ص (٣٨): الآيات ٤١ الى ٤٣]

واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١) اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢) ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (٤٣)

قوله تعالى:" واذكر عبدنا أيوب" أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم في الصبر على المكاره." أيوب" بدل." إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب" وقرأ عيسى بن عمر" إني" بكسر الهمزة أي قال. قال الفراء: وأجمعت القراء على أن قرءوا" بنصب" بضم النون والتخفيف. النحاس: وهذا غلط وبعده مناقضة وغلط أيضا، لأنه قال: أجمعت القراء على هذا، وحكى بعده أنهم ذكروا عن يزيد بن القعقاع أنه قرأ:" بنصب" بفتح النون والصاد فغلط على أبي جعفر، وإنما قرأ أبو جعفر:" بنصب" بضم النون والصاد، كذا حكاه أبو عبيد وغيره وهو مروي عن الحسن. فأما" بنصب" فقراءة عاصم الجحدري ويعقوب الحضرمي. وقد رويت هذه القراءة عن الحسن وقد حكي" بنصب" بفتح النون وسكون الصاد عن أبي جعفر. وهذا كله عند أكثر النحويين بمعنى النصب فنصب ونصب كحزن وحزن. وقد يجوزان يكون نصب جمع نصب كو، ثن ووثن. ويجوز أن يكون نصب بمعنى نصب حذفت منه الضمة، فأما" وما ذبح على النصب" [المائدة: ٣] فقيل: إنه جمع نصاب. وقال أبو عبيدة وغيره: النصب الشر والبلاء. والنصب التعب والإعياء. وقد قيل في معنى:" أني مسني الشيطان بنصب وعذاب" أي ما يلحقه من وسوسته لا غير. والله أعلم. ذكره." (١)

"وفي الصحيح واللفظ للبخاري أن ابن عباس قال: يا معشر المسلمين تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيكم أحدث الأخبار بالله، تقرءونه محضا لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتب، فقالوا:" هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا" [البقرة: ٧٩] ولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، فلا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم، وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الموطأ على عمر قراءته التوراة. قوله تعالى:" اركض برجلك" الركض الدفع بالرجل. يقال: ركض الدابة وركض ثوبه برجله. وقال المبرد: الركض التحريك، ولهذا قال

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٠٧/١٥

الأصمعي: يقال ركضت الدابة ولا يقال ركضت هي، لأن الركض إنما هو تحريك راكبها رجليه ولا فعل لها في ذلك. وحكى سيبويه: ركضت الدابة فركضت مثل جبرت العظم فجبر وحزنته فحزن، وفي الكلام إضمار أي قلنا له:" اركض" قال الكسائي. وهذا لما عافاه الله." هذا مغتسل بارد وشراب" أي فركض فنبعت عين ماء فاغتسل به، فذهب الداء من ظاهره، ثم شرب منه فذهب الداء من باطنه. وقال قتادة: هما عينان بأرض الشام في أرض يقال لها الجابية، فاغتسل من إحداهما فأذهب الله تعالى ظاهر دائه، وشرب من الأخرى فأذهب الله تعالى باطن دائه. ونحوه عن الحسن ومقاتل، قال مقاتل: نبعت عين حارة واغتسل فيها فحرج صحيحا ثم نبعت عين أخرى فشرب منها ماء عذبا. وقيل: أمر بالركض بالرجل ليتناثر عنه كل داء في جسده. والمغتسل الماء الذي يغتسل به، قال القتبي. وقيل: إنه الموضع الذي يغتسل فيه، قال مقاتل. الجوهري: واغتسلت بالماء، والغسول الماء الذي يغتسل به، وكذلك المغتسل، قال الله تعالى:" هذا مغتسل بارد وشراب" والمغتسل أيضا الذي يغتسل فيه، والمغسل والمغسل بكسر السين وفتحها مغسل الموتى والجمع المغاسل

. واختلف كم بقي أيوب في البلاء، فقال ابن عباس: سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات. وقال وهب بن منبه: أصاب أيوب البلاء سبع سنين، وترك يوسف، في السجن سبع سنين،." (١)

"عز وجل يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتزاعمان فكل يحلف بالله، أو على النفر يتزاعمون فأنقلب إلى أهلي، فأكفر عن أيمانهم إرادة ألا يأثم أحد يذكره ولا يذكره إلا بحق «١» فنادى ربه" أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين" [الأنبياء: ٨٣] وذكر الحديث. فقد أفادك هذا الحديث أن الكفارة كانت من شرع أيوب، وأن من كفر عن غيره بغير إذنه فقد قام بالواجب عنه وسقطت عنه الكفارة. السادسة- استدل بعض جهال المتزهدة، وطغام المتصوفة بقوله تعالى لأيوب:" اركض برجلك" على جواز الرقص. قال أبو الفرج الجوزي: وهذا احتجاج بارد، لأنه لو كان أمر بضرب الرجل فرحا كان لهم فيه شبهة، وإنما أمر بضرب الرحل لينبع الماء. قال ابن عقيل: أين الدلالة في مبتلى أمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الأرض لينبع الماء إعجازا من الرقص، ولين جاز أن يكون تحريك رجل قد انحلها تحكم الهوام دلالة على جواز الرقص في الإسلام، جاز أن يجعل قوله سبحانه لموسى:" اضرب بعصاك الحجر" دلالة على ضرب المحاد «٢» بالقضبان! نعوذ بالله من التلاعب بالشرع. وقد احتج بعض قاصريهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى:" أنت منى وأنا منك" فجعل. وقال الجعفر: أشبهت خلقي وخلقي" فجعل. وقال لزيد:"

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢١١/١٥

أنت أخونا ومولانا" فجعل. ومنهم من احتج بأن الحبشة زفنت والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليهم. والجواب– أما العجل فهو نوع من الشيء يفعل عند الفرح فأين هو والرقص، وكذلك زفن الحبشة نوع من الشيء يفعل عند اللقاء للحرب. السابعة– قوله تعالى:" إنا وجدناه صابرا" أي على البلاء." نعم العبد إنه أواب" أي تواب رجاع مطيع. وسيل سفيان عن عبدين ابتلي أحدهما فصبر، وأنعم على الآخر فشكر، فقال: كلاهما سواء، لأن الله تعالى أثنى على عبدين، أحدهما صابر والآخر شاكر ثناء واحدا، فقال في وصف أيوب:" نعم العبد إنه أواب" وقال في وصف سليمان:" نعم العبد إنه أواب".

---

(١). في نسخة الا نحن.

(٢). كذا في الأصل وفى بعض النسخ" بالمخاد" بالخاء المعجمة. [.....]." [1]

"قلت: وقد رد هذا الكلام صاحب القوت واستدل بقصة أيوب في تفضيل الفقير على الغني وذكر كلاما كثيرا شيد به كلامه، وقد ذكرناه في غير هذا الموضع من كتاب" منهج العباد ومحجة السالكين والزهاد". وخفي عليه أن أيوب عليه السلام كان أحد الأغنياء من الأنبياء قبل البلاء وبعده، وإنما ابتلي بذهاب ماله وولده وعظيم الداء في جسده. وكذلك الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه صبروا على ما به امتحنوا وفتنوا. فأيوب عليه السلام دخل في البلاء على صفة، فخرج منه كما دخل فيه، وما تغير منه حال ولا مقال، فقد اجتمع «١» مع أيوب في المعنى المقصود، وهو عدم التغير الذي يفضل فيه بعض الناس بعضا. وبهذا الاعتبار يكون الغني الشاكر والفقير الصابر سواء. وهو كما قال سفيان. والله أعلم. وفي حديث ابن شهاب عن النبي صلى الله عليه وسلم:" أن أيوب خرج لما كان يخرج إليه من حاجته فأوحى الله إليه:" اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب" فاغتسل فأعاد الله لحمه وشعره وبشره على أحسن ما كان ثم شرب فأذهب الله كل ما كان في جوفه من ألم أو ضعف وأنزل الله عليه ثوبين من السماء أبيضين فائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ثم أقبل يمشي إلى منزله وراث «٢» على امرأته فأقبلت حتى لقيته وهي لا تعرفه فسلمت عليه وقالت أي يرحمك الله هل رأيت هذا الرجل المبتلى؟ قال من هو؟ قالت نبي الله أيوب، أما والله ما رأيت أحدا قط أشبه به منك إذ كان صحيحا. قال فإني أيوب وأخذ ضغثا فضربها به" فزعم ابن شهاب أن ذلك الضغث كان ثماما «٣». ورد الله إليه أهله ومثلهم معهم، فأقبلت سحابة حتى سجلت «٤» في أندر «٥» قمحه ذهبا حتى امتلأ، وأقبلت سحابة أخرى إلى أندر شعيره وقطانيه «٦» فسجلت

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢١٥/١٥

فيه ورقا حتى امتلأ.

---

(١). الضمير يعود على سليمان عليه السلام.

(٢). راث: أبطأ.

(٣). التمام: نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص.

(٤). السحل الانصباب المتواصل.

(٥). الأندر: الموضع الذي يدرس فيه القمح وغيره.

(٦). القطاني: الحبوب التي تدخر كالمحص والعدس واللوبيا وما شاكلها. قوله تعالى: واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار." (١)

"في قرن- وهو الحبل- فأوثقه به وشده. والثاني- أنه مأخوذ من المقارنة وهو أن يقرن بعضها ببعض في السير، يقال: قرنت كذا بكذا إذا ربطته به وجعلته قرينه. الخامسة- علمنا الله سبحانه ما نقول إذا ركبنا الدواب، وعرفنا في آية أخرى على لسان نوح عليه السلام ما نقول إذا ركبنا السفن، وهي قوله تعالى:" وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم" «١» [هود: ٤١] فكم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت «٢» أو طاح من ظهرها فهلك «٣». وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا. فلما كان الركوب مباشرة أمر محظور واتصالا بأسباب من أسباب التلف أمر ألا ينسى عند اتصاله به يومه، وأنه هالك لا محالة فمنقلب إلى الله عز وجل غير منفلت من قضائه. ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله بإصلاحه من نفسه. والحذر من أن يكون وركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه. حكى سليمان بن يسار أن قوما كانوا في سفر فكانوا إذا ركبوا قالوا:" سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين" وكان فيهم رجل على ناقة له رازم- وهي التي لا تتحرك هزالا «٤» - فقال: أما أنا فإني لهذه لمقرن، قال: فقمصت به فدقت عنقه. وروي أن أعرابيا ركب قعودا له وقال إني لمقرن له فركضت به القعود «٥» حتى صرعته فاندقت عنقه. ذكر الأول الماوردي والثاني ابن العربي. قال: وما ينبغي لعبد أن يدع قول هذا وليس بواجب ذكره باللسان، فيقول متى ركب وخاصة في السفر إذا تذكر:" سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين. وإنا إلى ربنا لمنقلبون" اللهم أنت الصاحب في

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢١٦/١٥

السفر، والخليفة في الأهل والمال، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والجور بعد الكور، وسوء المنظر في الأهل والمال، يعني ب" الجور بعد الكور" تشتت أمر الرجل بعد اجتماعه. وقال عمرو بن دينار: ركبت مع أبي جعفر إلى أرض له نحو حائط يقال لها مدركة، فركب

---

(١). آية ٤١ سورة هود.

(٢). تقحم الفرس براكبه ألقاء على وجهه.

(٣). في الأصول:" فهلكت".

(٤). وجد على هامش نسخة من الأصل بخط ناسخه:" الرازم من الإبل: الثابت على الأرض الذي لا يقوم من الهزال. وقد رزمت الناقة ترزم وترزم رزوما ورزاما قامت من الإعياء والهزال فلم يتحرك فهي رازم. قاله الجوهري في "الصحاح".

(٥). هذه عبارة ابن العربي والأصول: ويلاحظ أن القعود مذكر." [١]

"بالرفع وهو في معنى الحال، تقول: جاء زيد يركض أي راكضا، أي لا تعط شيئا مقدرا أن تأخذ بدله ما هو أكثر منه. وقرأ الحسن بالجزم على جواب النهي وهو ردئ، لأنه ليس بجواب. ويجوز أن يكون بدلا من تمنن كأنه قال: لا تستكثر. وأنكره أبو حاتم وقال: لأن المن ليس بالاستكثار فيبدل منه. ويحتمل أن يكون سكن تخفيفا كعضد. أو أن يعتبر حال الوقف. وقرأ الأعمش ويحيى (تستكثر) بالنصب، توهم لام كي، كأنه قال: ولا تمنن لتستكثر. وقيل: هو بإضمار" أن" كقوله: «١»

(ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى)

ويؤيده قراءة ابن مسعود" ولا تمنن أن تستكثر". قال الكسائي: فإذا حذف" أن" رفع وكان المعنى واحدا. وقد يكون المن بمعنى التعداد على المنعم عليه بالنعم، فيرجع إلى القول [الثاني»

]، ويعضده قوله تعالى: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى [البقرة: ٢ ٢٦٤] وقد يكون مرادا في هذه الآية. والله أعلم.

[سورة المدثر (٧٤): آية ٧]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٦٧/١٦

ولربك فاصبر (٧)

قوله تعالى: (ولربك فاصبر) أي ولسيدك ومالكك فاصبر على أداء فرائضه وعبادته. وقال مجاهد: على ما أوذيت «٣». وقال ابن زيد: حملت أمرا عظيما، محاربة العرب والعجم، فاصبر عليه لله. وقيل: فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله تعالى. وقيل: فاصبر على البلوى، لأنه يمتحن أولياءه وأصفياءه. وقيل: على أوامره ونواهيه. وقيل: على فراق الأهل والأوطان.

[سورة المدثر (٧٤): الآيات ٨ الى ١٠]

فإذا نقر في الناقور (٨) فذلك يومئذ يوم عسير (٩) على الكافرين غير يسير (١٠)

---

(١). البيت لطرفة بن العبد من معلقته وتمامه:

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

[.....]

(٢). زيادة يقتضيها المعنى.

(٣). في ا، ح، ل: (ما أديت).." (١)

"وخص الأبناء في المعرفة بالذكر دون الأنفس وإن كانت ألصق لأن الإنسان يمر عليه من زمنه برهة لا يعرف فيها نفسه، ولا يمر عليه وقت لا يعرف فيه ابنه. وروي أن عمر قال لعبد الله بن سلام: أتعرف محمدا صلى الله عليه وسلم كما تعرف ابنك؟ فقال: نعم وأكثر، بعث الله أمينه في سمائه إلى أمينه في أرضه بنعته فعرفته، وابني لا أدري ما كان من أمه. قوله تعالى:" وإن فريقا منهم ليكتمون الحق" يعني محمدا صلى الله عليه وسلم، قاله مجاهد وقتادة وخصيف. وقيل: استقبال الكعبة، على ما ذكرنا آنفا. قوله تعالى:" وهم يعلمون" ظاهر في صحة الكفر عنادا، ومثله:" وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم" «١» وقوله:" فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به".

[سورة البقرة (٢): آية ١٤٧]

الحق من ربك فلا تكونن من الممترين (١٤٧)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٦٩/١٩

قوله تعالى:" الحق من ربك" يعني استقبال الكعبة، لا ما أخبرك به اليهود من قبلتهم. وروي عن علي رضي الله عنه أنه قرأ" الحق" منصوبا ب" يعلمون" أي يعلمون الحق. ويصح نصبه على تقدير الزم الحق. والرفع على الابتداء أو على إضمار مبتدإ، والتقدير هو الحق، أو على إضمار فعل، أي جاءك الحق. قال النحاس: فأما الذي في" الأنبياء"" الحق فهم معرضون «٢» " فلا نعلم أحدا قرأه إلا منصوبا، والفرق بينهما أن الذي في سورة" البقرة" مبتدأ آية «٣»، والذي في الأنبياء ليس كذلك. قوله تعالى:" فلا تكونن من الممترين" أي من الشاكين. والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته. يقال: امترى فلان [في] كذا إذا اعترضه اليقين مرة والشك أخرى فدافع إحداهما بالأخرى، ومنه المراء لأن كل واحد منهما يشك في قول صاحبه. والامتراء في الشيء الشك فيه، وكذا التماري. وأنشد الطبري شاهدا على أن الممترين الشاكون قول الأعشى:

تدر على أسوق الممترين ... من ركضا إذا ما السراب ارجحن

---

(١). راجع ج ١٣ ص ١٦٣.

(٢). راجع ج ١١ ص ٢٨٠.

(٣). في أ:" به". [.....]." [1]

"من مروءة الرجل ألا يخبر بسنه، لأنه إن كان صغيرا استحقروه وإن كان كبيرا استهرموه. وهذا قول ضعيف، لأن مالكا لا يخبر بسن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكتم سنه، وهو من أعظم العلماء قدوة به. فلا بأس بأن يخبر الرجل بسنه كان كبيرا أو صغيرا". وقال عبد الملك ابن مروان لعتاب بن أسيد: أنت أكبر أم النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: النبي صلى الله عليه وسلم أكبر مني، وأنا أسن منه، ولد النبي صلى الله عليه وسلم عام الفيل، وأنا أدركت سائسه وقائده أعميين مقعدين يستطعمان الناس، وقيل لبعض القضاة: كم سنك؟ قال: سن عتاب بن أسيد حين ولاه النبي صلى الله عليه وسلم مكة، وكان سنه يومئذ دون العشرين. الخامسة: قال علماؤنا: كانت قصة الفيل فيما بعد من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وإن كانت قبله وقبل التحدي، لأنها كانت توكيدا لأمره، وتمهيدا لشأنه. ولما تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة، كان بمكة عدد كثير ممن شهد تلك الوقعة، ولهذا قال: ألم تر ولم يكن بمكة أحد إلا وقد رأى قائد الفيل وسائقه أعميين يتكففان الناس. وقالت عائشة رضي الله عنها مع حداثة سنها: لقد رأيت قائد الفيل وسائقه أعميين يستطعمان الناس. وقال أبو صالح: رأيت في بيت أم هانئ بنت أبي

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٦٣/٢

طالب نحوا من قفيزين من تلك الحجارة، سودا مخططة بحمرة.

[سورة الفيل (١٠٥): آية ٢]

ألم يجعل كيدهم في تضليل (٢)

قوله تعالى: (ألم يجعل كيدهم في تضليل) أي في إبطال وتضييع، لأنهم أرادوا أن يكيدوا قريشا بالقتل والسبي، والبيت بالتخريب والهدم. فحكي عن عبد المطلب أنه بعث ابنه عبد الله على فرس له، ينظر ما لقوا من تلك الطير، فإذا القوم مشدخين جميعا، فرجع يركض فرسه، كاشفا عن فخذه، فلما رأى ذلك أبوه قال: إن ابني هذا أفرس العرب. وما كشف عن فخذه إلا بشيرا أو نذيرا. فلما دنا من ناديهم بحيث يسمعهم الصوت، قالوا: ما وراءك؟ قال: هلكوا جميعا. فخرج عبد المطلب وأصحابه، فأخذوا أموالهم. وكانت." (١)

"الخامسة والعشرون- قوله تعالى: (وعشرا) روى وكيع عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية أنه سئل: لم ضمت العشر إلى الأربعة الأشهر؟ قال: لأن الروح تنفخ فيها، وسيأتي في الحج بيان هذا إن شاء الله تعالى «١». وقال الأصمعي: ويقال إن ولد كل حامل يرتكض في نصف حملها فهي مركض. وقال غيره: أركضت فهي مركضة وأنشد:

ومركضة صريحي أبوها ... تهان لها الغلامة والغلام «٢»

وقال الخطابي: قوله (وعشرا) يريد والله أعلم- الأيام بلياليها. وقال المبرد: إنما أنث العشر لأن المراد به المدة. المعنى وعشر مدد، كل مدة من يوم وليلة، فالليلة مع يومها مدة معلومة من الدهر. وقيل: لم يقل عشرة تغليبا لحكم الليالي إذ الليلة أسبق من اليوم والأيام في ضمنها." وعشرا" أخف في اللفظ، فتغلب الليالي على الأيام إذا اجتمعت في التاريخ، لأن ابتداء الشهور بالليل عند الاستهلال، فلما كان أول الشهر الليلة غلب الليلة، تقول: صمنا خمسا من الشهر، فتغلب الليالي وإن كان الصوم بالنهار. وذهب مالك والشافعي والكوفيون إلى أن المراد بها الأيام والليالي. قال ابن المنذر: فلو عقد عاقد عليها النكاح على هذا القول وقد مضت أربعة أشهر وعشر ليالي كان باطلا حتى يمضي اليوم العاشر. وذهب بعض الفقهاء إلى أنه إذا انقضى لها أربعة أشهر وعشر ليالي حلت للأزواج، وذلك لأنه رأى العدة مبهمة فغلب التأنيث وتأولها على الليالي. وإلى هذا ذهب الأوزاعي من الفقهاء وأبو بكر الأصم من المتكلمين. وروي عن ابن

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٠/١٩٥

عباس أنه قرأ" أربعة أشهر وعشر ليال". قوله تعالى: (فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير) فيه ثلاث مسائل: الأولى- أضاف تعالى الأجل إليهن إذ هو محدود مضروب في أمرهن، وهو عبارة عن انقضاء العدة.

---

(١). راجع ج ١٢ ص ٦ فما بعد.

(٢). البيت لأوس بن غلفاء الهجيمي يصف فرسا. والصريحى: نسبة إلى الصريح وهو فحل من خيل العرب معروف. (عن اللسان).." [(١)]

"ومعنى (لانفضوا) لتفرقوا، فضضتهم فانفضوا، أي فرقتهم فتفرقوا، ومن ذلك قول أبي النجم يصف إبلا:

مستعجلات القيض «١» غير جرد «٢» ... ينفض عنهن الحصى بالصمد «٣»

وأصل الفض الكسر، ومنه قولهم: لا يفضض الله فاك. والمعنى: يا محمد لولا رفقك لمنعهم الاحتشام والهيبة من القرب منك بعد ما كان من توليهم. قوله تعالى: (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) الأولى- قال العلماء: أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بهذه الأوامر التي هي بتدريج بليغ، وذلك أنه أمره بأن يعفو عنهم ما له في خاصته عليهم من تبعة، فلما صاروا في هذه الدرجة أمره أن يستغفر فيما لله عليهم من تبعة أيضا، فإذا صاروا في هذه الدرجة صاروا أهلا للاستشارة في الأمور. قال أهل اللغة: الاستشارة مأخوذة من قول العرب: شرت الدابة وشورتها إذا علمت خبرها بجري أو غيره. ويقال للموضع الذي تركض فيه: مشوار. وقد يكون من قولهم: شرت العسل واشترته فهو مشور ومشتار إذا أخذته من موضعه، قال عدي بن زيد:

في سماع يأذن الشيخ له ... وحديث مثل ماذي مشار «٤»

الثانية- قال ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب. هذا ما لا خلاف فيه. وقد مدح الله المؤمنين بقوله:" وأمرهم شورى بينهم" [الشورى: ٣٨] «٥». قال أعرابي: ما غبنت قط حتى يغبن قومي، قيل:

---

(١). كذا في الأصول بالقاف والياء المثناة، ولعله مصحف عن" القبض" بالقاف والباء الموحدة وهو السوق

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٨٦/٣

السريع، وإنما سمى السوق السريع قبضا لان البسائق؟ للإبل يقبضها أي يجمعها إذا أراد سوقها، فإذا انتشرت تعذر عليه سوقها: أو القبض بمهملة: العدو الشديد.

(٢). كذا في الأصول بالمعجمة، ولعله" حرد" بالحاء المهملة، والحرد في البعير أن تنقطع عصبة ذراعه فتسترخي يده فلا يزال يخفق بها أبدا.

(٣). الصمد: المكان الغيظ المرتفع من الأرض لا يبلغ أن يكون جبلا.

(٤). يأذن: يستمع. والماذي: العسل الأبيض والمشار: المجتنى.

(٥). راجع ج ١٦ ص ٣٦.." [١]

"أن الجنين إذا خرج حيا أن ذكاة أمه ليست بذكاة له، واختلفوا إذا ذكيت الأم وفي بطنها جنين، فقال مالك وجميع أصحابه: ذكاته ذكاة أمه إذا كان قد تم خلقه ونبت شعره، وذلك إذا خرج ميتا أو خرج به رمق من الحياة، غير أنه يستحب أن يذبح إن خرج يتحرك، فإن سبقهم بنفسه أكل. وقال ابن القاسم: ضحيت بنعجة فلما ذبحتها جعل يركض ولدها في بطنها فأمرتهم أن يتركوها حتى يموت في بطنها، ثم أمرتهم فشقوا جوفها فأخرج منه فذبحته فسال منه دم، فأمرت أهلي أن يشووه. وقال عبد الله بن كعب بن مالك. كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: إذا أشعر الجنين فذكاته ذكاة أمه. قال ابن المنذر: وممن قال ذكاته ذكاة أمه ولم يذكر أشعر أو لم يشعر علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسعيد ابن المسيب والشافعي وأحمد وإسحاق. قال القاضي أبو الوليد الباجي: وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ذكاة الجنين ذكاة أمه أشعر أو لم يشعر" إلا أنه حديث ضعيف، فمذهب مالك هو الصحيح من الأقوال الذي عليه عامة فقهاء الأمصار. وبالله التوفيق. التاسعة- قوله تعالى:" ذكيتم" الذكاة في اللغة أصلها التمام، ومنه تمام السن. والفرس المذكى الذي يأتي بعد تمام القروح «١»

بسنة، وذلك تمام استكمال القوة. ويقال: ذكى يذكي، والعرب تقول: جري «٢»

المذكيات غلاب. والذكاء حدة القلب، وقال الشاعر «٣»

:

يفضله إذا اجتهدوا عليه ... تمام السن منه والذكاء

والذكاء سرعة الفطنة، والفعل منه ذكي يذكى ذكا، والذكوة ما تذكو به النار، وأذكيت الحرب والنار أوقدتهما. وذكاء اسم الشمس، وذلك أنها تذكو كالنار، والصبح ابن ذكاء لأنه من ضوئها. فمعنى" ذكيتم" أدركتم

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤/٢٤٩

ذكاته على التمام. ذكيت الذبيحة أذكيها مشتقة من التطيب، يقال: رائحة ذكية، فالحيوان إذا أسيل دمه فقد طيب، لأنه يتسارع إليه التجفيف، وفي حديث محمد بن علي رضي الله عنهم" ذكاة الأرض يبسها" يريد

---

(١). قرح الفرس قروحا: إذا انتهت أسنانه، وإنما تنتهي في خمس سنين.
(٢). المعنى: جرى للسان القرح من الخيل أن تغالب الجري غلابا.
(٣). هو زهير. [.....]." [١]

"[سورة الأنعام (٦): آية ٧٦]

فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين (٧٦)

قوله تعالى: (فلما جن عليه الليل) أي ستره بظلمته، ومنه الجنة والجنة والجنين والمجن والجن كله بمعنى الستر. وجنان الليل ادلهمامه وستره. قال الشاعر «١»:

ولولا جنان الليل أدرك ركضنا ... بذي الرمث والأرطى «٢» عياض بن ناشب

ويقال: جنون الليل أيضا. ويقال: جنه الليل وأجنه الليل لغتان. (رأى كوكبا) هذه قصة أخرى، غير قصة عرض الملكوت عليه. فقيل: رأى ذلك من شق الصخرة الموضوعة على رأس السرب. وقيل: لما أخرجه أبوه من السرب وكان وقت غيبوبة الشمس فرأى الإبل والخيل والغنم فقال: لا بد لها من رب. ورأى المشتري أو الزهرة ثم القمر ثم الشمس، وكان هذا في آخر الشهر. قال محمد بن إسحاق: وكان ابن خمس عشرة سنة. وقيل: ابن سبع سنين. وقيل: لما حاج نمروذا كان ابن سبع عشرة سنة. قوله تعالى: (قال هذا ربي) اختلف في معناه على أقوال، فقيل: كان هذا منه في مهلة النظر وحال الطفولية وقبل قيام الحجة، وفي تلك الحال لا يكون كفر ولا إيمان. فاستدل قائلو هذه المقالة بما روي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال:" فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي" فعبده حتى غاب عنه، وكذلك الشمس والقمر، فلما تم نظره قال:" إني بريء مما تشركون" واستدل بالأفول، لأنه أظهر الآيات على الحدوث. وقال قوم: هذا لا يصح، وقالوا: غير جائز أن يكون لله تعالى رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو لله تعالى موحد وبه عارف، ومن كل معبود سواه بريئ. قالوا: وكيف يصح أن يتوهم هذا على من عصمه الله وآتاه رشده من قبل، وأراه ملكوته ليكون من الموقنين، ولا يجوز

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥٢/٦

(١). هو دريد بن الصمة، وقيل: هو لخفاف بن ندبة (عن اللسان).

(٢). الرمث (بالكسر): مرعى من مراعى الإبل، واسم واد لبنى أسد. والأرطى (جمع أرطاة): شجر ينبت بالرمل.." [١]

"في الريح في البقرة «١». ورياح جمع كثرة وأرواح جمع قلة. وأصل ريح روح. وقد خطئ من قال في جمع القلة أرياح." بشرا" فيه سبع قراءات: قرأ أهل الحرمين وأبو عمرو" نشرا" بضم النون والشين جمع ناشر على معنى النسب، أي ذات نشر، فهو مثل شاهد وشهد. ويجوز أن يكون جمع نشور كرسول ورسل. يقال: ريح النشور إذا أتت من هاهنا وهاهنا. والنشور بمعنى المنشور، كالركوب بمعنى المركوب. أي وهو الذي يرسل الرياح منشرة. وقرأ الحسن وقتادة" نشرا" بضم النون وإسكان الشين مخففا من نشر، كما يقال: كتب ورسل. وقرأ الأعمش وحمزة" نشرا" بفتح النون وإسكان الشين على المصدر، أعمل فيه معنى ما قبله، كأنه قال: وهو الذي ينشر الرياح نشرا. نشرت الشيء فانتشر، فكأنها كانت مطوية فنشرت عند الهبوب. ويجوز أن يكون مصدرا في موضع الحال من الرياح، كأنه قال يرسل الرياح منشرة، أي محيية، من أنشر الله الميت فنشر، كما تقول أتانا ركضا، أي راكضا. وقد قيل: إن نشرا (بالفتح) من النشر الذي هو خلاف الطي على ما ذكرنا. كأن الريح في سكونها كالمطوية ثم ترسل من طيها ذلك فتصير كالمنفتحة. وقد فسره أبو عبيد بمعنى متفرقة في وجوهها، على معنى ينشرها هاهنا وهاهنا. وقرأ عاصم:" بشرا" بالباء وإسكان الشين والتنوين جمع بشير، أي الرياح تبشر بالمطر. وشاهده قوله:" ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات «٢» ". وأصل الشين الضم، لكن سكنت تخفيفا كرسل ورسل. وروي عنه" بشرا" بفتح الباء. قال النحاس: ويقرأ" بشرا" و" بشر مصدر بشره يبشره بمعنى بشره" فهذه خمس قراءات. وقرأ محمد اليماني" بشرى" على وزن حبلى. وقراءة سابعة" بشرى" بضم الباء والشين. (حتى إذا أقلت سحابا ثقالا) السحاب يذكر ويؤنث. وكذا كل جمع بينه وبين واحدته هاء. ويجوز نعته بواحد فتقول: سحاب ثقيل وثقيلة. والمعنى: حملت الريح سحابا ثقالا بالماء، أي أثقلت بحمله. يقال: أقل فلان الشيء أي حمله. سقناه

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٥/٧

(١). راجع ج ٢ ص ١٩٧.

(٢). راجع ج ١٤ ص ٤٣.." (١)

"استأذنته فيها وأنا رجل شاب! قال: فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا. قال: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع «١» يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر. قال: فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء فرج. قال: فآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إلي فرسا وسعى ساع من أسلم قبلي وأوفى الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما فانطلقت أتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئونني بالتوبة ويقولون: لتهنئك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام رجل من المهاجرين غيره. قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور ويقول: (أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك). قال: فقلت أمن عند الله يا رسول الله أم من عندك؟ قال: (لا بل من عند الله). وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر. قال: وكنا نعرف ذلك. قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبة الله علي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك). قال فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. قال وقلت: يا رسول الله، إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا ما بقيت. قال: فوالله ما علمت أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت

---

(١). أي أشرف على جبل سلع. قال الواقدي: هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.." (٢)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٧/٢٢٩

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٨/٢٨٦

"ويعتنق القبر ويضطرب ويقول: يا أماه! ارفعي رأسك تري ولدك مكبلا مقيدا مسلسلا مغلولا، فرقوا بيني وبين والدي، فاسألي الله أن يجمع بيننا في مستقر رحمته إنه أرحم الراحمين، فتفقده الأسود على البعير فلم يره، فقفا أثره، فإذا هو بياض على قبر، فتأمله فإذا هو إياه، فركضه برجله في التراب ومرغه وضربه ضربا وجيعا، فقال له: لا تفعل! والله ما هربت ولا أبقت وإنما مررت بقبر أمي فأحببت أن أودعها، ولن أرجع إلى ما تكرهون، فقال الأسود: والله إنك لعبد سوء، تدعو أباك مرة وأمك أخرى! فهلا كان هذا عند مواليك، فرفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إن كانت لي عندك خطيئة أخلقت بها وجهي فأسألك بحق آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن تغفر لي وترحمني، فضجت الملائكة في السماء، ونزل جبريل فقال له: يا يوسف! غض صوتك فلقد أبكيت ملائكة السماء! أفتريد أن أقلب الأرض فأجعل عاليها سافلها؟ قال: تثبت يا جبريل، فإن الله حليم لا يعجل، فضرب الأرض بجناحه فأظلمت، وارتفع الغبار، وكسفت الشمس، وبقيت القافلة لا يعرف بعضها بعضا، فقال رئيس القافلة: من أحدث منكم حدثا؟ - فإني أسافر منذ كيت وكيت ما أصابني قط مثل هذا- فقال الأسود: أنا لطمت ذلك الغلام العبراني فرفع يده إلى السماء وتكلم بكلام لا أعرفه، ولا أشك أنه دعا علينا، فقال له: ما أردت إلا هلاكنا! ايتنا به، فأتاه به، فقال له: يا غلام! لقد لطمك فجاءنا ما رأيت، فإن كنت تقتص فاقتص ممن شئت، وإن كنت تعفو فهو الظن بك، قال: قد عفوت رجاء أن يعفو الله عني، فانجلت الغبرة، وظهرت الشمس، وأضاء مشارق الأرض ومغاربها، وجعل التاجر يزوره بالغداة والعشي ويكرمه، حتى وصل إلى مصر فاغتسل في نيلها وأذهب الله عنه كآبة السفر، ورد عليه جماله، ودخل به البلد نهارا فسطع نوره على الجدران، وأوقفوه للبيع فاشتراه قطفير وزير الملك، قاله ابن عباس على ما تقدم. وقيل: إن هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه، ثم مات الملك ويوسف يومئذ على خزائن الأرض، فملك بعده قابوس وكان كافرا، فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى. (أكرمي مثواه) أي منزله ومقامه بطيب المطعم واللباس الحسن، وهو." (١)

"مع أنك إذا قلت: فلان يحمل الصخرة ويحمل الرطل لم يكن له فائدة،؛ لأنه إذا حمل الثقيل فأحرى أن يحمل ما دونه، وأجيب بأن المراد ويعملون عملا [غيره*] (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات)، ويكون المراد أنهم نوعان: نوع يغوص، ونوع يعمل عملا آخر.

فرده ابن عرفة: بأن ذلك بعيد من لفظ دون، قال: والجواب الآخر يحتاج إلى إضمار.

قال: وإنما عادتهم يجيبون بأنه إن جعلنا اللفظ باعتبار القوة والقدرة فهو تكرار كما قلتم، وإن جعلناه باعتبار

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٥٩/٩

الامتثال والطاعة فهو تأسيس، لأن من يطيعك في حمل الثقيل قد تأنف نفسه عن طاعتك في حمل الخفيف لكونه يستحقره؛ كقولك: يتآزر الجيش العظيم [ويجعل*] للسلطان فعله إذا جلس، فهذا ليس بتأكيد، وإنما هو تأسيس لهذا الاعتبار.

قوله تعالى: (لهم حافظين).

هذا احتراس، أي حالهم مستعدين في أمورهم لئلا يأتون على غير الوجه المراد منها، فهو إشارة إلى أن جميع الأشياء بخلق الله وقدرته.

قوله تعالى: ﴿مسني الضر ... (٨٣)﴾

ولم يقل: لحقني أو أصابني مع أن المس أخف، وقد طال زمن، فمر هذا إشارة إلى أن هذا بالنسبة إلى غيره كالمبدأ، وهذا على جهة التلطف منه في الدعاء، ولذلك لم يقل فارحمني.

قوله تعالى: ﴿فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم ... (٨٤)﴾

هذا العطف على جهة الترقي؛ لأن كشف الضر أمر حاجي ضروري، إذ هو من دفع المؤلم، فآتيناه الأهل والمال أمر تكميلي،؛ لأن من جلب الملائم فأعطاه الأمر التكميلي بعد الأمر الحاجي أقوى وأبلغ، قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير في سورة ص (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) فذكر السبب في كشف الضر هنا، لم يذكر له سببا، وقال تعالى هناك [(رحمة منا) *]، وقال هنا (رحمة من عندنا)، وقال هناك (وذكرى لأولي." (١)

"من القرية التي كانت تعمل الخبائث)، وقال تعالى (وباركنا عليه وعلى إسحاق)، (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا)، وهذه الآية خرجت مخرج ما عنى بالأنبياء لأن قبلها (وظن داوود أنما فتناه)، ثم قال (ولقد فتنا سليمان)، ومنهم من أجاب: بأن (مسني الشيطان) فيما هو الأصل الأهم.

قوله تعالى: ﴿اركض برجلك ... (٤٢)﴾

ابن عرفة: يؤخذ منه جواز التداوي للمرض، أو ترجيحه مع الإجماع على عدم وجوبه؛ إلا إذا أدى تركه إلى الإخلال بالفرض؛ فإنه يجب كمن يمنعه المؤمن من الصلاة قائما، فيجب عليه التداوي. وهنا جعل له الماء دواه.

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ١٧٠/٣

وذكر ابن عطية في سبب نزول الآية: أنه دخل على بعض الملوك فرأى منكرا فلم يغيره، قال: وروي أنه ذبح شاه وطبخها؛ وله جار جائع فلم يطعمه منها.

قال ابن عرفة: أما الثاني: [فخفيف*] إذ لعله لم يعلم بحاجة جاره، وأما الأول: فشديد لا يحل نقله وإسناده إلى الأنبياء.

قال الزمخشري: فإن قلت: لم نسبه إلى الشيطان؛ ولا يجوز أن يسلط على أنبيائه؟ قلت: لما كانت وسوسته سببا فيما مسه من المرض نسبه إليه؛ وقد راع الأدب حيث لم [ينسبه*] إلى الله تعالى في دعائه مع أن الله تعالى فاعله.

قيل لابن عرفة: كيف وهو يقول إن العبد يخلق أفعاله، فقال: لعله ممن يقول بالاعتزال؛ ولا يقول بالتولد، وتخرج من كلام الزمخشري أنه قرئ بنصب، ونصب. ابن عرفة: وهو خطأ، ولا يقرأ [**كما أخذوا الذي ذكر ابن عطية، [وأبو*] حيان من خفض عن عاصم نصب، والقراءة المشهورة عن [الجميع (بنصب) *].

قوله تعالى: ﴿وخذ بيدك ضغثا ... (٤٤)﴾

قال تعالى في طه (فإذا هي حية تسعى)، (قال خذها ولا تخف)، ولم يقل: خذها بيدك.

قال ابن عرفة: أجيب: بأن هذا من تمام النعمة على أيوب عليه السلام إشعار بأنه ردت له قوته وصحته كما كانت، فلذلك قال تعالى (وخذ بيدك)؛ لأن أعضاءه كلها كانت معطلة.

قوله تعالى: ﴿أولي الأيدي والأبصار (٥٤)﴾." (١)

"وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢) لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون (١٣) قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (١٤) فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (١٥) وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (١٦) لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين (١٧) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (١٨)." (٢)

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٣٧٥/٣

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٠٨/٨

"بحاسة البصر وقال الأخفش: خافوا وتوقعوا. والبأس العذاب الشديد.

(إذا هم منها يركضون) أي يسرعون هاربين ويهربون مسرعين من قريتهم لما رأوا مقدمة العذاب، أو من بأسنا لأنه في معنى النقمة والبأساء، فأنث الضمير حملا على المعنى، ومن على الأول لابتداء الغاية وللتعليل على الثاني، والركض الفرار والهرب والانهزام، وأصله من ركض الرجل الدابة برجليه، يقال ركض الفرس إذا كده بساقيه، ثم كثر حتى قيل: ركض الفرس إذا عدا، ومنه (اركض برجلك) والمعنى أنهم يهربون منها راكضين دوابهم، فقيل لهم.." (١)

"(لا تركضوا) أي لا تهربوا، قيل أن الملائكة نادتهم بذلك عند فرارهم وقيل: أن القائل لهم ذلك من هنالك من المؤمنين استهزاء بهم وسخرية منهم (وارجعوا إلى ما أترفتم) يعني ما تنعمتم (فيه) من الدنيا ولين العيش، يعني إلى نعمكم التي كانت سبب بطركم وكفركم، والمترف المنعم، يقال أترف فلان أي وسع عليه في معاشه، وقل فيه همه.

وقال سعيد بن جبير: ارجعوا إلى دوركم وأموالكم (ومساكنكم) التي تسكنونها وتفتخرون بها (لعلكم تسألون) أي تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات، وهذا على طريقة التهكم بهم والتوبيخ لهم.

وقيل: المعنى لعلكم تسألون عما نزل بكم وجرى عليكم من العقوبة فتخبرون السائل عن علم ومشاهدة.

وقيل: لعلكم تسألون أن تؤمنوا كما كنتم تسئلون ذلك قبل نزول العذاب بكم، أو تسئلون شيئا من دنياكم على العادة فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم، فإنكم أهل نعمة وثروة؛ وهذا كله توبيخ وتهكم بهم وقيل غير ذلك.

قال المفسرون وأهل الأخبار: أن المراد بهذه الآية أهل حضور من اليمن وكان أهلها عربا، وكان الله سبحانه قد بعث إليهم نبيا اسمه شعيب بن مهدم. وقبره بجبل من جبال اليمن يقال له صنين، وبينه وبين حضور نحو." (٢)

"(قالوا) لما قالت لهم الملائكة لا تركضوا (يا ويلنا) أي يا هلاكنا (إنا كنا ظالمين) لأنفسنا مستوجبين العذاب بما قدمنا، فاعترفوا على أنفسهم بالظلم الموجب للعذاب وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم.." (٣)

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٠٩/٨

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٠٩/٨

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣١٠/٨

"(فما زالت تلك) أي هذه الجملة والكلمة (دعواهم) هي قولهم يا ويلنا أي يدعون بها ويرددونها (حتى جعلناهم حصيدا) بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل، والحصيد هنا بمعنى المحصود.

ومعنى (خامدين) أنهم ميتون من خمدت النار وهمدت إذا طفئت، فشبه خمود الحياة بخمود النار، كما يقال لمن مات قد طفيء، والخمود عبارة عن سكون لهبها مع بقاء الحر، والهمود عبارة عن ذهابها بالكلية حتى تصير رمادا، فالأحسن أن يكون المراد بالخمود هنا الهمود فإنه أبلغ معنى، والمعنى جعلناهم جامعين لماثلة الحصاد والخمود، كقولك جعلته حلوا حامضا؛ أي جعلته جامعا للطعمين. قال مجاهد: بالسيف ضرب الملائكة وجوههم حتى رجعوا إلى مساكنهم.

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن وهب قال: حدثني رجل من الجزريين قال: كان باليمن قريتان يقال لإحداهما حضور وللأخرى قلابة، فبطروا وأترفوا حتى ما كانوا يغلقون أبوابهم فلما أترفوا بعث الله إليهم نبيا فدعاهم فقتلوه، فألقى الله في قلب بختنصر أن يغزوهم؛ فجهز لهم جيشا فقاتلوهم فهزموا جيشه فرجعوا منهزمين؛ فجهز إليهم جيشا آخر أكثف من الأول فهزموهم أيضا، فلما رأى بختنصر غزاهم هو بنفسه، فقاتلهم حتى خرجوا منها يركضون؛ فسمعوا مناديا يقول: لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيا." (١)

"(فاستجبنا له) نداءه الذي في ضمنه الدعاء (فكشفنا ما به من ضر) أي شفاه الله مما كان به وأعاده بما ذهب عليه. وقال له اركض برجلك فركض فنبعت عين ماء، فأمره أن يغتسل منها، ففعل فذهب كل داء كان بظاهره، ثم مشى أربعين خطوة، فأمره أن يضرب برجله الأرض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد، فأمره أن يشرب منها، فشرب فذهب كل داء كان بباطنه، فصار كأصح ما كان.

عن عبد الله بن عبد بن عمير قال: كان لأيوب أخوان جاءا يوما فلم يستطيعا أن يدنوا منه من ريحه فقام من بعيد، فقال أحدهما للآخر: لو كان علم الله من أيوب خيرا ما ابتلاه بهذا، فجزع أيوب من قولهما جزعا لم يجزع من شيء قط مثله، فقال: اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت ليلة قط شبعانا وأنا أعلم مكان جائع فصدقني، فصدق من السماء وهما يسمعان.

ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أني لم ألبس قميصا قط وأنا أعلم مكان عار فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان، ثم خر ساجدا وقال: اللهم بعزتك لا أرفع رأسي حتى تكشف عني، فما رفع رأسه حتى كشف الله عنه، وقد رواه ابن أبي حاتم مرفوعا بنحو هذا.

(وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قيل تركهم الله عز وجل وأعطاه مثلهم في الدنيا. قال النحاس: والإسناد بذلك

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣١٠/٨

صحيح، وقد كان مات أهله جميعا إلا امرأته فأحياهم الله في أقل من طرف البصر وآتاه مثلهم معهم، وهو ظاهر القرآن، وبه قال أكثر المفسرين، وكان له سبعة بنين وسبع بنات. وقيل كان ذلك بأن ولد له ضعف الذين أماتهم الله؛ فيكون معنى الآية على هذا آتيناه مثل أهله ومثلهم معهم. وعن مجاهد قال: قيل له يا أيوب إن." (١)

"أهلك لك في الجنة فإن شئت أتيناك بهم وإن شئت تركناهم لك في الجنة وعوضناك مثلهم، قال له بل اتركهم لي في الجنة، قال فتركوا له في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا، وقال ابن مسعود: أوتي أهله بأعيانهم ومثلهم معهم.

وأخرج ابن أبي الدنيا وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم والروياني وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه، كانا من أخص إخوانه، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه ذات يوم: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد، قال وما ذاك؟ قال منذ ثماني عشرة سنة ولم يرحمه الله فيكشف عنه ما به.

فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر له ذلك، فقال أيوب لا أدري ما نقول غير أن الله يعلم أني أمر بالرجلين يتنازعان يذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهة أن يذكر الله إلا في حق " (١) وكان يخرج لحاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيديه حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، فاستبطأته فتلقته وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك، رأيت نبي الله المبتلى؛ والله على ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك إذ كان صحيحا، قال فإني أنا هو.

قال وكان له اندران، أندر للقمح واندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على اندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في اندر الشعير الورق حتى فاض.

---

(١) المستدرك كتاب التاريخ ٢/ ٥٨١.." (٢)

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٦٠/٨

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٦١/٨

"به: قد أنصفك صاحبك.

قال المبرد: ومعنى هذا الكلام معنى قول المتبصر في الحجة لصاحبه: أحدنا كاذب وقد عرف أنه الصادق المصيب، وصاحبه الكاذب المخطيء انتهي. وخولف بين حرفي الجر الداخلين على الهدى والضلال لأن صاحب الهدى كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء، والضال كأنه ينغمس في ظلام لا يرى أين يتوجه.

قال المبرد: (أو) عند البصريين على بابها وليست للشك لكنها على ما تستعمله العرب في مثل هذا إذا لم يرد المخبر أن يبين وهو عالم بالمعنى وقال أبو عبيدة والفراء: هي بمعنى الواو، وتقديره وإنا على هدى وإياكم لفي ضلال مبين. قيل: أو إياكم معطوف على اسم إن وخبرها هو المذكور وحذف خبر الثاني للدلالة عليه أي إنا لعلى هدى أو في ضلال مبين، أو أنكم لعلى هدى أو في ضلال مبين، ويجوز العكس، وهو كون المذكور خبر الثاني، وخبر الأول محذوفا كما في قوله: (والله ورسوله أحق أن يرضوه)، ثم أردف سبحانه هذا الكلام المنصف بكلام أبلغ منه في الإنصاف وأدخل فيه وأبعد من الجدل والمشاغبة فقال:." (١)

"علموا بما صنعه بها فقالوا نحن نعبدها وأنت تكسرها، ويزفون في محل نصب على الحال حال من فاعل أقبلوا، قرأ الجمهور بفتح الياء من زف الظليم يزف إذا عدا بسرعة، وقرىء: بضم الياء من أزف يزف أي دخل في الزفيف، أو يحملون غيرهم على الزفيف.

قال الأصمعي: أزففت الإبل أي حملتها على أن تزف، وقيل: هما لغتان يقال: زف القوم وأزفوا وزفت العروس وأزففتها حكي ذلك عن الخليل، قال النحاس: زعم أبو حاتم أنه لا يعرف هذه اللغة، يعني يزفون بضم الياء، وقد عرفها جماعة من العلماء منهم الفراء وشبهها بقولهم: اطردت الرجل أي صيرته إلى ذلك، وقال المبرد: الزفيف الإسراع.

قال الزجاج: الزفيف أول عدو النعام وقال قتادة والسدي معنى يزفون يمشون وقال الضحاك يسعون، وقال يحيى بن سلام: يرعدون غضبا، وقال مجاهد: يختالون أي يمشون مشي الخيلاء، وقيل: يتسللون تسللا بين المشي والعدو والأولى تفسيره بيسرعون، وقال ابن عباس: يزفون يخرجون وقرىء: يزفون على البناء للمفعول؛ وقرىء: على زنة يرمون، وحكى الثعلبي عن الحسن ومجاهد وابن السميفع أنهم قرأوا يرفون بالراء

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١١/١٩٢

المهملة وهي ركض بين المشي والعدو ولما أنكروا على إبراهيم ما فعله بالأصنام ذكر لهم الدليل الدال على فساد عبادتها و." [١]

"الزجاج هو الذي يقف على إحدى اليدين ويرفع الأخرى، ويجعل على الأرض طرف الحافر منها، حتى كأنه يقوم على ثلاث وهي الرجلان وإحدى اليدين وقد يفعل ذلك بإحدى رجليه، وهي علامة الفراهة. وقال أبو عبيدة الصافن الذي يجمع يديه ويسويهما وأما الذي يقف على سنبكه فاسمه المتخيم، والجياد جمع جواد يقال للفرس ذكرا كان أو أنثى إذا كان شديد العدو، وقيل: إنها الطوال الأعناق، مأخوذ من الجيد وهو العنق وقيل الذي يجود في الركض، قيل كانت مائة فرس. وقيل كانت عشرين ألفا قيل كانت عشرين فرسا، وعن إبراهيم التيمي قال كانت عشرين ألف فرس ذات أجنحة فعقرها، وقيل إنها خرجت له من البحر وكانت لها أجنحة (١).

وعن أبي هريرة قال الصافنات الجياد خيل خلقت على ما شاء وعن مجاهد قال صفون الفرس رفع إحدى يديه حتى يكون على أطراف الحافر والجياد السراع لأنه يجود بالركض وصفها بالصفون لأنه لا يكون في الهجان، وإنما هو في العراب، وقيل: وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين، واقفة وجارية يعني إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها، وإذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها، قيل إن سليمان غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس، وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة.

---

(١) قد يكون في هذا القول غرابة لأننا لم نسمع بخيل لها أجنحة إلا أنه ليس بمستبعد لأن الله وهب لسليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعد.." [٢]

"هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب (٣٩) وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب (٤٠) واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١) اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢)." [٣]

"(اركض برجلك) أي قلنا له اركض كذا قال الكسائي والركض الدفع بالرجل، يقال: ركض الدابة إذا ضربها بها وقال المبرد الركض التحريك، قال الأصمعي يقال ركضت الدابة، ولا يقال ركضت هي لأن الركض

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٠٣/١١

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٨/١٢

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٨/١٢

إنما هو تحريك راكبها رجليه، ولا فعل لها في ذلك، وحكى سيبويه ركضت الدابة فركضت مثل جبرت العظم فجبر.

(هذا مغتسل بارد وشراب) هذا أيضا من مقول القول المقدر، وفي الكلام حذف والتقدير فركض برجله فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل الخ وظاهر النظم الكريم أن الاغتسال والشرب كانا من عين واحدة والمغتسل هو الماء الذي يغتسل به والشراب الذي يشرب منه، وقيل إن المغتسل هو المكان الذي يغتسل فيه، قال قتادة: هما عينان بأرض الشام في أرض يقال لها الجابية فاغتسل من إحداهما فأذهب الله ظاهر دائه وشرب من الأخرى فأذهب الله باطن دائه، وكذا قال الحسن، وقال مقاتل نبعت عين جارية فاغتسل فيها فخرج صحيحا، ثم نبعت عين أخرى فشرب منها ماء عذبا باردا.." (١)

"(وخذ) معطوف على اركض، أو على وهبنا، أو التقدير وقلنا له خذ (بيدك ضغثا) هو عثكال النخل بشماريخه، وقيل هو قبضة من حشيش مختلط رطبها بيابسها، وقيل الحزمة الكبيرة من القضبان، وأصل المادة تدل على جمع المختلطات، قال الواحدي الضغث ملء الكف من الشجر والحشيش والشماريخ، وعن ابن عباس قال: الضغث هو الأسل، وقال أيضا الضغث القبضة من المرعى الرطب، وقال أيضا الحزمة. (فاضرب به) أي بذلك الضغث (ولا تحنث) في يمينك والحنث الإثم ويطلق على فعل ما حلف على تركه، أو ترك ما حلف على فعله، لأنهما سببان فيه، وكان أيوب قد حلف في مرضه أن يضرب امرأته مائة جلدة، واختلف في سبب ذلك فقال سعيد بن المسيب إنها جاءته بزيادة على ما كانت تأتيه به من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربها.

وقال يحيى بن سلام وغيره، إن الشيطان أغواها أن تحمل أيوب على أن يذبح سخلة تقربا إليه فإنه إذا فعل ذلك بريء. فحلف ليضربنه، إذا عوفي مائة جلدة، وقيل باعت ذؤابتها برغيفين إذ لم تجد شيئا وكان أيوب يتعلق بها إذا أراد القيام، فلهذا حلف ليضربنها وأخرج أحمد في الزهد عن ابن عباس قال: إن إبليس قعد على الطريق وأخذ تابوتا يداوي الناس فقالت امرأة أيوب: يا عبد الله إن ههنا مبتلى من أمره كذا وكذا فهل لك أن تداويه،." (٢)

"الغيب بواسطة استراق الشياطين حتى منعوا ذلك بالبعثة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، وقالوا (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا (٨) وأنا كنا نقعد منها مقاعد

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٥٠/١٢

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٥١/١٢

للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) فباب الكهانة في الوقت الذي كانت فيه مخصوص بأدلته، فهو من جملة ما يخصص به هذا العموم، فلا يرد ما زعمه من إيراد الكهانة على هذه الآية.

وأما حديث المرأة الذي أورده فحديث خرافة، ولو سلم وقوع شيء مما حكاه عنها من الأخبار لكان من باب ما ورد في الحديث " إن في هذه الأمة محدثين وإن منهم عمر " فيكون كالتخصيص لعموم هذه الآية لا نقضا، وأما ما اجترأ به على الله وعلى كتابه من قوله في آخر كلامه: فلو قلنا إن القرآن يدل على خلاف هذه الأمور المحسوسة لتطرق الطعن إلى القرآن، فيقال له ما هذه بأول زلة من زلاتك وسقطة من سقطاتك، وكم لها لديك من أشباه وأمثال نبض ب١٥ عرق فلسفتك، وركض بها الشيطان الذي صار يتخبطك في مباحث تفسيرك، يا عجبا لك أيكون ما بلغك من خبر هذه المرأة ونحوه موجبا لتطرق الطعن إلى القرآن، وما أحسن ما قاله بعض أدباء عصرنا.

وإذا رامت الذبابة للشمـ ... ـس غطاء مدت عليها جناحا

وقلت من أبيات منها:

مهب رياح سده بجناح ... وقابل بالمصباح ضوء صباح

فإن قلت: إذا قد تقرر بهذا الدليل القرآني أن الله يظهر من ارتضى من رسله على ما شاء من غيبه فهل للرسول الذي أظهره الله على ما شاء من غيبه أن يخبر بعض أمته.

قلت نعم، ولا مانع من ذلك، وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا ما لا يخفى على عارف بالسنة المطهرة، فمن ذلك ما صح أنه قام مقاما أخبر فيه بما سيكون إلى يوم القيامة، وما ترك شيئا مما يتعلق بالفتن." (١)

"" صفحة رقم ٦٥ "

ب باب أسماء السور وهي في ذلك على ضربين أحدهما ما لا يتأتى فيه إعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الإعراب وهو أما ان يكون اسما فردا كص وق ون أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد ك حم وطس ويس فإنها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم يتأتى فيها ان تفتح نونها وتصير ميم مضمومة إلى طس فيجعلا اسما واحد كدارا بحرد فالنوع الأول محكى ليس الا واما النوع الثاني فسائغ فيه الأمران الإعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن اوفى العبسي

يذكرني حاميم والرمح شاجر

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٧١/١٤

فهلا تلا حاميم قبل التقدم

فأعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما أعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث

والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الاولى

كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت

) سورة أنزلناها (النور ١ قال

وجدنا في كتاب بني تميم

أحق الخيل بالركض المعار

وقال ذو الرمة

سمعت الناس ينتجعون غيثا

فقلت لصيدح انتجعي بلالا

وقال آخر

تنادوا بالرحيل غدا

وفي ترحالهم نفسي." (١)

"" صفحة رقم ٢٤٧ "

عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة ، وبقي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ، ليس معه إلا عمه العباس رضي الله تعالى عنه آخذ بلجام دابته وأبو سفيان بن الحرث ابن عمه ، وناهيك بهذه الوحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جأشه (صلى الله عليه وسلم) ، وما هي إلا من آيات النبوة وقال :

(٤٥٤) يا ربي ائتني بما وعدتني . وقال (صلى الله عليه وسلم) للعباس وكان صيتا : صيح بالناس ، فنادى الأنصار فخذا فخذا ، ثم نادى : يا أصحاب الشجرة ، يا أصحاب البقرة ، فكروا عنقا واحدا وهم يقولون : لبيك لبيك ، ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق ، فنظر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى قتال المسلمين فقال : هذا حين حمي الوطيس ، ثم أخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال : انهزموا ورب الكعبة فانهزموا ، قال العباس : لكأني أنظر إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يركض .

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٦٥/١

خلفهم على بغلته) بما رحبت (ما مصدرية ، والباء بمعنى مع ، أي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها ، على أن الجار والمجرور في موضع الحال ، كقولك : دخلت عليه بثياب السفر ، أي ملتبسا بها لم أحلها ، تعني مع ثياب السفر . والمعنى : لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم إليه ونجاتكم لفرط الرعب ، فكأنها ضاقت عليكم) ثم وليتم مدبرين (ثم انهزمتم) سكينته (رحمته التي سكنوا بها وآمنوا) وعلى المؤمنين (الذين انهزموا . وقيل : هم الذين ثبتوا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين وقع الهرب) وأنزل جنودا (يعني الملائكة ، وكانوا ثمانية آلاف ، وقيل : خمسة آلاف ، وقيل : ستة عشر ألفا) وعذب الذين كفروا (بالقتل والأسر ، وسبي النساء والذراري) ثم يتوب الله (أي يسلم بعد ذلك ناس منهم . وروي :

(٤٥٥) أن ناسا منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على الإسلام وقالوا : يا رسول الله ، أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا . قيل : سبي يومئذ ستة آلاف نفس ، وأخذ من الأبل والغنم ما لا يحصى ، فقال : إن عندي ما تروون ، إن خير القول أصدقه ، اختاروا : إما ذراريكم ونساءكم ، وإما أموالكم . قالوا : ما كنا نعدل." (١)

"" صفحة رقم ١٠٥ "

) ومآ أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (

الأنبياء : (٧) وما أرسلنا قبلك . . . . .

أمرهم أن يستعلموا أهل الذكر وهم أهل الكتاب ، حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى إليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا ، وإنما أحالهم على أولئك لأنهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . قال الله تعالى :) ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ((آل عمران : ١٨٦) فلا يكاذبونهم فيما هم فيه ردء لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

) وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين (

الأنبياء : (٨) وما جعلناهم جسدا . . . . .

) لا يأكلون الطعام (صفة لجسدا والمعنى : وما جعلنا الأنبياء عليهم السلام قبله ذوي جسد غير طاعمين . ووحد الجسد لإرادة الجنس ، كأنه قال : ذوي ضرب من الأجساد وهذا رد لقولهم) ما لهاذا الرسول يأكل الطعام ((الفرقان : ٧) . فإن قلت : نعم قد رد إنكارهم أن يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما

(١) تفسير الكشاف ، ٢/٢٤٧

ذكرت ، فماذا رد من قولهم بقوله :) وما كانوا خالدين (قلت : يحتمل أن يقولوا إنه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت . أو يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد : إما معتقدين أن الملائكة لا يموتون . أو مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا .

) ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشآء وأهلكنا المسرفين (

الأنبياء : (٩) ثم صدقناهم الوعد . . . . .

) صدقناهم الوعد (مثل واختار موسى قومه . والأصل في الوعد : ومن قومه . ومنه : صدقوهم القتال . وصدقني سن بكره) ومن نشاء (هم المؤمنون ومن في بقائه مصلحة .

) لقد أنزلنآ إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون (

الأنبياء : (١٠) لقد أنزلنا إليكم . . . . .

) ذكركم (شرفكم وصيتكم ، كما قال :) وإنه لذكر لك ولقومك ((الزخرف : ٤٤) أو موعظتكم . أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء أو حسن الذكر كحسن الجوار ، والوفاء بالعهد ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، والسخاء ؛ وما أشبه ذلك .

) وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما ءاخرين فلمآ أحسوا بأسنآ إذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا إلى مآ أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون قالوا ياويلنآ إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (

الأنبياء : (١١) وكم قصمنا من . . . . .

) وكم قصمنا من قرية (واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم ؛ لأن." (١)

"" صفحة رقم ١٠٦ "

القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء ، بخلاف الفصم . وأراد بالقرية : أهلها ، ولذلك وصفها بالظلم ، وقال :) قوما ءاخرين (لأن المعنى : أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين . وعن ابن عباس : أنها (حضور) وهي و (سحول) قريتان باليمن ، تنسب إليهما الثياب . وفي الحديث .

(٦٩٣) (كفن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ثوبين سحوليين) وروي (حضوريين) بعث الله إليهم نبيا فقتلوه ، فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم . وروي : أنهم لما أخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الأنبياء ندموا واعترفوا بالخطأ . وذلك حين لم ينفعهم

---

(١) تفسير الكشاف ، ٣/١٠٥

الندم . وظاهر الآية على الكثرة . ولعل ابن عباس ذكر (حضور) بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية . فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس ومشاهدة ، لم يشكوا فيها ، ركضوا من ديارهم ، والركض : ضرب الدابة بالرجل . ومنه قوله تعالى :) اركض برجلك ((ص : ٤٢) فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب . ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم ، فقيل لهم ،) لا تركضوا (والقول محذوف . فإن قلت : من القائل ؟ قلت يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلوا خلفاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل . أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم . أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم) وارجعوا إلى ما أترفتم فيه (من العيش الرافه والحال الناعمة . والإتراف : إبطار النعمة وهي الترفة) لعلكم تسألون (تهكم بهم وتوبيخ ، أي : ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم ، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة . أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم . وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقول لكم : بم تأمرون ؟ وبماذا ترسمون ؟ وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في." (١)

"" صفحة رقم ٥٩١ "

كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به : قد أنصفك صاحبك ، وفي درجة بعد تقدمه ما قدم من التقرير البليغ : دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ، ولكن التعريض والتورية أفضل بالمجادل إلى الغرض ، وأهجم به على الغلبة ، مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه : علم الله الصادق مني ومنك ، وإن أحدنا لكاذب . ومنه بيت حسان : أتهجوه ولست له بكفء

فشركما لخيركما الفداء

فإن قلت : كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال ؟ قلت : لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء ، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أن يتوجه . وفي قراءة أبي : (وإنا أو أياكم إما على هدى أو في ضلال مبين) .

) قل لا تسألون عمآ أجرمنا ولا نسأل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح

---

(١) تفسير الكشاف ،. ٣/١٠٦

العليم (

سبأ : (٢٥) قل لا تسألون . . . . . .

هذا أدخل في الإنصاف أبلغ فيه من الأول ، حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين." (١)

"" صفحة رقم ٩٨ "

إن العطاء إسار ؛ وتبعه من قال : ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا ؛

وفرقوا بين الفعلين فقالوا : صفده قيده ، وأصفده أعطاه ، كوعده وأوعده ، أي :) هاذا (الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة) عطاؤنا (بغير حساب ، يعني : جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره) فامنن (من المنة وهي العطاء ، أي : فأعط منه ما شئت) أو أمسك (مفوضا إليك التصرف فيه . وفي قراءة ابن مسعود : هذا فامنن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب ، أو هذا التسخير عطاؤنا ، فامنن على من شئت من الشياطين بالإطلاق ، وأمسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب ، أي لا حساب عليك في ذلك .

) واذكر عبدنآ أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هاذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لا ولى الا لباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب (

ص : (٤١) واذكر عبدنا أيوب . . . . . .

) أيوب (عطف بيان . و) إذ (بدل اشتمال منه) أني مسنى (بأني مسني : حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ، ولو لم يحك لقال بأنه مسه : لأنه غائب . وقرىء : (بنصب) بضم النون وفتحها مع سكون الصاد ، وبفتحهما ، وضمهما ، فالنصب والنصب : كالرشد الرشد ، والنصب : على أصل المصدر ، والنصب : تثقيل نصب ، والمعنى واحد ، وهو التعب والمشقة . والعذاب : الألم ، يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من أنواع الوصب . وقيل : الضر في البدن ، والعذاب في ذهاب الأهل والمال . فإن قلت : لم نسبه إلى الشيطان ، ولا يجوز أن يسلطه الله على أنبيائه ليقضي من أتعابهم وتعذيبهم وطره ، ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا إلا وقد نكبه وأهلكه ، وقد تكرر في القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فحسب ؟ قلت : لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب ، نسبه

---

(١) تفسير الكشاف ، ٣/٥٩١

إليه ، وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه ، مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو .
وقيل : أراد ما كان يوسوس به." (١)

"" صفحة رقم ٩٩ "

إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ، ويغريه على الكراهة والجزع ، فالتجأ إلى الله تعالى في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء ، أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل . وروى أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين ، فارتد أحدهم ، فسأل عنه فقيل : ألقى إليه الشيطان : إن الله لا يبتلي الأنبياء والصالحين ، وذكر في سبب بلائه أن رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه . وقيل : كانت مواشيه في ناحية ملك كافر ، فداهنه ولم يغزه . وقيل : أعجب بكثرة ماله) اركض برجلك (حكاية ما أجيب به أيوب ، أي : اضرب برجلك الأرض . وعن قتادة : هي أرض الجابية فضربها ، فنبعت عين فقيل :) هاذا مغتسل بارد وشراب (أي : هذا ماء تغتسل به وتشرب منه ، فيبرأ باطنك وظاهرك ، وتنقلب ما بك قلبة . وقيل : نبعت له عينان ، فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى ، فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله ، وقيل : ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ، ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها) رحمة منا وذكرى (مفعول لهما . والمعنى : أن الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الألباب ، لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره ، رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم) وخذ (معطوف على اركض . والضغث : الحزمة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك . وعن ابن عباس : قبضة من الشجر ، كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برأ ، فحلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها ، وهذه الرخصة باقية . وعن النبي (صلى الله عليه وسلم) :
(٩٦٠) أنه أتى بمخدج ، وقد خبث بأمة ، فقال : (خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة) ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة ، إما أطرافها." (٢)

"" صفحة رقم ١١٣ "

(النساء : ١٤٦) حتى يطابق قوله :) ألا لله الدين الخالص ((الزمر : ٣) والخالص والمخلص : واحد ، إلا أن يصف الدين بصفة صاحبه على الإسناد المجازي . كقولهم : شعر شاعر ، وأما من جعل) مخلصا (حالا من العابد ، و) له الدين (مبتدأ وخبرا ، فقد جاء بإعراب رجع به الكلام إلى قولك : لله الدين)

---

(١) تفسير الكشاف ، ٤/٩٨

(٢) تفسير الكشاف ، ٤/٩٩

ألا لله الدين الخالص ((الزمر : ٣) ، (الشورى : ٦) أي : هو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر ، لاطلاعه على الغيوب والأسرار ، ولأنه الحقيق بذلك ، لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها . وعن قتادة : الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله . وعن الحسن : الإسلام) والذين اتخذوا (يحتمل المتخذين وهم الكفرة ، والمتخذين ، وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى : عن ابن عباس رضي الله عنهما ، فالضمير في) اتخذوا (على الأول راجع إلى الذين ، وعلى الثاني إلى المشركين ، ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما ، والراجع إلى الذين محذوف والمعنى : والذين اتخذهم المشركون أولياء ،) والذين اتخذوا (في موضع الرفع على الابتداء . فإن قلت : فالخبر ما هو ؟ قلت : هو على الأول إما) إن الله يحكم بينهم (أو ما أضمر من القول قبل قوله :) ما نعبدهم (. وعلى الثاني : أن الله يحكم بينهم . فإن قلت : فإذا كان) إن الله يحكم بينهم (الخبر ، فما موضع القول المضمر ؟ قلت : يجوز أن يكون في موضع الحال ، أي : قائلين ذلك . ويجوز أن يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل ، كما أن المبدل منه كذلك . وقرأ ابن مسعود بإظهار القول : (قالوا ما نعبدهم) وفي قراءة أبي : ما نعبدكم إلا لتقربونا على الخطاب ، حكاية لما خاطبوا به آلهتهم . وقرىء : (نعبدهم) بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة في الأمر ، والتنوين في) عذاب اركض (والضمير في) بينهم (لهم ولأوليائهم . والمعنى : أن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ، ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم وإياها حصب جهنم . واختلافهم : أن الذين يعبدون موحدون وهم مشركون ، وأولئك يعادونهم ويلعنونهم ، وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم إلى الله زلفى . وقيل : كان المسلمون إذا قالوا لهم : من خلق السماوات والأرض ، أقروا وقالوا : الله ، فإذا قالوا لهم : فما لكم تعبدون الأصنام ؟ قالوا : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ؛ فالضمير في) بينهم (عائد إليهم وإلى المسلمين . والمعنى : أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين ، والمراد بمنع الهداية : منع." (١)

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ١ ، ص : ٥٦

و من أراد محاورة المتكلمين ومحاضرة المتأدبين فلينظر من أحد كتابينا إما كتاب «باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن» ، وإما كتاب «الأسولة الرائعة والأجوبة الصادعة إلى حلبة البيان وحلية الإحسان وزبدة التفاسير ولمعة الأقاويل».

---

(١) تفسير الكشاف ، ، ٤/١١٣

ومن أراد ريحانة العلوم وباكورة التفاسير وأمهات الآداب ومقلدات الأشعار فلينشر من كتابنا «شوارد الشواهد وقلائد القصائد» حلل [الوشي] «١» وأنماطه «٢» وليبسط منه زرابي «٣» الربيع ورياطه «٤» ، وكل من ذلك ركض في ميدان قد حسرت عنه الجياد ، وانقطعت دونه الآماد ، ولكنه سنة العلماء [١/ ب] الأولين أجمعين في تفسير ما أشكل للآخرين الأعجمين ، والله ولي التوفيق/ فيما نقصد ، وعليه نتوكل وبه نستعين ونعتضد.

---

(١) ما بين معقوفين عن «ك».

والوشي : الثياب ، والوشي في اللون : خلط لون بلون.

اللسان : ١٥/ ٣٩٢ (وشى).

(٢) النمط : ضرب من البسط ، والجمع أنماط.

وفي اللسان : ٧/ ٤١٧ (نمط) عن أبي منصور قال : «و النمط عند العرب والزوج ضروب الثياب المصبغة ولا يكادون يقولون نمط ولا زوج إلا لما كان ذا لون من حمرة أو خضرة أو صفرة ، فأما البياض فلا يقال : نمط ، ويجمع أنماطا ا هـ.

(٣) الزرابي : البسط ، وقيل : كل ما بسط وأتكئ عليه ، وقيل : هي الطنافس ، والمراد ب «الزرابي» هنا النبت والخضرة.

ينظر اللسان : ١/ ٤٤٧ (زرب).

(٤) الريطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين ، والجمع : ريط ورياط.

الصحاح : ٣/ ١١٢٨ ، واللسان : ٧/ ٣٠٧ (ريط).." [(١)]

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ١ ، ص : ١٤٣

و الجدال : الملاحاة مع أهل الرفقة.

وقيل «١» : لا جدال لا خلاف في الحج أنه في ذي الحجة ، وهو وجه امتناع لا جدال. وإن قرأت «٢» : «لا رفث ولا فسوق ولا جدال» نفي ، إذ لم يجادلوا أن الحج في ذي الحجة فكانت لا نافية ، ولا/ رفث نهي ، إذ ربما [١٣/ أ] يفعلونه فكانت بمعنى «ليس».

١٩٨ أفضتم : دفعتم بكثرة منها إلى مزدلفة كفيض الإناء عند الامتلاء.

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٥٦/١

والإفاضة : سرعة الركض ، وأفاضوا في الحديث : اندفعوا فيه «٣».

وصرف عرفات مع التأنيث والتعريف لأنها اسم واحد على حكاية الجمع «٤».

وعرفات من تعارف الناس في ذلك المجمع «٥» ،

---

(١) ذكره النحاس في إعرابه : ١/ ٢٩٥.

(٢) برفع «الرفث والفسوق» وتنوينهما ، وفتح «جدال» بغير تنوين ، وهي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو كما في السبعة لابن مجاهد : ١٨٠ ، والتبصرة لمكي : ١٥٩ فتكون «لا» الأولى للنهي ، أي : لا ترفثوا ولا تفسقوا ، وتكون «لا» الثانية لنفي الجنس التي تعمل عمل «ليس» ، على معنى نفي الجدال في أن الحج في ذي الحجة - أي لا جدال كائن في الحج وأنه فيه - أما «الرفث والفسوق» فقد يفعلونهما فنهوا عنهما.

ينظر توجيه هذه القراءة في معاني القرآن للفراء : ١/ ١٢٠ ، وتفسير الطبري : (٤/ ١٥٣ ، ١٥٤) ، والكشف لمكي : ١/ ٢٨٦.

(٣) ينظر ما سبق في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٧٩ ، ومعاني القرآن للزجاج : ١/ ٢٧٢ ، ومعاني القرآن للنحاس : ١/ ١٣٦ ، ومفردات الراغب : ٣٨٨ ، واللسان : ٧/ ٢١٢ (فيض).

(٤) هذا قول الزجاج في معانيه : ١/ ٢٧٢ ، وقال السمين الحلبي في الدر المصون : ٢/ ٣٣١ :

«و التنوين في «عرفات» وبابه فيه ثلاثة أقوال ، أظهرها : أنه تنوين مقابلة ، يعنون بذلك أن تنوين هذا الجمع مقابل لنون جمع الذكور ...

الثاني : أنه تنوين صرف وهو ظاهر قول الزمخشري.

الثالث : أن جمع المؤنث إن كان له جمع مذكر كمسلمات ومسلمين فالتنوين للمقابلة وإلا فللصرف كعرفات».

(٥) ذكره الفخر الرازي في تفسيره : ٥/ ١٨٨ دون عزو.." [1]

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ٢ ، ص : ٥٥٧

ظلموا ، كقوله»

: ثم عموا وصموا كثير منهم.

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ١/١٤٣

أ فتأتون السحر : أفتقبلونه «٢»؟.

١٠ فيه ذكركم : شرفكم «٣» إن [عملتم] «٤» به.

١٢ يركضون : يسرعون ويستحثون.

١٣ لعلكم تسئلون : لتسألوا عما كنتم تعملون «٥».

١٥ حصيدا خامدين/ : خمدوا كالنار وحصدوا كما يحصد الزرع.

١٩ لا يستحسرون : لا يتعبون ولا ينقطعون عن العمل ، من البعير الحسير.

٢١ ينشرون : يحيون. أنشر الله الموتى فنشروا.

٢٩ ومن يقل منهم إني إله : قيل «٦» : إنه إبليس في دعائه إلى طاعته.

٣٠ كانتا رتقا : ملتصقتين ، ففتق الله بينهما بالهواء «٧» ، أو فتق السماء بالمطر والأرض بالنبات «٨».

---

(١) سورة المائدة : آية : ٧١.

(٢) في تفسير الطبري : ١٧/ ٣ : «قال بعضهم لبعض : أتقبلون السحر ، وتصدقون به وأنتم تعلمون أنه سحر؟ يعنون بذلك القرآن».

(٣) ينظر معاني القرآن للفراء : ٢/ ٢٠٠ ، وتفسير الطبري : ١٧/ ٧ ، ومعاني الزجاج : ٣/ ٣٨٥ ، وتفسير البغوي : ٣/ ٢٣٩.

(٤) في الأصل : «علمتم» ، ولا يستقيم به السياق.

(٥) نقل الماوردي هذا القول في تفسيره : ٣/ ٣٩ عن ابن بحر.

(٦) أخرج الطبري هذا القول في تفسيره : ١٧/ ١٧ عن قتادة.

وأورده السيوطي في الدر المنثور : ٥/ ٦٢٥ ، وزاد نسبته إلى عبد الرزاق ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن قتادة أيضا. [.....]

(٧) أخرج الطبري هذا القول في تفسيره : ١٧/ ١٨ عن الحسن ، وقتادة ، ونقله الماوردي في تفسيره : ٣/ ٤٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٨) ذكره الفراء في معانيه : ٢/ ٢٠١ ، وأبو عبيدة في مجاز القرآن : ٢/ ٣٧ ، واليزيدي في غريب القرآن : ٢٥٤ ، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن : ٢٨٦.

وأخرجه الطبري في تفسيره : ١٧/ ١٩ عن عكرمة ، وعطية ، وابن زيد.

وأخرجه الحاكم في المستدرك : ٢/ ٣٨٢ ، كتاب التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

وفي إسناده : طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمي. قال عنه الذهبي في التلخيص : «واه».

ووصفه الحافظ في التقريب : ٢٨٣ بقوله : «متروك ، من السابعة».

وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات : ١/ ٦١ عن ابن عباس ، وفي إسناده طلحة بن عمرو أيضا.

وأورده السيوطي في الدر المنثور : ٥/ ٦٢٥ ، وزاد نسبته إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورجح الطبري هذا القول فقال : «و أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا من المطر والنبات ، ففتقنا السماء بالغيث ، والأرض بالنبات.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله :

جعلنا من الماء كل شيء حي على ذلك ، وأنه جل ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه ...»..." [1]

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ٢ ، ص : ٧١٤

فسأل ملك الآخرة «١».

٣٦ حيث أصاب : قصد وأراد «٢». يقال : أصاب الصواب فأخطأ الجواب «٣».

٤١ بنصب : بضر «٤» ، وبنصب «٥» تعب ، وإنما اشتكى وسوسة الشيطان لا المرض ، لقوله : إنا وجدناه صابرا : كان الشيطان يوسوس أن [٨٤/ أ] داءه يعدي ، فأخرجوه واستقذروه ، وتركته امرأته «٦»/.

٤٢ اركض برجلك : حركها واضرب بها الأرض ، فضرب فنبعت عينان «٧».

٤٣ ووهبنا له أهله : كانوا مرضى فشفاهم ، وقيل «٨» : غائبين فردهم.

وقيل «٩» : موتى فأحياهم.

---

(١) ذكر نحوه الفخر الرازي في تفسيره : ٦/ ٢١٠.

(٢) ذكره الفراء في معانيه : ٢/ ٤٠٥ ، وأبو عبيدة في مجاز القرآن : ٢/ ١٨٣ ، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن : ٣٧٩ ، وأخرجه الطبري في تفسيره : ٢٣/ ١٦٧ عن ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ،

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٢/٥٥٧

والسدي ، والضحاك ، وابن زيد.
قال الزجاج في معانيه : ٤/ ٣٣٣ : «إجماع المفسرين وأهل اللغة أنه حيث أراد ، وحقيقته : قصد وكذلك قولك للمجيب في المسألة : أصبت ، أي : قصدت فلم تخطئ الجواب».

(٣) عن الأصمعي في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٣٨٠ ، وتفسير الماوردي : ٣/ ٤٥٠ ، وتفسير القرطبي : ١٥/ ٢٠٥ ، واللسان : ١/ ٥٣٥ (صوب).

(٤) معاني القرآن للفراء : ٢/ ٤٠٦ ، ومعاني الزجاج : ٤/ ٣٣٤ ، وتفسير القرطبي : ١٥/ ٢٠٧.

(٥) بفتح النون والصاد ، قراءة يعقوب من القراء العشرة ، وتنسب هذه القراءة أيضا إلى الحسن ، وعاصم الجحدري.
ينظر الغاية لابن مهران : ٢٥٠ ، والنشر : ٣/ ٢٧٧ ، والبحر المحيط : ٧/ ٤٠٠.

(٦) ينظر تفسير الطبري : ٢٣/ ١٦٨ ، وتفسير ابن كثير : ٧/ ٦٥.

(٧) أخرج الطبري نحو هذا القول في تفسيره : ٢٣/ ١٦٦ عن قتادة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور : ٧/ ١٩٣ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد عن قتادة أيضا.

(٨) ذكر الماوردي هذين القولين في تفسيره : (٣/ ٥٢٤ ، ٤٥٣) ، وقال : «حكاهما ابن بحر».

(٩) ذكر الزجاج في معاني القرآن : ٤/ ٣٣٥ ، والماوردي في تفسيره : ٣/ ٤٥٣ ، وقال : «عليه الجمهور».." (١)

"١٠٥] ولا بما هو بالمعنى المجازي نحو ﴿يا جبال أوبي معه﴾ [سبأ: ١٠] و ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت: ١١] ولا ما هو من تنزيل الحال منزلة المقال نحو ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ [الاسراء: ٤٤] لأن جميع هذا مما قامت فيه الدلالة العرفية مقام الوضعية واتحدت في إدراكه أفهام أهل العربية فكان من المدلولات التبعية.
قال في الكشاف: وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها. يعني أنها في شأن الكافرين من دلالة العبارة وفي شأن المؤمنين من دلالة الإشارة.
هذا وإن واجب النصح في الدين والتنبيه إلى ما يغفل عنه المسلمون مما يحسبونه هينا وهو عند الله عظيم قضي علي أن أنبه إلى خطر أمر تفسير الكتاب والقول فيه دون مستند من نقل صحيح عن أساطين المفسرين أو إبداء تفسير أو تأويل من قائله إذا كان القائل توفرت فيه شروط الضلاعة في العلوم التي سبق

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٧١٤/٢

ذكرها في المقدمة الثانية.

فقد رأينا تهافت كثير من الناس على الخوض في تفسير آيات من القرآن فمنهم من يتصدى لبيان معنى الآيات على طريقة كتب التفسير ومنهم من يضع الآية ثم يركض في أساليب المقالات تاركا معنى الآية جانبا، جالبا من معاني الدعوة والموعظة ما كان جالبا، وقد دلت شواهد الحال على ضعف كفاية البعض لهذا العمل العلمي الجليل فيجب على العاقل أن يعرف قدره، وأن لا يتعدى طوره، وأن يرد الأشياء إلى أربابها، كي لا يختلط الخاثر بالزباد، ولا يكون في حالك سواد، وإن سكوت العلماء على ذلك زيادة في الورطة، وإفحاش لأهل هذه الغلطة، فمن يركب متن عمياء، ويخبط خبط عشواء، فحق على أساطين العلم تقويم اعوجاجه، وتمييز حلوه من أجاجه، تحذيرا للمطالع، وتنزيلا في البرج والطالع.." (١)

"القتال خيلوا أنهم محبون له ثم نكصوا عنه. ومن أحسن التأديب قول الراجز:

من قال لا في حاجة ... مسؤولة فما ظلم

وإنما الظالم من ... يقول لا بعد نعم

وهذه الآية أشارت إلى قصة عظيمة من تاريخ بني إسرائيل، لما فيها من العلم والعبرة، فإن القرآن يأتي بذكر الحوادث التاريخية تعليما للأمة بفوائد ما في التاريخ، ويختار لذلك ما هو من تاريخ أهل الشرائع، لأنه أقرب للغرض الذي جاء لأجله القرآن: هذه القصة هي حادث انتقال نظام حكومة بني إسرائيل من الصبغة الشورية، المعبر عنها عندهم بعصر القضاة، إلى الصبغة الملكية، المعبر عنها بعصر الملوك وذلك أنه لما توفى موسى عليه السلام في حدود سنة ١٣٨٠ قبل الميلاد المسيحي، خلفه في الأمة الإسرائيلية يوشع بن نون، الذي عهد له موسى في آخر حياته بأن يخلفه فلما صار أمر بني إسرائيل إلى يوشع جعل لأسباط بني إسرائيل حكاما يسوسونهم. ويقضون بينهم، وسماهم القضاة فكانوا في مدن متعددة، وكان من أولئك الحكام أنبياء، وكان هنالك أنبياء غير حكام، وكان كل سبط من بني إسرائيل يسيرون على ما يظهر لهم، وكان من قضائهم وأنبيائهم صمويل بن القانة، من سبط أفرايم، قاضيا لجميع بني إسرائيل، وكان محبوبا عندهم، فلما شاخ وكبر وقعت حروب بين بني إسرائيل والفلسطينيين وكانت سجالا بينهم، ثم كان الانتصار للفلسطينيين، فأخذوا بعض قرى بني إسرائيل: حتى إن تابوت العهد، الذي سيأتي الكلام عليه، أسره الفلسطينيون، وذهبوا به إلى "أشدود" بلادهم وبقي بأيديهم عدة أشهر، فلما رأت بنو إسرائيل ما حل بهم من الهزيمة، ظنوا أن سبب ذلك هو ضعف صمويل عن تدبير أمورهم، وظنوا أن انتظام أمر الفلسطينيين، لم

---

(١) التحرير والتنوير، ١/٣٥

يكن إلا بسبب النظام الملكي، وكانوا يومئذ يتوقعون هجوم ناحاش: ملك العمونيين عليهم أيضا، فاجتمعت إسرائيل وأرسلوا عرفاءهم من كل مدينة، وطلبوا من صمويل أن يقيم لهم ملكا يقاتل بهم في سبيل الله، فاستاء صمويل من ذلك، وحذرهم عواقب حكم الملوك قائلا إن الملك يأخذ بنيكم لخدمته وخدمة خيله، ويتخذ منكم من يركض أمام مراكبه، ويسخر منكم حراثين لحرثه، وعملة لعدد حربه، وأدوات مراكبه، ويجعل بناتكم عطارات وطباخات وخبازات، ويصطفى من حقولكم، وكرومكم، وزياتينكم، أجودها فيعطيها لعبيده، ويتخذكم عبيدا، فإذا صرختم بعد ذلك في وجه ملككم لا يستجيب الله لكم، فقالوا: لا بد لنا من ملك لنكون مثل سائر الأمم، وقال لهم: هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا: ﴿وما لنا ألا نقاتل﴾." (١)

"الفصل بوزن مصدر المتعدى، ولكنهم ربما قالوا فصل فصولا نظرا لحالة قصوره، كما قالوا صده صدا، ثم قالوا صد هو صدا، ثم قالوا صد صدودا. ونظيره في حديث صفة الوحي "أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس فيفصم عني وقد وعيت ما قال أي فيفصل نفسه عني، والمعنى فينفصل عني".

وضمير ﴿قال﴾ راجع إلى "طالوت"، ولا يصح رجوعه إلى نبيهم، لأنه لم يخرج معهم، وإنما أخبر طالوت عن الله تعالى بأنه مبتليهم، مع أنه لم يكن نبيا يوحى إليه: إما استناد الإخبار تلقاه من صموئيل، وإما لأنه اجتهد أن يختبرهم بالشرب من النهر لمصلحة رآها في ذلك، فأخبر عن اجتهاده، إذ هو حكم الله في شرعهم فأسنده إلى الله، وهذا من معنى قول علماء أصول الفقه إن المجتهد يصح له أن يقول فيما ظهر له باجتهاده إنه دين الله أو لأنه في شرعهم أن الله أوجب على الجيش طاعة أميرهم فيما يأمرهم به، وطاعة الملك فيما يراه من مصالحهم، وكان طالوت قد رأى أن يختبر طاعتهم ومقدار صبرهم بهذه البلوى فجعل البلوى من الله؛ إذ قد أمرهم بطاعته بها وعلى كل فتسمية هذا التكليف ابتلاء تقريب للمعنى إلى عقولهم: لأن المقصود إظهار الاعتناء بهذا الحكم، وأن فيه مرضاة الله تعالى على المتمثل، وغضبه على العاصي، وأمثال هذه التقريبات في مخاطبات العموم شائعة، وأكثر كلام كتب بني إسرائيل من هذا القبيل،

والظاهر أن الملك لما علم أنه سائر بهم إلى عدو كثير العدد، قوى العدد أراد أن يختبر قوة يقينهم في نصرة الدين، ومخاطرتهم بأنفسهم، وتحملهم المتاعب، وعزيمة معاكستهم نفوسهم، فقال لهم إنكم ستمرون على نهر، وهو نهر الأردن، فلا تشربوا منه فمن شرب منه فليس مني، ورخص لهم في غرفة يغترفها الواحد بيده يبل بها ريقه، وهذا غاية ما يختبر به طاعة الجيش، فإن السير في الحرب يعطش الجيش، فإن السير في

---

(١) التحرير والتنوير، ٤٦٥/٢

الحرب يعطش الجيش، فإذا وردوا الماء توافرت دواعيهم إلى ال شرب منه عطشا وشهوة، ويحتمل أنه أراد إبقاء نشاطهم: لأن المحارب إذا شرب ماء كثيرا بعد التعب، انحلت عراه ومال إلى الراحة، وأثقله الماء. والعرب تعرف ذلك قال طفيل يذكر خيلهم:

فلما شارفت أعلام طي ... وطي في المغار وفي الشعاب

سقيناهن من سهل الأداوي ... فمصطبح على عجل وآبى

يريدأن الذي مارس الحرب مرارا لم يشرب؛ لأنه لا يسأم من الركض والجهد، فإذاكان حاجزاكان أخف له وأسرع، والغر منهم يشرب لجهله لما يراد منه، ولأجل هذا." (١)

"دينه بالانفضاض من حوله أي الفرار عنه متفرقين، وهو بأنهم حوله أي متبعون له.

والتفريع في قوله: ﴿فاعف عنهم﴾ على قوله: ﴿لنت لهم﴾ الآية، لأن جميع الأفعال المأمور بها مناسب للين، فأما العفو والاستغفار فأمرهما ظاهر، وأما عطف ﴿وشاورهم﴾ فلأن الخروج إلى أحد كان عن تشاور معهم وإشارتهم، ويشمل هذا الضمير جميع الذين لان لهم صلى الله عليه وسلم وهم أصحابه الذين حوله سواء م صدر منهم أمر يوم أحد وغيرهم.

والمشاورة مصدر شاور، والاسم الشورى والمشورة بفتح الميم وضم الشين أصلها مفعلة بضم العين، فوقع فيها نقل حركة الواو إلى الساكن. قيل: المشاورة مستقو من شار الدابة إذا اختبر جريها عند العرض على المشتري، وفعل شار الدابة مشتق من المشوار وهو المكان الذي تركض فيه الدواب. وأصله معرب نشخوار بالفارسية وهو ما تبقيه الدابة من علفها، وقيل: مشتقة من شار العسل أي من الوقبة لأن بها يستخرج الحق والصواب، وإنما تكون في الأمر المهم المشكل من شؤون المرء في نفسه أو شؤون القبيلة أو شؤون الأمة. و "أل" في الأمر للجنس، والمراد بالأمر المهم الذي يؤتمر له، ومنه قولهم: أمر، وقال أبو سفيان لأصحابه في حديث هرقل لقد أمر ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر. وقيل: أريد بالأمر أمر الحرب فاللام للعهد.

وظاهر الأمر أن المراد المشاورة الحقيقية التي يقصد منها الاستعانة برأي المستشارين بدليل قوله عقبه ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ فضمير الجمع في قوله: ﴿وشاورهم﴾ عائد على المسلمين خاصة: أش شاور الذين أسلموا من بين من لنت لهم، أي لا يصدك خطل رأيهم فيما بدا لهم يوم أحد عن أن تستعين برأيهم في مواقع أخرى، فإنما كان ما حصل فلته منهم، وعشرة قد أقلتهم منها.

---

(١) التحرير والتنوير، ٤٧٣/٢

ويحتمل أن يراد استشارة عبد الله بن أبي وأصحابه، فالمراد الأخذ بظاهر أحوالهم وتأليفهم، لعلهم أن يخلصوا الإسلام أو لا يزيدوا نفاقا، وقطعا لأعذارهم فيما يستقبل.

وقد دلت الآية على أن الشورى مأمور بها الرسول صلى الله عليه وسلم فيما عبر عنه بالأمر وهو مهمات الأمة ومصالحها في الحرب وغيره، وذلك في غير أمر التشريع لأن الأمر إن كان فيه وحي فلا محيد عنه، وإن لم يكن فيه وحي وقلنا بجواز الاجتهاد للنبي صلى الله عليه وسلم." (١)

"الأخذ على أيديهم بالهزيمة والقتل كما كان يوم بدر، يقال: أملى لفرسه إذا أرخى له الطول في المرعى، وهو مأخوذ من الملو بالواو وهو سير البعير الشديد، ثم قالوا: أمليت للبعير والفرس إذا وسعت له في القيد لأنه يتمكن بذلك من الخبب والركض، فسبه فعله بشدة السير، وقالوا: أم ليت زيد في غيه أي تركته: على وجه الاستعارة، وأملي الله لفلان أخر عقابه، قال تعالى: ﴿وأملي لهم إن كيدي متين﴾ [الأعراف: ١٨٣] واستعير التملي لطول المدة تشبيها للمعقول بالمحسوس فقالوا: ملاك الله حبيبك تملئة، أي أطال عمرك معه.

وقوله: ﴿أنما نملي لهم خير لأنفسهم﴾ أن أخت إن المكسورة الهمزة، و ما موصولة وليست الزائدة، وقد كتبت في المصحف كلمة واحدة كما تكتب إنما المركبة من إن أخت أن وما الزائدة الكافة، التي هي حرف حصر بمعنى ما و إلا، وكان القياس أن تكتب مفصولة وهو اصطلاح حدث بعد كتابة المصاحف لم يكن مطردا في الرسم القديم، على هذا اجتمعت كلمات المفسرين من المتقدمين والمتأخرين. وأنا أرى أنه يجوز أن يكون أنما من قوله: ﴿أنما نملي لهم خير لأنفسهم﴾ هي أنما أخت إنما المكسورة وأنها مركبة من أن وما الكافة الزائدة وأنها طريق من طرق القصر عند المحققين، وأن المعنى: ولا يحسبن الذين كفروا انحصار إمهالنا لهم في أنه خير لهم لأنهم لما فرحوا بالسلامة من القتل وبالبقاء بقيد الحياة قد أضمروا في أنفسهم اعتقاد أن بقاءهم ما إلا خير لهم لأنهم يحسبون القتل شرا لهم، إذ لا يؤمنون بجزاء الشهادة في الآخرة لكفرهم بالبعث. فهو قصر حقيقي في ظنهم.

ولهذا يكون رسمهم كلمة أنما المفتوحة الهمزة في المصحف جاريا على ما يقتضيه اصطلاح الرسم.و ﴿أنما نملي لهم خير لأنفسهم﴾ هو بدل اشتمال من ﴿الذين كفروا﴾ ، فيكون سادا مسد المفعولين، لأن المبدل منه صار كالمتروك، وسلكت طريقة الإبدال لما فيه من الإجمال، ثم التفصيل، لأن تعلق الظن بالمفعول الأول يستدعي تشوف السامع للجهة التي تعلق بها الظن، وهي مدلول المفعول الثاني، فإذا سمع

---

(١) التحرير والتنوير، ٣/٢٦٧

ما يسد مسد المفعولين بعد ذلك تمكن من نفسه فضل تمكن وزاد تقريرا.

وقوله: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثما﴾ استئناف واقع موقع التعليل للنهي عن حسبان الإملاء، خيرا، أي ما هو بخير لأنهم يزدادون في تلك المدة إثما.

وإنما هذه كلمة مركبة من إن حرف التوكيد وما الزائدة الكافة وهي أداة حصر أي: ما نملي لهم إلا ليزدادوا إثما، أي فيكون أخذهم به أشد. فهو قصر قلب.." (١)

"فمعنى: ﴿يغشي الليل النهار﴾ أن الله يجعل أحدهما غاشيا الآخر.

والغشي مستعار للاخفاء، لأن النهار يزيل أثر الليل والليل يزيل أثر النهار، ومن بديع الإيجاز ورشاقة التركيب: جعل الليل والنهار مفعولين لفعل فاعل الإغشاء، فهما مفعولان كلاهما صالح لأن يكون فاعل الغشي، ولهذا استغنى بقوله: ﴿يغشي الليل النهار﴾ عن ذكر عكسه ولم يقل: والنهار الليل، كما في آية ﴿ويكور النهار على الليل﴾ [الزمر: ٥] لكن الأصل في ترتيب المفاعيل في هذا الباب أن يكون الأول هو الفاعل في المعنى، ويجوز العكس إذا أمن اللبس، وبالأحرى إذا استوى الاحتمالان.

وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم في رواية حفص ﴿يغشي﴾ بضم الياء وسكون الغين وتخفيف الشين. وقرأه حمزة، والكسائي، وعاصم في رواية أبي بكر، ويعقوب، وخلف بضم الياء وفتح الغين وتشدبد الشين وهما بمعنى واحد في التعدية.

وجملة ﴿يطلبه﴾ إن جعلت استئنافا أو بدل اشتمال من جملة "يغشي" فأمرها واضح، واحتمل الضمير المنصوب في "يطلبه" أن يعود إلى الليل وإلى النهار، وإن جعلت حالا تعين أن تعتبر حالا من أحد المفعولين على السواء فإن كلا الليل والنهار يعتبر طالبا ومطلوبا، تبعا لاعتبار أحدهما مفعولا أول أو ثانيا. وشبه ظهور ظلام الليل في الأفق ممتدا من المشرق إلى المغرب عند الغروب واختفاء نور النهار في الأفق ساقطا من المشرق إلى المغرب حتى يعم الظلام الأفق بطلب الليل النهار على طريقة التمثيل، وكذلك يفهم تشبيه امتداد ضوء الفجر في الأفق من المشرق إلى المغرب واختفاء ظلام الليل في الأفق ساقطا في المغرب حتى يعم الضياء الأفق: بطلب النهار الليل على وجه التمثيل، ولا مانع من اعتبار التنازع للمفعولين في جملة الحال كما في قوله تعالى: ﴿فأتت به قومها تحمله﴾ [مريم: ٢٧] وقوله: ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾ .

والحثيث: المسرع، وهو فعيل بمعنى مفعول، من حثه إذا أعجله وكرر إعجاله ليبادر بالعجلة، وقريب من

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٩١/٣

هذا قول سلامة بن جندل يذكر انتهاء شبابه وابتداء عصر شيبه:

أودى الشباب الذي مجد عواقبه ... فيه نلذ ولا لذات للشيب

ولى حثيثا وهذا الشيب يتبعه ... لو كان يدركه ركض اليعاقيب." (١)

"بالإضافة إلى ضمير المخاطبين ليكون كلاما موجها فيصح قصد المعنيين معا من كلمة "الذكر" بان مجيء القرآن مشتملا على أعظم الهدى، هو تذكير لهم بما به نهاية إصلاحهم، ومجيئه بلغتهم، وفي قومهم، وبواسطة واحد منهم، سمعة عظيمة لهم كما قال تعالى: ﴿بلسان عربي مبين﴾ وقال: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم﴾.

وقد فسر السلف هذه الآية بالمعنيين. وفي تفسير الطبري هنا قال جماعة: معنى ﴿فيه ذكركم﴾ أنه الشرف، أي فيه شرفكم. وقال ابن عطية: يحتمل أن يريد فيه شرفكم وذكركم آخر الدهر كما تذكر عظام الأمور. وقد فسر بمثل ذلك قوله تعالى: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ .

وعلى المعنيين يكون لتفريع قوله تعالى: ﴿أفلا تعقلون﴾ أحسن موقع لأن الاستفهام الإنكاري لنفي عقلهم متجه على كلا المعنيين فإن من جاءه ما به هديه فلم يهتد ينكر عليه سوء عقله، ومن جاءه ما به مجده وسمعته فلم يعبأ به ينكر عليه سوء قدره للأمور حق قدرها كما يكون الفضل في مثله مضاعفا.

وأيضا فهو متفرع على الإقناع بإنزال القرآن آية تفوق الآيات التي سألوا مثلها وهو المفاد من الاستئناف ومن تأكيد الجملة بالقسم وحرف التحقيق قال تعالى: ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ في سورة العنكبوت، وذلك لإعجازه اللفظي والمعنوي.

[١١-١٤] ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ .

عطف على قوله: ﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها﴾ أو على قوله تعالى: ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ ، وهو تعريض بالتهديد.

ومناسبة موقعها أنه بعد أن أخبر أنه صدق رسله وعده وهو خبر يفيد ابتداء التنويه بشأن الرسل ونصرهم وبشأن الذين آمنوا بهم. وفيه تعريض بنصر محمد صلى الله عليه وسلم وذكر إهلاك المكذبين له تبعا

---

(١) التحرير والتنوير، ١٢٨/٨

لذلك، فأعقب ذلك بذكر إهلاك أمم كثيرة من الظالمين ووصف ما حل بهم ليكون ذلك مقصودا بذاته ابتداء اهتماما به ليقرع أسماعهم، فهو تعريض بإنذار." (١)

"والإحساس: الإدراك بالحس فيكون برؤية ما يزعجهم أو سماع أصوات مؤذنة بالهلاك كالصواعق والرياح.

والبأس: شدة الألم والعذاب. وحرف "من" في قوله: ﴿منها يركضون﴾ يجوز أن يكون للابتداء، أي خارجين منها، ويجوز أن يكون للتعليل بتأويل ﴿يركضون﴾ معنى "يهربون"، أي من البأس الذي أحسوا به فلا بد من تقدير مضاف، أي من بأسنا الذي أحسوه في القرية. وذلك بحصول أشراط إنذار مثل الزلازل والصواعق.

والركض: سرعة سير الفرس، وأصله الضرب بالرجل فيسمى به العدو، لأن العدو يقتضي قوة الضرب بالرجل وأطلق الركض في هذه الآية على سرعة سير الناس على وجه الاستعارة تشبيها لسرعة سيرهم بركض الأفراس.

و"منها" ظرف مستقر في موضع الحال من الضمير المنفصل المرفوع.

ودخلت "إذا" الفجائية في جواب "لما" للدلالة على أنهم ابتدروا الهروب من شدة الإحساس بالبأس تصويرا لشدة الفزع. وليست "إذا" الفجائية برابطة للجواب بالشرط لأن هذا الجواب لا يحتاج إلى رابط، و"إذا" الفجائية قد تكون رابطة للجواب خلفا من الفاء الرابطة حيث يحتاج إلى الرابط لأن معنى الفجاءة يصلح للربط ولا يلازمه.

وجملة: ﴿لا تركضوا﴾ معترضة وهي خطاب للراكضين بتخيل كونهم كالحاضرين المشاهدين في وقت حكاية قصتهم، ترشيحا لما اقتضى اجتلاب حرف المفاجأة وهذا كقول مالك بن الريب:

دعاني الهوى من أهل ودي وجيرتي

بذي الطبسين فالتفت ورائيا.

أي لما دعاه الهوى، أي ذكره أحبابه وهو غاز بذي الطبسين التفت وراءه كالذي يدعوه داع من خلفه فتخيل الهوى داعيا وراءه.

وتكون هذه الجملة معترضة بين جملة: ﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ ، وبين جملة: ﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ .

ويجوز جعل الجملة مقول قول محذوف خوطبوا به حينئذ بأن سمعوه بخلق من الله تعالى أو من ملائكة

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨/١٧

العذاب. وهذا ما فسر به المفسرون ويبعده استبعاد أن يكون ذلك واقعا عند كل عذاب أصيبت به كل قرية. وأيا ما كان فالكلام تهكم بهم.." (١)

"والإتراف: إعطاء الترف، وهو النعيم ورفه العيش، أي ارجعوا إلى ما أعطيتم من الرفاهية وإلى مساكنكم.

وقوله تعالى: ﴿لعلكم تسألون﴾ من جملة التهكم. وذكر المفسرون في معنى ﴿تسألون﴾ احتمالات ستة. أظهرها: أن المعنى: ارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعيم لتروا ما آل إليه فلعلكم يسألكم سائل عن حال ما أصابكم فتعلموا كيف تجيبون لأن شأن المسافر أن يسأله الذين يقدم إليهم عن حال البلاد التي تركها من خصب ورخاء أو ضد ذلك، وفي هذا تكملة للتهكم.

وجملة: ﴿قالوا يا ويلنا﴾ إن جعلت جملة: ﴿لا تركضوا﴾ معترضة على ما قررته آنفا تكون هذه مستأنفة استئنافا بيانيا عن جملة: ﴿إذا هم منها يركضون﴾ كأن سائلا سأل عما يقولونه حين يسرعون هاربين لأن شأن الهارب الفزع أن تصدر منه أقوال تدل على الفزع أو الندم عن الأسباب التي أحلت به المخاوف فيجاب بأنهم أيقنوا حين يرون العذاب أنهم كانوا ظالمين فيقرون بظلمهم ويُنشئون التلهف والتندم بقولهم ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ .

وإن جعلت جملة: ﴿لا تركضوا﴾ مقول قول محذوف على ما ذهب إليه المفسرون كانت جملة: ﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ جوابا لقول من قال لهم ﴿لا تركضوا﴾ على وجه التهكم بهم ويكون فصل الجملة لأنها واقعة في موقع المحاورة كما بيناه غير مرة، أي قالوا: قد عرفنا ذنبنا وحق التهكم بنا. فاعترفوا بذنبهم. قال تعالى: ﴿فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير﴾ في سورة الملك.

[١٥] ﴿فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين﴾ .

تفريع على جملة: ﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ ، فاسم تلك إشارة إلى القول المستفاد من قوله تعالى: ﴿قالوا يا ويلنا﴾ ، وتأنيثه لأنه اكتسب التأنيث من الإخبار عنه بدعواهم، أي ما زالوا يكررون تلك الكلمة يدعون بها على أنفسهم.

وهذا الوجه يرجح التفسير الأول لمعنى قوله تعالى: ﴿لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾ لأن شأن الأقوال التي يقولها الخائف أن يكررها إذ يغيب رأيه فلا يهتدي للإتيان بكلام آخر، بخلاف الكلام المسوق جوابا

---

(١) التحرير والتنوير، ١٧/٢٠

فإنه لا داعي إلى إعادته.

والمعنى: فما زالوا يكررون مقالتهم تلك حتى هلكوا عن آخرهم.." (١)

"وهذا اللون من الكلام يسمى الكلام المنصف وهو أن لا يترك المجادل لخصمه موجب تغيظ واحتداد في الجدال، ويسمى في علم المناظرة إرخاء العنان للمناظر ومع ذلك فقرينة إلزامهم الحجة قرينة واضحة.

ومن لطائفه هنا أن أشتمل على إيماء إلى ترجيح أحد الجانبين في أحد الاحتمالين بطريق مقابلة الجانبين في ترتيب الحالتين باللف والنشر المرتب وهو أصل اللف. فإنه ذكر ضمير جانب المتكلم وجماعته وجانب المخاطبين، ثم ذكر حال الهدى وحال الضلال على ترتيب ذكر الجانبين، فأومأ إلى أن الأولين موجهون إلى الهدى ولآخرين موجهون إلى الضلال المبين، لا سيما بعد قرينة الاستفهام، وهذا أيضا من التعريض وهو أوقع من التصريح لا سيما في استنزال طائر الخصم.

وفيه أيضا تجاهل العارف فقد التأم في هذه الجملة ثلاثة محسنات من البديع ونكتة من البيان فاشتملت على أربع خصوصيات.

وجيء في جانب أصحاب الهدى بحرف الاستعلاء المستعار للتمكن تكثيلا لحال المهتدي بحال متصرف في فرسه يركضه حيث شاء متمكن من شيء بلغ به مقصده. وهي حالة مماثلة لحال المهتدي على بصيرة فهو يسترجع مناهج الحق في كل صوب. متسع النظر، منشرح الصدر: ففيه تمثيلية مكنية وتبعية.

وجيء في جانب الضالين بحرف الظرفية المستعار لشدة التلبيس بالوصف تمثيلا لحالهم في إحاطة الضلال بهم بحال الشيء في ظرف محيط به لا يتركه يفارقه ولا يتطلع منه على خلاف ما هو فيه من ضيق يلازمه. وفيه أيضا تمثيلية تبعية، وهذا ينظر إلى قوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

فحصل في الآية أربع استعارات وثلاثة محسنات من البديع وأسلوب بياني، وحجة قائمة، وهذا إعجاز بديع.

ووصف الضلال بالمبين دون وصف الهدى بالمبين لأن حقيقة الهدى مقول عليها بالتواطئ وهو معنى قول أصحابنا الأشاعرة: الإيمان لا يزيد ولا ينقص في ذاته وإنما زيادته بكثرة الطاعات، وأما الكفر فيكون بإنكار

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١/١٧

بعض المعتقدات وبإنكار جميعها وكل ذلك يصدق عليه الكفر. ولذلك قيل كفر دون كفر: فوصف كفرهم بأنه أشد الكفر،فإن." (١)

"الخلق بمعنى المخلوق.

و"امنن"أمر مستعمل في الإذن والإباحة،وهو مشتق من المن المكنى به عن الإنعام،أي فأنعم على من شئت بالإطلاق،أو أمسك في الخدمة من شئت.

فالمن:كناية عن الإطلاق بلازم اللازم،كقوله تعالى: ﴿فإما منا بعد وإما فداء﴾ [بمحمد:٤].

وجملتا ﴿فامنن أو أمسك﴾ معترضتان بين قوله: ﴿عطاؤنا﴾ وقوله: ﴿بغير حساب﴾ ،وهو تفريع مقدم من تأخير.

والتقديم لتعجيل المسرة بالنعمة،ونظيره قوله تعالى من بعد: ﴿هذا فليذوقوه حميم وغساق﴾ [ص:٥٧]وقول عنترة:

ولقد نزلت فلا تظني غيره ... مني بمنزلة المحب المكرم

وقول بشارة:

كقائلة إن الحمار فنحه ... عن القت أهل السمسم المتهذب

مجازا وكناية في التحديد والتقدير،أي هذا عطاؤنا غير محدد ولا مقتر فيه،أي عطاؤنا واسعا وافيا لا تضييق فيه عليك.

ويجوز أن يكون ﴿بغير حساب﴾ حالا من ضمير "امنن أو أمسك".ويكون الحساب بمعنى المحاسبة المكنى بها عن المؤاخذة.والمعنى:امنن أو أمسك لا مؤاخذة عليك فيمن مننت عليه بالإطلاق إن كان مفسدا،ولا فيمن أمسكته في الخدمة إن كان صالحا.

[٤٠] ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾

تقدم نظيره آنفا في قصة داود وبيان نكتة التأكيد بحرف ﴿إن﴾ .

[٤١.٤٢] ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾

---

(١) التحرير والتنوير، ٥٨/٢٢

هذا مثل ثان ذكر به النبي صلى الله عليه وسلم إسوة به في الصبر على أذى قومه والالتجاء إلى الله في كشف الضر،وهو معطوف على ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب﴾ [ص:١٧]ولكونه مقصودا." (١)

"أصابه بهما حقيقة مع أن النصب والعذاب هما الماسان أيوب،ففي سورة الأنبياء[٨٣] ﴿أني مسني الضر﴾ فأسند المس إلى الضر،والضر هو النصب والعذاب.وترددت أفهام المفسرين في معنى إسناد المس بالنصب والعذاب إلى الشيطان،فإن الشيطان لا تأثير له في بني آدم بغير الوسوسة كما هو مقرر من مكرر آيات القرآن وليس النصب والعذاب من الوسوسة ولا من آثارها.وتأولوا ذلك على أقوال تتجاوز العشرة وفي أكثرها سماجة وكلها مبني على حملهم الباء في قوله: ﴿بنصب﴾ على أنها باء التعدية لتعدية فعل ﴿مسني﴾ ،أو باء الآلة مثل:ضربه بالعصا،أو يؤول النصب والعذاب إلى معنى المفعول الثاني من باب أعطى.

والوجه عندي:أن تحمل الباء على معنى السببية بجعل النصب والعذاب مسببين لمس الشيطان إياه، أي مسني بوسواس سببه نصب وعذاب،فجعل الشيطان يوسوس إلى أيوب بتعظيم النصب والعذاب عنده ويلقي إليه أنه لم يكن مستحقا لذلك العذاب ليلقي في نفس أيوب سوء الظن بالله أو السخط من ذلك.أو نحمل الباء على المصاحبة،أي مسني بوسوسة مصاحبة لضر وعذاب،ففي قول أيوب: ﴿أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ كناية لطيفة عن طلب لطف الله به ورفع النصب والعذاب عنه بأنهما صارا مدخلا للشيطان إلى نفسه فطلب العصمة من ذلك على نحو قول يوسف عليه السلام: ﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾ [يوسف:٣٣].

وتنوين "نصب وعذاب" للتعظيم أو للنوعية،وعدل عن تعريفهما لأنهما معلومان لله.

وجملة ﴿اركض برجلك﴾ الخ مقولة لقول محذوف،أي قلنا له اركض برجلك،وذلك إيذان بأن هذا استجابة لدعائه.

والركض:الضرب في الأرض بالرجل،فقوله: ﴿برجلك﴾زيادة في بيان معنى الفعل مثل ﴿ولا طائر يطير بجناحيه﴾ [الأنعام:٣٨]وقد سمى الله ذلك استجابة في سورة الأنبياء إذ قال: ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر﴾ .

وجملة ﴿هذا مغتسل﴾ مقولة لقول محذوف دل عليه المقول الأول.وفي الكلام حذف دلت عليه

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦٢/٢٣

الإشارة.فالتقدير:فركض الأرض فنبع ماء فقلنا له:هذا مغتسل بارد وشراب.فالإشارة إلى ماء لأنه الذي يغتسل به ويشرب.." (١)

"﴿وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث﴾

مقول لقول محذوف دلت عليه صيغة الكلام،والتقدير:وقلنا خذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث، وهو قول غير القول المحذوف في قوله: ﴿اركض برجلك﴾ [ص:٤٢]لأن ذلك استجابة دعوة وهذا إفتاء برخصة،وذلك له قصته،وهذا له قصة أخرى أشارت إليها الآية إجمالا ولم يرد في تعيينها أثر صحيح ومجملها أن زوج أيوب حاولت عملا ففسد عليه صبره من استعانة ببعض الناس على مواساته فلما علم بذلك غضب وأقسم ليضربنها عددا من الضرب ثم ندم وكان محبا لها،وكانت لائذة به في مدة مرضه فلما سري عنه أشفق على امرأته من ذلك ولم يكن في دينهم كفارة اليمين فأوحى الله إليه أن يضربها بحزمة فيها عدد من الأعواد بعدد الضربات التي أقسم عليها رفقا بزوجه لأجله وحفظا ليمينه من حنثه إذ لا يليق الحنث بمقام النبوة.وليست هذه القضية ذات أثر في الغرض الذي سيقت لأجله قصة أيوب من الأسوة وإنما ذكرت هنا تكملة لمظهر لطف الله بأيوب جزاء على صبره.

ومعاني الآية ظاهرة في أن هذا الترخيص رفق بأيوب،وأنه لم يكن مثله معلوما في الدين الذي يدين به أيوب إبقاء على تقواه،وإكراما له لحبه زوجه،ورفقا بزوجه لبرها به،فهو رخصة لا محالة في حكم الحنث في اليمين.

فجاء علماؤنا ونظروا في الأصل المقرر في المسألة المفروضة في أصول الفقه وهي:أن شرع من قبلنا هل هو شرع لنا إذا حكاه القرآن أو السنة الصحيحة،ولم يكن في شرعنا ما ينسخه من نص أو أصل من أصول الشريعة الإسلامية.فأما الذين لم يروا أن شرع من قبلنا شرع لنا وهم أبو بكر الباقلاني من المالكية وجمهور الشافعية وجميع الظاهرية فشأنهم في هذا ظاهر،وأما الذين أثبتوا أصل الاقتداء بشرع من قبلنا بقيوده المذكورة وهم مالك وأبو حنيفة والشافعي فتخطوا للبحث في أن هذا الحكم الذي في هذه الآية هل يقرر مثله في فقه الإسلام في الإفتاء في الأيمان وهل يتعدى به إلى جعله أصلا للقياس في كل ضرب يتعين في الشرع له عدد إذا قام في المضروب عذر يقتضي الترخيص بعد البناء على إثبات القياس على الرخص؟،وهل يتعدى به إلى جعله أصلا للقياس أيضا لإثبات أصل مماثل وهو التحيل بوجه شرعي للتخلص من واجب تكليف

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦٤/٢٣

شرعي؟،واقتحموا ذلك على ما في حكاية قصة أيوب من إجمال لا يتبصر به الناظر في صفة يمينه ولا لفظه ولا نيته إذ ليس من مقصد القصة.." (١)

"﴿إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب﴾

علة لجملة ﴿اركض برجلك﴾[ص:٤٢]وجملة ﴿ووهبنا له أهله﴾ [ص:٤٣]،أي أنعمنا عليه بجبر حاله، لأنا وجدناه صابرا على ما أصابه فهو قدوة للمأمور بقوله: ﴿اصبر على ما يقولون﴾ [المزمل:١٠] صلى الله عليه وسلم،فكانت "إن" مغنية عن فاء التفريغ.

ومعنى ﴿وجدناه﴾ أنه ظهر في صبره ما كان في علم الله منه.

وقوله: ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ مثل قوله في سليمان: ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ [ص:٣٠]،فكان سليمان أوابا لله من فتنة الغني والنعيم،وأيوب أوابا لله من فتنة الضر والاحتياج،وكان الثناء عليهما متماثلا لاستوائهما في الأوبة وإن اختلفت الدواعي.قال سفيان:"أثنى الله على عبدين ابتليا:أحدهما صابر، والآخر شاكر،ثناء واحدا.فقال لأيوب ولسليمان ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ ".

[٤٥.٤٧] ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾

القول فيه كالقول في نظائره لغة ومعنى.وذكر هؤلاء الثلاثة ذكر اقتداء وائتساء بهم،فأما إبراهيم عليه السلام فيما عرف من صبره على أذى قومه،وإلقائه في النار،وابتلائه بتكليف ذبح ابنه،وأما ذكر إسحاق ويعقوب فاستطراد بمناسبة ذكر إبراهيم ولما اشتركا به من الفضائل مع أبيهم التي يجمعها اشتراكهم في معنى قوله: ﴿أولي الأيدي والأبصار﴾ ليقتدي النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثتهم في القوة في إقامة الذين والبصيرة في حقائق الأمور.

وابتدئ بإبراهيم لتفضيله بمقام الرسالة والشريعة،وعطف عليه ذكر ابنه وعطف على ابنه ابنه يعقوب.وقرأ الجمهور ﴿واذكر عبادنا﴾ بصيغة الجمع على أن ﴿إبراهيم﴾ ومن عطف عليه كله عطف بيان.وقرأ ابن كثير ﴿عبدنا﴾ بصيغة الإفراد على أن يكون ﴿إبراهيم﴾ عطف بيان من ﴿عبدنا﴾ ويكون ﴿إسحاق ويعقوب﴾ عطف نسق على ﴿عبدنا﴾. ومآل القراءتين متحد.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦٧/٢٣

والأيدي: جمع يد بمعنى القوة في الدين. كقوله تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ في سورة الذاريات[٤٧].
والأبصار: جمع بصر بالمعنى المجازي، وهو النظر الفكري المعروف بالبصيرة." (١)

"وهو بصريحه امتنان على المسلمين بأن الله ساق لهم أموال بني النضير دون قتال، مثل قوله تعالى: ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ [الأحزاب:٢٥]، ويفيد مع ذلك كناية بأن يقصد بالإخبار عنه بأنهم لم يوجفوا عليه لازم الخبر وهو أنه ليس لهم سبب حق فيه. والمعنى: فما هو من حقكم، أو لا تسألوا قسمته لأنكم لم تنالوه بقتالكم ولكن الله أعطاه رسوله صلى الله عليه وسلم نعمة منه بلا مشقة ولا نصب.

والإيجاف: نوع من سير الخيل. وهو سير سريع بإيقاع وأريد به الركض للإغارة لأنه يكون سريعا.

والركاب: اسم جمع للإبل التي تركب. والمعنى: ما أغرتم عليه بخيل ولا إبل.

وحرف ﴿على﴾ في قوله تعالى: ف ﴿فما أوجفتم عليه﴾ للتعليل، وليس لتعدية ﴿أوجفتم﴾ لأن معنى الإيجاف لا يتعدى إلى الفيء بحرف الجر، أو متعلق بمحذوف وهو مصدر ﴿أوجفتم﴾، أي إيجافا لأجله.

و ﴿من﴾ في قوله: ﴿من خيل﴾ زائدة داخلة على النكرة في سياق النفي ومدخول ﴿من﴾ في معنى المفعول به ل ﴿أوجفتم﴾ أي ما سقتم خيلا ولا ركابا.

وقوله: ﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء﴾ استدراك على النفي الذي في قوله تعالى: ﴿فما أوجفتم عليه﴾ لرفع توهم أنه لا حق فيه لأحد. والمراد: أن الله سلط عليه رسوله صلى الله عليه وسلم. فالرسول أحق به. وهذا التركيب يفيد قصرا معنويا كأنه قيل: فما سلطكم الله عليهم ولكن سلط عليهم رسوله صلى الله عليه وسلم.

وفي قوله تعالى: ﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء﴾ إيجاز حذف لأن التقدير: ولكن الله سلط عليهم رسوله صلى الله عليه وسلم. والله يسلط رسله على من يشاء وكان هذا بمنزلة التذييل لعمومه وهو دال على المقدر.

وعموم ﴿من يشاء﴾ لشمول أنه يسلط رسله على مقاتلين ويسلطهم على غير المقاتلين.

والمعنى: وما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم إنما هو بتسليط الله رسوله صلى الله عليه وسلم، وإلقاء الرعب في قلوبهم والله يسلط رسله على من يشاء. فأغنى التذييل عن المحذوف، أي فلا حق لكم فيه فيكون من مال الله يتصرف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور من بعده.." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦٩/٢٣

(٢) التحرير والتنوير، ٧١/٢٨

"محمد صلى الله عليه وسلم قال ربي يعلم بالقول إخبار بأنه ما تناجوا به على أنهم أسروه فإن قيل هلا قال يعلم السر مناسبة لقوله أسروا النجوى فالجواب أن القول يشمل السر والجهر ... ٤١٦

٢٣ فحصل به ذكر السر وزيادة بل قالوا أضغاث أحلام أي أخلاط منامات وحكى عنهم هذه الأقوال الكثيرة ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أقوالهم كما أرسل الأولون أي كما جاء الرسل المتقدمون بالآيات فليأتنا محمد بآية فالتشبيه في الإتيان بالمعجزة ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها لما قالوا فليأتنا بآية أخبرهم الله أن الذين من قبلهم طلبوا الآيات فلما رأوها ولم يؤمنوا أهلكوا ثم قال أفهم يؤمنون أي أن حالهم في عدم الإيمان وفي الهلاك كحال من قبلهم ويحتمل أن يكون المعنى أن كل قرية هلكت لم تؤمن فهؤلاء كذلك ولا يكون على هذا جوابا لقولهم فليأتنا بآية بل يكون إخبارا مستأنفا على وجه التهديد وأهلكناها في موضع الصفة لقرية والمراد أهل القرية وما أرسلنا قبلك إلا رجالا رد على قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم والمعنى أن الرسل المتقدمين رجالا من البشر فكيف تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولا أهل الذكر يعني أحبار أهل الكتاب وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام أي ما جعلنا الرسل اجسادا غير طاعمين ووحد الجسد لإرادة الجنس ولا يأكلون الطعام صفة لجسد وفي الآية رد على قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ومن نشاء يعني المؤمنين فيه ذكركم أي شرفكم وقيل تذكيركم قصمنا أي أهلكنا وأصله من قصم الظهر أي كسره من قرية يريد أهل القرية قال ابن عباس هي قرية باليمن يقال لها حضور بعث الله إليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر ملك بابل فأهلكهم بالقتل وظاهر اللفظ أنه على العموم لأن كم للتكثير فلا يريد قرية معينة يركضون عبارة عن فرارهم فيحتمل أن يكونوا ركبوا الدواب وركضوها لتسرع الجري أو شبهوا في سرعة جريهم على أرجلهم بمن." (١)

"يركض الدابة لا تركضوا أي قيل لهم لا تركضوا والقائل لذلك هم الملائكة قالوه تهكما بهم أو رجال بختنصر إن كانت القرية المعينة قالوا ذلك لهم خداعا ليرجعوا فيقتلوهم أترفتم أي نعمتم لعلكم تسئلون تهكم بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون عما جرى عليكم ويحتمل أن يكون تسئلون بمعنى يطلب لكم الناس معروفكم وهذا أيضا تهكم قالوا يا ويلنا الآية اعتراف وندم حين لم ينفعهم حصيدا خامدين شبهوا في هلاكهم بالزرع المحصود ومعنى خامدين موتى وهو تشبيه بخمود النار لاعبين حال منفية أي ما خلقنا السموات ... ٤١٧." (٢)

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١٨٧/٢

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١٨٨/٢

"فأهلك ماله فصبر وأهلك أولاده فصبر وأصابه الجذام والمرض الشديد فصبر فنسب ذلك إلى الشيطان لتسليط الشيطان عليه والرابع روي أن الشيطان لقي امرأته فقال لها قولي لزوجك إن سجد لي سجدة أذهبت ما به من المرض فذكرت المرأة ذلك لأيوب فقال لها ذلك عدو الله الشيطان وحينئذ دعا اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب التقدير قلنا له اركض برجلك فضرب الأرض برجله فنبعت له عين ماء صافية باردة فشرب منها فذهب كل مرض كان داخل جسده واغتسل منها فذهب ما كان في ظاهر جسده وروي أنه ركض الأرض مرتين فنبع له عينان فشرب من أحدهما واغتسل من الأخرى ووهبنا له أهله ذكر في الأنبياء وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث الضغث القبضة من القضبان وكان أيوب عليه السلام قد حلف أن يضرب امرأته ... ٥٨٠." (١)

"٢٥١٥- حدثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء، يقول: "بينما رجل يقرأ سورة الكهف ليلة إذ رأى دابته تركض، أو قال فرسه يركض، فنظر، فإذا مثل الضبابة أو مثل الغمامة. فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: تلك السكينة نزلت للقرآن، أو تنزلت للقرآن".

٢٥١٦- حدثنا أبي، ثنا عبدة بن سليمان، أنبأ ابن المبارك، أنبأ يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن سعد بن مسعود،"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في مجلس فرفع نظره إلى السماء ثم طأطأ نظره، ثم رفعه، فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إن هؤلاء القوم كانوا يذكرون الله يعني أهل مجلس أمامه فنزلت عليهم السكينة تحملها الملائكة كالقبة، فلما دنت منهم تكلم رجل بباطل فرفعت عنهم".

٢٥١٧- حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، ثنا سفيان، عن مسعر، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الأحوص، عن علي، ق‍ال: "السكينة لها وجه كوجه الإنسان، وهي بعد ريح هفافة".." (٢)

"٩٦٥٧- ثنا يونس بن عبد الأعلى، أنبأ عبد الله بن وهب، أنبأ يونس، عن ابن شهاب، أخبرني ابن المسيب، قال: "لما كان يوم أحد، أخذ أبي بن خلف يركض فرسه، حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعترض رجال من المسلمين لأبي بن خلف ليقتلوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استأخروا، فاستأخروا، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حربته في يده، فرمى أبي بن خلف، وكسر ضلعا من أضلاعه، فرجع أبي بن خلف إلى أصحابه ثقيلا، فاحتملوه حتى ولوا قافلين، فطفقوا يقولون:

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٤٥٣/٢

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٢٢٧/٢

لا بأس، فقال أبي حين قالوا ذلك له: والله لو كانت بالناس، لقتلتهم ألم يقل: إني أقتلك، إن شاء الله تعالى ؟ فانطلق به أصحابه يتغشونه، حتى مات ببعض الطريق، فدفنوه، قال ابن المسيب: وفي ذلك أنزل عز وجل: " وما رميت إذ رميت " ".

قوله عز وجل: " وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى " - والوجه الثالث." (١)

"١٠٣٧٨- حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، ثنا يحيى بن آدم، ثنا حميد الرؤاسي، عن سلمة بن نبيط الأشجعي، عن نعم، عن نبيط، عن سالم بن عبيد، وكان من أهل الصفة، قال: أخذ عمر بيد أبي بكر، فقال: من له هذه الثلاث ؟ " إذ يقول لصاحبه " من صاحبه ؟ إذ هما في الغار من هما ؟ " لا تحزن إن الله معنا "

١٠٣٧٩- حدثنا أبو زرعة، ثنا يحيى بن عبد الله بن بكير، ثنا ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن أبيه: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حين خطب، قال:"أيكم يقرأ سورة التوبة ؟ ! قال رجل: أنا، قال: اقرأ، فلما بلغ " إذ يقول لصاحبه لا تحزن " بكى أبو بكر ، وقال: وأنا والله صاحبه".

قوله تعالى: " فأنزل الله سكينته عليه "

١٠٣٨٠- حدثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء، يقول: بينما رجل يقرأ سورة الكهف ليلة، إذ رأى دابته تركض، أو قال: فرسه تركض، فنظر فإذا مثل الضبابة أو مثل الغمامة، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، قال:"تلك السكينة نزلت للقرآن، أو تنزلت على القرآن".." (٢)

"علي نفسي، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك: أبشر فخررت ساجدا، وعرفت أن قد جاء الفرج وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى الفجر، فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إلي فرسا وسعى ساع من أسلم، فأوفى على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت ثوبي فكسوتهما إياه بشارة، والله ما أملك يومئذ غيرهما، واستعرت ثوبين فلبستهما فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنوني، يقولون: لنهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٤٣/٧

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٢٦١/٧

وهناني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره فكان كعب لا ينساها، قال: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"وهو يبرق وجهه من السرور:"أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك"فقلت: أمن عند الله يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنارا وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف." (١)

"﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين * ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين * لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون * وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين * فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون * لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون * قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين * فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين * وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾

قوله تعالى " وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام﴾

- ١٤٤٦٩ عن ابن عباس في قوله:" " وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام﴾، يقول: لم نجعلهم جسدا لا يأكلون الطعام، إنما جعلناهم جسدا يأكلون الطعام".

قوله تعالى " وما كانوا خالدين﴾

- ١٤٤٧٠ عن قتادة في قوله:" " وما كانوا خالدين﴾، قال: لابد لهم من الموت إن يموتوا، وفي قوله: " ثم صدقناهم الوعد " إلى قوله " وأهلكنا المسرفين﴾، قال: هم المشركون". قوله تعالى " لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم﴾

- ١٤٤٧١ عن ابن عباس في قوله:" " لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم﴾، قال: فيه شرفكم".

- ١٤٤٧٢ عن مجاهد في قوله:" " كتابا فيه ذكركم﴾، قال: فيه حديثكم".." (٢)

"- ١٤٤٧٣ عن الحسن في قوله:" " كتابا فيه ذكركم﴾، قال: فيه دينكم، أمسك عليكم دينكم كتابكم".

- ١٤٤٧٤ عن السدى في قوله:" " كتابا فيه ذكركم﴾، يقول: فيه ذكر ما تعنون به وأمر آخرتكم ودينكم".

قوله تعالى " وكم قصمنا من قرية﴾

- ١٤٤٧٥ عن مجاهد في قوله:" " وكم قصمنا من قرية﴾، قال: أهلكناها، وفي قوله: " لا تركضوا﴾،

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٤٥١/٧

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٣١٣/٩

قال: لا تقروا، وفي قوله " لعلكم تسألون﴾، قال: تتفهمون".

- ١٤٤٧٦ عن الربيع في الآية، قال:"كانوا إذا أحسوا بالعذاب وذهبت عنهم الرسل من بعدما أنذروهم فكذبوهم، فلما فقدوا الرسل وأحسوا بالعذاب أرادوا الرجعة إلى الإيمان وركضوا هاربين من العذاب، فقيل لهم لا تركضوا، فعرفوا فعرفوا أنه لا محيص لهم".

- ١٤٤٧٧ عن السدى في قوله:" " إذا هم منها يركضون﴾، قال: يفرون".

قوله تعالى: " وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾

- ١٤٤٧٨ عن قتادة في قوله:" " وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾. يقول: ارجعوا إلى دنياكم التي أترفتم فيها، لعلكم تسألون من دنياكم شيئا استهزاء بهم، وفي قوله: " فما زالت تلك دعواهم﴾، قال: لما رأوا العذاب وعاينوه، لم يكن لهم هجيري إلا قولهم " إنا كنا ظالمين﴾ حتى دمر الله عليهم وأهلكهم".

قوله تعالى " فما زالت تلك دعواهم﴾

- ١٤٤٧٩ عن مجاهد في قوله:" " فما زالت تلك دعواهم﴾، قال: هم أهل حصون، كانوا قتلوا نبيهم، فأرسل الله عليهم بختنصر فقتلهم، وفي قوله " حتى جعلناهم حصيدا خامدين﴾، قال: بالسيف ضربت الملائكة وجوههم حتى رجعوا إلى مساكنهم".." (١)

"- ١٤٤٨٠ عن وهب، قال: حدثنى رجل من المجررين، قال:"كان باليمن قريتان، يقال لإحداهما حضور، وللأخرى فلانة، فبطروا وأترفوا حتى كانوا يغلقون أبوابهم، فلما أترفوا بعث الله إليهم جيشا فقاتلوهم فهزموا جيشه، ثم رجعوا منهزمين إليه فجهز إليهم جيشا آخر أكثف من الأول فهزموهم أيضا، فلما رأى بختنصر ذلك غزاهم هو بنفسه فقاتلوه فهزمهم، حتى خرجوا منها يركضون فسمعوا مناديا، يقول: لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم فرجعوا فسمعوا مناديا، يقول: يالثارات النبي، فقتلوا بالسيف فهي التي قال الله: " وكم قصمنا من قرية " إلى قوله " خامدين- ١٥﴾".

تعالى: " وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾

- ١٤٤٨١ عن قتادة في قوله:" " وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾، يقول: ما خلقناهما عبثا ولا باطلا".

قال تعالى:

﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين * بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٣١٤/٩

زاهق ولكم الويل مما تصفون * وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون * أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون * لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون * لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾

قوله تعالى: " لو أردنا إن نتخذ لهوا﴾

- ١٤٤٨٢ عن عكرمة في قوله:" " لو أردنا إن نتخذ لهوا﴾، قال: اللهو: الولد"..." [١]

"- ١٤٥٦٢ عن انس رضي الله عنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:"إن أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من اخوانه كانا من اخص إخوانه، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال: أحدهما لصاحبه ذات يوم: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد، قال: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف عنه ما به، فلما جاء إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر له ذلك، فقال أيوب: لا أدري ما تقول، غير إن الله يعلم أني كنت أمر بالرجلين يتباعدان يذكران الله فأرجع إلى بيتي فاؤلف بينهما كراهة إن يذكر الله لا في حق، وكان يخرج لحاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه إن " اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ فاستبطأته فأتته فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو أحسن ما كان فلما رأته، قالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله المبتلي؟ والله على ذاك ما رأيت رجلا أشبه به منك إذ كان، صحيحا، قال: فإني أنا هو، قال: وكان له أندران، أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين فلما كانت احداهما على اندر القمح، أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى أفاض"..." [٢]

"- ١٤٥٦٣ أخبرنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وخب، أخبرني نافع بن يزيد، عن عقيل، عن الزهري، عن انس بن مالك: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:"إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من اخوانه، كانا من اخص إخواته، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال: أحدهما لصاحبه، تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين، فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به، فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب عليه السلام: لا أدري ما تقول، غير إن الله عز وجل يعلم أني كنت أمر على الرجلين

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٣١٥/٩

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٣٣٥/٩

يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما، كراهة إن يذكر الله إلا في حق، قال: وكان يخرج في حاجته، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأت عليه فأوحى إلى أيوب في مكانه: إن اركض برجلك، هذا معتسل بارد وشراب".

- ١٤٥٦٤ حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، ثنا حماد، أخبرنا علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، قال:"ألبسه الله حلة من الجنة فتنحى أيوب فجلس في ناحية، وجاءت امرأته فلم تعرفه، فقالت: يا عبد الله، أين ذهب هذا المبتلي الذي كان هاهنا؟ لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب، قد رد الله على جسدي".

- ١٤٥٦٥ عن أبي هريره، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:"لما عافي الله أيوب أمطر عليه جرادا من ذهب، فجعل يأخذه بيده ويجعله في ثوبه، فقيل له: يا أيوب، أما تشبع؟ قال: ومن يشبع من فضلك ورحمتك؟". قوله تعالى: " وذا الكفل﴾." (١)

"أنا اليوم كيوم ولدتني أمي، فقام فحلق رأسه وقام يصلي، فرن إبليس رنة سمع بها أهل السماء، وأهل الأرض، ثم خرج إلى السماء، فقال: أي رب، إنه قد اعتصم فسلطني عليه، فإني لا أستطيعه إلا بسلطانك، قال:"قد سلطتك على جسده، ولم أسلطك على قلبه"، فنزل فنفخ تحت قدميه نفخة قرح ما بين قدميه إلى قرنه فصار قرحة واحدة، وألقي على الرماد حتى بدا حجاب قلبه، فكانت امرأته تسعى إليه حتى قالت له: أما ترى يا أيوب؟ نزل بي والله من الجهد والفاقة ما إن بعت قروني برغيف فأطعمك، فادع الله أن يشفيك ويريحك، قال: ويحك ! كنا في النعيم سبعين عاما فاصبري حتى نكون في الضر سبعين عاما، فكان في البلاء سبع سنين ودعا، فجاء جبريل عليه السلام يوما فأخذ بيده، ثم قال: قم، فقام فنحاه عن مكانه، وقال: " اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب " ، فركض برجله فنبعت عين، فقال: اغتسل منها، ثم جاء أيضا، فقال: " اركض برجلك " فنبعت عين أخرى، فقال له: اشرب منها، وهو قوله: " اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب " وألبسه الله تعالى حلة من الجنة، فتنحى أيوب فجلس في ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه، فقالت: يا عبد الله، أين المبتلى الذي كان هاهنا؟." (٢)

"بهذا قال : نعم ، قال : فعطش الصبي فنظرت فإذا أقرب الجبال إليها الصفا فسعت فرقت عليه فنظرت فلم تر شيئا ثم نظرت فإذا أقرب الجبال إليها المروة فنظرت فلم تر شيئا قال : فهي أول من سعى

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٣٣٦/٩

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١٤٣/١٢

بين الصفا والمروة ثم أقبلت فسمعت حفيفا أمامها قال : قد أسمع فإن يكن عندك غياث فهلم فإذا جبريل أمامها يركض زمزم بعقبه فنبع الماء فجاءت بشيء لها تقرى فيه الماء فقال لها : تخافين العطش هذا بلد ضيفان الله لا يخافون العطش.

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو داو والترمذي والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لأقامة ذكر الله لا لغيره.

وأخرج الأزرقي عن أبي هريرة قال : السنة في الطواف بين الصفا والمروة أن ينزل من الصفا ثم يمشي حتى يأتي بطن المسيل فإذا جاءه سعى حتى يظهر." (١)

"وكان جالوت من أجسم الناس وأشدهم فلما نظر إلى داود قذف في قلبه الرعب منه وقال له : يا فتى ارجع فإني أرحمك أن أقتلك ، فقال داود : لا بل أنا أقتلك.

وأخرج الحجارة فوضعها في القذافة كلما رفع حجرا سماه فقال : هذا باسم أبي إبراهيم والثاني باسم أبي إسحاق والثالث باسم أبي اسرائيل ثم أدار القذافة فعادت الأحجار حجر واحدا ثم أرسله فصك به بين عيني جالوت فثقبت رأسه فقتله ثم لم تزل تقتل كل إنسان تصيبه تنفذ منه حتى لم يكن بحيالها أحد فهزموهم عند ذلك وقتل داود جالوت ورجع طالوت فأنكح داود ابنته وأجرى خاتمه في ملكه فمال الناس إلى داود وأحبوه ، فلما رأى ذلك طالوت وجد في نفسه وحسده فأراد قتله فعلم به داود فسجى له زق خمر في مضجعه فدخل طالوت إلى منام داود وقد هرب داود فضرب الزق ضربة فحرقه فسالت الخمر منه فقال : يرحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر ثم إن داود أتاه من القابلة في بيته وهو نائم فوضع سهمين عن رأسه وعند رجليه وعن يمينه وعن شماله سهمين فلما استيقظ طالوت بصر بالسهام فعرفها فقال : يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقتلته وظفر بي فكف عني ، ثم إنه ركب يوما فوجده يمشي في البرية وطالوت على فرس فقال طالوت : اليوم أقتل داود ، وكان داود إذا فزع لا يدرك ، فركض على أثره طالوت ففزع داود فاشتد فدخل غارا وأوحى الله إلى العنكبوت فضربت عليه بيتا فلما انتهى طالوت إلى الغار نظر إلى بناء العنكبوت فقال : لو دخل ههنا لخرق بيت العنكبوت فتركه وملك داود بعد ما قتل طالوت وجعله الله نبيا." (٢)

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٩٦/٢

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٥٣/٣

"عليهم فاجتمعوا ومشوا إلى

الناقة وهي على حوضها قائمة فقال الشقي لأحدهم ائتها فاعقرها ، فأتاها فتعاظمه ذلك فأضرب عن ذلك فبعث آخر فأعظمه ذلك فجعل لا يعث رجلا إلا تعاظمه أمرها حتى مشى إليها وتطاول فضرب عرقوبيها فوقعت تركض فرأى رجل منهم صالحا فقال : أدرك الناقة فقد عقرت ، فأقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون إليه يا نبي الله إنما عقرها فلان إنه لا ذنب لنا ، قال : فانظروا هل تدركون فصيلها فإن أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب ، فخرجوا يطلبونه فلما رأى الفصيل أمه تضطرب أتى جبلا يقال له القارة قصير فصعد وذهبوا ليأخذوه فأوحى الله إلى الجبل فطال في السماء حتى ما تناله الطير ودخل صالح القرية فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم استقبل صالحا فرغا رغوة ثم رغا أخرى ثم رغا أخرى فقال صالح لقومه : لكل رغوة أجل فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ألا إن آية العذاب أن اليوم الأول تصبح وجوهكم مصفرة واليوم الثاني محمرة واليوم الثالث مسودة فلما أصبحوا إذا وجوههم كأنها قد طليت بالخلوق." (١)

"وعن مفتاح الصلاة وعن غرس الجنة وعن صلا ة كل شيء وعن أربعة فيهم الروح ولم يركضوا في أصلاب الرجال ولا أرحام النساء وعن رجل لا أب له وعن رجل لا قوم له وعن قبر جرى بصاحبه وعن قوس قزح وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة لم تطلع عليها قبلها ولا بعدها وعن ظاعن ظعن مرة لم يظعن قبلها ولا بعدها وعن شجرة نبتت بغير ماء وعن شيء يتنفس لا روح له وعن اليوم وأمس وغد وبعد غد ما أجزاؤها في الكلام وعن الرعد والبرق وصوته وعن المجرة وعن المحو الذي في القمر فقيل له : لست هناك وإنك متى تخطىء شيئا في كتابك إليه يغتمزه فيك فاكتب إلى ابن عباس ، فكتب إليه فأجابه ابن عباس : أما الشيء : فالماء قال الله ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ وأما لا شيء : فالدنيا تبيد وتفني وأما الدين الذي لا يقبل الله غيره : فلا إله إلا الله وأما مفتاح الصلاة : فالله أكبر وأما غرس الجنة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله وأما صلاة كل شيء : فسبحان الله وبحمده وأما الأربعة التي فيها الروح ولم يرتكضوا في أصلاب الرجال ولا أرحام

النساء : فآدم وحواء وعصا موسى والكبش الذي فدى الله به إسحاق وأما الرجل الذي لا أب له : فعيسى بن مريم وأما الرجل الذي لا قوم له : فآدم وأما القبر الذي جرى بصاحبه : فالحوت حيث سار بيونس في

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٤٥٨/٦

البحر وأما قوس قزح : فأمان الله لعباده من الغرق وأما البقعة التي طلعت عليها الشمس ولم تطلع عليها قبلها." (١)

"المسيب رضي الله عنه قال : لما كان يوم أحد أخذ أبي بن خلف يركض فرسه حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم واعترض رجال من المسلمين لأبي بن خلف ليقتلوه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم استأخروا فاستأخروا فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حربته في يده فرمى بها أبي بن خلف وكسر ضلعا من أضلاعه فرجع أبي بن خلف إلى أصحابه ثقيلا فاحتملوه حين ولوا قافلين فطفقوا يقولون : لا بأس فقال أبي حين قالوا له ذلك : والله لو كانت بالناس لقتلتهم ألم يقل إني أقتلك إن شاء الله فانطلق به أصحابه ينعشونه حتى مات ببعض الطريق فدفنوه قال ابن المسيب رضي الله عنه : وفي ذلك أنزل الله تعالى ﴿وما رميت إذ رميت﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب والزهري رضي الله عنهما قالا : أنزلت في رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أبي بن خلف بالحربة وهو في لامته فخدشه في ترقوته فجعل يتدأدأ عن فرسه مرارا حتى كانت وفاته بها بعد أيام قاسى فيها العذاب الأليم موصولا بعذاب البرزخ المتصل بعذاب الآخرة." (٢)

"والإبل والغنم فجعلوهم صفوفا ليكثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتقى المسلمون والمشركون فولى المسلمون مدبرين كما قال الله عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله ثم قال : يا معشر الأنصار أنا عبد الله ورسوله فهزم الله المشركين ولم يضرب بسيف ولم يطعن برمح.

وأخرج عبد الرزاق ، وابن سعد وأحمد ومسلم والنسائي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم والحاكم وصححه ، وابن مردويه عن العباس بن عبد المطلب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وما معه إلا أنا وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب فلزمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه وهو على بلغته الشهباء التي أهداها له فروة بن معاوية الجذامي فلما التقى المسلمون والمشركون ولي المسلمون مدبرين وطفق النبي صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع وهو لا يألو ما أسرع نحو المشركين وأبو سفيان بن الحرث آخذ بغرز

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٤٨/٦

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٧٦/٧

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عباس نادي أصحاب السمرة يا أصحاب سورة." (١)

"رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدري ما يقول إذا استأذنته وأنا رجل شاب ، قال : فلبثنا عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا ، قال : ثم صليت الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عنا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صارخا أوفى جبل سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر ، فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء الفرج فآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض إلي رجل فرسا وسعى ساع من أسلم وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته – والله ما أملك غيرهما يومئذ – فاستعرت ثوبين فلبستهما فانطلقت أؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجا بعد فوج يهنئونني بالتوبة يقولون : ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحوله الناس فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره ، قال : فكان كعب رضي الله عنه لا ينساها لطلحة ، قال كعب رضي الله عنه : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ، قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله." (٢)

"تحت قوائمه فخرج يركض إلى الجبل هاربا من الماء.

وأخرج ابن إسحاق ، وابن عساكر عن جعفر بن محمد رضي الله عنه قال : فار الماء من التنور من دار نوح عليه السلام من تنور تختبز فيه ابنته وكان نوح يتوقع ذلك إذ جاءته ابنته فقالت : يا أبت قد فار الماء من التنور ، فآمن بنوح النجارون إلا نجارا واحدا فقال له : أعطني أجري قال : أعطيتك أجرك على أن تركب معنا ، قال : فإن ودا وسواع ويغوث ونسرا سينجوني ، فأوحى الله إليه أن أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول وكان ممن سبق عليه القول امرأته والقة وكنعان ابنه فقال : يا رب هؤلاء قد حملتهم فكيف لي بالوحش والبهائم والسباع والطير قال : أنا أحشرهم عليك : فبعث جبريل عليه السلام

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٢٩٨/٧

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٥٧٦/٧

فحشرهم فجعل يضرب بيديه على الزوجين فجعل يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيدخله السفينة حتى أدخل عدة ما أمره الله تعالى به فلما جمعهم في السفينة رأت البهائم والوحش والسباع العذاب فجعلت تلحس قدم نوح عليه السلام وتقول : احملنا معك ، فيقول : إنما أمرت من كل زوجين اثنين." (١)

"﴿لا تركضوا﴾ قال : لا تفروا ، وفي قوله : ﴿لعلكم تسألون﴾ قال : تتفهمون.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع في الآية قال : كانوا إذا أحسوا بالعذاب وذهبت عنهم الرسل من بعد ما أنذروهم فكذبوهم فلما فقدوا الرسل وأحسوا بالعذاب أرادوا الرجعة إلى الإيمان وركضوا هاربين من العذاب فقيل لهم : لا تركضوا ، فعرفوا أنه لا محيص لهم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله : ﴿إذا هم منها يركضون﴾ قال : يفرون.

وأخرج عبد الرزاق ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾ يقول : ارجعوا إلى دنياكم التي أترفتم فيها ﴿لعلكم تسألون﴾ من دنياكم شيئا استهزاء بهم ، وفي قوله : ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ قال : لما رأوا العذاب وعاينوه لم يكن لهم هجيري إلا قولهم : ﴿إنا كنا ظالمين﴾ حتى دمر الله عليهم وأهلكهم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾ قال : ارجعوا إلى دوركم وأموالكم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ قال : هم أهل حصون كانوا قتلوا نبيهم فأرسل الله عليهم بختنصر فقتلهم.

". (٢)

"وفي قوله : ﴿حتى جعلناهم حصيدا خامدين﴾ قال : بالسيف ضربت الملائكة وجوههم حتى رجعوا إلى مساكنهم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن وهب قال : حدثني رجل من المحررين قال : كان باليمن قريتان يقال لإحداهما حضور والأخرى فلانة فبطروا وأترفوا حتى كانوا

يغلقون أبوابهم فلما أترفوا بعث الله إليهم نبيا فدعاهم فقتلوه فألقى الله في قلب بختنصر أن يغزوهم فجهز إليهم جيشا فقاتلوهم فهزموا جيشه ثم رجعوا منهزمين إليه فجهز إليهم جيشا آخر أكثف من الأول فهزموهم

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٣/٨

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٢٥٩/١٠

أيضا فلما رأى بختنصر ذلك غزاهم هو بنفسه فقاتلوه فهزمهم حتى خرجوا منها يركضون فسمعوا مناديا يقول : (لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم) فرجعوا فسمعوا مناديا يقول : يا لثارات النبي فقتلوا بالسيف فهي التي قال الله : ﴿وكم قصمنا من قرية﴾ إلى قوله : ﴿خامدين﴾.

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله : ﴿حتى جعلناهم حصيدا﴾ قال : الحصاد ﴿خ امدين﴾ قال : كخمود النار إذا طفئت.

وأخرج الطستي عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له : أخبرني عن." (١)

"فيه الدواب ، اذبح هذه السخلة واسترح ، قال : أيوب : أتاك عدو الله فنفخ فيك فوجد فيك رفقا فأجبته ويلك أرأيت ما تبكين عليه مما تذكرين مما كنا فيه من

المال والولد والصحة والشباب من أعطانيه قال [قالت] : الله ، ، قال : فكم متعنا قال [قالت] : ثمانين سنة ، قال : فمذكم ابتلانا الله بهذا البلاء الذي ابتلانا به قالت : سبع سنين وأشهرا ، قال : ويلك ، والله ما عدلت ولا أنصفت ربك ألا صبرت حتى نكون في هذا البلاء الذي ابتلانا ربنا ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة حيت أمرتني أن أذبح لغير الله ، طعامك وشرابك الذي أتيتني به علي حرام أن أذوق شيئا مما تأتي به بعد إذ قلت لي هذا فاغربي عني فلا أراك ، فطردت فذهبت فقال الشيطان : هذا قد وطن نفسه ثمانين سنة على هذا البلاء الذي هو فيه فباء بالغلبة ورفضه ، ونظر إلى أيوب قد طرد امرأته وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق ومر به رجلان وهو على تلك الحال ولا والله ما على ظهر الأرض يومئذ أكرم على الله من أيوب فقال أحد الرجلين لصاحبه : لو كان لله في هذا حاجة ما بلغ به هذا ، فلم يسمع أيوب شيئا كان أشد عليه من هذه الكلمة فقال : رب ﴿مسني الضر﴾ ثم رد ذلك إلى الله فقال : ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ فقيل له : (اركض برجلك هذا مغتسل بارد) (ص آية ٤٢) فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق من دائه شيء ظاهر إلا سقط فأذهب الله عنه كل ألم." (٢)

"إلا في حق ، وكان يخرج لحاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) (ص آية ٤٢) فاستبطأته فأتته فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو أحسن ما كان فلما رأته قالت : أي بارك

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٠/٢٦٠

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٠/٣٢٩

الله فيك هل رأيت نبي الله المبتلى والله على ذاك ما رأيت رجلا أشبه به منك إذ كان صحيحا ، قال : فإني أنا هو ، قال : وكان له أندران [الأندر هو البيدر كما في النهاية] أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض.

وأخرج ابن مردويه ، وابن عساكر من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله : ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم﴾ قال : رد الله امرأته وزاد في شبابها حتى ولدت له ستة وعشرين ذكرا وأهبط الله إليه ملكا فقال : يا أيوب ربك يقرئك السلام بصبرك على البلاء فاخرج إلى أندرك [الأندر هو البيدر كما في النهاية] ، فبعث الله سحابة حمراء فهبطت عليه بجراد الذهب والملك قائم يجمعه فكانت الجراد تذهب فيتبعها حتى يردها في أندره ، قال." (١)

"وأخرج أبو العباس محمد بن اسحاق السراج في تاريخه ، وابن عبد البر في التمهيد من طريق يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : كتب صاحب الروم إلى معاوية يسأله عن أفضل الكلام ما هو والثاني ، والثالث ، والرابع ، وعن أكرم الخلق على الله وأكرم الأنبياء على الله وعن أربعة من الخلق لم يركضوا في رحم وعن قبر سار بصاحبه وعن المجرة وعن القوس وعن مكان طلعت فيه الشمس لم تطلع

قبله ولا بعده فلما قرأ معاوية الكتاب قال : أخزاه الله وما علمي ما ههنا فقيل له : اكتب إلى ابن عباس فسله ، فكتب اليه يسأله ، فكتب اليه ابن عباس : ان أفضل الكلام لا إله إلا الله كلمة الاخلاص لا يقبل عمل إلا بها والتي تليها سبحان الله وبحمده أحب الكلام إلى الله والتي تليها الحمد لله كلمة الشكر والتي تليها الله أكبر فاتحة الصلوات والركوع والسجود وأكرم الخلق على الله آدم عليه السلام وأكرم اماء الله مريم.

وأما الأربعة التي لم يركضوا في رحم فآدم وحواء والكبش الذي فدى به اسمعيل وعصا موسى حيث ألقاها فصار ثعبانا مبينا.

وأما القبر الذي سار بصاحبه." (٢)

"فقام فنحاه عن مكانه وقال ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ فركض برجله فنبعت عين فقال : اغتسل ، فأغتسل منها ثم جاء أيضا فقال ﴿اركض برجلك﴾ فنبعت عين أخرى ، فقال له : اشرب

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٣٣٣/١٠

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٢٥٨/١١

منها وهو قوله ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ وألبسه الله تعالى حلة من الجنة فتنحى أيوب فجلس في ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت : يا عبد الله أين المبتلى الذي كان ههنا لعل الكلاب ذهبت به والذئاب وجعلت تكلمه ساعة فقال : ويحك ، أنا أيوب قد رد الله علي جسدي ورد الله عليه ماله وولده عيانا ﴿ومثلهم معهم﴾ وأمطر عليهم جرادا من ذهب فجعل يأخذ الجراد بيده ثم يجعله في ثوبه وينشر كساءه فيجعل فيه فأوحى الله إليه : يا أيوب أما شبعت قال : يا رب من ذا الذي يشبع من فضلك ورحمتك.

وأخرج أحمد في الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أن إبليس قعد على الطريق فأتخذ تابوتا يداوي الناس فقالت امرأة أيوب : يا عبد الله أن ههنا مبتلى من أمره كذا وكذا ، فهل لك أن تداويه قال : نعم ، بشرط إن أنا شفيته أن يقول أنت شفيتني لا أريد منه أجرا غيره ، فأتت أيوب عليه السلام فذكرت ذلك له فقال : ويحك ، ذاك الشيطان لله علي إن شفاني الله تعالى أن أجلدك مائة جلدة فلما شفاه الله تعالى أمره أن يأخذ." (١)

"ضغثا فأخذ عذقا فيه مائة شمراخ فضرب بها ضربة واحدة.

وأخرج ابن أبي حاتم قال : الشيطان الذي مس أيوب يقال له مسوط ، فقالت امرأة أيوب أدع الله يشفيك فجعل لا يدعو حتى مر به نفر من بني إسرائيل فقال بعضهم لبعض : ما أصابه ما أصابه إلا بذنب عظيم أصابه فعند ذلك قال : (رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) (الأنبياء ٨٣).

وأخرج ابن المنذر عن ابن جرير رضي الله عنه في قوله ﴿اركض برجلك هذا﴾ الماء ﴿مغتسل بارد وشراب﴾ قال : ركض رجله اليمنى فنبعت عين وضرب بيده اليمنى خلف ظهره فنبعت عين فشرب من أحداهما واغتسل من الأخرى.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة رضي الله عنه قال : ضرب برجله." (٢)

"أرضا يقال لها الحمامة فإذا عينان ينبعان فشرب من أحداهما واغتسل من الأخرى.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير عن الحسن رضي الله عنه أن نبي الله أيوب عليه السلام لما اشتد به البلاء إما دعا وإما عرض بالدعاء فأوحى الله تعالى إليه ﴿اركض برجلك﴾ فنبعت عين فاغتسل منها فذهب ما به ثم مشى أربعين ذراعا ثم ضرب برجله فنبعت عين فشرب منها.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٥٩٩/١٢

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٠٠/١٢

وأخرج عبد بن حميد عن معاوية بن قرة رضي الله عنه قال : إن نبي الله أيوب عليه السلام لما أصابه الذي أصابه قال إبليس : يا رب ما يبالي أيوب أن تعطيه أهله ومثلهم معهم وتخلف له ماله وسلطانه سلطني على جسده قال : اذهب فقد سلطتك على جسده وإياك يا خبيث ونفسه قال فنفخ فيه نفخة سقط لحمه فلما أعياه صرخ صرخة اجتمعت إليه جنوده قالوا يا سيدنا ما أغضبك فقال ألا أغضب أني أخرجت آدم من الجنة وأن ولده هذا الضعيف قد غلبني فقالوا : يا سيدنا ما فعلت امرأته فقال : حيةٌ فقال : أما هي فقد كفيك أمرها فقال." (١)

"له : فإن أطلقتها فقد أصبت وإلا فأعطه فجاء إليها فاستبرأها فأتت أيوب فقالت له : يا أيوب إلى متى هذا البلاء كلمة واحدة ثم استغفر ربك فيغفر لك فقال لها : فعلتها أنت أيضا ، ثم قال لها أما والله لئن الله تعالى عافاني لأجلدنك مائة جلدة فقال ﴿ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ فأتاه جبريل عليه السلام فقال ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ فرجع إليه حسنه وشبابه ثم جلس على تل من التراب فجاءته امرأته بطعامه فلم تر له أثرا فقالت لأيوب عليه السلام وهو على التل : يا عبد الله هل رأيت مبتلى كان ههنا فقال لها : إن رأيتيه تعرفينه فقالت له لعلك أنت هو قال : نعم ، فأوحى الله إليه أن ﴿وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث﴾ قال : والضغث أن يأخذ الحزمة من السياط فيضرب بها الضربة الواحدة.

وأخرج أحمد في الزهد عن عبد الرحمن بن جبير رضي الله عنه قال : ابتلي أيوب عليه السلام بماله وولده وجسده وطرح في المزبلة فجعلت امرأته تخرج فتكتسب عليه ما تطعمه فحسده الشيطان بذلك فكان يأتي أصحاب الخير والغنى الذين." (٢)

"تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ قال : ما تقدم ما كان في الجاهلية وما تأخر : ما كان في الإسلام ما لم يفعله بعد.

وأخرج ابن سعد عن مجمع بن جارية رضي الله عنه قال : لما كنا بضجنان رأيت الناس يركضون وإذا هم يقولون : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فركضت مع الناس حتى توافينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يقرأ ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ فلما نزل بها جبريل عليه السلام قال : ليهنك يا رسول الله فلما هنأه جبريل عليه السلام هنأه المسلمون.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٠١/١٢

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٠٢/١٢

وأخرج ابن المنذر ، وابن مردويه ، وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ الآية إجتهد في العبادة فقيل : يا رسول الله ما هذا الإجتهاد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال : أفلا أكون عبدا شكورا.

وأخرج ابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات ، وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ صام وصلى حتى انتفخت قدماه وتعبد حتى صار كالشن

البالي فقيل له : أتفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك." (١)

"جموعا وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أشيروا علي أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم فإن قعدوا قعدوا موثورين محزونين وإن لحوا تكن عنقا قطعها الله أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر : الله ورسوله أعلم يا رسول اللهن إنما جئنا معتمرين ولم نجيء لقتال أحد ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فروحوا إذن ، فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين ، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هو بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش ، وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال النبي صلى الله عليه وسلم : حل حل فألحت فقالوا : خلأت القصواء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ، ثم قال : والذي نفس محمد بيده لا يسألوني خطة يعظمون." (٢)

" صفحة رقم ٣٢٦

قد علم أنه لا بد لأمته من حظ من مضاء كلمة العدل فيهم وحق كلمة العذاب عليهم وإجراء بعضهم دون كلهم على سنة من تقدمهم من اهل الكتب الماضية فب المؤاخذة بذنوبهم وإنفاذ حكم السطوة فيهم فأخذهم الله بذنوبه

٧٧ ( ) فكلا أخذنا بذنبه ( ) ٧

[العنكبوت : ٤٠] ولم ينفعهم الرجوع عند مشاهدة الآيات

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٤٦٥/١٣

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٤٩٠/١٣

٧٧ ( ) الأن وقد عصيت قبل ( ) ٧

[يونس : ٩١]

٧٧ ( ) لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم ( ) ٧

[الأنبياء : ١٣] وذلك أن كل مطالع بالعذاب راجع – ولا بد – عن باطله حين لا ينفعه

٧٧ ( ) وحرام على قرية أهلكناها إنهم لا يرجعون ( ) ٧

[الأنبياء : ٩٥]

٧٧ ( ) إلا قوم يونس لما آمنوا كسفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ( ) ٧

[يونس : ٩٨] لما أبطن تعالى في قلب نبيهم عليه السلام عزما على هلاكهم ، أظهر تعالى رحمة عليهم ، ولما ملأ نبيه (صلى الله عليه وسلم) رحمه لأمته : كافرهم ومؤمنهم ومنافقهم ، أشار بآي من إظهار مؤاخذاتهم وأعلم بكف نبيه (صلى الله عليه وسلم) عن تألفهم وأحسبه بمؤمنهم دون كافرهم ومنافقهم

٧٧ ( ) يأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ( ) ٧

[الأنفال : ٦٤] وكل ذلك معلوم عنده (صلى الله عليه وسلم) قبل وقوعه بمضمون قوله تعالى : (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا (

٧٧ ( ) سنة الله التي قد خلت من قبل ( ) ٧

[الفتح : ٢٣] ،

٧٧ ( ) فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ( ) ٧

[يونس : ٩٤] ،

٧٧ ( ) كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ( ) ٧

[الحجر : ١٢ – ١٣] ولذلك قال (صلى الله عليه وسلم) حين أنزل عليه

٧٧ ( ) فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك ( ) ٧

[يونس : ٩٤] : (أما أنا فلا أشك ولا أسأل) ، لأنه قدعلم جملة أمر الله أن منهم من يتداركه الرحمة ومن يحق عليه كلمة العذاب ، ولكنه لا يزال ملتزما لتألفهم واستجلابهم حتى يكره على ترك ذلك بعلن خطاب نحو قوله تعالى :

٧٧ ( ) عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك إلا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا إنها تذكره فمن شاء

ذكره ( ) ٧

[عبس : ١ – ١٢] ونحو قوله تعالى :

٧٧ ( ) ما كان لنبي أنة يكون له أسرى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم ( ) ٧

[الأنفال : ٦٧ – ٦٩] فهذه الآي ونحوها يسمعها العالم بموقعها على إكراه لنبي الرحمة حتى يرجع إلى عدلنبي الملحمة من جملة امداح القرآن له والشهادة بوفائه بعهد ووصية حتى تحقق له تسميته بنبي الرحمة ثابتا على الوصية ونبي الملحمة إمضاء في وقت لحكم الحق وإظهار العدل ، فهو (صلى الله عليه وسلم) بكل القرآن ممدوح وموصوف بالخلق العظيم جامع لما تضمنته كتب." [١]

" صفحة رقم ٧٠

أرشد إليه التقدير من مثل : بل جعلناهم جسدا يأكلون ويشربون ، ويعيشون إلى انقضاء آجالهم ويمتون ، وأرسلناهم إلى أممهم فحذروهم وأنذروهم وكلموهم كما أمرناهم ، ووعدناهم أن من آمن بهم أسعدناه ، ومن كفر واستمر أشقيناه ، وأنا نهلك من أردنا من المكذبينن فآم بهم بعض وكفر آخرون ؛ فلم نعاجلهم بالأخذ بل صبرنا عليهم ، وطال بلاء رسلنا بهم) ثم صدقناهم (بما اقتضت عظمتنا ، وأكد الأمر بتعدية الفعل من غير حرف الجر فقال : (الوعد) أي بإنجائهم ؛ وأشار بأداة التراخي إلى أنهم طال بلاؤهم بهم وصبرهم عليهم ، ثم أحل بهم سطوته ، وأراهم عظمته ، ولذا قال مسببا عن ذلك : (فأنجيناهم) أي الرسل بعظمتنا ، ولكون السياق لأنهم في غاية الغفلة التي نشأ عنها التكذيب البليغ الذي اقتضى تنويع القول به إلى سحر وأضغاث وافتراء وشعر ، فاقتضى مقابلته بصدق الوعد منه سبحانه ، عبر بالإنجاء الذي هو إقلاع من وجدة العذاب في غاية السرعة) ومن نشآء (أي من تابيعهم .

إشارة إلى أن سبب الإنجاء المشيئة لا أن التصديق موجب له ، لأنه لا يجب عليه سبحانه وتعالى شيء) وأهلكنا) أي بما يقتضيه الحكمة) المسرفين (كلهم الذين علمنا أن الإسراف لهم وصف لا زم لا ينفكون عنه .

الأنبياء : (١٠ – ١٥) لقد أنزلنا إليكم. .. . .

) لقد أنزلنآ إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلمآ أحسوا بأسنآ إذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا إلى مآ أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون قالوا

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣/٣٢٦

يويلنآ إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (( )
ولما انقضى ما لزمهم بسبب الإقرار برسلية البشر من الإقرار برسلية رسولهم (صلى الله عليه وسلم) لمونه مساويا لهم في النوع والإتيان بالمعجز ، وما فعل بهم وبأممهم ترغيبا وترهيبا ، وختم ذلك بأنه أباد المسرفين ، ومحا ذكرهم إلا بالبشر ، التفت إلى الذكر الذي طعنوا فيه ، فقال مجيبا لمن كأنه قال : هذا الجواب عن طعن في الرسول قد عرف ، فما الجواب عن الطعن في الذكر ؟ معرضا عن جوابهم لما تقدم من الإشارة بحرف الإضراب إلى أن ما طعنوا به فيه لا يقوله عاقل ، مبينا لما لهم فيه من الغبطة التي هم لها رادون ، والنعمة التي هم بها كافرون : (لقد) أي وعزتنا لقد) أنزلنا (بما لنا من العظمة) إليكم (يا معشر قريش بل العرب قاطبة) كتابا) أي جامعا لجميع المحاسن لا يغسله الماء ولا يحرقه النار) فيه ذكركم (طوال الدهر بالخير إن أطعتم ، والشر إن عصيتم ، وبه شرفكم على سائر الأمم بشرف ما فيه من مكارم الأخلاق التي كنتم تتفاخرون بها وبشرف نبيكم الذي تقولون عليه الأباطيل ، وتكثرون فيه القال والقيل .." (١)
" صفحة رقم ٧١
ولما تم ذلك على هذا الوجه ، نبه أنه يتعين على كل ذي لب الإقبال عليه والمسارعة إليه ، فحسن جدا قوله منكرا عليهم منبها على أن علم ذلك لا يحتاج إلى غير العقل المجرد عن الهوى : (أفلا تعقلون (. ولما كان التقدير : فإن عدلتم بقبوله شرفناكم ، وإن ظلمتم برده عنادا أهلكناكم كما أهلكنا من كان قبلكم ، عطف عليه قوله : (وكم قصمنا) أي بعظمتنا) من قرية (جعلناها كالشيء اليابس الذي كسر فتباينت أجزاؤه ، والإناء الذي فت فانكب ماؤه ؛ وأشار بالقصم الذي هو أفظع الكسر إلى أنها كانت باجتماع الكلمة وشدة الشكيمة كالحجر الرخام في الصلابة والقوة ، و (كم) في هذا السياق يقتضي الكثرة ، ثم علل إهلاكها وانتقالها بقوله : (كانت ظالمة (ثم بين الغنى عنها بقوله : (وأنشأنا) أي بعظمتنا .
ولما كان الدهر لم يخل قط بعد آدم من إنشاء وإفناء ، فكان المراد أن الإنشاء بعد الإهلاك يستغرق الزمان على التعاقب ، بيانا لأن المهلكين ضروا أنفسهم من غير افتقار إليهم ، اسقط الجار فقال : (بعدها قوما) أي الأقوياء ، وحقق أنهم لا قرابة قريبة بينهم بقوله : (ءاخرين (ثم بين حالها عند إحلال البأس بها فقال : (فلما أحسوا (اي أدرك أهلها بحواسهم) باسنا (اي بما فيه من العظمة) إذا هم) أي من غير توقف أصلا) منها) أي القرية) يركضون (هاربين عنها مسرعين كمن يركض الخيل – أي يحركها – للعدو ، بعد تجبرهم على الرسل وقولهم لهم

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٧٠

٧٧ ( ) لنخرجكم من أرضنا أو لتعدن في ملتنا ( ) ٧
[إبراهيم : ١٣] فنادهم لسان الحال تقريعا تبشيعا لحالهم وتفظيعا : (لا تركضوا (وصور التهكم بهم بأعظم صورة فقال : (وارجعوا (إلى قريتكم) إلى ما (.
ولما كان الاسيف إنما هو على العيش الرافه لا على كونه من معط معين ، بني للمفعول قوله : (أترفتم فيه) أي منها ، ويجوز أن يكون بني للمجهول إشارة إلى غفلتهم عن العلم لمن أترفهم أو إلى أنهم كانوا ينسبون نعمتهم إلى قواهم ، ولو عدوها من الله لشكروه فنفعهم .
ولما كان أعظم ما يؤسف عليه بعد العيش الناعم المسكن ، قال : (ومساكنهم) أي التي كنتم تفتخون بها على الضعفاء من عبادي بما أتقنتم من بنائها ، وأوسعتم من فنائها ، وعليتم من مقاعدها ، وحسنتمك نم مشاهدها ومعاهدها) لعلكم تسألون (في الإيمان بما كنتم تسألون ، فتابوا بما عندكم من الأنفة ومزيد الحمية والعظمة ، أو تسألون في الحوائج والمهمات ، كما يكون الرؤساء في مقاعدهم العلية ، ومراتبهم البهية ، فيجيبون سائلهم بما شاؤوا على تؤدة وأحووال مهل تخالف أحوال الراكض العجل
٧٧ ( ) أولم تكنوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ( ) ٧
[إبراهيم : ٤٤] .." (١)
" صفحة رقم ١٠٤
أو حفظ أو ابتداء ، وبدأهم بمن أعاد له ما كان أعدمه من أهل ومال ، وسخر له عنصر الماء في إعادة لحمه وجلده ، لأن الإعادة هي المقصودة بالذات في هذه السورة فقال : (وأيوب) أي واذكر أيوب ، قالوا : وهو ابن أموص بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، وكان صاحب البثنية من بلاد الشام ، وكان الله قد بسط عليه الدنيا فشكره سبحانه ثم ابتاله فصبر) إذ نادى ربه (اي المحسن إليه في عافيته وضره بما آتاه من صبره) إني مسني الضر (بتسليطك الشيطان علي في بدني وأهلي ومالي وقد طمع الآن في ديني ، وذلك أنه زين لامرأة أيوب عليه السلام أن تأمره ان يذبح الصنم فإنه يبرأ ثم يتوب ، ففطن لذلك وحلف : ليضربها إن برأ ، وجزع من ذلك ، والشكوى غلى الله تعالى ليست من الجزع فلا تنافي الصبر ، وقال سفيان بن عيينة : ولا من شكا إلى الناس وهو في شكواه راض بقضاء الله تعالى .
(وأنت) أي والحال أنك أنت) أرحم الراحمين (فافعل بي ما يفعل الرحمن بالمضرور ، وهذا تعريض بسؤال الرحمة حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة ، وربه بأبلغ صفاتها ولم يصرح ، فكان ذلك ألطف في

---
(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٧١

السؤال ، فهو أجدر بالنوال) فاستجبنا له (اي أوجدنا إجابته إيجاد من كأنه طالب لها بسبب ندائه ، هذا بعظمتنا في قدرتنا على الأمور الهائلة ، وسبب عن ذلك قوله : (فكشفنا) أي بما لنا من ا لعظمة) ما به من ضر (بأن أمرناه أن يركض برجله ، فتنبع له عين من ماء ، فيغتسل فيها ، فينبت لحمه وجلده أحسن ما كان وأصحه ودل على تعاظم هذا الأمر بقوله : (وءاتيناه أهله) أي أولاده وما تبعه من حشمة ، أحييناهم له بعد أن كانوا ماتوا) ومثلهم) أي وأوجدنا له مثلهم في الدنيا ، فإن قوله : (معهم (يدل على أنهم وجدوا عند وجدان الأهل ، حال كون ذلك الكشف الإيتاء) رحمة) أي نعمة عظيمة تدل على شرفه بما شأنه الءطف والتحنن ، وهو من تسمية المسبب باسم السبب ، وفخمها بقوله : (من عندنا (بحيث لا يشك من ينظر ذلك أنا ما فعلناه إلا رحمة منا له وأن غيرنا لم يكن يقدر على ذلك) وذكرى) أي عظة عظيمة) للعابدين (كلهم ، ليتأسوا به فيصبروا إذا ابتلوا بفتنة الضراء ولا يظنوما أنها لهوانهم ، ويشكروا إذا ابتلوا بنعمة السراء لئلا تكون عين شقائهم ، واتبعه سبحانه بمن أنبع له من زمزم ماء باقيا شريفا ، إشارة إلى شرفه وشرف ولده خاتم الرسل ببقاء رسالته ومعجزته فقال : (إسماعيل) أي ابن إبراهيم عليه السلام الذي سخرنا له من الماء بواسطة الروح الأمين ما عاش به صغيرا بعد أن كان هالكا لا محالة ، ثم جعناه طعام طعم وشفاء سقم دائما ، وصناه – وهو كبير – من الذبح فذبحه أبوه واجتهد في إتلافه إمتثالا لأمرنا فلم ينذبح كما اقتضته إرادتنا) وإدريس) أي ابن شيث بن آدم عليهم السلام الذي احييناه." (١)

" صفحة رقم ٣٨٩

وقرئ بضم الصاد أيضا وقرئ بالتحريك كالرشد والرشد ، وكان ذلك إشارة إلى أحوال الضر في الشدة والخفة فالمسكن أدناه ، والمحرك أوسطه ، والمثقل الضم أعلاه) عذاب) أي نكد قوي دائم مانع من كل ما يلذ ، ويمكن أن يساغ ويستطعم أجمله ، ونكره تنكير لتعظيم استغنائه على وجازته عن جمل طوال ودعاء عريض إعلاما بأن السيل قد بلغ الزبى ، وأوهن البلاء القوي ، ولم يذكره بلفظ إبليس الذي هو من معنى اليأس وانقطاع الرجاء دلالة على أنه هو راج فضل الله غير آيس من روحه ، وذلك أن الله تعالى سلطه على إهلاك أهله وولده وماله فصبر ثم سلطه على بدنه إلى أن سقط لحمه واستمر على ذلك مددا طوالا ، فلذلك ثم تراءى لزوجته رضي الله عنها في زي طبيب وقال لها : أنا أداويه ولا أريد أن يقول لي ، إذت عوفي أنت شفيتني ، وقيل : قال لها : لو سجد لي سجدة واحدة شفيته ، فأتته وحدثته بذلك فأخبرها وعرفها أنه الشيطان ، وحذرها منه وخاف غائله عليها ، فدعا الله بما تقدم وشدد النكير والتعظيم لما

---

(١) نظم الد رر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٠٤/٥

وسوس لها به بأن حلف ليضربها مائة ضربة ، ردعا لها عن الإصغاء إلى شيء من ذلك ، وتهوينا لما يلقاه من بلائه في جنبه .

ص : (٤٢ – ٤٥) اركض برجلك هذا. .. . .

) اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب واذكر عبادنآ إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار (( )

ولما تشوف السامع إلى جوابه عن ذلك ، استأنف قوله : (اركض) أي قلنا له : اضرب الأرض وأوجد الركض وهو المشي والتحريك والإسراع والاستحثاث) برجلك (يخرج منها ماء نافع حسن لتغتسل فيه وتشرب منه ففعل فأنبعنا له عينا ، فقيل له : (هذا (بإشارة القريب إشارة إلى تسهله) مغتسل) أي ماء يغتسل به وموضعه وزمانه) بارد (أي يبرد حر الظاهر) وشراب (يبرد حر الباطن .

ولما كان التقدير : ففعل اغتسل فبرأ ظاهره وسر باطنه ، عطف عليه قوله صارفا القول إلى مظهر الجلال تنبيها على عظمة الفعل : (ووهبنا) أي بما لنا من العظمة) له أهله) أي الذين كان الشيطان سلط عليهم بأن أحييناهم ، وجمع اعتبارا بالمعنى لأنه أفخم وأقرب إلى فهم المراد فقال : (ومثلهم (وأعلم باجتماع الكل في آن واحد فقال : (معهم (جددناهم له وليعلم من يسمع ذلك أنه لا عبرة بشسء من الدنيا وأنها وكل ما فيها عرض زائل لا ثبات له اصلا إلا ما كان لنا ، فإنه من الباقيات الصالحات ، فلا يغير أحد بشيء منها ولا يشتغل عنا أصلا ، ويعلم من هذا من صدقه القدروة على البعث بمجرد تصديقه له ومن توقف فيه سأل أهل الكتاب فعلم ذلك." (١)

" صفحة رقم ٣٩٠

بتصديقهم له ، ثم علل سبحانه فعله ذلك بقوله : (رحمة (ولما كان في مقام الحث على الصبر عظم الأمر بقوله : (منا (فإنه أعظم من التعبير في سورة الأنبياء بعندنا ، ليكون ذلك أحث على لزوم الصبر ، وإذا نظرت إلى ختام الآيتين عرفت تفاوت العبارتين ولاح لك أن مقام الصبر لا يساويه شيء ، لأن الطريق إليه سبحانه لا ينفك شيء منه عن صبر وقهر للنفس وجبر ، لأنها بالإجماع خلاف ما تدعو إليه الطبائع) وذكرى) أي إكراما وتذكيرا عظيما) لأولي الألباب) أي الأفهام الصافية ، جعلنا ذلك لرحمته ولتذكير غيره من الموصوفين على طول الزمان ليتأسى به كل مبتلى ويرجو مثل ما رجا ، فإن رحمة الله واسعة ، وهو

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٨٩/٦

عند القلوب المنكسرة ، فما بينه وبين الإجابة إلا حسن الإنابة ، فمن دام إقباله عليه أغناه من غيره :

لكل شيء إذا فارقته عوض وليس لله إن فارقت من عوض

ولما أجمل العذاب الصالح لألم الظاهر ، وذكر المخلص منه ، أتبعه التنبيه على أعظمه وهو ألم الباطن ، بل أبطن الباطن التعلق بالاعتقاد فيما وسوس لزوجه رضي الله عنها بما كاد يزلها فحلف ليضربها مائة لئلا إلى المخلص من ذلك الحلف على أخف وجه لأنها كانت صابرة محسنة ، فشكر الله لها ذلك ، وجعل هذا المخلص بعدها سنة باقية لعباده تعظيما لأجرها وتطييبا لذكرها فقال عاطفا على) اركض ( ) وخذ بيدك) أي التي قد صارت في غاية الصحة) ضغثا) أي حزمة صغيرة من حشيش فيها مائة عود كمشراخ النخلة ، قال الفراء : هو كل ما جمعته من شيء مثل الحزمة الرطبة ، وقال السمين : وأصل المادة يدل على جميع المختلطات) فأضرب به) أي مطلق ضرب ضربة واحدة) ولا تحنث (في يمينك أي تأثم بترك ما حلفت على فعله ، فهذا تخفيف على كل منهما لصبره ، ولعل الكفارة لم تكن فيهم وخصنا الله بها مع شرعه فينا ما أرخصه له تشريفا لنا ، وكل هذا إعلاما بأن الله تعالى ابتلاه (صلى الله عليه وسلم) في بدنه وولده وماله ، ولم يبق له إلا زوجة فوسوس لها الشيطان طمعا في إيذائهما كما أذى آدم وحواء عليهما السلام ، إلى أن قارب منها بعض ما يريد ، والمراد بالإعلام به تذكير النبي (صلى الله عليه وسلم) بأنه إن كان مكن الشيطان من الوسوسة لأقاربه والإغواء والإضلال فقد من عليه بزوجه أعظم وزراء الصدق وكثير من أقاربه الأعمام وبني الأعمام وغيرهم ، وحفظ له بدنه وماله ليزداد شكره لله تعالى ، وفي القصة إشارة إلى أنه قادر على أن يطيع له من يشاء ، فإنه قادر على التصرف في المعاني كقدرته على التصرف في الذوات ، وأنه سبحانه يهب لهذا النبي الكريم قومه العرب الذين هم الآن أشد الناس عليه وغيرهم فيطيعه الكل .." (١)

" صفحة رقم ٦٢٣

بشارة عند من خفف وبشارة كثيرة عند من ثقل ، وزاد البشارة بالاسم الأعظم ، فقال لافتا القول إليه : (الله) أي الملك الأعظم والعائد وهو (به) محذوف تفخيما للمبشر به لأن السياق لتعظيمه بالبشارة وبجعلها بأداة البعد وبالوصف بالذي ، وذكر الاسم الأعظم والتعبير بلفظ العباد مع الإضافة إلى ضميره سبحانه فأفهم حذفه أن الفعل واقع عليه واصل بغير واسطة إليه ، فصار كأنه مذكور وظاهر ومنظور فقال : (عباده (ومن المعلوم أن كل أحد يعظم من اختصه لعبوديته .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/٣٩٠

ولما أشعر بالإضافة لصلاحهم ، نص عليه بقوله : (الذين آمنوا) أي صدقوا بالغيب) وعملوا (تحقيقا لإيمانهم) الصالحات (وذلك الذي مضى قلبه الذي ينذر به الذين كفروا .

ولما كانت العادة جارية بأن البشير لا بد له من حياء وإن لم يسأل لأن بشارته قائمة مقام السؤال ، قال كعب بن مالك رضي الله عنه : لما أذن الله بتوبته عليٍنا ركض نحوي راكض على فرس وسعى ساع على رجليه ، فأوفى على جبل سلع ونادى : يا كعب بن مالك أبشر ، فقد تاب الله عليك ، فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته خلعت له ثوبي ، فدفعتهما إليه ، والله ما أملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين فلبستهما – إلى آخر حديثه ، كان كأنه قيل : ماذا تطلب على هذه البشارة ، فأمر بالجواب بقوله : (قل) أي لمن توهم فيك ما جرت به عادة المبشرين : (لا أسئلكم) أي الآن ولا في مستقبل الزمان) عليه) أي البلاغ بشارة ونذارة) أجرا) أي وإن قل) إلا) أي لكن أسألكم) المودة) أي المحبة العظيمة الواسعة .

ولما كانوا يثابرون على صلة الأرحام وإن بعدت والأنساب لذلك قال : (في القربى) أي مظروفة فيها بحيث يكون القربى موضعا للمودة وظرفا لها ، لا يخرج شيء من محبتكم عنها ، فإنها يها يتم أمر الدين ويكمل الاجتماع فيه ، فإنكم إذا وصلتم ما بيني وبينكم من الرحم لم تكذبوني بالباطل ، ولم تردوا ما جئتكم به من سعادة الدارين ، فأفلحتم كل الفلاح ودامت الألفة بيننا حتى نموت ثم ندخل الجنة فتستمر ألفتنا دائما أبدا وقد شمل ذلك جميع القرابات ولم يكن بطن من قريش إلا وله (صلى الله عليه وسلم) فيهم قرابة ، رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال : إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة ، وروى عن سعيد بن جبير : إلا أن تؤدوني في قرابتي أي تبروهم وتحسنوا إليهم ، قال ابن كثير : وقال السدي : لما جيء بعلي بن الحسين أسيرا فأقيم على درج." (١)

" صفحة رقم ٥٠٩

ولما كانت دالة على الضابحات بالالتزام ، قال ناصبا ب (تضبح) مقدارا : (ضبحا (والضبح صوت جهير من أفواهها عند العدو الشديد ، ليس بصهيل ولا حمحمة ولا رغاء وهو النفس ، وليس من الدواب يضبح غير الفرس والكلب والثعلب ، وأصله للثعلب واستيعر للخيل ، وحكاه ابن عباس رضي الله عنهما فقال : أح أح ، أو الضبح عدو دون التقريب .

ولما ذكر عدوها ، أتبعه ما ينشأ عنه ، فقال عاطفا بأداة التعقيب لأن العدو بحيث يتسبب عنه ويتعقبه

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/٦٢٣

الإيراء : (فالموريات) أي المخرجات للنار بما يصطك من نعلها بالأحجار ، لا سيما عند سلوك الأوعار .

ولما كان الإيراء أثر القدح قال : (قدحا) أي تقدح ضربا بعنف كضرب الزند ليوري النار ، ونسب الإيراء إليها لإيجادها صورته وإن لم يكن لها قصد إليه .

ولما ذكر العدو وما يتأثر عنه ، ذكر نتيجته وغايته فقال : (فالمغيرات) أي بإغارة أهلها عليها على العدو والإغارة والركض الشديد لإرادة القتل والنهب .

ولما كانت الإغارة الكائن عنها الثبور والويل أروع ما تكون في أعقاب الليل قال : (صبحا) أي ذات دخول في الصباح .

ولما كان الأعداء حال الإغارة يكون مختلفا تارة يمينا وتارة شمالا وتارة أماما وتارة وراء بحسب الكر والفر في المصاولة والمحاولة تارة أثر الهارب ، وأخرى في مصاولة المقبل المحارب ، فينشأ عنها الغبار الكثير لإثارة الهواء له واصطدام بعضه ببعض لتعاكسه بقوة الدفع من قوائمها وما تحركه منه ، وكان المقسم به منظورا فيه إلى ذاته ونتيجة القسم منظورا فيها إلى الفعل بادئ بدء مع قطع النظر بالأصالة عن الذات ، عطف على اسم الفاعل بعد حله إلى أن وصلتها فقال : (فأثرن به) أي بفعل الإغارة ومكانها وزمانها من شدة العدو) نقعا) أي غبارا مع الاعناق والصياح والزجر بالعنق حتى صار ذلك الغبار منحبكا ومنعقدا عليها .

ولما كان المغير يتوسط الجمع عند اختلال حالهم فيفرق شملهم لأنهم متى افترقوا حصل فيهم الخلل ، ومتى اختلفوا تخللهم العدو ففرق شملهم قال : (فوسطن به) أي بذلك النقع أو الفعل والوقت والموضع) جمعا) أي وهو المقصود بالإغارة ، فدخلت في وسط ذلك الجمع لشجاعتها وقوتها وطواعيتها وشجاعة فرسانها .

ولما أقسم بالخيل التي هي أشرف الحيوان كما أن الإنسان المقسم لأجله أشرف ما اتصف منه بالبيان ، وتجري به أفكاره كخيل الرهان ، وتقدح المعاني تارة مقترنة." (١)

"وحكى الطبري وغيره في كيفية نجاتهم أن موسى عليه السلام أوحي إليه أن يسري من مصر ببني إسرائيل فأمرهم موسى أن يستعيروا الحلي والمتاع من القبط وأحل الله ذلك لبني إسرائيل فسرى بهم موسى من أول الليل فأعلم فرعون فقال لا يتبعنهم أحد حتى تصيح الديكة فلم يصح تلك الليلة بمصر ديك حتى

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٨/٥٠٩

أصبح وأمات الله تلك الليلة كثيرا من أبناء القبط فاشتغلوا في الدفن وخرجوا في الأتباع مشرقين وذهب موسى إلى ناحية البحر حتى بلغه وكانت عدة بني إسرائيل نيفا على ستمائة ألف وكانت عدة فرعون ألف ألف ومائتي ألف

وحكى غير هذا مما اختصرته لقلة ثبوته فلما لحق فرعون موسى ظن بنو إسرائيل أنهم غير ناجين فقال يوشع بن نون لموسى أين أمرت فقال هكذا وأشار إلى البحر فركض يوشع فرسه فيه حتى بلغ الغمر ثم رجع فقال لموسى أين أمرت فوالله ما كذبت ولا كذبت فأشار إلى البحر وأوحى الله تعالى إليه " أن اضرب بعصاك البحر " الشعراء ٦٣

وأوحى إلى البحر أن انفرق لموسى إذا ضربك فبات البحر تلك الليلة يضطرب فحين أصبح ضرب موسى البحر وكناه أبا خالد فانفرق وكان ذلك في يوم عاشوراء

سورة البقرة ٥٠ - ٥٣

" فرقنا " معناه جعلناه فرقا وقرأ الزهري فرقنا بتشديد الراء ومعنى " بكم " بسببكم وقيل لما كانوا بين الفرق وقت جوازهم فكأنه بهم فرق وقيل معناه لكم والباء عوض اللام وهذا ضعيف و " البحر " هو بحر القلزم ولم يفرق البحر عرضا جزعا من ضفة إلى ضفة وإنما فرق من موضع إلى موضع آخر في ضفة واحدة وكان ذلك الفرق بقرب موضع النجاة ولا يلحق في البر إلا في أيام كثيرة بسبب جبال وأوعار حائلة

وذكر العامري أن موضع خروجهم من البحر كان قريبا من برية فلسطين وهي كانت طريقهم

١٤٢

وقيل انفلق البحر عرضا وانفرق البحر على اثني عشر طريقا طريق لكل سبط فلما دخلوها قالت كل طائفة غرق أصحابنا وجزعوا فقال موسى اللهم أعني على أخلاقهم السيئة فأوحى الله إليه أن أدر عصاك على البحر فأدارها فصار في الماء فتوح كالطاق يرى بعضهم بعضا وجازوا وجبريل صلى الله عليه وسلم في ساقتهم على ما ذيانة يحث بني إسرائيل ويقول لآل فرعون مهلا حتى يلحق آخركم أولكم فلما وصل فرعون إلى البحر أراد الدخول فنفر فرسه فتعرض له جبريل بالرمكة فاتبعها الفرس ودخل آل فرعون وميكائيل يحثهم فلما لم يبق إلا ميكائيل في ساقتهم على الضفة وحده انطبق البحر عليهم فغرقوا

و " تنظرون " قيل معناه بأبصاركم لقرب بعضهم من بعض

وقيل معناه ببصائركم للاعتبار لأنهم كانوا في شغل عن الوقوف والنظر بالأبصار

وقيل إن آل فرعون طفوا على الماء فنظروا إليهم

وقيل المعنى وأنتم بحال من ينظر لو نظر كما تقول هذا الأمر منك بمرأى ومسمع أي بحال تراه وتسمعه إن شئت
". (١)

"ومجاهد وغيرهما هو عائد على محمد صلى الله عليه وسلم أي يعرفون صدقه ونبوته والفريق الجماعة وخص لأن منهم من أسلم ولم يكتم والإشارة بالحق إلى ما تقدم من الخلاف في ضمير " يعرفونه " فعم الحق مبالغة في ذمهم و " هم يعلمون " ظاهر في صحة الكفر عنادا

وقوله تعالى " الحق من ربك " " الحق " رفع على إضمار الابتداء والتقدير هو الحق ويصح أن يكون ابتداء والخبر مقدر بعده وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه " الحق " بالنصب على أن العامل فيه " يعلمون " ويصح نصبه على تقدير الزم الحق

وقوله تعالى " فلا تكونن من الممترين " الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته وامترى في الشيء إذا شك فيه ومنه المراء لأن هذا يشك في قول هذا وأنشد الطبري شاهدا على أن الممترين الشاكون قول الأعشى

(تدر على اسؤق الممترين

ركضا إذا ما السراب ارجحن) " المتقارب "

ووهم في ذلك لأن أبا عبيدة وغيره قالوا الممترون في البيت هم الذين يمرون الخيل بأرجلهم همزا لتجري كأنهم يحتلبون الجري منها فليس في البيت معنى من الشك كما قال الطبري

وقوله تعالى " ولكل وجهة " الآية الوجهة فعلة من المواجهة كالقبلة وقوله " هو " عائد على اللفظ المفرد في " كل " والمراد به الجماعات

المعنى لكل صاحب ملة وجهة هو موليها نفسه قاله الربيع وعطاء وابن عباس وقرأ ابن عباس وابن عامر وحده من السبعة " هو مولاها " وقالت طائفة الضمير في " هو " عائد على الله تعالى والمعنى الله موليها إياهم وقالت فرقة المعنى في الآية أن للكل دينا وشرعا وهو دين الله وملة محمد وهو موليها إياهم اتبعها من اتبعها وتركها من تركها وقال قتادة المراد بالآية أن الصلاة إلى الشام ثم الصلاة إلى الكعبة لكل واحدة منهما وجهة الله موليها إياهم وحكى الطبري أن قوما قرؤوا " ولكل وجهة " بإضافة كل إلى وجهه وخطأها الطبري

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١٢٣/١

قال القاضي أبو محمد وهي متجهة أي فاستبقوا الخيرات لكل وجهة
ولاكموها ولا تعترضوا فيما أمركم من هذه وهذه أي إنما عليكم الطاعة في الجميع وقدم قوله " لكل وجهة " على الأمر في قوله " فاستبقوا " للاهتمام بالوجهة كما يقدم المفعول وذكر أبو عمرو الداني هذه القراءة عن ابن عباس رضي الله عنه وسلمت الواو في وجهة ولم تجر كعدة وزنة لأن " وجهة " ظرف وتلك مصادر فسلمت للفرق وأيضا فليكمل بناء الهيئة كالجلسة قال أبو علي ذهب قوم إلى أنه مصدر شذ عن القياس فسلم ومال قوم إلى أنه اسم ليس بمصدر
قال غير أبي علي وإذا أردت المصدر قلت جهة
قال القاضي أبو محمد وقد يقال الجهة في الظرف وحكى الطبري عن منصور أنه قال نحن نقرؤها ولكل جعلنا قبلة يرضونها
٢٢٥
." (١)

"وقالت فرقة في همه إنما كان بخطرات القلب التي لا يقدر البشر عن التحفظ منها ونزع عند ذلك ولم يتجاوزه فلا يبعد هذا على مثله عليه السلام وفي الحديث إن من هم بسيئة ولم يعملها فله عشر حسنات وفي حديث آخر حسنة فقد يدخل يوسف في هذا الصنف .
وقالت فرقة كان هم يوسف بضربها ونحو ذلك .
قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف البتة والذي أقول في هذه الآية إن كون يوسف نبيا في وقت هذه النازلة لم يصح ولا تظاهرت به رواية وإذا كان ذلك فهو مؤمن قد أوتي حكما وعلما ويجوز عليه الهم الذي هو إرادة الشيء دون مواقعته وان يستصحب الخاطر الرديء على ما في ذلك من الخطيئة وإن فرضناه نبيا في ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندي إلا الهم الذي هو الخاطر ولا يصح عليه شيء مما ذكر من حل تكة ونحو ذلك لأن العصمة مع النبوة وما روي من أنه قيل له تكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء فإنما معناه العدة بالنبوة فيما بعد والهم بالشيء مرتبتان فالواحدة الأولى تجوز عليه مع النبوة والثانية الكبرى لا تقع إلا من غير نبي لأن استصحاب خاطر المعصية والتلذذ به معصية تكتب وقول النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به نفوسها ما لم تنطق به أو تعمل .
معناه من الخواطر وأما استصحاب الخاطر فمحال أن يكون مباحا فأن وقع فهو خطيئة من الخطايا لكنه

(١) المحرر الوجيز ، ١/٢١٠

ليس كمواقعة المعصية التي فيها الخاطر ومما يؤيد أن استصحاب الخاطر معصية قول النبي صلى الله عليه وسلم إنه كان حريصا على قتل صاحبه .

وقول الله تعالى " إن بعض الظن إثم " وهذا منتزع من غير موضع من الشرع والإجماع منعقد أن الهم بالمعصية واستصحاب

التلذذ بها غير جائز ولا داخل في التجاوز .

واختلف في البرهان الذي رأى يوسف وقيل نودي .

واختلف فيما نودي به فقيل ناداه جبريل يا يوسف تكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء وقيل نودي يا يوسف لا تواقع المعصية فتكون كالطائر الذي عصى فتساقط ريشه فبقي ملقى ناداه بذلك يعقوب وقيل غير هذا مما في معناه .

وقيل كان البرهان كتابا رآه مكتوبا فقيل في جدار المجلس الذي كان فيه وقيل بين عيني زليخا وقيل في كف من الأرض خرجت دون جسد واختلف في المكتوب فقيل قوله تعالى " أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت " وقيل قوله تعالى " ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا " وقيل غير هذا .

وقيل كان البرهان أن رأى يعقوب عليه السلام ممثلا معه في البيت عاضا على إبهامه وقيل على شفته .

وقيل بل انفرج السقف فرآه كذلك .

وقيل إن جبريل قال له لئن واقعت المعصية لأمحونك من ديوان النبوة وقيل إن جبريل ركضه فخرجت شهوته على أنامله .

". (١)

"ما يشبه الكسر وهو إهلاكهم وأوقع هذه الأمور على القرية والمراد أهلها وهذا مهيع كثير ومنه " ما آمنت قبلهم من قرية " وغيره وقوله تعالى " وأنشأنا " أي خلقنا وبثثنا أمة أخرى غير المهلكة وقوله تعالى " فلما أحسوا " وصف عن قرية من القرى المجملة أولا قيل كانت باليمن تسمى حصورا بعث الله تعالى إلى أهلها رسولا فقتلوه فأرسل الله تعالى بخت نصر صاحب بني إسرائيل فهزموا جيشه مرتين فنهض في الثالثة بنفسه فلما مزقهم وأخذ القتل فيهم ركضوا هاربين ويحتمل أن لا يريد بالآية قرية بعينها وأنه واصف حال كل قرية من القرى المعذبة وأن أهل كل قرية كانوا إذا أحسوا العذاب من أي نوع كان أخذوا في الفرار و " أحسوا " باشروه بالحواس والركض تحريك القدم على الصفة المعهودة فالفار والجاري بالجملة راكض إما

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣/٢٤٥

دابة وإما الأرض تشبيها بالدابة

سورة الأنبياء الآية ١٣ - ١٦

يحتمل قوله تعالى " لا تركضوا " إلىآخر الآية أن يكون من قول رجال بخت نصر على الرواية المتقدمة فالمعنى على هذا أنهم خدعوهم واستهزؤوا بهم بأن قالوا للهاربين منهم لا تفروا " وارجعوا " إلى مواضعكم " لعلكم تسألون " صلحا أو جزية أو أمرا يتفق عليه فلما انصرفوا أمر بخت نصر أن ينادى فيهم يا لثارات النبي المقتول فقتلوا بالسيف عن آخرهم ع هذا كله مروي ويحتمل أن يكون " لا تركضوا " إلى آخر الآية من كلام ملائكة العذاب على التأويل الآخر أن الآيات وصف قصة كل قرية وأنه لم يرد تعيين حصورا ولا غيرها فالمعنى على هذا أن أهل هذه القرى كانوا باغترارهم يرون أنهم من الله تعالى بمكان وأنه لو جاءهم عذاب أو أمر لم ينزل بهم حتى يخاصموا أو يسألوا عن وجع تكذيبهم لنبيهم فيحتجون هم عند ذلك بحجج تنفعهم في ظنهم فلما نزل العذاب دون هذا الذي أملوه وركضوا فارين نادتهم الملائكة على وجه الهزء بهم " لا تركضوا وارجعوا " " لعلكم تسألون " كما كنتم تطمعون بسفه آرائكم ثم يكون قوله " حصيدا " أي بالعذاب تركضوا كالحصيد والإتراف التنعيم و " دعواهم " معناه دعاؤهم وكلامهم أي لم ينطقوا بغير التأسف والحصيد يشبه بحصيد الزرع بالمنجل الذي ردهم الهلاك كذلك و " خامدين " أي موتى دون أزواج مشبهين بالنار إذا طفيت ولما فرغ وصف هذا الحال وضع الله تعالى السامعين بقوله " وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين " أي ظن هؤلاء الذين نزل بهم ما نزل وكما تظنون أنتم أيها الكفرة الآن ففي الآية وعيد بهذا الوجه والمعنى إنما خلقنا هذا كله ليعتبر به وينظر فيه ويؤمن بالله بحسبه قال بعض الناس " تسألون " معناه تفهمون وتفقهون

". (١)

"الجاهلين به قل لهم على جهة التوبيخ والتقريع من يحفظكم وكلأ معناه حفظ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لبلال اكلأ لنا الفجر وفي آخر الكلام تقدير محذوف كأنه قال ليس لهم مانع ولا كالىء وعلى هذا النفي تركبت " بل " في قوله " بل هم عن ذكر ربهم معرضون " ثم يقضي عليهم التقدير في أنه لا مانع له من الله بأن كشف أمر آلهتهم والمعنى أيظنون أن آلهتهم التي هي بهذه الصفة " تمنعهم من دوننا " بل ما يمنعهم أحد إلا نحن وقوله تعالى " ولا هم منا يصحبون " يحتمل تأويلين أحدهما يجارون ويمنعون والآخر " ولا هم منا يصحبون " بخير ولا تزكية ونحو هذا وفي الكلام تقدير بعد محذوف كأنه

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٩٣/٤

قال ليس ثم شيء من هذا كله بل ضل هؤلاء لأنا متعناهم ومتعنا آباءهم فنسوا عقاب الله وظنوا أن حالهم لا تبيد والمعنى " طال العمر " في رخاء ثم وقفهم الله تعالى على مواضع العبر في الأمم وفي البشر بحسب الخلاف والأطر ا ف والرؤية في قوله " يرون " رؤية العين تتبعها رؤية القلب و " نأتي " معناه بالقدرة والبأس و " الأرض " عامة في الجنس وقوله " من أطرافها " إما أن يريد فيما يخرب من المعمور فذلك نقص للأرض وإما أن يريد موت البشر فهو تنقص للقرون ويكون المراد حينئذ نأتي أهل الأرض وقال قوم النقص من الأطراف موت العلماء ثم وقفهم على جهة التوبيخ أهم يعلمون من غلب أهل الأرض قهر الكل بسلطانه وعظمته أي إن ذلك محال بين بل هم مغلوبون مقهورون

قوله عز وجل

سورة الأنبياء الآية ٤٥ – ٤٦

المعنى " قل " أيها المقترحون المتشططون " إنما أنذركم " بوحي يوحيه الله إلي وبدلالات على العبر التي نصبها الله تعالى لينظر فيها كنقصان الأرض من أطرافها وغيره ولم أبعث بآية مضطرة ولا ما تقترحون ثم قال " ولا يسمع " بمعنى وأنتم معرضون عما أنذر به فهو غير نافع لكم ومثل أمرهم ب " الصم " وقرأ جمهور القراء ولا يسمع بالياء وإسناد الفعل إلى الصم وقرأ ابن عامر وحده ولا

تسمع بضم التاء وكسر الميم ونصب الصم وقرأت فرقة ولا تسمع بتاء مضمومة وفتح الميم وبناء الفعل للمفعول والفرقتان نصبت " الدعاء " وقرأت فرقة ولا يسمع الصم الدعاء بإضافة الصم إلى الدعاء وهي قراءة ضعيفة وإن كانت متوجهة ثم خاطب تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم متوعدا لهم بقوله " ولئن مستهم نفحة " والنفحة الخطرة والمسة كما تقول نفح بيده إذا قال بها هكذا ضاربا إلى جهة ومنه نفحة الطيب كأنه يخطر خطرات على الحاسة ومنه نفح له من عطايا إذا أجراه منها نصيبا ومنه نفح الفرس برجله إذا ركض والمعنى ولئن مس هؤلاء الكفرة صدمة عذاب في دنياهم ليندمن وليقرن بظلمهم

قوله عز وجل

٨٥

سورة الأنبياء الآية ٤٧ – ٥٠

". (١)

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١٠٢/٤

"وقال " اركض برجلك " والركض الضرب بالرجل والمعنى اركض الأرض وروي عن قتادة أن هذا الأمر كان في الجابية من أرض الشام وروي أن أيوب أمر بركض الأرض فركض فيها فنبعت له عين ماء صافية باردة فشرب منها فذهب كل مرض في داخل جسده ثم اغتسل فذهب ما كان في ظاهر بدنه وروي أنه ركض مرتين ونبع له عينان شرب من إحداهما واغتسل في الأخرى وقرأ نافع وشيبة وعاصم والأعمش بعذاب اركض بضم نون التنوين وقرأ عامة قراء البصرة بعذاب اركض بنون مكسورة و " مغتسل " معناه موضع غسل وماء غسل كما تقول هذا الأمر معتبر وهذا الماء مغتسل مثله

٥٠٨

وروي أن الله تعالى وهب له أهله وماله في الدنيا ورد من مات منهم وما هلك من ماشيته وحاله ثم بارك في جميع ذلك وولد له الأولاد حتى تضاعف الحال وروي أن هذا كله وعد في الآخرة أي يفعل الله له ذلك في الآخرة والأول أكثر في قول المفسرين و " رحمة " نصب على المصدر

وقوله " وذكرى " معناه موعظة وتذكرة يعتبر بها أهل العقول ويتأسون بصبره في الشدائد ولا ييأسون من رحمة الله على حال وروي أن أيوب عليه السلام كانت زوجته مدة مرضه تختلف إليه فيلقاها الشيطان في صورة طبيب ومرة في هيئة ناصح وعلى غير ذلك فيقول لها لو سجد هذا المريض للصنم الفلاني لبرىء لو ذبح عناقا للصنم الفلاني لبرىء ويعرض عليها وجوها من الكفر فكانت هي ربما عرضت ذلك على أيوب فيقول لها ألقيت عدو الله في طريقك فلما أغضبته بهذا ونحوه حلف لها لئن برىء من مرضه ليضربنها مائة سوط فلما برىء أمره الله أن يأخذ ضغثا فيه مائة قضيب والضغث القبضة الكبيرة من القضبان ونحوها من الشجر الرطب قاله الضحاك وأهل اللغة فيضرب به ضربة واحدة فتبر يمينه ومنه قولهم ضغث على إبالة والإبالة الحزم من الحطب والضغث القبضة عليها من الحطب أيضا ومنه قول الشاعر عوف بن الخرع

(وأسفل مني نهدة قد ربطتها

وألقيت ضغثا من خلى متطبب) " الطويل "

ويروى متطيب هذا حكم قد ورد في شرعنا عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في حد زنا لرجل زمن فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذق نخلة فيها شماريخ مائة أو نحوها فضرب به ضربة ذكر الحديث أبو داود وقال بهذا بعض فقهاء الأمة وليس يرى ذلك مالك بن أنس وجميع أصحابه وكذلك جمهور العلماء على ترك القول به وأن الحدود والبر في الأيمان لا يقع إلا بإتمام عدد الضربات

قوله عز وجل في سورة ص من ٤٥ – ٥٤

قرأ ابن كثير واذكر عبدنا على الإفراد وهي قراءة ابن عباس وأهل مكة وقرأ الباقون واذكر عبادنا على الجمع فأما على هذه القراءة فدخل الثلاثة في

". (١)

"واما القراءة الثانية فعلى ان (يرسل) في موضع الحال او على القطع كانه قال أو هو يرسل وكذلك يكون قوله " إلا وحيا " مصدر في موضع الحال كما تقول أتيتك ركضا وعدوا وكذلك قوله " من وراء حجاب " (في موضع الحال كما هو قوله " ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين " آل

٤٤

عمران ٤٦ في موضع الحال فكذلك " من " آل عمران ٤٦ وما عملت فيه هذه الاية أيضا ثم عطف قوله (أو يرسل) على هذه الحال المتقدمة

وفي هذه الآية دليل على ان الرسالة من انواع التكليم وان الحالف المرسل حانث إذا حلف ان لا يكلم إنسانا فأرسل اليه وهو لم ينو المشافهة وقت يمينه

وقوله تعالى " وكذلك أوحينا إليك " المعنى وبهذه الطرق ومن هذا الجنس أوحينا إليك او بالرسل

والروح في هذه الآية القرآن وهدى الشريعة سماه " روحا " من حيث يحيي به البشر والعالم كما يحيي الجسد بالروح فهذا على جهة التشبيه

وقوله تعالى " من امرنا " أي واحد من امورنا ويحتمل ان يكون الأمر بمعنى الكلام و " من " لابتداء الغاية

وقوله تعالى " ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان " توقيف على مقدار النعمة

والضمير في " جعلناه " عائد عى الكتاب و " يهدي " بمعنى يرشد

وقرأ جمهور الناس (وإنك لتهدي) بفتح التاء وكسر الدال

وقرأ حوشب (تهدى) بضم التاء وفتح الدال على بناء الفعل للمفعول وفي حرف أبى (لتدعو) وهي تعضد قراءة الجمهور

وقرأ ابن السميفع وعاصم والجحدري (لتهدي) بضم التاء وكسر الدال

وقوله " صراط الله " يعني صراط شرع الله ورحمته وجنته فبهذا الوجه ونحوه من التقدير أضيف الصراط إلى الله تعالى

واستفتح القول في الإخبار بصيرورة الأمور الى الله تعالى مبالغة وتحقيقا وتثبيتا والأمور صائرة على الدوام

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٥٧٨/٤

الى الله تعالى ولكن جاءت هذه العبارة مستقبلة تقريبا لمن في ذهنه ان شيئا من الأمور إلى البشر وقال سهيل بن أبي الجعد احترق مصحف فلم يبق منه الا قوله " ألا الى الله تصير الأمور "

٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الزخرف

هذه السورة مكية بإجماع من اهل العلم

قوله عز وجل

سورة الزخرف ١ - ٩

تقدم القول في الحروف في اوائل السور

وقوله " والكتاب " خفض بواو القسم و " المبين " يحتمل ان يكون من أبان الذي هو بمعنى بان أي ظهر فلا يحتاج إلى مفعول ويحتمل ان يكون معدى من بان فهذا لا بد من مفعول تقديره المبين الهدى او الشرع ونحوه

وقوله تعالى " إنا جعلناه " معناه سميناه وصيرناه وهو إخبار عليه وقع القسم والضمير في " جعلناه " عائدعلى " الكتاب " و " عربيا " معناه بلسانكم لئلا يبقى لكم عذر

وقوله " لعلكم تعقلون " ترج بحسب معتقد البشر أي إذا أبصر المبصر من البشر هذا الفعل منا ترجى منه ان يعقل الكلام ويفهم." (١)

" صفحة رقم ٤٣٨

(الأنبياء : (٧ - ٩) وما أرسلنا قبلك . . . . .

" وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين " (قوله عز وجل :) فاسألوا أهل الذكر (الآية . فيهم ثلاثة أوجه :

أحدها : أهل التوراة والإنجيل ، قاله الحسن ، وقتادة .

الثاني : أنهم علماء المسلمين ، قاله علي رضي الله عنه .

الثالث : مؤمنو أهل الكتاب ، قاله ابن شجرة .

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٤٠/٥

قوله تعالى :) وما جعلناهم جسدا . . . (الآية . فيه وجهان :

أحدهما : معناه وما جعلنا الأنبياء قبلك أجسادا لا يأكلون الطعام ولا يموتون فنجعلك كذلك ، وذلك لقولهم :) ما هذا إلا بشر مثلكم (" [المؤمنون : ٢٤] قاله ابن قتيبة .

الثاني : إنما جعلناهم جسدا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ، فلذلك جعلناك جسدا مثلهم ، قاله قتادة .

قال الكلبي : أو الجسد هو الجسد الذي فيه الروح ويأكل ويشرب ، فعلى مقتضى هذا القول يكون ما لا يأكل ولا يشرب جسما . وقال مجاهد : الجسد ما لا يأكل ولا يشرب ، فعلى مقتضى هذا القول يكون ما يأكل ويشرب نفسا .

(الأنبياء : (١٠ - ١٥) لقد أنزلنا إليكم . . . . .

" لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين " (.)[١]

" صفحة رقم ٤٣٩

قوله تعالى :) لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم (الآية . فيه خمسة تأويلات :

أحدها : فيه حديثكم ، قاله مجاهد .

الثاني : مكارم أخلاقكم ومحاسن أعمالكم ، قاله سفيان .

الثالث : شرفكم إن تمسكتم به وعملتم بما فيه ، قاله ابن عيسى .

الرابع : ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم .

الخامس : العمل بما فيه حياتكم ، قاله سهل بن عبدالله .

قوله تعالى :) فلمآ أحسوا بأسنآ (أي عيانوا عذابنا .

) إذا هم منها يركضون (فيه وجهان :

أحدهما : من القرية .

الثاني : من العذاب ، والركض : الإسراع .

قوله تعالى :) لا تركضوا وارجعوا إلى مآ أترفتم فيه (أي نعمكم ، والمترف المنعم .

---

(١) النكت والعيون . ، ٤٣٨/٣

) لعلكم تسألون (فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لعلكم تسألون عن دنياكم شيئا ، استهزاء بهم ، قاله قتادة .

الثاني : لعلكم تقنعون بالمسألة ، قاله مجاهد .

الثالث : لتسألوا عما كنتم تعملون ، قاله ابن بحر .

قوله تعالى :) فما زالت تلك دعواهم (يعني ما تقدم ذكره من قولهم) يا ويلنا إنا كنا ظالمين (.

) حتى جعلناهم حصيدا خامدين (فيه قولان : أحدهما : بالعذاب ، قاله الحسن .

الثاني : بالسيف ، قال مجاهد : حتى قتلهم بختنصر .

والحصيد قطع الاستئصال كحصاد الزرع . والخمود : الهمود كخمود النار." (١)

" صفحة رقم ٤٦٣

الخامس : أنه انقطع الوحي عنه أربعين يوما فخاف هجران ربه ، فقال : مسني الضر ، وهذا قول جعفر الصادق رحمه الله .

وفي مخرج قوله :) مسني الضر (أربعة أوجه :

أحدها : أنه خارج مخرج الاستفهام ، وتقديره أيمسني الضر وأنت أرحم الراحمين .

الثاني : أنت أرحم بي أن يمسني الضر . الثالث : أنه قال [ذلك] استقالة من ذنبه ورغبة إلى ربه .

الرابع : أنه شكا ضعفه وضره استعطافا لرحمته ، فكشف بلاءه فقيل له :) اركض برجلك هذا مغتسل بارد (" [ص : ٤٢] فركض برجله فنبعت عين ، فاغتسل منها وشرب فذهب باطن دائه وعاد إليه شبابه وجماله ، وقام صحيحا ، وضاعف الله له ما كان من أهل ومال وولده .

ثم إن امرأته قالت : إن طردني فإلى من أكله ؟ فرجعت فلم تره ، فجعلت." (٢)

" صفحة رقم ٩٢

الثاني : أن صفونها رفع احدى اليدين على طرف الحافر حتى تقوم على ثلاث كما قال الشاعر :

ألف الصفون فما يزل كأنه

مما يقوم على الثلاث كسيرا

وفي) الجياد (وجهان :

---

(١) النكت والعيون . ، ٤٣٩/٣

(٢) النكت والعيون . ، ٤٦٣/٣

أحدهما : أنها الطوال العناق مأخوذ من الجيد وهو العنق لأن طول أعناق الخيل من صفات فراهتها .

الثاني : أنها السريع ، قاله مجاهد واحدها جواد سمي بذلك لأنه يجود بالركض .

قوله عز وجل :) فقال إني أحببت حب الخير (فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني حب المال ، قاله ابن جبير والضحاك .

الثاني : حب الخيل قاله قتادة والسدي . ومنه قول النبي (صلى الله عليه وسلم) (الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة) وفي قراءة ابن مسعود : حب الخيل .

الثالث : حب الدنيا ، قاله أسباط .

وفي) أحببت حب الخير (وجهان :

أحدهما : أن فيه تقديما وتأخيرا تقديره : أحببت الخير حبا فقدم ، فقال : أحببت حب الخير ثم أضاف فقال أ حب الخير ، قاله بعض النحويين .

الثاني : أن الكلام على الولاء في نظمه من غير تقديم ولا تأخير ، وتأويله : آثرت حب الخير .

) عن ذكر ربي (فيه وجهان :

أحدهما : عن صلاة العصر ، قاله علي رضي الله عنه .

الثاني : عن ذكر الله تعالى ، قاله ابن عباس .." [1]

" صفحة رقم ١٠١

) هذا عطاؤنا (يعني الذي أعطيناك من القوة على النكاح) فامنن (بجماع من تشاء من نسائك) أو أمسك (عن جماع من تشاء من نسائك . فعلى هذا في قوله بغير حساب وجهان :

أحدهما : بغير مؤاخذة فيمن جامعت أو عزلت .

الثاني : بغير عدد محصور فيمن استبحت أو نكحت . وهذا القول عدول من الظاهر إلى ادعاء مضمر بغير دليل لكن قيل فذكرته .

(ص : (٤١ - ٤٤) واذكر عبدنا أيوب . . . . .

" واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب " (قوله عز وجل :) واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني

---

(١) النكت والعيون . ، ٩٢/٥

الشيطان بنصب وعذاب (قيل هو أيوب بن حوص بن روعويل وكان في زمن يعقوب بن إسحاق ، وتزوج بنته إليا بنت يعقوب وكانت أمه بنت لوط عليه السلام ، وكان أبوه حوص ممن آمن بإبراهيم عليه السلام .

وفي قوله) مسني الشيطان (وجهان :

أحدهما : أن مس الشيطان وسوسته وتذكيره بما كان فيه من نعمة وما صار إليه من محنة ، حكاه ابن عيسى .

الثاني : الشيطان استأذن الله تعالى أن يسلطه على ماله فسلطه ، ثم أهله وداره فسلطه ، ثم جسده فسلطه ، ثم على قلبه فلم يسلطه ، قال ابن عباس فهو قوله :) مسني الشيطان (الآية .

) بنصب وعذاب (فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني بالنصب الألم وبالعذاب السقم ، قاله مبشر بن عبيد .

الثاني : النصب في جسده ، والعذاب في ماله ، قاله السدي .

الثالث : أن النصب العناء ، والعذاب البلاء .." (١)

" صفحة رقم ١٠٢

قوله عز وجل :) اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (قال قتادة هما عينان بأرض الشام في أرض يقال لها الجابية . وفيهما قولان :

أحدهما : أنه اغتسل من إحداهما فأذهب الله تعالى ظاهر دائه وشرب من الأخرى فأذهب الله باطن دائه ، قاله الحسن .

الثاني : أنه اغتسل من إحداهما فبرىء ، وشرب من الأخرى فروي ، قاله قتادة .

وفي المغتسل وجهان :

أحدهما : أنه كان الموضع الذي يغتسل منه ، قاله مقاتل .

الثاني : أنه الماء الذي يغتسل به ، قاله ابن قتيبة .

وفي مدة مرضه قولان :

أحدهما : سبع سنين وسبعة أشهر ، قاله ابن عباس .

الثاني : ثماني عشرة سنة رواه أنس مرفوعا .

---

(١) النكت والعيون ، ٥/١٠١

قوله عز وجل :) ووهبنا له أهله ومثلهم معهم (وفيما أصابهم ثلاثة أقويل :
أحدها : أنهم كانوا مرضى فشفاهم الله .
الثاني : أنهم غابوا عنه فردهم الله عليه ، وهذا القولان حكاهما ابن بحر .
الثالث : وهو ما عليه الجمهور أنهم كانوا قد ماتوا .
فعلى هذا في هبتهم له ومثلهم معهم خمسة أقاويل :
أحدها : أن الله تعالى رد عليه أهله وولده ومواشيه بأعيانهم ، لأنه تعالى أماتهم قبل آجالهم ابتلاء ووهب له من أولادهم مثلهم ، قاله الحسن .
الثاني : أن الله سبحانه ردهم عليه بأعيانهم ووهب له مثلهم من غيرهم قاله ابن عباس .
الثالث : أنه رد عليه ثوابهم في الجنة ووهب له مثلهم في الدنيا ، قاله السدي .
الرابع : أنه رد عليه أهله في الجنة ، وأصاب امرأته فجاءته بمثلهم في الدنيا .
الخامس : أنه لم يرد عليه منهم بعد موتهم أحدا وكانوا ثلاثة عشرا ابنا فوهب الله." (١)
" صفحة رقم ٣٤١
وبصر أهل مكة بالطير قد أقبلت من ناحية البحر ، فقال عبد المطلب : إن هذه لطير غريبة بأرضنا ، ما هي بنجدية ولا تهامية ولا حجازية ، وإنها أشباه اليعاسيب ، وكان في مناقيرها وأرجلها حجارة ، فلما أطلت على القوم ألقتها عليهم حتى هلكوا ، قال عطاء بن أبي رباح : جاءت الطير عشية فبانت ، ثم صبحتهم بالغداة فرمتهم ، وقال عطية العوفي : سألت عنها أبا سعيد الخدري : فقال : حمام مكة منها .
وأفلت من القوم أبرهة ورجع إلى اليمن فهلك في الطريق .
وقال الواقدي : أبرهة هو جد النجاشي الذي كان في زمان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلما أيقنوا بهلاك القوم ، قال الشاعر :
أين المفر والإله الطالب
والأشرم المغلوب ليس الغالب
يعني بالأشرم أبرهة ، سمي بذلك لأن أرياط ضربه بحربة فشرم أنفة وجبينه ، أي وقع بعضه على بعض .
وقال أبو الصلت بن مسعود ، وقيل بل قاله عبد المطلب :
إن آيات ربنا ناطقات

---
(١) النكت والعيون . ، ١٠٢/٥

لا يماري بهن إلا الكفور .

حبس الفيل بالمغمس حتى

مر يعوي كأنه معقور .

) ألم يجعل كيدهم في تضليل (لأنهم أرادوا كيد قريش بالقتل والسبي ، وكيد البيت بالتخريب والهدم . يحكى عن عبد المطلب بعد ما حكيناه عنه أنه أخذ بحلقة الباب وقال :

يا رب لا نرجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا .

إن عدو البيت من عاداكا امنعهم أن يخربوا قراكا .

ثم إن عبد المطلب بعث ابنه عبد الله على فرس له سريع ، ينظر ما لقوا فإذا القوم مشدخون ، فرجع يركض كاشفا عن فخده ، فلما رأى ذلك أبوه قال : إن ابني أفرس العرب وما كشف عن فخذه إلا بشيرا أو نذيرا . فلما دنا من ناديهم بحيث يسمعهم قالوا : ما وراءك ؟ قال : هلكوا جميعا ، فخرج عبد المطلب وأصحابه فأخذوا أموالهم ، فكانت أموال بني عبد المطلب ، وبها كانت رياسة عبد المطلب لأنه احتمل." (١)

"﴿ ١ – ٧ ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم المص *كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين * اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون * وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون * فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين * فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين * فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ .

يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم مبينا له عظمة القرآن: ﴿كتاب أنزل إليك ﴾ أي: كتاب جليل حوى كل ما يحتاج إليه العباد، وجميع المطالب الإلهية. والمقاصد الشرعية، محكما مفصلا ﴿ فلا يكن في صدرك حرج منه ﴾ أي: ضيق وشك واشتباه، بل لتعلم أنه تنزيل من حكيم حميد ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ وأنه أصدق الكلام فلينشرح له صدرك، ولتطمئن به نفسك، ولتصدع بأوامره ونواهيه، ولا تخش لائما ومعارضا.

﴿ لتنذر به ﴾ الخلق، فتعظهم وتذكرهم، فتقوم الحجة على المعاندين.

﴿ و ﴾ ليكون ﴿ ذكرى للمؤمنين ﴾ كما قال تعالى: ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ يتذكرون به الصراط المستقيم، وأعماله الظاهرة والباطنة، وما يحول بين العبد، وبين سلوكه.

ثم خاطب الله العباد، وألفتهم إلى الكتاب فقال: ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ﴾ أي: الكتاب الذي

---

(١) النكت والعيون . ، ٣٤١/٦

أريد إنزاله لأجلكم، وهو: ﴿ من ربكم ﴾ الذي يريد أن يتم تربيته لكم، فأنزل عليكم هذا الكتاب الذي، إن اتبعتموه، كملت تربيتكم، وتمت عليكم النعمة، وهديتم لأحسن الأعمال والأخلاق ومعاليها ﴿ ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾ أي: تتولونهم، وتتبعون أهواءهم، وتتركون لأجلها الحق.

﴿ قليلا ما تذكرون ﴾ فلو تذكرتم وعرفتم المصلحة، لما آثرتم الضار على النافع، والعدو على الولي.

ثم حذرهم عقوباته للأمم الذين كذبوا ما جاءتهم به رسلهم، لئلا يشابهوهم (١) فقال: ﴿ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا ﴾ أي: عذابنا الشديد ﴿ بياتا أو هم قائلون ﴾ أي: في حين غفلتهم، وعلى غرتهم غافلون، لم يخطر الهلاك على قلوبهم. فحين جاءهم العذاب لم يدفعوه عن أنفسهم، ولا أغنت عنهم آلهتهم التي كانوا يرجونهم، ولا أنكروا ما كانوا يفعلونه من الظلم والمعاصي.

﴿ فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين ﴾ كما قال تعالى: ﴿ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين * فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون * لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون * قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين * فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ﴾.

وقوله ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ﴾ أي لنسألن الأمم الذين أرسل الله إليهم المرسلين عما أجابوا به رسلهم ﴿ ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ﴾ الآيات

﴿ ولنسألن المرسلين ﴾ عن تبليغهم لرسالات ربهم وعما أجابتهم به أممهم

﴿ فلنقصن عليهم ﴾ أي على الخلق كلهم ما عملوا ﴿ بعلم ﴾ منه تعالى لأعمالهم ﴿ وما كنا غائبين ﴾ في وقت من الأوقات كما قال تعالى ﴿ أحصاه الله ونسوه ﴾ وقال تعالى ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ﴾.

---

(١) في ب: فلا يشابهونهم.." (١)

"﴿ ٢٥ - ٢٧ ﴾ ﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ﴾ .

يمتن تعالى على عباده المؤمنين، بنصره إياهم في مواطن كثيرة من مواطن اللقاء، ومواضع الحروب والهيجاء،

---

(١) تفسير السعدي، ص/٢٨٣

حتى في يوم "حنين" الذي اشتدت عليهم فيه الأزمة، ورأوا من التخاذل والفرار، ما ضاقت عليهم به الأرض على رحبها وسعتها.

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة، سمع أن هوازن اجتمعوا لحربه، فسار إليهم صلى الله عليه وسلم في أصحابه الذين فتحوا مكة، وممن أسلم من الطلقاء أهل مكة، فكانوا اثني عشر ألفا، والمشركون أربعة آلاف، فأعجب بعض المسلمين بكثرتهم، وقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة.

فلما التقوا هم وهوازن، حملوا على المسلمين حملة واحدة، فانهزموا لا يلوي أحد على أحد، ولم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا نحو مائة رجل، ثبتوا معه، وجعلوا يقاتلون المشركين، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم، يركض بغلته نحو المشركين ويقول: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب"

ولما رأى من المسلمين ما رأى، أمر العباس بن عبد المطلب أن ينادي في الأنصار وبقية المسلمين، وكان رفيع الصوت، فناداهم: يا أصحاب السمرة، يا أهل سورة البقرة.

فلما سمعوا صوته، عطفوا عطفة رجل واحد، فاجتلدوا مع المشركين، فهزم الله المشركين، هزيمة شنيعة، واستولوا على معسكرهم ونسائهم وأموالهم.

وذلك قوله تعالى ﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين ﴾ وهو اسم للمكان الذي كانت فيه الوقعة بين مكة والطائف.

﴿ إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ﴾ أي: لم تفدكم شيئا، قليلا ولا كثيرا ﴿ وضاقت عليكم الأرض ﴾ بما أصابكم من الهم والغم حين انهزمتم ﴿ بما رحبت ﴾ أي: على رحبها وسعتها، ﴿ ثم وليتم مدبرين ﴾ أي: منهزمين.

﴿ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ والسكينة ما يجعله الله في القلوب وقت القلاقل والزلازل والمفظعات، مما يثبتها، ويسكنها ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة على العباد.

﴿ وأنزل جنودا لم تروها ﴾ وهم الملائكة، أنزلهم الله معونة للمسلمين يوم حنين، يثبتونهم، ويبشرونهم بالنصر.

﴿ وعذب الذين كفروا ﴾ بالهزيمة والقتل، واستيلاء المسلمين على نسائهم وأولادهم وأموالهم.

﴿ وذلك جزاء الكافرين ﴾ يعذبهم الله في الدنيا، ثم يردهم في الآخرة إلى عذاب غليظ.." (١)

---

(١) تفسير السعدي، ص/٣٣٢

"﴿ ١١ - ١٥ ﴾ ﴿ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين * فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون * لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون * قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين * فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ﴾ .

يقول تعالى - محذرا لهؤلاء الظالمين، المكذبين للرسول، بما فعل بالأمم المكذبة لغيره من الرسل - ﴿ وكم قصمنا ﴾ أي: أهلكنا بعذاب مستأصل ﴿ من قرية ﴾ تلفت عن آخرها ﴿ وأنشأنا بعدها قوما آخرين ﴾ وأن هؤلاء المهلكين، لما أحسوا بعذاب الله وعقابه، وباشرهم نزوله، لم يمكن لهم الرجوع ولا طريق لهم إلى النزوع وإنما ضربوا الأرض بأرجلهم، ندما وقلقا، وتحسرا على ما فعلوا وهروبا من وقوعه، فقيل لهم على وجه التهكم بهم: ﴿ لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون ﴾ أي: لا يفيدكم الركوض والندم، ولكن إن كان لكم اقتدار، فارجعوا إلى ما أترفتم فيه، من اللذات، والمشتهيات، ومساكنكم المزخرفات، ودنياكم التي غرتكم وألهتكم، حتى جاءكم أمر الله. فكونوا فيها متمكنين، وللذاتها جانين، وفي منازلكم مطمئنين معظمين، لعلكم أن تكونوا مقصودين في أموركم، كما كنتم سابقا، مسئولين من مطالب الدنيا، كحالتكم الأولى، وهيهات، أين الوصول إلى هذا؟ وقد فات الوقت، وحل بهم العقاب والمقت، وذهب عنهم عزهم، وشرفهم ودنياهم، وحضرهم ندمهم وتحسرهم؟.

ولهذا ﴿ قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين * فما زالت تلك دعواهم ﴾

أي الدعاء بالويل والثبور والندم والإقرار على أنفسهم بالظلم وأن الله عادل فيما أحل بهم ﴿ حتى جعلناهم حصيدا خامدين ﴾ أي بمنزلة النبات الذي قد حصد وأنيم قد خمدت منهم الحركات وسكنت منهم الأصوات فاحذروا - أيها المخاطبون - أن تستمروا على تكذيب أشرف الرسل فيحل بكم كما حل بأولئك." (١)

"﴿ وكنا لهم حافظين ﴾ أي: لا يقدرون على الامتناع منه وعصيانه، بل حفظهم الله له، بقوته وعزته، وسلطانه.

[ص ٥٢٩]

﴿ ٨٣ - ٨٤ ﴾ ﴿ وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين * فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ﴾ .

أي: واذكر عبدنا ورسولنا، أيوب - مثنيا معظما له، رافعا لقدره - حين ابتلاه، ببلاء شديد، فوجده صابرا

---

(١) تفسير السعدي، ص/٥٢٠

راضيا عنه، وذلك أن الشيطان سلط على جسده، ابتلاء من الله، وامتحانا فنفخ في جسده، فتقرح قروحا عظيمة ومكث مدة طويلة، واشتد به البلاء، ومات أهله، وذهب ماله، فنادى ربه: رب ﴿ أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ فتوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ، وبرحمة ربه الواسعة العامة فاستجاب الله له، وقال له: ﴿ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ فركض برجله فخرجت من ركضته عين ماء باردة فاغتسل منها وشرب، فأذهب الله عنه ما به من الأذى، ﴿ وآتيناه أهله ﴾ أي: رددنا عليه أهله وماله.

﴿ ومثلهم معهم ﴾ بأن منحه الله العافية من الأهل والمال شيئا كثيرا، ﴿ رحمة من عندنا ﴾ به، حيث صبر ورضي، فأثابه الله ثوابا عاجلا قبل ثواب الآخرة.

﴿ وذكرى للعابدين ﴾ أي: جعلناه عبرة للعابدين، الذين ينتفعون بالعبر، فإذا رأوا ما أصابه من البلاء، ثم ما أثابه الله بعد زواله، ونظروا السبب، وجدوه الصبر، ولهذا أثنى الله عليه به في قوله: ﴿ إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب ﴾ فجعلوه أسوة وقدوة عندما يصيبهم الضر.." (١)

"﴿ ولما بلغ أشده ﴾ من القوة والعقل واللب، وذلك نحو أربعين سنة في الغالب، ﴿ واستوى ﴾ كملت فيه تلك الأمور ﴿ آتيناه حكما وعلما ﴾ أي: حكما يعرف به الأحكام الشرعية، ويحكم به بين الناس، وعلما كثيرا.

﴿ وكذلك نجزي المحسنين ﴾ في عبادة الله المحسنين لخلق الله، نعطيهم علما وحكما بحسب إحسانهم، ودل هذا على كمال إحسان موسى عليه السلام.

﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ﴾ إما وقت القائلة، أو غير ذلك من الأوقات التي بها يغفلون عن الانتشار. ﴿ فوجد فيها رجلين يقتتلان ﴾ أي: يتخاصمان ويتضاربان ﴿ هذا من شيعته ﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿ وهذا من عدوه ﴾ القبط.

﴿ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴾ لأنه قد اشتهر، وعلم الناس أنه من بني إسرائيل، واستغاثته لموسى، دليل على أنه بلغ موسى عليه السلام مبلغا يخاف منه، ويرجى من بيت المملكة والسلطان.

﴿ فوكزه موسى ﴾ أي: وكز الذي من عدوه، استجابة لاستغاثة الإسرائيلي، ﴿ فقضى عليه ﴾ أي: أماته من تلك الوكزة، لشدتها وقوة موسى.

---

(١) تفسير السعدي، ص/٥٢٨

فندم موسى عليه السلام على ما جرى منه، و ﴿ قال هذا من عمل الشيطان ﴾ أي: من تزيينه ووسوسته، ﴿ إنه عدو مضل مبين ﴾ فلذلك أجريت ما أجريت بسبب عداوته البينة، وحرصه على الإضلال.

ثم استغفر ربه ﴿ قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ﴾ خصوصا للمخبتين، المبادرين للإنابة والتوبة، كما جرى من موسى عليه السلام.

ف ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ رب بما أنعمت علي ﴾ بالتوبة والمغفرة، والنعم الكثيرة، ﴿ فلن أكون ظهيرا ﴾ أي: معينا ومساعدا ﴿ للمجرمين ﴾ أي: لا أعين أحدا على معصية، وهذا وعد من موسى عليه السلام، بسبب منة الله عليه، أن لا يعين مجرما، كما فعل في قتل القبطي. وهذا يفيد أن النعم تقتضي من العبد فعل الخير، وترك الشر.

﴿ ف ﴾ لما جرى منه قتل الذي هو من عدوه ﴿ أصبح في المدينة خائفا يترقب ﴾ [ص ٦١٤] هل يشعر به آل فرعون، أم لا؟ وإنما خاف، لأنه قد علم، أنه لا يتجرأ أحد على مثل هذه الحال سوى موسى من بني إسرائيل.

فبينما هو على تلك الحال ﴿ فإذا الذي استنصره بالأمس ﴾ على عدوه ﴿ يستصرخه ﴾ على قبطي آخر.

﴿ قال له موسى ﴾ موبخا له على حاله ﴿ إنك لغوي مبين ﴾ أي: بين الغواية، ظاهر الجراءة.

﴿ فلما أن أراد أن يبطش ﴾ موسى ﴿ بالذي هو عدو لهما ﴾ أي: له وللمخاصم المستصرخ، أي: لم يزل اللجاج بين القبطي والإسرائيلي، وهو يستغيث بموسى، فأخذته الحمية، حتى هم أن يبطش بالقبطي، ﴿ قال ﴾ له القبطي زاجرا له عن قتله: ﴿ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض ﴾ لأن من أعظم آثار الجبار في الأرض، قتل النفس بغير حق.

﴿ وما تريد أن تكون من المصلحين ﴾ وإلا فلو أردت الإصلاح لحلت بيني وبينه من غير قتل أحد، فانكف موسى عن قتله، وارعوى لوعظه وزجره، وشاع الخبر بما جرى من موسى في هاتين القضيتين، حتى تراود ملأ فرعون، وفرعون على قتله، وتشاوروا على ذلك.

وقيض الله ذلك الرجل الناصح، وبادرهم إلى الإخبار لموسى بما اجتمع عليه رأي ملئهم. فقال: ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴾ أي: ركضا على قدميه من نصحه لموسى، وخوفه أن يوقعوا به، قبل أن يشعر، ف ﴿ قال يا موسى إن الملأ يأتمرون ﴾ أي: يتشاورون فيك ﴿ ليقتلوك فاخرج ﴾ عن المدينة ﴿ إني لك من الناصحين ﴾ فامتثل نصحه.

﴿ فخرج منها خائفا يترقب ﴾ أن يوقع به القتل، ودعا الله، و ﴿ قال رب نجني من القوم الظالمين ﴾ فإنه قد تاب من ذنبه وفعله غضبا من غير قصد منه للقتل، فتوعدهم له ظلم منهم وجراءة.." (١)

"﴿ ٤١ - ٤٤ ﴾ ﴿ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب * اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ .

أي: ﴿ واذكر ﴾ في هذا الكتاب ذي الذكر ﴿ عبدنا أيوب ﴾ بأحسن الذكر، وأثن عليه بأحسن الثناء، حين أصابه الضر، فصبر على ضره، فلم يشتك لغير ربه، ولا لجأ إلا إليه.

ف ﴿ نادى ربه ﴾ داعيا، وإليه لا إلى غيره شاكيا، فقال: رب ﴿ أني مسني الشيطان بنصب وعذاب ﴾ أي: بأمر مشق متعب معذب، وكان سلط على جسده فنفخ فيه حتى تقرح، ثم تقيح بعد ذلك واشتد به الأمر، وكذلك هلك أهله وماله.

فقيل له: ﴿ اركض برجلك ﴾ أي: اضرب الأرض بها، لينبع لك منها عين تغتسل منها وتشرب، فيذهب عنك الضر والأذى، ففعل ذلك، فذهب عنه الضر، وشفاه الله تعالى.." (٢)

"﴿ ٢٩ ﴾ ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ .

يخبر تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار، أنهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال، وأنهم ﴿ أشداء على الكفار ﴾ أي: جادون ومجتهدون في عداوتهم، وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدة، فلذلك ذل أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم المسلمون، ﴿ رحماء بينهم ﴾ أي: متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، هذه معاملتهم مع الخلق، وأما معاملتهم مع الخالق فإنك ﴿ تراهم ركعا سجدا ﴾ أي: وصفهم كثرة الصلاة، التي أجل أركانها الركوع والسجود.

﴿ يبتغون ﴾ بتلك العبادة ﴿ فضلا من الله ورضوانا ﴾ أي: هذا مقصودهم بلوغ رضا ربهم، والوصول إلى ثوابه.

---

(١) تفسير السعدي، ص/٦١٣

(٢) تفسير السعدي، ص/٧١٤

﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ أي: قد أثرت العبادة -من كثرتها وحسنها- في وجوههم، حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطنهم، استنارت [بالجلال] ظواهرهم.

﴿ ذلك ﴾ المذكور ﴿ مثلهم في التوراة ﴾ أي: هذا وصفهم الذي وصفهم الله به، مذكور بالتوراة هكذا. وأما مثلهم في الإنجيل، فإنهم موصوفون بوصف آخر، وأنهم في كمالهم وتعاونهم ﴿ كزرع أخرج شطأه فآزره ﴾ أي: أخرج فراخه، فوازرته فراخه في الشباب والاستواء.

﴿ فاستغلظ ﴾ ذلك الزرع أي: قوي وغلظ ﴿ فاستوى على سوقه ﴾ جمع ساق، ﴿ يعجب الزراع ﴾ من كماله واستوائه، وحسنه واعتداله، كذلك الصحابة رضي الله عنهم، هم كالزرع في نفعهم للخلق واحتياج الناس إليهم، فقوة إيمانهم وأعمالهم بمنزلة قوة عروق الزرع وسوقه، وكون الصغير والمتأخر إسلامه، قد لحق الكبير السابق ووازره وعاونه على ما هو عليه، من إقامة دين الله والدعوة إليه، [ص ٧٩٦] كالزرع الذي أخرج شطأه، فآزره فاستغلظ، ولهذا قال: ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾ حين يرون اجتماعهم وشدتهم على دينهم، وحين يتصادمون هم وهم في معارك النزال، ومعامع القتال.

﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ فالصحابة رضي الله عنهم، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، قد جمع الله لهم بين المغفرة، التي من لوازمها وقاية شرور الدنيا والآخرة، والأجر العظيم في الدنيا والآخرة.

ولنسق قصة الحديبية بطولها، كما ساقها الإمام شمس الدين ابن القيم في ﴿ الهدي النبوي ﴾ فإن فيها إعانة على فهم هذه السورة، وتكلم على معانيها وأسرارها، قال -رحمه الله تعالى:- فصل في قصة الحديبية قال نافع: كانت سنة ست في ذي القعدة، وهذا هو الصحيح، وهو قول الزهري، وقتادة، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق وغيرهم.

وقال هشام بن عروة، عن أبيه: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية في رمضان، وكانت في شوال، وهذا وهم، وإنما كانت غزاة الفتح في رمضان. قال أبو الأسود عن عروة: إنها كانت في ذي القعدة على الصواب.

وفي الصحيحين عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر، كلهن في ذي القعدة، فذكر منهن عمرة الحديبية، وكان معه ألف وخمسمائة، هكذا في الصحيحين عن جابر، وعنه فيهما: كانوا ألفا وأربعمائة، وفيهما، عن عبد الله بن أبي أوفى: كنا ألفا وثلاثمائة، قال قتادة: قلت لسعيد بن المسيب: كم كان الجماعة الذين شهدوا بيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مائة، قال: قلت: فإن جابر بن عبد الله قال:

كانوا أربع عشرة مائة، قال: يرحمه الله وهم، وهو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة، قلت: وقد صح عن جابر القولان، وصح عنه أنهم نحروا عام الحديبية سبعين بدنة، البدنة عن سبعة، فقيل له: كم كنتم؟ قال: ألفا وأربعمائة، بخيلنا ورجلنا، يعني: فارسهم وراجلهم.

والقلب إلى هذا أميل، وهو قول البراء بن عازب، ومعقل بن يسار، وسلمة بن الأكوع، في أصح الروايتين، وقول المسيب بن حزن، قال شعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ألفا وأربعمائة، وغلط غلطا بينا من قال: كانوا سبعمائة، وعذره (١) أنهم نحروا يومئذ سبعين بدنة، والبدنة قد جاء إجزاؤها عن سبعة أو عشرة، وهذا لا يدل على ما قاله هذا القائل، فإنه قد صرح بأن البدنة كانت في هذه الغزوة عن سبعة، فلو كانت السبعون عن جميعهم، لكانوا أربعمائة وتسعين رجلا وقد قال بتمام الحديث بعينه، أنهم كانوا ألفا وأربعمائة. فصل

فلما كانوا بذي الحليفة، قلد رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدي وأشعره، وأحرم بالعمرة، وبعث عينا له بين يديه من خزاعة، يخبره عن قريش، حتى إذا كانوا قريبا من عسفان، أتاه عينه، فقال: إني قد تركت كعب بن لؤي، قد جمعوا لك الأحابيش، وجمعوا لك جموعا، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت.

واستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه: أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم، فإن قعدوا قعدوا موتورين محزونين، وإن نجوا تكن عنقا قطعها الله، أم ترون أن نؤم البيت؟ فمن صدنا عنه قاتلناه؟ قال أبو بكر: الله ورسوله أعلم، إنما جئنا معتمرين، ولم نجئ لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "فروحوا إذا" فراحوا، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش، فخذوا ذات اليمين" ، فوالله ما شعر بهم خالد، حتى إذا هو بغبرة الجيش، فانطلق يركض نذيرا لقريش.

وسار النبي صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها، بركت راحلته، فقال الناس: حل حل، فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل" ثم قال: "والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتموها" ثم زجرها، فوثبت به، فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية، على ثمد قليل الماء، إنما يتبرضه الناس تبرضا، فلم يلبث الناس أن نزحوه، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش.

فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوها فيه، قال: فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنها، وفزعت قريش لنزوله عليهم، فأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليهم رجلا من أصحابه، فدعا

عمر بن الخطاب ليبعثه إليهم، فقال: يا رسول الله، ليس بمكة أحد من بني كعب يغضب لي، إن أوذيت، فأرسل عثمان بن عفان، فإن عشيرته بها، وإنه مبلغ ما أردت.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان، فأرسله إلى قريش، وقال: "أخبرهم أنا لم نأت لقتال، إنما جئنا عمارا، وادعهم إلى الإسلام"

وأمره أن يأتي رجالا بمكة مؤمنين، ونساء مؤمنات، فيدخل عليهم ويبشرهم بالفتح، ويخبرهم أن الله عز وجل مظهر دينه بمكة، حتى لا يستخفى فيها بالإيمان، فانطلق [ص ٧٩٧] عثمان، فمر على قريش ببلدح، فقالوا: أين تريد؟ فقال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، ونخبركم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عمارا، قالوا: قد سمعنا ما تقول، فانفذ لحاجتك.

وقام إليه أبان بن سعيد بن العاص، فرحب به، وأسرج فرسه، فحمل عثمان على الفرس، فأجاره، وأردفه أبان حتى جاء مكة، وقال المسلمون قبل أن يرجع عثمان: خلص عثمان قبلنا إلى البيت وطاف به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون" فقالوا: وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص؟ قال: "ذاك ظني به، أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف معه" واختلط المسلمون بالمشركين في أمر الصلح، فرمى رجل من أحد الفريقين رجلا من الفريق الآخر، وكانت معركة، وتراموا بالنبل والحجارة، وصاح الفريقان كلاهما، وارتهن كل واحد من الفريقين بمن فيهم، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان قد قتل، فدعا إلى البيعة.

فثار المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو تحت الشجرة، فبايعوه على أن لا يفروا، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد نفسه، وقال: "هذه عن عثمان" ولما تمت البيعة، رجع عثمان، فقال له المسلمون: اشتفيت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت، فقال: بئسما ظننتم بي، والذي نفسي بيده، لو مكثت بها سنة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم، مقيم بالحديبية، ما طفت بها حتى يطوف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد دعتني قريش إلى الطواف بالبيت فأبيت، فقال المسلمون: رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان أعلمنا بالله، وأحسننا ظنا.

وكان عمر أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم للبيعة تحت الشجرة، فبايعه المسلمون كلهم إلا الجد ابن قيس، وكان معقل بن يسار، أخذ بغصنها يرفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أول من بايعه، أبو سنان الأسدي، وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات، في أول الناس، وأوسطهم، وآخرهم.

فبينما هم كذلك، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي، في نفر من خزاعة، وكانوا عيبة نصح لرسول الله صلى

الله عليه وسلم، من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي، نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاءوا أماددهم ويخلوا بيني وبين الناس، وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن أبوا إلا القتال، فوالذي نفسي بيده، لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو لينفذن الله أمره" قال بديل: سأبلغهم ما تقول.

فانطلق حتى أتى قريشا، فقال: إني قد جئتكم من عند هذا الرجل، وسمعته يقول قولا فإن شئتم عرضته عليكم، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تحدثنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي: منهم: هات ما سمعته، قال: سمعته يقول كذا وكذا، فقال عروة بن مسعود الثقفي: إن هذا قد عرض عليكم خطة رشد، فاقبلوها، ودعوني آته، فقالوا: ائته، فأتاه، فجعل يكلمه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل، فقال له عروة عند ذلك: أي: محمد، أرأيت لو استأصلت قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فوالله إني لأرى وجوها، وأرى أوباشا من الناس، خليقا أن يفروا ويدعوك، فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟ قال: من ذا؟ قال: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها، لأجبتك.

وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، وكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة على رأس النبي صلى الله عليه وسلم، ومعه السيف، وعليه المغفر فكلما أهوى عروة إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم، ضرب يده بنعل السيف، وقال: أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفع عروة رأسه، وقال: من ذا؟ قال: المغيرة بن شعبة، فقال: أي: غدر، أولست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية، فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء"

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوالله إن تنخم النبي صلى الله عليه وسلم نخامة، إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها جلده ووجهه.

وإذا أمرهم ابتدروا إلى أمره، وإذا توضأ، كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر، تعظيما له.

فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، على كسرى، وقيصر، والنجاشي،

والله ما رأيت ملكا يعظمه أصحابه، ما يعظم أصحاب محمد محمدا، والله ما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له. وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها.

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته، فقالوا: ائته.

فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له" فبعثوها فاستقبله القوم يلبون، فلما رأى ذلك، قال: سبحان الله، لا ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت.

فرجع إلى أصحابه، فقال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، وما أرى أن يصدوا عن البيت فقام مكرز بن [ص ٧٩٨] حفص، وقال: دعوني آته، فقالوا: ائته، فلما أشرف عليهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "هذا مكرز بن حفص، وهو رجل فاجر" فجعل يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينا هو يكلمه، إذ جاء سهيل بن عمرو، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "قد سهل لكم من أمركم" فقال: هات، اكتب بيننا وبينك كتابا، فدعا الكاتب، فقال: "اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم" فقال سهيل: أما الرحمن، فوالله ما ندري م، هو، ولكن اكتب: "باسمك اللهم" كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اكتب باسمك اللهم"

ثم قال: "اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله " فقال سهيل: فوالله لو نعلم أنك رسول الله، ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني رسول الله وإن كذبتموني، اكتب: محمد بن عبد الله " فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به" فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن لك من العام المقبل، فكتب.

فقال سهيل: على أن لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك، إلا رددته علينا.

فقال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟

فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما قاضيتك عليه، أن ترده، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنا لم نقض الكتاب بعد" فقال: فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبدا، فقال النبي صلى الله عليه

وسلم: "فأجزه لي" فقال: ما أنا بمجيزه، فقال: "بلى فافعل" قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: قد أجزناه.
فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما، ألا ترون ما لقيت؟ وكان قد عذب في الله عذابا شديدا.
قال عمر بن الخطاب: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله ألست نبي الله؟ قال: "بلى" قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: "بلى" فقلت: علام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبين أعدائنا؟ فقال: "إني رسول الله، وهو ناصري، ولست أعصيه" قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: "بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه العام؟" قلت: لا قال: "فإنك آتيه ومطوف به"
قال: فأتيت أبا بكر، فقلت له كما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ورد عليه أبو بكر كما رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء، وزاد: فاستمسك بغرزه حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق، قال عمر: فعملت لذلك أعمالا.
فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قوموا وانحروا، ثم احلقوا" فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: يا رسول الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلق لك، فقام فخرج، فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما، ثم جاءت نسوة مؤمنات، فأنزل الله عز وجل: ﴿ إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ﴾ حتى بلغ ﴿ بعصم الكوافر ﴾ فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية، والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجع إلى المدينة.
وفي مرجعه أنزل الله عليه: ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ إلى آخرها، فقال عمر: أفتح هو يا رسول الله؟ فقال: "نعم" فقال الصحابة: هنيئا لك يا رسول الله، فما لنا؟
فأنزل الله عز وجل: ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ﴾
الآية. انتهى.
وهذا آخر تفسير سورة الفتح ولله الحمد والمنة
[وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، نقلته من خط المفسر رحمه الله وعفا عنه، وكان الفراغ

من كتابته في ١٣ ذي الحجة ١٣٤٥ وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين آمين.

بقلم الفقير إلى ربه سليمان بن حمد العبد الله البسام. غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات] (٢) .

المجلد الثامن من تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان من به الله على عبده وابن عبده وابن أمته عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي.

[ص ٧٩٩] تفسير سورة الحجرات

وهي مدنية

---

(١) في ب: وعذرهم.

(٢) زيادة من ب.." [1]

"ومعنى ﴿هاذا مغتسل﴾ : أي ما يغتسل به ، ﴿وشراب﴾ ، أي ما تشربه ، فباغتسالك يبرأ ظاهرك ، وبشربك يبرأ باطنك. والظاهر أن المشار إليه كان واحدا ، والعين التي نبعت له عينان ، شرب من إحداهما واغتسل من الأخرى. وقيل : ضرب برجله اليمنى ، فنبعت عين حارة فاغتسل. وباليسرى ، فنبعت باردة فشرب منها ، وهذا مخالف لظاهر قوله : ﴿مغتسلا بارد﴾ ، فإنه يدل على أنه ماء واحد. وقيل : أمر بالركض بالرجل ، ليتناثر عنه كل داء بجسده. وقال القتبي : المغتسل : الماء الذي يغتسل به. وقال مقاتل : هو الموضع الذي يغتسل فيه. وقال الحسن : ركض برجله ، فنبعت عين ماء ، فاغتسل منها ، ثم مشى نحوا من أربعين ذراعا ، ثم ركض برجله ، فنبعت عين ، فشرب منها. قيل : والجمهور على أنه ركض ركضتين ، فنبعت له عينان ، شرب من إحداهما ، واغتسل من الأخرى. والجمهور : على أنه تعالى أحيا له من مات من أهله ، وعافى المرضى ، وجمع عليه من شتت منهم. وقيل : رزقه أولادا وذرية قدر ذريته الذين هلكوا ، ولم يرد أهله الذين هلكوا بأعيانهم ، وظاهر هذه الهيئة أنها في الدنيا. وقيل ذلك وعد ، وتكون تلك الهيئة في الآخرة. وقيل : وهبه من كان حيا منهم ، وعافاه من الأسقام ، وأرغد لهم العيش ، فتناسلوا حتى تضاعف عددهم وصار مثلهم.

---

(١) تفسير السعدي، ص/٧٩٥

و﴿رحمة﴾ ، ﴿وذكرى ﴾ : مفعولان لهما ، أي أن الهبة كانت لرحمتنا إياه ، وليتذكر أرباب العقول ، وما يحصل للصابرين من الخير ، وما يؤول إليه من الأجر. وفي الكلام حذف تقديره : وكان حلف ليضربن امرأته مائة ضربة لسبب جرى منها ، وكانت محسنة له ، فجعلنا له خلاصا من يمينه بقولنا : ﴿وخذ بيدك ضغثا﴾ . قال ابن عباس : الضغث : عثكال النخل. وقال مجاهد : الأثل ، وهو نبت له شوك. وقال الضحاك : حزمة من الحشيش مختلفة. وقال الأخفش : الشجر الرطب ، واختلفوا في السبب الذي أوجب حلفه. ومحصول أقوالهم هو تمثل الشيطان لها في صورة ناصح أو مداو. وعرض لها شفاء أيوب على يديه على شرط لا يمكن وقوعه من مؤمن ، فذكرت ذلك له ، فعلم أن الذي عرض لها هو الشيطان ، وغضب لعرضها ذلك عليه فحلف. وقيل غير ذلك من الأسباب ، وهي متعارضة. فحلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها ، لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها ، وقد وقع مثل هذه الرخصة في الإسلام. أني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخدج قد خبث بأمة فقال : "خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة". وقال بذلك بعض أهل العلم في الإيمان ، قال : ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة ، إما أطرافها قائمة ، وإما أعراضها مبسوطة ، مع وجود صورة الضربة. والجمهور على ترك القول في الحدود ، وأن البر في الإيمان لا يقع إلا بإتمام عدد الضربات. ووصف الله تعالى نبيه بالصبر. وقد قال : ﴿مسنى الضر﴾ ، فدل على أن الشكوى إلى الله تعالى لا تنافي الوصف بالصبر. وقد قال يعقوب : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله على أن أيوب عليه السلام طلب الشفاء خيفة على قومه أن يوسوس إليهم الشيطان أنه لو كان نبيا لم يبتل ، وتألفا لقومه على الطاعة ، وبلغ أمره في البلاء إلى أنه لم يبق منه إلا القلب واللسان. ويروى أنه قال في مناجاته : إلهي قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي ، ولم يتبع قلبي بصري ، ولم يمنعني ما ملكت يميني ، ولم آكل إلا ومعي يتيم ، ولم أبت شبعانا ولا كاسيا ومعي جائع أو عريان ، فكشف الله عنه.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٣٩٩

﴿واذكر عبادنآ إبراهيم﴾ ، وقرأ ابن عباس وابن كثير وأهل مكة ، عبدنا على الإفراد ، وإبراهيم بدل منه ، أو عطف بيان. والجمهور على الجمع ، وما بعده من الثلاثة بدل أو عطف بيان. وقرأ الجمهور : ﴿أولى الايدى﴾ ، بالياء. قال ابن عباس ومجاهد : القوة في طاعة الله. وقيل : إحسانهم في الدين وتقدمهم عند الله على عمل صدق ، فهي

٤٠١

كالأيدي ، وهو قريب مما قبله. وقيل : النعم التي أسداها الله إليهم من النبوة والمكانة. وقيل ﴿الايدى﴾

: الجوارح المتصرفة في الخير ، ﴿والابصار﴾ الثاقبة فيه.
." (١)

"﴿واذكر عبدنآ أيوب إذ نادى ربها أني مسني الشيطان بنصب وعذاب * اركض برجلكا هذا مغتسلا بارد وشراب * ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولى الالباب * وخذ بيدك ضغثا فاضرب بها ولا تحنثا إنا وجدناه صابرا نعم العبدا إنها أواب * واذكر عبادنآ إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الايدى والابصار * إنآ أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار * وإنهم عندنا لمن المصطفين الاخيار * واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفلا وكل من الاخيار﴾ .

لما أمر نبيه بالصبر ، وذكر ابتلاء داود وسليمان ، وأثنى عليهما ، ذكر من كان أشد ابتلاء منهما ، وأنه كان في غاية الصبر ، بحيث أثنى الله عليه بذلك. وأيوب : عطف بيان أو بدل. قال الزمخشري : وإذ بدل اشتمال منه. وقرأ الجمهور : ﴿إني ﴾ بفتح الهمزة ، وعيسى : بكسرها ، وجاء بضمير التكلم حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ، ولو لم يحك لقال : إنه مسه ، لأنه غائب ، وأسند المس إلى الشيطان. قال الزمخشري : لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب ، نسبه إليه وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه ، مع أنه فاعله ، ولا يقدر عليه إلا هو. وقيل : أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به البلاء ، فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء ، أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل. وذكر في سبب بلائه أن رجلا استغاثه على ظالم ، فلم يغثه. وقيل : كانت مواشيه في ناحية ملك كافر ، فداهنه ولم يفده. وقيل : أعجب بكثرة ماله. انتهى.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٣٩٩

ولا يناسب مناصب الأنبياء ما ذكره الزمخشري من أن أيوب كانت منه طاعة للشيطان فيما وسوس به ، وأن ذلك كان سببا لما مسه الله به من النصب والعذاب ، ولا أن رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه ، ولا أنه داهن كافرا ، ولا أنه أعجب بكثرة ماله. وكذلك ما رووا أن الشيطان سلطه الله عليه حتى أذهب أهله وماله لا يمكن أن يصح ، ولا قدرة له على البشر إلا بإلقاء الوساوس الفاسدة لغير المعصوم. والذي نقوله : أنه تعالى ابتلى أيوب عليه السلام في جسده وأهله وماله ، على ما روي في الأخبار. وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أن أيوب بقي في محنته ثماني عشرة سنة يتساقط لحمه حتى مله العالم ، ولم

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

يصبر عليه إلا امرأته ، ولم يبين لنا توالي السبب المقتضي لعلته. وأما إسناده المس إلى الشيطان ، فسبب ذلك أنه كان يعوده ثلاث من المؤمنين ، فارتد أحدهم ، فسأل عنه فقيل : ألقى إليه الشيطان أن الله لا يبتلي الأنبياء والصالحين ، فحينئذ قال : ﴿مسنى الشيطان﴾ ، نزل لشفقته على المؤمنين.

مس الشيطان ذلك المؤمن حتى ارتد منزلة مسه لنفسه ، لأن المؤمن الخير يتألم برجوع المؤمن الخير إلى الكفر ؛ ولذلك جاء بعده : ﴿اركض برجلك﴾ ، حتى يغتسل ويذهب عنه البلاء ، فلا يرتد أحد من المؤمنين بسبب طول بلائه ، وتسويل الشيطان أنه تعالى لا يبتلي الأنبياء. وقيل : أشار بقوله : ﴿مسنى الشيطان﴾ إلى تعريضه لامرأته ، وطلبه أن تشرك بالله ، وكأنه بتشكي هذا الأمر كان عليه أشد من مرضه.

وقرأ الجمهور : ﴿بنصب﴾ ، بضم النون وسكون الصاد ، قيل : جمع نصب ، كوثن ووثن ؛ وأبو جعفر ، وشيبة ، وأبو عمارة عن حفص ، والجعفي عن أبي بكر ، وأبو معاذ عن نافع : بضمتين ، وزيد بن علي ، والحسن ، والسدي ؛ وابن عبلة ، ويعقوب ، والجحدري : بفتحتين ؛ وأبو حيوة ، ويعقوب في رواية ، وهبيرة عن حفص : بفتح النون وسكون الصاد. وقال الزمخشري : النصب والنصب ، كالرشد والرشد ، والنصب على أصل المصدر ، والنصب تثقيل نصب ، والمعنى واحد ، وهو التعب والمشقة. والعذاب : الألم ، يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من أنواع الوصب. انتهى.

وقال ابن عطية : وقد ذكر هذه القراءات ، وذلك كل بمعنى واحد معناه المشقة ، وكثيرا ما يستعمل النصب في مشقة الإعياء. وفرق بعض الناس بين هذه الألفاظ ، والصواب أنها لغات بمعنى من قولهم : أنصبني الأمر ، إذا شق علي انتهى. وقال السدي : بنصب في الجسد وعذاب في المال ، وفي الكلام حذف تقديره : فاستجبنا له وقلنا : ﴿اركض برجلك﴾ ، فركض ، فنبعت عين ، فقلنا له : ﴿هاذا مغتسلا بارد وشراب﴾ فيه شقاؤك ، فاغتسل فبرأ ، ﴿ووهبنا لها﴾ ، ويدل على هذه المحذوفات معنى الكلام وسياقه. وتقدم الكلام في

٤٠٠

الركض في سورة الأنبياء. وعن قتادة والحسن ومقاتل : كان ذلك بأرض الجابية من الشأم.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٣٩٩." (١)

"والخبر لا ﴿يعزب﴾ . وقال الحوفي : أو خبره محذوف ، أي عالم الغيب هو ، وباقي السبعة : عالم بالجر. قال ابن عطية ، وأبو البقاء : وذلك على البدل. وأجاز أبو البقاء أن تكون صفة ، ويعني أن

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

عالم الغيب يجوز أن يتعرف ، وكذا كل ما أضيف إلى معرفة مما كان لا يتعرف بذلك يجوز أن يتعرف بالاضافة ، إلا الصفة المشبهة فلا تتعرف بإضافة. ذكر ذلك سيبويه في كتابة ، وقل من يعرفه. وقرأ ابن وثاب ، والأعمش ، وحمزة ، والكسائي : علام على المبالغة والخفض ، وتقدمت قراءة يعزب في يونس.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٥٥

وقرأ الجمهور : ﴿ولا أصغر من ذالك ولا أكبر﴾ ، برفع الراءين ، واحتمل أن يكون معطوفا على ﴿مثقال﴾ ، وأن يكون مبتدأ ، والخبر في قوله : ﴿إلا فى كتاب﴾ . وعلى الاحتمال الأول ، يكون ﴿إلا فى كتاب مبين﴾ توكيدا لما تضمن النفي في قوله : ﴿لا يعزب﴾ ، وتقديره : لكنه في كتاب مبين ، وهو كناية عن ضبط الشيء والتحفظ به ، فكأنه في كتاب ، وليس ثم كتاب حقيقة. وعلى التخريج الأول ، يكون الكتاب هو اللوح المحفوظ. وقرأ الأعمش ، وقتادة : بفتح الراءين. قال ابن عطية : عطفا على ﴿ذرة﴾ . ورويت عن أبي عمرو ، وعزاها أيضا إلى نافع ، ولا يتعين ما قال ، بل تكون لا لنفي الجنس ، وهو مبتدأ ، أعني مجموع لا وما بني معها على مذهب سيبويه ، والخبر ﴿إلا فى كتاب مبين﴾ ، وهو من عطف الجمل ، لا من عطف المفردات ، كما قال ابن عطية.

وقال الزمخشري : جوابا لسؤال من قال : هل جاز عطف ﴿ولا أصغر﴾ على ﴿مثقال﴾ ، وعطف ﴿ولا أصغر﴾ على ﴿ذرة﴾ ؟ قلت : يأبى ذلك حرف الاستثناء ، إلا إذا جعلت الضمير في عنه للغيب ، وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل أن تكتب في اللوح ، لأن إثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى أنه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزول عنه إلا مسطورا في اللوح. انتهى. ولا يحتاج إلى هذا التأويل إذا جعلنا الكتاب المبين ليس اللوح المحفوظ. وقرأ زيد بن علي : ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، بخفض الراءين بالكسرة ، كأنه نوى مضافا إليه محذوفا ، التقدير : ولا أصغر ولا أكبره ، ومن ذلك ليس متعلقا بأفعل ، بل هو بتبين ، لأنه لما حذف المضاف إليه أبهم لفظا فبينه بقوله : ﴿من ذالك﴾ ، أي عنى من ذلك ، وقد جاءت من كون أفعل التفضيل مضافا في قول الشاعر :

تحن نفوس الورى وأعلمنابا يركض الجياد في السدف

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٥٥

وخرج على أنه أراد علم بنا ، فأضاف ناويا طرح المضاف إليه ، فاحتملت قراءة زيد هذا التوجيه الآخر : أنه لما أضاف أصغر وأكبر على إعرابهما حالة الإضافة ، وهذا كله توجيه شذوذ ، وناسب وصفه تعالى بعالم الغيب ، وأنه لا يفوت علمه شيء من الخفيات ، فاندرج في ذلك وقت قيام الساعة ، وصار ذلك

دليلا على صحة ما أقسم عليه ، لأن من كان عالما بجميع الأشياء كلها وجزئها ، وكانت قدرته ثابتة ، كان قادرا على إعادة ما فنى من جميع الأرواح والأشباح. قيل : وقوله ﴿مثقال ذرة فى السماوات﴾ ، إشارة إلى علمه بالأرواح ، ﴿ولا فى الارض﴾ ، إشارة إلى علمه بالأشياء. وكما أبرزهما من العدم إلى الوجود أولا ، فكذلك يعيدهما ثانيا. وقال الزمخشري : فإن قلت : كيف يكون بمعنى اليمين مصححة لما أنكروه ؟ قلت : هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها بالحجة القاطعة ، وهو قوله : ﴿ليجزى﴾ ، فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء ، وأن المحسن لا بد له من ثواب ، والمسيء لا بد له من عقاب. انتهى ، وفي السؤال بعض اختصار ، وفيه دسيسة الاعتزال. والظاهر أن قوله : ﴿ليجزى﴾ متعلق بقوله : ﴿لا يعزب﴾ ، وقيل : بقوله ﴿لتأتينكم﴾ ، وقيل : بالعامل ﴿فى كتاب مبين﴾ : أي إلا مستقرا في كتاب مبين ليجزي. وقرأ الجمهور : معجزين مخففا ، وابن كثير وأبو عمرو والجحدري وأبو السماك : مثقلا وتقدم في الحج ، أي معجزين قدره الله في زعمهم. وقال ابن الزبير : معناه مثبطين عن الإيمان من أراده ، مدخلين عليه العجز

٢٥٨

في نشاطه ، وهذا هو سعيهم في الآيات ، أي في شأن الآيات. وقال قتادة : مسابقين يحسبون أنهم يفوتوننا. وقال عكرمة : مراغمين. وقال ابن زيد : مجاهدين في إبطالها. وقرأ ابن كثير وحفص وابن أبي عبلة : ﴿أليم﴾ هنا ، وفي الجاثية بالرفع صفة للعذاب ، وباقي السبعة بالجر صفة للرجز ، والرجز : العذاب السيء. والظاهر أن قوله : ﴿والذين سعو﴾ مبتدأ ، والخبر في الجملة الثانية ، وهي ﴿أوائك﴾ . وقيل : هو منصوب عطفا على ﴿الذين كفروا ﴾ ،

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٥٥

". (١)

"وبقية أحكام لكن مذكورة في النحو. الكاف : حرف تشبيه تعمل الجر وأسميتها مختصة عندنا بالشعر ، وتكون زائدة وموافقة لعلى ، ومن ذلك قولهم : كخير في جواب من قال كيف أصبحت ، ويحدث فيها معنى التعليل ، وأحكامها مذكورة في النحو. ﴿وإذا قيل لهم ءامنوا كمآ ءامن الناس قالوا أنؤمن كمآ ءامن السفهآءا ألا إنهم هم السفهآء ولكن لا يعلمون﴾ ، السفه : الخفة. ومنه قيل للثوب الخفيف النسج سفيه ، وفي الناس خفة الحلم ، قاله ابن كيسان ، أو البهت والكذب والتعمد خلاف ما يعلم ، قاله مؤرج

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

، أو الظلم والجهل ، قاله قطرب. والسفهاء جمع سفيه ، وهو جمع مطرد في فعيل الصحيح الوصف المذكر العاقل الذي بينه وبين مؤنثه التاء ، والفعل منه سفه بكسر العين وضمها ، وهو القياس لأجل اسم الفاعل. قالوا : ونقيض السفه : الرشد ، وقيل : الحكمة ، يقال رجل حكيم ، وفي ضده سفيه ، ونظير السفه النزق والطيش.

﴿وإذا لقوا الـذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن﴾ ، اللقاء : استقبال الشخص قريبا منه ، والفعل منه لقي يلقى ، وقد يقال لاقى ، وهو فاعل بمعنى الفعل المجرد ، وسمع للقى أربعة عشر مصدرا ، قالوا : لقى ، لقيا ، ولقية ، ولقاة ، ولقاء ، ولقاء ، ولقى ، ولقي ، ولقياء ، ولقياء ، ولقيا ، ولقيانا ، ولقيانة ، وتلقاء. الخلو : الانفراد ، خلا به أي انفرد ، أو المضي ، ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ . الشيطان ، فيعال عند البصريين ، فنونه أصلية من شطن ، أي بعد ، واسم الفاعل شاطن ، قال أمية :

أيما شاطن عصاه عكاهثم يلقى في السجن والأكبال

وقال رؤبة :

وفي أخاديد السياط المتنشاف لبغي الكلب المشيطن

ووزنه فعلان عند الكوفيين ، ونونه زائدة من شاط يشيط إذا هلك ، قال الشاعر :

قد تظفر العير في مكنون قائلةوقد تشطو على أرماحنا البطل

والشيطان كل متمرد من الجن والإنس والدواب ، قاله ابن عباس ، وأنثاه شيطانة ، قال الشاعر :

هي البازل الكوماء لا شيء غيرهاوشيطانة قد جن منها جنونها

وشياطين : مع شيطان ، نحو غراثين في جمع غرثان ، وحكاه الفراء ، وهذا على تقدير أن نونه زائدة تكون نحو : غرثان ، مع اسم معناه الصحبة اللائقة بالمذكور ، وتسكينها قبل حركة لغة ربيعة وغنم ، قاله الكسائي. وإذا سكنت فالأصح أنها اسم ، وإذا ألقيت ألف اللام أو ألف الوصل ، فالفتح لغة عامة العرب ، والكسر لغة ربيعة ، وتوجيه اللغتين في النحو ، ويستعمل ظرف مكان فيقع خبرا عن الجثة والأحداث ، وإذا أفرد نون مفتوحا ، وهي ثلاثي الأصل من باب المقصور ، إذ ذاك لا من باب يد ، خلافا ليونس ، وأكثر استعمال معا حال ، نحو : جميعا ، وهي أخص من جميع لأنها تشرك في الزمان نصا ، وجميع تحتمله. وقد سأل أحمد

٦٢

بن يحيى أحمد بن قادم عن الفرق بين. قام عبد الله وزيد معا ، وقام عبد الله وزيد جميعا ، قال : فلم يزل يركض فيها إلى الليل ، وفرق ابن يحيى : بأن جيمعا يكون القيام في وقتين وفي وقت واحد ، وأما إذا قلت : معا ، فيكون في وقت واحد. الاستهزاء : الاستخفاف والسخرية ، وهو استفعل بمعنى الفعل المجرد ، وهو فعل ، تقول : هزأت به واستهزأت بمعنى واحد ، مثل استعجب : بمعنى عجب ، وهو أحد المعاني التي جاءت لها استفعل.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٦٠

﴿الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾ المد : التطويل ، مد الشيء : طوله وبسطه ، ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد﴾ ، وأصل المد : الزيادة ، وكل شيء دخل في شيء فكثره فقد مده ، قاله اللحياني. وأمد بمعنى مد ، مد الجيش ، وأمده : زاده وألحق به ما يقويه من جنسه. وقال بعض أهل العلم : مد زاد من الجنس ، وأمد : زاد من غير الجنس. وقال يونس : مد في الخير وأمد في الشر. انتهى قوله. ويقال : مد النهر وأمده نهر آخر ، ومادة الشيء ما يمده ، الهاء فيه للمبالغة. وقال ابن قتيبة : مددت الدواة وأمددتها بمعنى ، ويقال : مددنا القوم : صرنا لهم أنصارا وأمددناهم بغيرنا. وقال اللحياني : أمد الأمير جنده بالخيل ، وفي التنزيل : ﴿عليهم وأمددناكم بأموال وبنين﴾ . الطغيان : مجاوزة المقدار المعلوم ، يقال طغى الماء ، وطغت النار. العمه : التردد والتحير ، وهو شبيه بالعمى ، إلا أن العمى توصف به العين التي ذهب نورها ، والرأي الذي غاب عنه الصواب. يقال : عمه ، يعمه ، عمها ، وعمهانا فهو : عمه ، وعامه. ويقال : برية عمهاء إذا لم يكن بها علم يستدل به. وقال ابن قتيبة : العمه أن يركب رأسه ولا يبصر ما يأتي. وقيل : العمه : العمى عن الرشد.

". (١)

"في التوبة ، فالتائب عن الذنب لا بد أن يكون خاشعا مستكينا ، وما ذهب إليه لا يلزم ، لأن أخذ الحال مقارنة ، فتعذر ذلك عنده ، وليس بمتعذر لأنه لا يبعد أن أمروا بالدخول وهم ساجدون ، فيضعون جباههم على الأرض وهم داخلون. وتصدق الحال المقارنة بوضع الجبهة على الأرض إذا دخلوا. وأما إذا جعلنا الحال مقدرة فيصح ذلك ، لأن السجود إذ ذاك يكون متراخيا عن الدخول ، والحال المقدرة موجودة في لسان العرب. من ذلك ما في كتاب سيبويه مررت برجل معه صقر صائدا به غدا. وإذا أمكن حمل السجود على المتعارف فيه كثيرا ، وهو وضع الجبهة بالأرض يكون الحال مقارنة أو مقدرة ، كان أولى.

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١/٤٤

وقال الزمخشري : أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب ، شكرا لله وتواضعا ، وما ذكره ليس مدلول الآية لأنهم لم يؤمروا بالسجود في الآية عند الانتهاء إلى الباب ، بل أمروا بالدخول في حال السجود. فالسجود ليس مأمورا به ، بل هو قيد في وقوع المأمور به ، وهو الدخول ، والأحوال نسب تقييدية ، والأوامر نسب إسنادية ، فتناقضتا ، إذ يستحيل أن يكون الشيء تقييديا إسناديا ، لأنه من حيث التقييد لا يكتفي كلاما ومن حيث الإسناد يكتفي ، فظهر التناقض. وفي كيفية دخولهم الباب أقوال : قال ابن عباس وعكرمة : دخلوا من قبل أستاههم ، وقال ابن مسعود : دخلوا مقنعي رؤوسهم ، وقال مجاهد : دخلوا على حروف أعينهم ، وقال مقاتل : دخلوا مستلقين ، وقيل : دخلوا منزحفين على ركبهم عنادا وكبرا ، والذي ثبت في البخاري ومسلم أنهم دخلوا الباب يزحفون على أستاههم. فاضمحلت هذه التفاسير ، ووجب المصير إلى تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢١٦

وقوله : ﴿وقولوا حطة﴾ ، حطة : مفر ، ومحكي القول لا بد أن يكون جملة ، فاحتيج إلى تقدير مصحح للجملة ، فقدر مسألتنا حطة هذا تقدير الحسن بن أبي الحسن. وقال الطبري : التقدير دخولنا الباب كما أمرنا حطة ، وقال غيرهما : التقدير أمرك حطة. وقيل : التقدير أمرنا حطة ، أي أن نحط في هذه القرية ونستقر فيه. قال الزمخشري : والأصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة ، وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله :

صبر جميل فكلانا مبتلى

والأصل صبرا. انتهى كلامه ، وهو حسن. ويؤكد هذا التخريج قراءة إبراهيم بن أبي عبلة : حطة بالنصب ، كما روي :

صبرا جميلا فكلانا مبتلي

بالنصب. والأظهر من التقادير السابقة في إضمار المبتدأ القول الأول ، لأن المناسب في تعليق الغفران عليه هو سؤال حط الذنوب لا شيء من تلك التقادير الأخر ، ونظير هذا الإضمار قول الشاعر :

إذا ذقت فاها قلت طعم مدامةمعتقة مما تجيء به التجر

روي برفع طعم على تقدير : هذا طعم مدامة ، وبالنصب على تقدير : ذقت طعم مدامة. قال الزمخشري : فإن قلت : هل يجوز أن ينصب حطة في قراءة من نصبها يقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة ؟ قلت : لا يبعد ، انتهى. وما جوزه ليس بجائز لأن القول لا يعمل في المفردات ، إنما يدخل على الجمل للحكاية ،

فيكون في موضع المفعول به ، إلا إن كان المفرد مصدرا نحو : قلت قولا ، أو صفة لمصدر نحو : قلت حقا ، أو معبرا به عن جملة نحو : قلت شعرا وقلت خطبة ، على أن هذا القسم يحتمل أن يعود إلى المصدر ، لأن الشعر والخطبة نوعان من القول ، فصار كالقهقري من الرجوع ، وحطة ليس واحدا من هذه. ولأنك إذا جعلت حطة منصوبة بلفظ قولوا ، كان ذلك من الإسناد اللفظي وعري من الإسناد المعنوي ، والأصل هو الإسناد المعنوي. وإذا كان من الإسناد اللفظي لم يترتب على النطق به فائدة أصلا إلا مجرد الامتثال للأمر بالنطق بلفظ ، فلا فرق بينه وبين الألفاظ الغفل التي لم توضع لدلالة على معنى. ويبعد أن يرتب الغفران للخطايا على النطق بمجرد لفظ مفرد لم يدل به على معنى كلام. أما ما ذهب

٢٢٢

إليه أبو عبيدة من أن قوله حطة مفرد ، وأنه مرفوع على الحكاية وليس مقتطعا من جملة ، بل أمروا بقولها هكذا مرفوعة ، فبعيد عن الصواب لأنه يبقى حطة مرفوعا بغير رافع ، ولأن القول إنما وضع في باب الحكاية ليحكى به الجمل لا المفردات ، ولذلك احتاج النحويون في قوله تعالى : ﴿يقال لها إبراهيم﴾ إلى تأويل ، وأما تشبيهه إياه بقوله :

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢١٦

سمعت الناس ينتجعون غيثا

وجدنا في كتاب بني تميمأحق الخيل بالركض المعار

". (١)

"يريد خمسة أيام ، وعلى ذلك ما جاء في الحديث ، ثم أتبعه بست من شوال ، وإذا تقرر هذا فجاء قوله : عشرا على أحد الجائزين ، وحسنه هنا أنه مقطع كلام ، فهو شبيه بالفواصل ، كما حسن قوله : ﴿إن لبثتم إلا عشرا﴾ كونه فاصلة ، فلذلك اختير مجيء هذا على أحد الجائزين ، فقوله : ولو ذكرت لخرجت عن كلامهم ، ليس كما ذكر ، بل لو ذكر لكان أتى على الكثير الذي نصوا عليه أنه الفصيح ، إذ حاله عندهم محذوفا كحاله مثبتا في الفصيح ، وجوزوا الذي ذكره الزمخشري على أن غيره أكثر منه ، وقوله : ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ، كما ذكر ، بل استعمال التذكير هو الكثير الفصيح فيه. كما ذكرنا. وقوله : ومن البين فيه ﴿إن لبثتم إلا عشرا﴾ قد بينا مجيء هذا على الجائز فيه ، وأن محسن ذلك إنما هو كونه فاصلة ، وقوله : ﴿إن لبثتم إلا يوما﴾ فائدة ذكر الزمخشري هذا أنه على زعمه أراد الليالي ، والأيام

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١/١٨٧

داخلة معها ، فأتى بقوله : إلا يوما ، للدلالة على ذلك ، وهذا عندنا يدل على أن قوله : عشرا ، إنما يريد بها الأيام ، لأنهم اختلفوا في مدة اللبث ، فقال قوم : عشر ، وقال ، أمثلهم : طريقة يوم ، فقوله : إلا يوما ، مقابل لقولهم إلا عشرا ، ويبين أنه أريد بالعشر الأيام ، إذ ليس من التقابل أن يقول بعضهم : عشر ليال ، ويقول : بعض : يوما.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٢٠

وظاهر قوله أربعة أشهر ما يقع عليه اسم الشهر ، فلو وجبت العدة مع رؤية الهلال لاعتدت بالأهلة ، كان الشهر تاما أو ناقصا. وإن وجبت في بعض شهر ، فقيل : تستوفي مائة وثلاثين يوما ، وقيل : تعتد بما يمر عليها من الأهلة شهورا ، ثم تكمل الأيام الأول ، وكلا القولين عن أبي حنيفة.

ولما كان الغالب على من مات عنها زوجها أن تعلم ذلك ، فتعتد إثر الوفاة ، جاء الفعل مسندا : إليهن ، وأكد بقوله : بأنفسهن ، فلو مضت عليها مدة العدة من حين الوفاة . وقامت على ذلك البينة ، ولم تكن علمت بوفاته إلى أن انقضت العدة ، فالذي عليه الجمهور أن عدتها من يوم الوفاة ، وبه قال ابن مسعود ، وابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ، وعطاء والأسود بن يزيد ، وفقهاء الأمصار.

وقال علي ، والحسن البصري ، وخلاس بن عمرو ، وربيعة : من يوم يأتيها الخبر.

وكأنهم جعلوا في إسناد التربص إليهن تأثيرا في العدة. وروي عن سعيد بن المسيب ، والشافعي : أنهما قالا : إذا قامت البينة فالعدة من يوم يموت ، وإن لم تقم بينة فمن يوم يأتيها الخبر.

وروي عن الشافعي مثل قول الجمهور ، وأجمعوا على أن المعتدة ، لو كانت حاملا لا تعلم بوفاة الزوج حتى وضعت الحمل ، أن عدتها منقضية ، ولم تتعرض الآية في المتوفي عنها زوجها إلا لأن تتربص تلك المدة ، فلا نفقة لها في مدة العدة من رأس المال ، ولو كانت حاملا ، قاله جابر ، وابن عباس ، وابن المسيب ، وعطاء ، والحسن ، وعكرمة ، وعبد الملك بن يعلى ، ويحيى الأنصاري ، وربيعة ، ومالك ، وأحمد ، وإسحاق ، وابن المنذر ، وروي عن أبي حنيفة.

وقيل : لها النفقة من جميع المال ، وروي ذلك عن علي ، وعبد الله بن عرم ، وشريح ، وابن سيرين ، والشعبي ، وأبي العالية ، والنخعي ، وخلاس بن عمرو ، وحماد بن أبي سليمان ، وأيوب السختياني ، والثوري ، وأبي عبيد.

وظاهر قوله ﴿يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ﴾ أنه إذا تربصت هذه المدة ليس عليها أكثر من ذلك ، وإن كانت ممن تحيض فلم تحض فيها ، وقيل : لا تبرأ إلا بحيضة تأتي بها في المدة ، وإلا فهي مستريبة

، فتمكث حتى تزول ريبتها.

وأجمع الفقهاء على أن هذه الآية ناسخة لما بعدها من الإعتداد بالحول ، وهذا من غرائب النسخ ، فإن الحكم الثاني ينسخ الأول ، وقيل : إن الحول لم ينسخ ، وإنما هو ليس على وجه الوجوب ، بل هو على الندب ، فأربعة أشهر وعشرا ، أقل ما تعتد به المتوفى عنها زوجها ، والحول هو الأكمل والأفضل.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٢٠

وقال قوم : ليس في هذا نسخ ، وإنما هو نقصان من الحول : كصلاة المسافر لما نقصت من الأربع إلى الاثنين لم يكن ذلك نسخا ، بل كان تخفيفا.

قالوا : واختص هذا العدد في عدة المتوفى عنها زوجها استبراء للحمل فقد روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم

٢٢٤

قال : "يكون خلق أحدكم نطفة أربعين يوما ، ثم علقة أربعين يوما ، ثم مضغة أربعين يوما ، ثم ينفخ فيه الروح ، أربعة أشهر وزاد الله العشر لأنها مظنة لظهور حركة الجنين ، أو مراعاة لنقص الشهور وكمالها ، أو استظهارا لسرعة ظهور الحركة أو بطئها في الجنين". قال أبو العالية وغيره : إنما زيدت العشر لأن نفخ الروح يكون فيها ، وظهور الحمل في الغالب. وقال الأصمعي : ولد كل عامل يركض في نصف حمله ، وقال الراغب : ذكر الأطباء أن الولد في الأكثر ، إذا كان ذكرا يتحرك بعد ثلاثة أشهر ، وإذا كا ن أنثى بعد أربعة أشهر ، وزيد على ذلك عشرا استظهارا.

قال وخصت العشرة لزيادة لكونها أكمل الأعداد وأشرفها لما تقدم في : ﴿تلك عشرة كاملة﴾ .

." (١)

"وهذه المواطن : وقعات بدر ، وقريظة والنضير ، والحديبية ، وخيبر ، وفتح مكة. ووصفت بالكثرة لأن أئمة التاريخ والعلماء والمغازي نقلوا أنها كانت ثمانين موطنا. وحنين واد بين مكة والطائف قريب من ذي المجاز. وصرف مذ هو بابه مذهب المكان ، ولو ذهب به مذهب البقعة لم يصرف كما قال :

نصروا نبيهم وشدوا أزرهبحنين يوم تواكل الأبطال

وعطف الزمان على المكان. قال الزمخشري : وموطن يوم حنين أوفى أيام مواطن كثيرة ، ويوم حنين. وقال ابن عطية : ويوم عطف على موضع قوله : في مواطن ، أو على لفظه بتقدير : وفي يوم ، فحذف حرف

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٦٣/٢

الخفض انتهى. وإذ بدل من يوم وأضاف الإعجاب إلى جميعهم ، وإن كان صادرا من واحد لما رأى الجمع الكثير أعجبه ذلك وقال : لن نغلب اليوم من قلة. والقائل قال ابن المسيب : هو أبو بكر ، أو سلمة بن سلامة بن قريش ، أو ابن عباس ، أو رجل من بني بكر. ونقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ساءه كلام هذا القائل ، ووكلوا إلى كلام الرجل.

والكثرة بفتح الكاف ، ويجمع على كثرات. وتميم تكسر الكاف ، وتجمع على كثر كشذوة وشذر ، وكسرة وكسر ، وهذه الكثرة عن ابن عباس ستة عشر ألفا ، وعن النحاس أربعة عشر ألفا ، وعن قتادة وابن زيد وابن إسحاق والواقدي : اثنا عشر ألفا ، وعن مقاتل عن ابن عباس : أحد عشر ألفا وخمسمائة. والباء في بما رحبت للحال ، وما مصدرية أي : ضاقت بكم الأرض مع كونها رحبا واسعة لشدة الحال عليهم وصعوبتها كأنهم لا يجدون مكانا يستصلحونه للهرب والنجاة لفرط ما لحقهم من الرعب ، فكانها ضاقت عليهم. والرحب : السعة ، وبفتح الراء الواسع. يقال : فلان رحب الصدر ، وبلد رحب ، وأرض رحبة ، وقد رحبت رحبا ورحابة. وقرأ زيد بن علي : بما رحبت في الموضعين بسكون الحاء وهي لغة تميم ، يسكنون ضمة فعل فيقولون في ظرف ظرف. ثم وليتم مدبرين أي : وليتم فارين على أدباركم منهزمين تاركين رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأسند التولي إلى جميعهم وهو واقع من أكثرهم ، إذ ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من الأبطال على ما يأتي ذكره إن شاء الله ، فيقول لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كان في عشرة آلاف من أصحابه ، وانضاف إليه الفان من الطلقاء فصاروا اثني عشر ألفا إلى ما انضاف إليهم من الأعراب من سليم ، وبني كلاب ، وعبس ، وذبيان ، وسمع بذلك كفار العرب فشق عليهم ، فجمعت له هوزان وألفافها وعليهم مالك بن عوف النضري ، وثقيف وعليهم عبد ياليل بن عمرو ، وانضاف إليهم أخلاط من الناس حتى كانوا ثلاثين ألفا ، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد استعماله عتاب بن أسيد على مكة ، حتى اجتمعوا بحنين ، فلما تصاف الناس حمل المشركون من مجاني الوادي وكان قد كمنوا بها ، فانهزم المسلمون. قال قتادة : ويقال إن الطلقاء من أهل مكة فروا وقصدوا إلقاء الهزيمة في المسلمين ، وبلغ فلهم مكة ، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه على بغلة شهباء تسمى دلدل لا يتخلخل ، والعباس قد اكتنفه آخذا بلجامها ، وابن عمه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وابنه جعفر ، وعلي بن أبي طالب ، وربيعة بن الحرث ، والفضل بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وأيمن بن عبيد وهو أيمن ابن أم أيمن ، وقتل بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم هؤلاء من أهل بيته ، وثبت معه أبو بكر وعمر فكانوا عشرة رجال ، ولهذا قال العباس :

نصرنا رسول الله في الحرب تسعةوقد فر من قد فر منهم وأقشعوا

وعاشرنا لاقى الحمام بنفسهما مسه في الله لا يتوجع

وثبتت أم سليم في جملة من ثبت ممسكة بعيرا لأبي طلحة وفي يدها خنجر ، ونزل صلى الله عليه وسلم

٢٤

عن بغلته إلى الأرض واستنصر الله ، وأخذ قبضة من تراب وحصا فرمى بها في وجوه الكفار وقال : "شاهت الوجوه" قال يعلى بن عطاء : فحدثني أبناؤهم عن آبائهم قالوا : لم يبق منا أحد إلى دخل عينية من ذلك التراب ، وقال للعباس وكان صيتا : ناد أصحاب السمرة ، فنادى الأنصار فخذا فخذا ، ثم نادى يا أصحاب الشجرة ، يا أصحاب سورة البقرة ، فكروا عنقا واحدا وهم يقولون : لبيك لبيك ، وانهزم المشركون فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتال المسلمين فقال : "هذا حين حمي الوطيس" وركض رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفهم على بغلته. وفي صحيح مسلم من حديث البراء : أن هوازن كانوا رماة فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد فانكشفوا ، فأقبل القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان يقود بغلته فنزل ودعا واستنصر ، وهو يقول :

"أنا النبي لا كذب

أنا ابن عبد المطلب

اللهم أنزل نصرك"

قال البراء : كنا والله إذا حمي البأس نتقي به صلى الله عليه وسلم ، وأن الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم. وفي أول هذا الحديث : "أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة ؟" فقال : اشهد علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولى.

". (١)

"وأما حكاية أبي إسحاق عن اللغة فأمر يوقف عنده ، وأما البيت فالرواية فيه الأقوام انتهى. وليس ما تخيله صحيحا ، والنحاة ينشدونه بعد أولئك الأيام ولم يكونوا لينشدوا إلا ما روي ، وإطلاق أولاء وأولاك وأولئك وأولالك على ما لا يعقل لا نعلم خلافا فيه ، و﴿كل﴾ مبتدأ والجملة خبره ، واسم ﴿كان﴾ عائد على ﴿كل﴾ وكذا الضمير في ﴿مساولا﴾ . والضمير في ﴿عنه﴾ عائد على ما من قوله ﴿ما ليس لك بها

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٥/١٨

علم﴾ فيكون المعنى أن كل واحد من ﴿السمع والبصر والفؤاد﴾ يسأل عما لا علم له به أي عن انتفاء ما لا علم له به. وهذا الظاهر. وقال الزجاج : يستشهد بها كما قال ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم﴾ . وقال القرطبي في أحكامه : يسأل الفؤاد عما اعتقده ، والسمع عما سمع ، والبصر عما رأى. وقال ابن عطية : إن الله تعالى يسأل سمع الإنسان وبصره وفؤاده عما قال مما لا علم له به ، فيقع تكذيبه من جوارحه وتلك غاية الخزي. وقيل : الضمير في ﴿كان﴾ و﴿مساولا﴾ عائدان على القائف ما ليس له به علم ، والضمير في ﴿عنه﴾ عائد على ﴿كل﴾ فيكون ذلك من الالتفات إذ لو كان على الخطاب لكان التركيب كل أولئك كنت عنه مسؤولا.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢

وقال الزمخشري : و﴿عنه﴾ في موضع الرفع بالفاعلية ، أي كل واحد منها كان مسؤولا عنه ، فمسؤول مسند إلى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله ﴿غير المغضوب عليهم﴾ يقال للإنسان : لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ؟ ولم نظرت ما لم يحل لك النظر إليه ؟ ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه ؟ انتهى. وهذا الذي ذهب إليه من أن ﴿عنه﴾ في موضع الرفع بالفاعلية ، ويعني به أنه مفعول لم يسم فاعله لا يجوز لأن الجار والمجرور وما يقام مقام الفاعل من مفعول به ومصدر وظرف بشروطهما جار مجرى الفاعل ، فكما أن الفاعل لا يجوز تقديمه فكذلك ما جرى مجراه وأقيم مقامه ، فإذا قلت غضب على زيد فلا يجوز على زيد غضب بخلاف غضبت على زيد فيجوز على زيد غضبت. وقد حكي الاتفاق من النحويين على أنه لا يجوز تقديم الجار والمجرور الذي يقام مقام الفاعل على الفعل أبو جعفر النحاس ذكر ذلك في المقنع من تأليفه ، فليس ﴿عنه مساولا﴾ كالمغضوب عليهم لتقدم الجار والمجرور في ﴿عنه مساولا﴾ وتأخيره في ﴿المغضوب عليهم﴾ وقول الزمخشري : ولم نظرت ما لم يحل لك أسقط إلى ، وهو لا يجوز إلا إن جاء في ضرورة شعر لأن نظر يتعدى بإلى فكان التركيب ، ولم نظرت إلى ما لم يحل لك كما قال النظر إليه فعداه بإلى.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢

وانتصب ﴿مرحا ﴾ على الحال أي ﴿مرحا ﴾ كما تقول : جاء زيد ركضا أي راكضا أو على حذف مضاف أي ذا مرح ، وأجاز بعضهم أن يكون مفعولا من أجله أي ﴿ولا تمش فى الارض﴾ للمرح ولا يظهر ذلك ، وتقدم أن المرح هو السرور والاغتباط بالراحة والفرح وكأنه ضمن معنى الاختيال لأن غلبة السرور والفرح يصحبها التكبر والاختيال ، ولذلك بقوله علل ﴿إنك لن تخرق الارض﴾ . وقرأت فرقة فيما حكي يعقوب

: ﴿مرحا ﴾ بكسر الراء وهو حال أي لا تمش متكبرا مختالا. قال مجاهد : لن تخرق بمشيك على عقبيك كبرا وتنعما ، ﴿ولن تبلغ الجبال﴾ بالمشي على صدور قدميك تفاخرا و﴿طولا﴾ والتأويل أن قدرتك لا تبلغ هذا المبلغ فيكون ذلك وصلة إلى الاختيال. وقال الزجاج : ﴿ولا تمش فى الارض﴾ مختالا فخورا ، ونظيره : ﴿وعباد الرحمان الذين يمشون على الارض هونا﴾ و﴿تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ . وقال الزمخشري : ﴿لن تخرق الارض﴾ لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئك ، ﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾ بتطاولك وهوتهكم بالمختال. وقرأ الجراح الأعرابي : ﴿لن تخرق﴾ بضم الراء. قال أبو حاتم : لا تعرف هذه اللغة. وقيل : أشير بذلك إلى أن الإنسان محصور بين جمادين ضعيف عن التأثير فيهما بالخرق وبلوغ الطول ومن كان بهذه المثابة لا يليق به التكبر. وقال الشاعر :

٣٧

." (١)

"سورة الأنبياء

مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٩٢

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٩٣

٢٩٣

القصم : كسر الشيء الصلب حتى يبين تلاؤم أجزائه. الركض : ضرب الدابة بالرجل. خمدت النار : طفئت. دمغة : أصاب دماغه ، نحو كبده ورأسه أصاب كبده ورأسه. رتق الشيء : سده فارتتق ومنه الرتقاء للمنضمة الفرج. فتق : فصل ما بين المتصلين. الفج : الطريق المتسع. السبح : العوم ، كلأه : حفظه يكلؤه كلاءة. ويقال : اذهب في كلاءة الله واكتلأت منه احترست. وقال ابن هرمة :

إن سليمى والله يكلؤهاضنت بشيء ما كان يرزؤها

النفخة : الخطوة ، ونفخ له من عطاياه أجزأه نصيبا. قال الشاعر :

إذا ربدة من حيث ما نفخت لهإياه برياها خليل يواصله

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٤/٦

الخردل : حب معروف.

 .

هذه السورة مكية بلا خلاف ، وعن عبد الله : الكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء من العتاق الأول ، وهن من تلادي أي من قديم ما حفظت وكسبت من القرآن كالمال التلاد. ومناسبة هذه السورة لما قبلها أنه لما ذكر ﴿قل كل متربص فتربصوا ﴾ قال مشركو قريش : محمد يهددنا بالمعاد والجزاء على الأعمال وليس بصحيح ، وإن صح ففيه بعد فأنزل الله تعالى ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ ، و﴿اقترب﴾ افتعل بمعنى الفعل المجرد وهو قرب كما تقول : ارتقب ورقب. وقيل : هو أبلغ من قرب للزيادة التي في البناء. والناس مشركو مكة. وقيل : عام في منكري البعث ، واقتراب الحساب اقتراب وقته والحساب في اللغة إخراج الكمية من مبلغ العدد ، وقد يطلق على المحسوب وجعل ذلك اقترابا لأن كل ما هو آت وإن طال وقت انتظاره قريب ، وإنما البعيد هو الذي انقرض أو هو مقترب عند الله كقوله ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ أو باعتبار ما بقي من الدنيا فإنه أقصر وأقل مما مضى. وفي الحديث : "بعثت أنا والساعة كهاتين". قال الشاعر :

فما زال من يهواه أقرب من غدوما زال من يخشاه أبعد من أمس

و﴿للناس﴾ متعلق باقترب. وقال الزمخشري : هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب ، أو تأكيدا

٢٩٥

لإضافة الحساب إليهم كما تقول أزف للحي رحيلهم ، الأصل أزف رحيل الحي ثم أزف للحي رحيلهم ونحوه ما أورده سيبويه في باب ما يثني فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك ، وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم : لا أبا لك لأن اللام مؤكدة لمعنى الإضافة ، وهذا الوجه أغرب من الأول انتهى يعني بقوله صلة أنها تتعلق باقترب ، وأما جعله اللام تأكيدا لإضافة الحساب إليهم مع تقدم اللام ودخولها على الاسم الظاهر فلا نعلم أحدا يقول ذلك ، وأيضا فيحتاج إلى ما يتعلق به ولا يمكن تعلقها بحسابهم لأنه مصدر موصول ولا يتقدم معموله عليه ، وأيضا فالتوكيد يكون متأخرا عن المؤكد وأيضا فلو أخر في هذا التركيب لم يصح. وأما تشبيهه بما أورد سيبويه فالفرق واضح لأن عليك معمول لحريص ، وعليك الثانية متأخرة توكيدا وكذلك فيك زيد راغب فيك يتعلق فيك براغب ، وفيك الثانية توكيد ، وإنما غره في ذلك صحة تركيب حساب الناس. وكذلك أزف رحيل الحي فاعتقد إذا تقدم الظاهر مجرورا باللام وأضيف المصدر لضميره أنه من باب فيك زيد راغب فيك وليس مثله ، وأما لا أبا لك فهي مسألة مشكلة وفيها خلاف ،

ويمكن أن يقال فيها ذلك لأن اللام جاورت الإضافة ولا يقاس على مثلها غيرها لشذوذها وخروجها عن الأقيسة ، وقد أمعنا الكلام عليها في شرح التسهيل والواو في ﴿وهم﴾ واو الحال.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٩٣

وأخبر عنهم بخبرين ظاهرهما التنافي لأن الغفلة عن الشيء والإعراض عنه متنافيان ، لكن يجمع بينهما باختلاف حالين أخبر عنهم أولا أنهم لا يتفكرون في عاقبة بل هم غافلون عما يؤول إليه أمرهم. ثم أخبر عنهم ثانيا أنهم إذا نبهوا من سنة الغفلة وذكروا بما يؤول إليه أمر المحسن والمسيء أعرضوا عنه ولم يبالوا بذلك ، والذكر هنا ما ينزل من القرآن شيئا بعد شيء. وقيل المراد بالذكر أقوال النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الشريعة ووعظه وتذكيره ووصفه بالحدوث إذا كان القرآن لنزوله وقتا بعد وقت. وسئل بعض الصحابة عن هذه الآية فقال محدث النزول محدث المقول. وقال الحسن بن الفضل : المراد بالذكر هنا النبي صلى الله عليه وسلم بدليل ﴿هل هاذآ إلا بشر مثلكم﴾ وقال : ﴿قد أنزل الله إليكم ذكرا * رسولا﴾ وقد احتجت المعتزلة على حدوث القرآن بقوله ﴿محدث﴾ وهي مسألة يبحث فيها في علم الكلام. وقرأ الجمهور ﴿محدث﴾ بالجر صفة لذكر على اللفظ ، وابن أبي عبلة بالرفع صفة لذكر على الموضع ، وزيد بن علي بالنصب على الحال ﴿من ذكر﴾ إذ قد وصف بقوله ﴿من ربهم﴾ ويجوز أن يتعلق ﴿من ربهم﴾ بيأتيهم. و﴿استمعوه﴾ جملة حالية وذو الحال المفعول في ﴿ما يأتيهم﴾ ﴿وهم يلعبون﴾ جملة حالية من ضمير ﴿استمعوه﴾ و﴿لاهية﴾ حال من ضمير ﴿يلعبون﴾ أو من ضمير ﴿استمعوه﴾ فيكون حالا بعد حال ، واللاهية من قول العرب لهي عنه إذا ذهل وغفل يلهى لهيا ولهيانا ، أي وإن فطنوا لا يجدي ذلك لاستيلاء الغفلة والذهول وعدم التبصر بقلوبهم. وقرأ ابن أبي عبلة وعيسى ﴿لاهية﴾ بالرفع على أنه خبر بعد خبر لقوله ﴿وهم﴾ .." (١)

"﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ ذكر تعالى سيرته مع أنبيائه فكذلك يصدق نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما وعدهم به من النصر وظهور الكلمة ، فهذه عدة للمؤمنين ووعيد للكافرين و﴿صدقناهم الوعد﴾ من باب اختار وهو ما يتعدى الفعل فيه إلى واحد وإلى الآخر بحرف جر ، ويجوز حذف ذلك الحرف أي في ﴿الوعد﴾ وهو باب لا ينقاس عند الجمهور ، وإنما يحفظ من ذلك أفعال قليلة ذكرت في النحو ونظير ﴿صدقناهم الوعد﴾ قولهم : صدقوهم القتال وصدقني سن بكره وصدقت زيدا الحديث و﴿من نشآء﴾ هم المؤمنون ، والمسرفون هم الكفار المفرطون في غيهم وكفرهم ، وكل من ترك الإيمان فهو مفرط

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٦/٢١٥

مسرف وإنجاؤهم من شر أعدائهم ومن العذاب الذي نزل بأعدائهم.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٩٣

ولما توعدهم في هذه الآية أعقب ذلك بوعده بنعمته عليهم فقال ﴿لقد أنزلنآ إليكم كتابا فيه ذكركم﴾ والكتاب هو القرآن. وعن ابن عباس : ﴿ذكركم﴾ شرفكم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، وعن الحسن ذكر دينكم ، وعن مجاهد فيه حديثكم ، وعن سفيان مكارم أخلاقكم ومحاسن أعمالكم. وقيل : تذكرة لتحذروا ما لا يحل وترغبوا فيما يجب. وقال صاحب التحرير : الذي يقتضيه سياق الآيات أن المعنى فيه ذكر مشائنكم ومثالبكم وما عاملتهم به أنبياء الله من التكذيب والعناد ، فعلى هذا تكون الآية ذما لهم وليست من تعداد النعم عليهم ، ويكون الكلام على سياقه ويكون معنى قوله ﴿هل هاذآ إلا بشر مثلكم﴾ ﴿أفلا تعقلون﴾ إنكارا عليهم على إهمالهم المتدبر والتفكر المؤديين إلى اقتضاء الغفلة. وقال ابن عطية : يحتمل أن يريد فيه شرفكم وذكركم آخر الدهر كما نذكر عظم الأمور ، وفي هذا تحريض ثم أكد التحريض بقوله ﴿أفلا تعقلون﴾ وحركهم بذلك إلى النظر. وقال الزمخشري نحوه قال : ﴿ذكركم﴾ شرفكم وصيتكم كما قال ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ أو موعظتكم أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء ، وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث وأداء الأمانة والسخاء وما أشبه ذلك.

٢٩٩

﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما ءاخرين * فلمآ أحسوا بأسنآ إذا هم منها يركضون * لا تركضوا وارجعوا إلى مآ أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسالون * قالوا ياويلنآ إنا كنا ظالمين * فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين * وما خلقنا السمآء والارض وما بينهما لاعبين * لو أردنآ أن نتخذ لهوا اتخذناه من لدنآ إن كنا فاعلين * بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهقا ولكم الويل مما تصفون * وله من فى السماوات والارضا ومن عنده لا يستكبرون عن عبادتها ولا يستحسرون * يسبحون اليل والنهار لا يفترون﴾ .

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٩٣

لما رد الله تعالى عليهم ما قالوه بالغ تعالى في زجرهم بذكر ما أهلك من القرى ، فقال : ﴿وكم قصمنا﴾ والمراد أهلها إذ لا توصف القرية بالظلم كقوله ﴿من هاذه القرية الظالم أهلها﴾ قال ابن عباس : الإنشاء إيجاد الشيء من غير سبب أنشأه فنشأ وهو ناشيء والجمع نشاء كخدم ، والقصم أفظع الكسر عبر به عن الإهلاك الشديد ﴿وكم﴾ تقتضي التكثير ، فالمعنى كثيرا من أهل القرى أهلكنا إهلاكا شديدا مبالغا

فيه. وما روي عن ابن عباس أنها حضوراء قرية باليمن ، وعن ابن وهب عن بعض رجاله أنهما قريتان باليمن بطر أهلهما فيحمل على سبيل التمثيل لا على التعيين في القرية ، لأن ﴿كم﴾ تقتضي التكثير. ومن حديث أهل حضوراء أن الله بعث إليهم نبيا فقتلوه ، فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على أهل بيت المقدس بعث إليهم جيشا فهزموه ، ثم بعث آخر فهزموه ، ثم خرج إليهم بنفسه فهزمهم في الثالثة ، فلما أخذ القتل فيهم ركضوا هاربين.

(١) ".

"﴿فلمآ أحسوا بأسنآ﴾ أي باشروه بالإحساس والضمير في ﴿أحسوا ﴾ عائد على أهل المحذوف من قوله ﴿قسمنا بينهم﴾ ولا يعود على قوله ﴿قوما ءاخرين﴾ لأنه لم يذكر لهم ذنب يركضون من أجله ، والضمير في ﴿منهآ﴾ عائد على القرية ، ويحتمل أن يعود على ﴿بأسنآ﴾ لأنه في معنى الشدة ، فأنث على المعنى ومن على هذا السبب ، والظاهر أنهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين. قيل : ويجوز أن شبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فهم ﴿يركضون﴾ الأرض بأرجلهم ، كما قال ﴿اركض برجلك﴾ وجواب لما ﴿إذا﴾ الفجائية وما بعدها ، وهذا أحد الدلائل على أن لما في هذا التركيب حرف لا ظرف ، وقد تقدم لنا القول في ذلك.

وقوله : ﴿لا تركضوا ﴾ قال ابن عطية : يحتمل أن يكون من قول رجال بخت نصر على الرواية المتقدمة ، فالمعنى على هذا أنهم خدعوهم واستهزؤا بهم بأن قالوا للهاربين منهم : لا تفروا وارجعوا إلى منازلكم ﴿لعلكم تسالون﴾ صلحا أو جزية أو أمرا يتفق عليه ، فلما انصرفوا أمر بخت نصر أن ينادي فيهم يا لثارات النبي المقتول فقتلوا بالسيف عن آخرهم ، هذا كله مروي ويحتمل أن يكون قوله : ﴿لا تركضوا ﴾ إلى آخر الآية من كلام ملائكة العذاب ، وصف قصة كل قرية وأنه لم يرد تعيين حضوراء ولا غيرها ، فالمعنى على هذا أن أهل هذه القرى كانوا باغترارهم يرون أنهم من الله بمكان وأنه لو جاءهم عذاب أو أمر لم ينزل بهم حتى يتخاصموا ويسألوا عن وجه تكذيبهم لنبيهم فيحتجون هم عند ذلك بحجج تنفعهم في ظنهم ، فلما نزل العذاب دون هذا الذي أملوه وركضوا فارين نادتهم الملائكة على وجه الهزء بهم.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٩٣

﴿لا تركضوا ﴾ ﴿ومساكنكم لعلكم تسالون﴾ كما كنتم تطمعون لسفه آرائكم.

وقال الزمخشري : يحتمل أن يكون يعني القائل بعض الملائكة ، أو من ثم من المؤمنين ،

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢١٨/٦

أو يجعلون خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل ، أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم.

﴿وارجعوا إلى مآ أترفتم فيه﴾ من العيش الرافه والحال الناعمة ، والإتراف إبطار النعمة وهي الترفة ﴿لعلكم تسالون﴾ غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة ، أو ﴿ارجعوا ﴾ واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ، ويقولوا لكم : بم تأمرون وماذا ترسمون ، وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين ، أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ، ويستطرون ساحئب أكفكم ويميرون إخلاف معروفكم وأياديكم إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رياء النا س وطلب الثناء ، أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم وتوبيخا إلى توبيخ انتهى.

ونداء الويل هو على سبيل المجاز كأنهم قالوا : يا ويل هذا زمانك ، وتقدم تفسير الويل في البقرة. والظلم هنا الإشراك وتكذيب الرسل وإيقاع أنفسهم في الهلاك ، واسم ﴿زالت﴾ هو اسم الإشارة وهو ﴿تلك﴾ وهو إشارة إلى الجملة المقولة أي فما زالت تلك الدعوى ﴿دعواهم﴾ . قال المفسرون : فما زالوا يكررون تلك الكلمة فلم تنفعهم كقوله ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ﴾ والدعوى مصدر دعا يقال : دعا دعوى ودعوة كقوله ﴿دعواهم فيها﴾ لأن المويل كأنه يدعو الويل. وقال الحوفي : وتبعه الزمخشري وأبو البقاء : ﴿تلك﴾ اسم ﴿زالت﴾ و﴿دعواهم﴾ الخبر ، ويجوز أن يكون ﴿دعواهم﴾ اسم ﴿زالت﴾ و﴿تلك﴾ في موضع الخبر انتهى. وهذا الذي ذهب إليه هؤلاء قاله الزجاج قبلهم ، وأما أصحابنا المتأخرون فاسم كان وخبرها مشبه بالفاعل والمفعول ، فكما لا يجوز في باب الفاعل والمفعول إذا ألبس أن يكون المتقدم الخبر والمتأخر الاسم لا يجوز ذلك في باب كان ، فإذا قلت : كان موسى صديقي لم يجز في موسى إلى أن يكون اسم كان وصديقي الخبر ، كقولك : ضرب موسى عيسى ، فموسى الفاعل وعيسى المفعول ، ولم ينازع في هذا من متأخري أصحابنا إلا أبو العباس أحمد بن علي عرف باب الحاج وهو من تلاميذ الأستاذ أبو علي الشلوبين ونبهائهم ، فأجاز أن يكون المتقدم هو المفعول والمتأخر هو الفاعل وأن ألبس فعلى ما قرره جمهور الأصحاب يتعين أن يكون ﴿تلك﴾ اسم ﴿زالت﴾ و﴿دعواهم﴾ الخبر.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٩٣
". (١)

"٤٢١

للأنبياء عليهم السلام " فأنجيناهم ومن نشاء " يعني فأنجينا الأنبياء عليهم السلام ومن نشاء من المؤمنين " وأهلكنا المسرفين " يعني المشركين

سورة الأنبياء ١٠ - ١٢

قوله عز وجل " لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم " يعني القرآن فيه " ذكركم " يعني في القرآن عزكم وشرفكم يعني شرف العرب والذكر يوضع موضع الشرف لأن الشرف يذكر ويقال " فيه ذكركم " أي فيه تذكرة لكم ما ترجون من رحمته وتخافون من عذابه كما قال " كلا إنها تذكرة " [عبس : ١١] وقال السدي " فيه ذكركم " يعني ما تعنون به من أمر دنياكم وآخرتكم وما بينكم وقال الحسن رحمه الله " فيه ذكركم " يعني أمسك به عليكم دينكم وفيه بيان حلالكم وحرامكم ويقال وعدكم ووعيدكم ثم قال " أفلا تعقلون " أن فيه عزكم وشرفكم فتؤمنون به

قوله عز وجل " وكم قصمنا " القصم الكسر يعني كم أهلكنا " من قرية " يعني أهل قرية " كانت ظالمة " يعني كافرة " وأنشأنا بعدها " يعني خلقنا بعد هلاكها " قوما آخرين " خيرا منهم فسكنوا ديارهم " فلما أحسوا بأسنا " يعني رأوا عذابنا " إذا هم يركضون " يعني يهربون ويعدون وقال القتبي أصل الركض تحريك الرجلين يقال ركضت الفرس إذا أعديته بتحريك رجليك ومنه قوله " أركض برجلك " [ص : ٤٢]

سورة الأنبياء ١٣ - ١٧

ثم قال عز وجل " لا تركضوا " يعني قالت لهم الملائكة عليهم السلام لا تهربوا وقال قتادة هذا على وجه الإستهزاء وقال مقاتل لما إنهزموا قالت لهم الملائكة عليهم السلام كهيئة الإستهزاء لا تركضوا وقال القتبي هذا كما قال لبيد

(هلا سألت جموع كندة ٪ يوم ولوا أين أينا)

قال إبن عباس إن قرية من قرى اليمن يقال لها حصور أرسل الله عز وجل إليهم نبيا فكذبوه ثم قتلوه فسلط الله عز وجل عليهم بختنصر فقتلهم وهزمهم فقالت لهم الملائكة عليهم السلام حين إنهزموا لا تركضوا يعني

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٦/٢١٩

لا تهربوا " وارجعوا إلى ما أترفتم فيه " يعني خولتم فيه من أمر دنياكم " ومساكنكم " يعني ومنازلكم " لعلكم تسألون " عن قتل نبيكم." (١)

٤٣٧"

قال بعضهم مكث أيوب في بلائه سبع سنين وقال بعضهم عشر سنين وروى عن إبن شهاب عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أيوب نبي الله لبث في بلائه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وما ذلك فقال من ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله تعالى فيكشف ما به ثم راحا إليه فلم يصبرا حتى ذكرا ذلك له فعند ذلك قال رب " مسني الضر "

قال فلما كان ذات يوم خرجت إمرأته فأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام في مكانه أن " أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب " [ص : ٤٢] فشرب واغتسل فأذهب الله عز وجل ما به من البلاء فقال أيوب كان الركض برجلي أشد علي من البلاء الذي كنت فيه قال إبن عباس لما قال الله تعالى له " أركض برجلك " ففعل فانفجرت عين أغتسل منها فصح جسده ثم قيل له " أركض برجلك " ففعل فخرجت عين فشرب منها فالتأم ما في جوفه فلما رجعت إليه المرأة لم تعرفه فقالت له بارك الله فيك هل رأيت نبي الله المبتلى فوالله ما رأيت أحدا أشبه به منك إذ كان صحيحا قال فإني أيوب قال وكان له آنذاك أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين إحداهما على أندر القمح فأفرغت الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض ذلك قوله تعالى " إذ نادى ربه أني مسني الضر " أصابني البلاء والشدة " وأنت أرحم الراحمين " فعرض ولم يفصح بالدعاء

سورة الأنبياء ٨٤

قال الله تعالى " فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر " يعني رفعنا ما به من شدة " وآتيناه أهله ومثلهم معهم " قال مقاتل ولدت إمرأة أيوب منه سبعة بنين وثلاث بنات قبل البلاء فأحياهم الله تعالى ثم ولدت بعد كشف البلاء سبعة بنين وثلاث بنات فذلك قوله " ومثلهم معهم " وقال الكلبي ولدت سبعة بنين وسبع بنات فنشروا له وولدت إمرأته مثلهم سبعة بنين وسبع بنات ويقال آتاه الله عز وجل أهله في الدنيا ومثلهم معهم في الآخرة وروى وكيع عن إبن سفيان عن الضحاك أن إبن مسعود بلغه أن مروان بن الحكم قال "

---

(١) بحر العلوم ، ٢/٤٢١

وآتيناه أهله ومثلهم معهم " أي أهلا غير أهله فقال إبن مسعود لا بل أهله بأعيانهم ومثلهم معهم ثم قال " رحمة من عندنا " يعني نعمة منا " وذكرى للعابدين " يعني عظة." [١]

١٦٢"

سورة ص ٤٢ - ٤٤

قوله عز وجل " واذكر عبدنا أيوب " يعني واذكر صبر عبدنا أيوب " إذ نادى ربه " يعني دعا ربه " أني مسني الشيطان " يعني أصابني الشيطان " بنصب وعذاب " وهو المشقة والعناء والأمراض وعذاب في ماله يعني هلاك أهله وماله وقد ذكرناه في سورة الأنبياء

قوله عز وجل " اركض برجلك هذا " يعني قال له جبريل عليه السلام اضرب الأرض برجلك فضرب فنبعت عين من تحت قدميه فاغتسل منها فخرج منها صحيحا ثم ضرب برجله الأخرى فنبعت عين أخرى ماء عذب بارد فشرب منها فذلك قوله " هذا مغتسل " يعني الذي اغتسل منها

ثم قال " بارد وشراب " يعني الذي شرب منها

قوله عز وجل " ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب وخذ بيدك ضغثا " يعني قبضة من سنبل فيها مائة سنبلة

وقال الكلبي " ضغثا " أي مجتمعا

وقال مقاتل الضغث القبضة الواحدة فأخذ عيدانا رطبة وهي الآس فيه مائة عود

وقال القتبي ،لضغث الحزمة من الكلأ أو العيدان " فاضرب به " يعني اضرب به امرأتك " ولا تحنث " في يمينك

وقال الزجاج قالت امرأته لو ذبحت عناقا باسم الشيطان فقال لا ولا كفا من تراب وحلف أنه يضربها مائة سوط وأمر بأن يبر في يمينه " إنا وجدناه صابرا " على البلاء الذي ابتليناه " نعم العبد إنه أواب " يعني مقبلا على طاعة ربه

وقال وهب بن منبه أصاب أيوب البلاء سبع سنين ومكث يوسف في السجن سبع سنين ويقال لأنه أواب لما هلك ماله قال كان ذلك من عطاء الله

ولما هلك أولاده قال إن لله وإن إليه راجعون

ولما ابتلي بالنفس قال أنى له ويقال واذكر أنت يا محمد صبر عبدنا أيوب إذ ضاق صدرك من أذى الكفار

---

(١) بحر العلوم ، ٤٣٧/٢

وأمر أمتك ليذكروا صبره ويعتبروا ويصبروا

سورة ص ٤٥ - ٥٤

ثم قال عز وجل " واذكر عبادنا إبراهيم " قرأ ابن كثير " واذكر عبدنا " بغير ألف وقرأ." (١)

"ص : ١١٨

باب المقلوب

ومن المقلوب : أن يوصف الشيء بضد صفته للتطير والتفاؤل ، كقولهم للديغ :

سليم ، تطيرا من السقم ، وتفاؤلا بالسلامة. وللعطشان : ناهل أي سينهل. يعنون :

يروى. وللفلاة : مفازة. أي منجاة ، وهي مهلكة.

وللمبالغة في الوصف ، كقولهم للشمس : جونة ، لشدة ضوئها. وللغراب : أعور ، لحدة بصره.

وللاستهزاء ، كقولهم للحبشي : أبو البيضاء. وللأبيض : أبو الجون.

ومن هذا قول قوم شعيب : إنك لأنت الحليم الرشيد [هود : ٨٧].

كما تقول للرجل تستجهله : يا عاقل ، وتستخفه : يا حليم.

قال الشاعر «١» :

فقلت لسيدنا : يا حلي م إنك لم تأس أسوا رفيقا

قال قتادة : ومن الاستهزاء قول الله تعالى : فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢) لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون (١٣) [الأنبياء : ١٢ ، ١٣].

وفي قول عبيد بن الأبرص لكندة - طرف من هذا المعنى «٢» :

هلا سألت جموع كن دة يوم ولوا : أين أينا ؟

يستهزىء بهم حين انهزموا ، يريد أين تذهبون ؟ ارجعوا.

---

(١) يروى البيت بلفظ :

قلت لسيدنا يا حكي م إنك لم تأس أسوا رفيقا

والبيت من المتقارب ، وهو لشتيم بن خويلد في لسان العرب (خفق) ، وكتاب الحيوان ٣/ ٨٢ ، ٥/ ٥١٧ ، وبلا نسبة في كتاب الأضداد ص ٣٢٥ ، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢١٤.

---

(١) بحر العلوم . ، ٣/١٦٢

(٢) البيت من مجزوء الكامل ، وهو في ديوان عبيد بن الأبرص ص ١٤٢ ، ومختارات ابن الشجري ٢/ ٣٩ ، والشعر والشعراء ١/ ٢٢٤ ، والأغاني ١٩/ ٨٥ ، وبلا نسبة في كتاب الصناعتين ص ١٤٤ ، وإعجاز القرآن ص ٩٤ ، ومعاني القرآن للفراء ١/ ١٧٧.." [1]

"و " ماريته " : جادلته وشاكلته فيما يدعيه ، و " افتعل " فيه بمعنى " تفاعل " ، يقال : تماروا في كذا ، وامتروا فيه نحو : تجاوروا ، واجتوروا.

وقال الراغب : المرية : التردد في الأمر ، وهي أخص من الشك ، والامتراء والممارة المحاجة فيما فيه مرية ، وأصله من مريت الناقة إذا مسحت ضرعها للحلب.

ففرق بين المرية والشك كما ترى ، وهذا كما تقدم له الفرق بين الريب والشك ، وانشد الطبري قول الأعشى : [الطويل] ٨٣٩ - تدر على أسؤق الممتري

ن ركضا إذا ما السراب ارجحن

شاهدا على أن الممترين الشاكون.

قال : ووهم في ذلك ؛ لأن أبا عبيدة وغيره قالوا : الممترون في البيت هم الذين يمرون الخيل بأرجلهم همزا لتجري كأنهم يتحلبون الجري منها.

[فصل فيمن نزلت فيه الآية قوله : ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ قال الحسن : من الذين علموا صحة نبوتك وإن بعضهم عاندوكم.

وقيل : بل يرجع إلى أمر القبلة.

وقيل : بل يرجع إلى صحة نبوته وشرعه ، وهو أقرب ؛ لأن أقرب مذكور إليه قوله : " من ربك " ؛ وظاهره يقتضي النبوة ، فوجب أن يرجع إليه ، ونهيه عن الامتراء لا يدل على أنه كان شاكا فيه كما تقدم القول في هذه المسألة].

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٠

جمهور القراء على تنوين "كل " ، وتنوينه للعوض من المضاف إيله ، والجار خبر مقدم ، و " وجهة " مبتدأ مؤخر.

واختلف في المضاف إليه "كل " المحذوف.

فقيل : تقديره : ولكل طائفة من أهل الأديان [يعني : أن الله يفعل ما يعلمه صلاحا ، فالجهات من الله

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/١١٨

تعالى وهو الذي ولى وجوه عباده إليها فانقادوا لأمر الله تعالى ، فإن انقيادكم خيرات لكم ، ولا تلتفتوا إلى طعن هؤلاء ، وقولهم : " ما ولاهم عن قبلتهم أي التي كانوا عليها " فإن الله يجمعهم وإياكم في القيامة].

٥٥

وقيل : ولكل أهل موضع من المسلمين وجهته إلى جهة الكعبة يمينا وشمالا ووراء وقدام [فهي كجهة واحدة ، ولا يخفى على الله نياتهم ؛ فهو يحشرهم جميعا ويثيبهم على أعمالهم].

وفي " وجهة " قولان : أحدهما : ويعزى للمبرد ، والفارسي ، والمازني في أحد قوليه : أنها اسم المكان المتوجه إليه ، وعلى هذا يكون إثبات " الواو " قياسا إذ هي غير مصدر.

قال سيبويه ولو بنيت " فعلة " من الوعد لقلت : وعدة ، ولو بنيت مصدرا لقلت : عدة.

والثاني : أنه مصدر ، ويعزى للمازني ، وهو ظاهر كلام سيبويه ، فإنه قال بعد ذكر حذف " الواو " من المصادر : " وقد أثبتوا فقالوا : وجهة في الجهة " وعلى هذا يكون إثبات " الواو " شاذا منبهة على ذلك الأصل المتروك في " عدة " ونحوها ، والظاهر أن الذي سوغ إثبات " الواو " وإن كانت مصدرا أنها مصدر جاءت على حذف الزوائد ؛ إذ الفعل المسموع من هذه المادة توجه واتجه ، ومصدرهما التوجه والاتجاه ، ولم يسمع في فعله : " وجه يجه " ك " وعد يعد " ، وكان الموجب لحذف " الواو " من عدة وزنة الحمل على المضارع لوقوع الواو بين ياء وكسرة ، وهنا لم يسمع فيه مضارع يحمل مصدره عليه ، فلذلك قلت : إن " وجهة " مصدر على حذف الزوائد ل " توجه " أو " اتجه " ، وقد ألم أبو البقاء بشيء من هذا.

قال القرطبي : الوجهة وزنها فعلة من المواجهة.

والوجهة والجهة والوجه بمعنى واحد ، والمراد القبلة ، أي : أنهم لا يتبعون قبلتك ، وأنت لا تتبع قبلتهم ، ولك وجهة : إما بحق ، وإما بهوى.

فصل في لفظ الوجه قال أبو العباس المقرئ : ورد لفظ الوجه في القرآن الكريم على أربعة أضرب : الأول : بمعنى الملة ، قال تبارك وتعالى : ﴿ولكل وجهة هو موليها﴾ أي : ملة.

الثاني : بمعنى الإخلاص في العمل ، قال تعالى : ﴿إني وجهت وجهي﴾ [الأنعام : ٧٩] أي : أخلصت عملي ، ومثله : ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ [النساء : ١٢٢] أي : أخلص عمله لله.

الثالث : بمعنى الرضا ، قال تعالى : ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ [الأنعام : ٥٢] أي : رضاه ، ومثله : ﴿واصبر نفسك﴾ [الكهف : ٢٨] الآية الكريمة ، ومثله : ﴿ومآ آتيتم من

ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ومآ آتيتم من زكاة تريدون وجه الله﴾ [الروم : ٢٩] أي : رضاه.
٥٦
". (١)

"فصل معنى الكلام ما يريد ما بقي مما أكل السبع.

قال قتادة : كان أهل الجاهلية إذا جرح السبع شيئا فقتله وأكل بعضه أكلوا ما بقي ، فحرمه الله.

قوله تعالى : ﴿إلا ما ذكيتم﴾ فيه قولان : أحدهما : أنه استثناء متصل ، والقائلون بهذا اختلفوا ، فقال علي ، وابن عباس ، والحسن وقتادة : هو مستثنى من قوله : " والمنخنقة " إلى قوله : ﴿ومآ أكل السبع﴾ وعلى هذا إن أدركت ذكاته بأن وجدت عينا تطرف ، أو ذنبا يتحرك ، أو رجلا تركض فاذبح فإنه حلال ، فإن هذه الحال تدل على بقاء الحياة فيه بتمامها.

وقال أبو البقاء : والاستثناء راجع على المتردية ، والنطيحة وأكيلة السبع ، وليس إخراجه المنخنقة [منه بجيد].

ومنهم من قال : هو مستثنى مما أكل السبع خاصة.

والقول الثاني : أنه منقطع ، أي : ولكن ما ذكيتم من غيرها فحلال ، أو فكلوه ، كأن هذا القائل رأى أنها وصلت بهذه الأسباب إلى الموت ، أو إلى حالة قريبة فلم تفد تزكيتها عنده شيئا.

والتذكية : الذبح ، وذكت النار : ارتفعت ، وأصل الذكاة تمام الشيء ومنه الذكاء في الفهم ، وهو تمامه [والذكاء] في السن ، وهو النهاية في الشباب ، ذكى الرجل أي : أسن ، قال : [الوافر] ١٩٢٥ - على أعراقه تجري المذاكي

وليس على تقلبه وجهده

وقيل : الاستثناء من التحريم لا من المحرمات ، يعني ، حرم عليكم ما مضى إلا ما ذكيتم فإنه لكم حلال ، فيكون الاستثناء منقطعا - أيضا - .

وإذا قيل : أصل التذكية الإتمام ، فالمراد ههنا إتمام فري الأوداج وإنهار الدم.

قال - عليه الصلاة والسلام - : " ما أنهر الدم ، وذكر اسم الله عليه فكل ليس السن والظفر ".
١٩٠

قال القرطبي : جمهور العلماء على أن كل ما أفرى الأوداج فأنهر الدم فهو من آلات الذكاة ما خلى السن

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٤٢

والظفر والعظم ، وعلى هذا تواترت الأخبار.

وقال به فقهاء الأمصار ، والسن والظفر المنهي عنهما في التذكية هما غير المنزوعين ؛ لأن ذلك يصير خنقا ، ولذلك قال ابن عباس : ذلك الخنق.

فأما المنزوعان إذا فريا الأوداج فالذكاة جائزة بهما عندهم.

وكره قوم السن والظفر والعظم على كل حال منزوعان كانا أو غير منزوعين ، منهم إبراهيم والحسن والليث بن سعد ، وهو مروي عن الشافعي.

وأقل الذكاة في الحيوان المقدور عليه قطع الحلقوم والمري ، وكماله أن يقطع الودجين معهما ، ويجوز بكل محدد يجرح من حديد أو قصب أو زجاج أو حجر أو غيره إلا السن والظفر للحديث المتقدم.

وإنما يحل ما ذكيته بعدما جرحه السبع فأكل منه شيئا إذا أدركته والحياة فيه مستقرة فذبحته ، فأما ما يجرح السبع فيخرجه إلى حالة المذبوح فهو في حكم الميتة فلا يكون حلالا ، والمتردية والنطيحة إذا أدركتهما حية ، قبل أن تصيد إلى حالة المذبوح فذبحتها تكون حلالا ، ولو رمي صيد في الهواء فأصابه فسقط على الأرض [ومات كان حلالا ؛ لأن الوقوع على الأرض ضرورته ، فإن سقط على شجر أو جبل فتردى منه] فمات فلا يحل ؛ لأنه من المتردية ، إلا أن يكون السهم ذبحه في الهواء فيحل كيفما وقع ؛ لأن الذبح قد حصل قبل التردية.

فصل واختلفوا [فيمن رفع[[يده] قبل تمام الذكاة ثم رجع [على الفور] وأكمل الذكاة فقيل : يجزئه ، وقيل : لا يجزئه.

فالأول أصح ؛ لأنه جرحه ثم ذكاه بعد وحياته مستجمعة فيه.

١٩١

قوله : ﴿وما ذبح على النصب﴾ رفع - أيضا - عطفا على " الميتة ".

واختلفوا في النصب ، فقيل : هي حجارة ، كانوا يذبحون عليها ، ف " على " هنا واضحة.

وقيل : هي الأصنام ؛ لأنها تنصب لتعبد ، فعلى هذا في " على " وجهان : أحدهما : أنها بمعنى اللام ، أي : وما ذبح لأجل الأصنام ، كذا ذكره أبو البقاء وفيه نظر ، وهو كونه قدر المتعلق شيئا خاصا.

والجمهور على " النصب " بضمتين ، فقيل : هو جمع " نصاب ".

وقيل : هو مفرد ويدل له قول الأعشى : [الطويل] ١٩٢٦ - وذا النصب المنصوب لا تقربنه

ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٨٧
." (١)

"جزء : ٨ رقم الصفحة : ٩٨
قوله تعالى : ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم﴾ الآية الكريمة [الأية : ٣٠] تمسك بعض المشبهة بهذه الآية ، فقال ظاهرها يدل على أن أهل القيامة يقفون عند الله - تبارك وتعالى - بالقرب منه ، وذلك يدل على أنه تبارك وتعالى [بحيث يحضر في مكان تارة ، ويغيب عنه أخرى ، وهذا خطاب ؛ لأن ظاهر الآية يدل على أن الله تعالى] يوقف عليه ، كما يقف أحدنا على الأرض ، وذلك كونه مستعليا على ذات الله تعالى ، وأنه باطل بالاتفاق ، فوجب تأويله ، وهو من وجهين : الأول : أنه من باب الحذف ، تقديره : على سؤال ربهم أو ملك ربهم ، أو جزاء ربهم ، أو على ما أخبرهم به من أمر الآخرة.

الثاني : أنه من باب المجاز ؛ لأنه كناية عن الحبس للتوبيخ ، كما يوقف العبد بين يدي سيده ليعاتبه ، ذكر ذلك الزمخشري ، أو يكون المراد بالوقوف المعرفة ، كما يقول الرجل لغيره : " وقفت على كلامك " أي : عرفته ، ورجح الزمخشري المجاز على الحذف ؛ لأنه بدأ بالمجاز ، ثم قال : وقيل وقفوا على على حزاء ربهم وللناس خلاف في ترجيح أحدهما على الآخر وفيه ثلاثة مذاهب : أشهرها : ترجيح المجاز على الإضمار.

والثاني : عكسه.

والثالث : هاهنا سواء.

قوله : " قال : أليس " في هذه الجملة وجهان : أحدهما : أنها استفهامية أي : جواب سؤال مقدر ، قال الزمخشري : " قال " مردود على قول قائل.

قال : ماذا قال لهم ربهم إذ أوقفوا عليه ؟ فقيل : قال لهم : أليس هذا بالحق.

والثاني : أن تكون الجملة حالية ، وصاحب الحال " ربهم " كأنه قيل : وقفوا عليه قائلا : أليس هذا بالحق ؟ والمشار إليه قيل : هو ما كانوا يكذبون به من البعث.

وقيل : هو العذاب يدل عليه " فذوقوا العذاب ".

وقوله : " بما كنتم " يجوز أن تكون " ما " موصولة أسمية ، والتقدير : تكفرونه ، والأصل : تكفرون به ، فاتصل الضمير بالفعل بعد حذف الواسطة ، ولا جائز أن يحذف ،

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٦٩٦

١٠٠

وهو مجرور بحاله ، وإن كان مجروا بحرف جر بمثله الموصول لاختلاف المتعلق ، وقد تقدم إيضاحه.

والأولى أن تجعل " ما " مصدرية ، ويكون متعلق الكفر محذوفا ، والتقدير : بما كنتم تكفرون بالبعث ، أو بالعذاب ، أي : بكفرهم بذلك.

فإن قيل : قد قال تبارك وتعالى : ﴿ولا يكلمهم﴾ [آل عمران : ٧٧] ، وها هنا قد قال [لهم] : " أليس هذا بالحق " ؟ فما وجه الجمع ؟ .

فالجواب : لا يكلمهم بالكلام الطيب النافع.

قال ابن عباس : هذا في موقف ، وقولهم : " والله ربنا ما كنا مشركين " في موقف آخر ، والقيامة مواقف ، في موقف يقرون ، وفي موقف ينكرون.

قوله : ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ خص لفظ الذوق ، لأنهم في كل حال يجدونه وجدان الذائق.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٠٠

قوله تعالى : ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقآء الله﴾ [الأية : ٣١] وصف أحوال منكري البعث بأمرين : احدهما : حصول الخسران ، أي : خسروا أنفسهم بتكذيبهم المصير إلى الله - تبارك وتعالى - وحصول العقاب.

قوله : ﴿حتى إذا جآءتهم الساعة بغتة﴾ في نصب " بغتة " أربعة أوجه : أحدهما : أنها مصدر في موضع الحال من فاعل " جاءتهم " بغتتهم بغتة ، فهو كقولهم : " أتيته ركضا ".

الثالث : أنها منصوبة بفعل محذوف من لفظها ، أي : تبغتهم بغتة.

الرابع : بفعل [من غير لفظها ، أي : أتتهم بغتة ، والبغت والبغتة مفاجأة الشيء بسرعة من] غير اعتدادبه ، ولا جعل بال منه حتى لو استشعر الإنسان به ، ثم جاء

١٠١

بسرعة من غير اعتداد به لا يقال فيه : بغتة ، وكذلك قول الشاعر في ذلك : [الطويل] ٢١٤٤ - إذا بغتت أشياء قد كان قبلها

قديما فلا تعتدها بغتات

". (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٠٢٦

"ياء لانكسار ما قبلها وسكونها ، ويظهر على هذه القراءة أن يكون مفعولا من أجله لولا ما يأباه " تضرعا " من المعنى.

قوله : " لئن أنجيتنا " الظاهر أن هذه الجلمة القسمية تفسير للدعاء قبلها ويجوز أن تكون منصوبة المحل على إضمار القول ، ويكون ذلك القول في محل نصب على الحال من فاعل " تدعونه " أي : تدعونه قائلين ذلك ، وقد عرف مما تقدم غير مرة كيفية اجتماع الشرط والقسم.

وقرأ الكوفيون " أنجانا " بلفظ الغيبة مرعاة لقوله " تدعونه " والباقون " أنجيتنا " بالخطاب حكاية لخطابهم في حالة الدعاء ، وقد قرأ كل بما رسم في مصحفه ، فإن في مصاحف " الكوفة " : أنجانا " ، وفي غيرها : " أنجيتنا ".

قوله : " من هذه " متعلق بالفعل قبله ، و " من " لابتداء الغاية ، و " هذه " اشارة إلى الظلمات ، لأنها تجري مجرى المؤنثة الواحدة ، وكذلك في " منها " تعود على الظلمات.

وقوله : " ومن كل كرب " عطف على الضمير المجرور بإعادة حرف الجر ، وهو واجب عند البصريين ، وقد تقدم.

و " الكرب " غاية الغم الذي يأخذ النفس.

قوله : " ثم أنتم تشركون " يريد أنهم يقرون أن الذي يدعونه عند الشدة هو الذي ينجيهم ، ثم يشركون معه الأصنام التي علموا أنها لا تضر ولا تنفع.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٩٩

وهذا نوع آخر من دلائل التوحيد ممزوج بالتخويف فبين كونه - تعالى - قادرا على إيصال العذاب إليهم من هذه الطرق المختلفة تارة من فوقهم ، وتارة من تحت أرجهلم ، فقيل : هذا حقيقة.

فأما العذاب من فوقهم كالمطر النازل عليهم في قصة نوح ، والصاعقة ، والريح ، والصيحة ، ورمي أصحاب الفيل.

٢٠١

وأما الذي من تحت أرجلهم : كالرجفة والخسف ، وقيل : حبس المطر والنبات.

وقيل : هذا مجاز.

قال مجاهد وابن عباس في رواية عكرمة : " من فوقكم " أي : من الأمراء ، أو من تحت أرجلكم من العبيد والسفلة.

قوله : " عذابا من فوقكم " يجوز أن يكون الظرف معلقا بـ " نبعث " وأن يكون متعلقا بمحذوف على أنه صفة لـ " عذابا " أي : كائنا من هاتين الجهتين.

قوله : " أو يلبسكم شيعا " عطف على " يبعث ".

والجمهور على فتح الياء من " يلبسكم " وفيه وجهان : أحدهما : أنه بمعنى يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة مشايعة لإمام ، ومعنى خلطهم : إنشاب القتال بيهم ، فيختلطون في ملاحم القتال كقول الحماسي : [الكامل] ٢١٩٠ - وكتيبة لبستها بكتيبة

حتى إذا التبست نفضت لها يدي

فتركتهم تقص الرماح ظهورهم

ما بين منعفر وآخر مسند

وهذه عبارة الزمخشري : فجعله من اللبس الذي هو الخلط ، وبهذا التفسر الحسن ظهر تعدي " يلبس " إلى المفعول ، و " شيعا " نصب على الحال ، وهي جمع غير الصدر كقعدت جلوسا.

قال أبو حيان : " ويحتاج في جعله مصدرا إلى نقل من اللغة ".

ويجوز على هذا أيضا أن يكون حالا كـ " أتيته ركضا " أي : راكضا ، أو ذا ركض.

وقال أبو البقاء : والجمهور على فتح الياء ، أي : يلبس عليكم أموركم ، فحذف حرف الجر والمفعول ، والأجود أن يكون التقدير : أو يلبس أموركم ، فحذف المضاف ، وأقيم المضاف إليه مقامه.

فصل في معنى الآية قال الفسرون : معناه : أن يجعلكم فرقا ، ويثبت فيكم الأهواء المختلفة.

وروى عمرو بن دينار عن جابر ، قال : " لما نزلت هذه الآية ﴿قل هو القادر على أن يبعث

٢٠٢

". (١)

"قال الفراء : ﴿أو هم قآئلون﴾ فيه واو مضمرة ، المعنى : أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون فاستثقلوا نسقا على أثر نسق ، ولو قيل لكان صوابا.

قلت : قد تقدم أن الشيخ نقل أن الواو ممتنعة في هذا المثال ، ولم يحك خلافا ، وهذا قول الفراء : " ولو قيل لكان صوابا " مصرح بالخلاف له.

وقال أبو بكر : أضمرت واو الحال لوضوح معناها كما تقول العرب : " لقيت عبد الله مسرعا ، أو هو

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٢٠٧٩

يركض " فيحذفون الواو لأمنهم اللبس ، لأن الذكر قد عاد على صاحب الحال ، ومن أجل أن " أو " حرف عطف والو كذلك ، فاستثقلوا جمعا بين حرفين من حروف العطف ، فحذفوا الثاني.

قال شهاب الدين : فهذا تصريح من هذين الإمامين بما ذكره أبوا القاسم ، وإنما ذكرت نص هذين الإمامين ؛ لأعلم اطلاعه على اقوال الناس ، وأنه لا يأتي بغير مصطلح أهل العلم كما يرميه به غير مرة.

و " قائلثون " من القيلأولة.

يقال : قال يقيل [قيلولة﴾ فهو قائل ك " بائع " والقيلولة : الراحة والدعة في الحر وسط النهار ، وإن لم يكن معها نوم.

وقال الليث : هي نومة نصف النهار.

قال الأزهري : " القيلولة : الراحة ، وإن لم يكن فيها نوم بدليل قوله تعالى : ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا﴾ [الفرقان : ٢٤] ، والجنة لا نوم فيها ".

قال شهاب الدين : و " ولا دليل فيما ذكر ؛ لأن المقيل هنا خرج عن موضعه الأصلي إلى مجرد الإقامة بدليل أنه لا يراد أيضا الاستراحة في نصف النهار في الحر فقد خرج عن موضعه عندنا وعندكم إلى ما ذكرنا ، والقيلولة مصدر ومثلها : القائلة والقيل والمقيل ".

فصل في المراد بالآية معنى الآية أنهم جاءهم بأسنا ، وهم غير متوقعين له ، إما ليلا وهم نائمون ، أو نهارا وهم قائلون ، والمراد أنهم جاءهم العذاب على حين غفلة منهم ، من غير تقدم أمارة تدلهم على نزول ذلك العذاب مكانه ، قيل للكفار : لا تغتروا بأسباب الأمن والراحة ، فإن عذاب الله إذا وقع وقع دفعة من غير سبق أمارة.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ١٣

قوله تعالى : ﴿فما كان دعواهم﴾ جوزوا في " دعواهم " وجهين :

١٧

أحدهما : أن يكون اسما لـ "كان " ، و ﴿إلا أن قالوا اا﴾ خبرها ، وفيه خدش من حيث إن غير الأعرف جعل اسما والأعرف جعل خبرا ، وقد تقدم ذلك في أول الأنعام عند ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ [الأنعام : ٢٣].

والثانيك أن يكون " دعواهم " خبرا مقدما و ﴿إلا أن قالوا اا﴾ اسما مؤخرا كقوله : ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اا﴾ [النمل : ٥٦] ﴿فكان عاقبتهمآ أنهما في النار﴾ [الحشر : ١٧] ، و ﴿ما كان حجتهم

إلا أن قالوا﴾ [الجاثية : ٢٥] ذكر ذلك الزمخشري ومكي بن أبي طالب ، وسبقهما إلى ذلك الفراء والزجاج ، ولكن ذلك يشكل من قاعدة أخرى ذكرها النحاة ، وهو أن الاسم والخبر في هذا الباب متى خفي إعرابهما ؛ وجب تقديم الاسم ، وتأخير الخبر نحو : كان موسى صاحبي ، وما كان دعائي إلا أن استغفرت ، قالوا : لأنهما كالمفعول والفاعل فمتى خفي الإعراب التزم كل في مرتبته ، وهذه الآية مما نحن فيه فكيف يدعى فيها ذلك ، بل كيف يختاره الزجاج ؟ وقد رأيت كلام الزجاج هنا فيمكن أن يؤخذ منه جواب عن هذا المكان ، وذلك أنه قال : " إلا أن الاختيار إذا كانت " الدعوى " في موضع رفع أن يقول : فما كانت دعواهم ، فلما قال : "كان دعواهم " دل على أن " الدعوى " في موضع نصب ، غير أنه يجوز تذكير الدعوى وإن كانت رفعا ، فمن هنا يقال : تذكير الفعل فيه قرينة مرجحة لإسناد الفعل إلى " أن قالوا " ، ولو كان مسندا للدعوى لكان الأرجح "كانت "كما قال ، وهو قريب من قولك : " ضربت موسى سلمى " فقدمت المفعول بقرينة تأنيث الفعل ، وأيضا فإن ثم قرينة أخرى ، وهي كون الأعرف أحق أن يكون اسما من غير الأعرف ".

والدعوى تكون بمعنى الدعاء ، وبمعنى الادعاء ، والمقصود بها ههنا يحتمل الأمرين جميعا ، ويحتمل أيضا أن تكون بمعنى الاعتراف ، فمن مجيئها بمعنى الدعاء ما حكاه الخليل : " اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين " يريد في صالح دعائهم ؛ وأنشدوا : [الطويل] ٢٤٠٢ - وإن مذلت رجلي دعوتك اشتفي

بدعواك من مذل بها فتهون

." (١)

"وقال : شاهت الوجوه ، فلم يق مشرك إلا ودخل في عينه وفمه ومنخريه منها.

فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم.

" وقال قتادة وابن زيد : ذكر لنا " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم ، وبحصاة في ميسرة القوم ، وبحصاة بين ظهرهم ، وقال : شاهت الوجوه فانهزموا " فذلك قوله : ﴿وما رميت إذ رميت ولاكن الله رمى ﴾ [الأنفال : ١٧].

إذ ليس في وسع أحد من البشر أن يرمي كفاص من الحصى إلى وجوه جيش ، فلا تبقى فيهم عين إلا ويصيبها منه شيء.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٢٨٥

وقيل : المعنى : وما بلغت إذ رميت ولكن الله بلغ ، وقيل : وما رميت بالرعب في قلوبهم إذ رميت بالحصاء ولكن الله رمى الرعب في قلوبهم حتى انهزموا.

القول الثاني : أنها نزلت يوم خيبر.

" روي أنه عليه الصلاة والسلام أخذ قوسا وهو على ب ا ب خيبر ، فرمى سهما ، فأقبل السهم حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو على فراشه " ، فنزلت الآية.

القول الثالث : أنها نزلت في يوم أحد ، " وذلك أن أمية بن خلف أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقتة ، وقال : يا محمد ، من يحيي هذا وهو رميم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : " يحييه الله يميتك ثم يحييك ثم يدخلك النار " فأسر يوم بدر ، فلما افتدي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن عندي فرسا أعلفها كل يوم فرقا من ذرة كي أقتلك عليها.

فقال عليه السلام : " بل أنا أقتلك إن شاء الله " فلما كان يوم أحد أقبل أبي يركض على ذلك الفرس حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترض له رجال من المسلمين ليقتلوه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " استأخروا " ورماه بحربة فكسر ضلعا من أضلاعه " ، فحمل فمات ببعض الطري فـفـي ذلك اليوم نزلت الآية.

والصحيح أنها نزلت في يوم بدر وإلا لدخل في أثناء القصة كلام أجنبي عنها ، وذلك لا يليق بل لا يبعد أن يدخل تحته سائر الوقائع ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٤٨١

فصل ومعنى الآية : أن القبضة من الحصباء التي رميتها ، فأنت ما رميتها في الحقيقة ؛ لأن رميك لا يبلغ أثره إلا ما يبلغه رمي سائر البشر ، ولكن الله رماها حيث أنفذ أجزاء ذلك التراب وأوصلها إلى عيونهم ، فصورة الرمية صدرت من الرسول – عليه الصلاة والسلام – وأثرها إنما صدر من الله تعالى ، فلهذا المعنى صح فيه النفي والإثبات.

واحتج أهل السنة بهذه الآية على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿فلم تقتلوهم ولـاكن الله قتلهم﴾ [الأنفال : ١٧].

ومن المعلوم أنهم جرحوا ، فدل هذا على أان حدوث تلك ال أفعال إنما حصل من الله تعالى.

وقوله : ﴿وما رميت إذ رميت﴾ أثبت كونه عليه الصلاة والسلام راميا ونفى عنه كونه راميا ، فوجب حمله على أنه رماه كسبا وأنه ما رماه خلقا.

فإن قيل : أما قوله : ﴿فلم تقتلوهم ولـاكن الله قتلهم﴾ فيه وجوه : أحدها : أن قتل الكفار إنما تيسر بمعونة الله ونصره وتأييده ، فصحت هذه الإضافة.

وثانيها : أن الجرح كان إليهم وإخراج الروح كان إلى الله ، والتقدير : فلم تميتوهم ولكن الله أماتهم.

وأما قوله : ﴿وما رميت إذ رميت ولـاكن الله رمى ﴾.

قال القاضي : قيل : فيه أشياء : منها أن الرمية الواحدة لا توجب وصول التراب إلى عيونهم ، فكان وصول أجزاء التراب إلى عيونهم ليس إلا بإيصال الله تعالى ، ومنها : أن التراب الذي رماه كان قليلا فيمتنع وصول ذلك القدر إلى عيون الكل ، فدل على أن الله تعالى ضم إليها سائر أجزاء التراب ، فأوصلها إلى عيونهم.

ومنها : أن عند رميه ألقى الله الرعب في قلوبهم ، فكان المراد من قوله : ﴿ولـاكن الله رمى ﴾ هو أنه تعالى رمى قلوبهم الرعب.

فالجواب : أن كل ما ذكروه عدول عن الظاهر ، والأصل في الكلام الحقيقة.

قوله : ﴿وليبلي المؤمنين﴾ متعلق بمحذوف ، أي : وليبلي فعل ذلك ، أو يكون معطوفا على علة محذوفة ، أي : ولكن الله رمى ليمحق الكفار ، وليبلي المؤمنين ، والبلاء في الخير والشر ، قال زهير : [الوافر]

٢٦٨٩ - ....

وإبلاهما خير البلاء الذي يبلو

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٤٧٩

والهاء في " منه " تعود على الظفر بالمشركين.

٤٨٢

" (١).

"صلى الله عليه وسلم قط ، قال : رأيته وأبو سفيان آخذ بالركاب ، والعباس آخذ بلجام دابته البيضاء وهو يقول : " أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب " وطفق يركض بغلته نحو الكفار ، ثم قال للعباس : ناد المهاجرين والأنصار - وكان العباس رجلا صيتا - فجعل يناديك يا عباد الله ، يا أصحاب الشجرة ، يا أصحاب سورة البقرة ، فجاء المسلمون حين سمعوا صوته عنقا واحدا ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده كفا من الحصى ، فرماهم بها ، وقال : " شاهت الوجوه " فما زال أمرهم مدبرا ، وحدهم كليلا حتى هزمهم الله ، ولم يبق منهم أحد يومئذ إلا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب ، فذلك قوله : ﴿ثم أنزل

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٥٢٤

الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾.
والمراد بالسكينة : ما يسكن إليه القلب ، ويوجب الأمنة ، ووجه الاستعارة فيه : أن الإنسان إذا خاف فر وفؤاده متحرك ، وإذا أمن ؛ سكن وثبت ؛ فلما كان الأمن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الأمن.
ثم قال تعالى : ﴿وأنزل جنودا لم تروها﴾ والمراد : أنزل الملائكة ، وليس في هذه الآية ما يدل على عدة الملائكة ، كما هو في قصة بدر ، فقال سعيد بن جبير : " أيد الله نبيه بخمسة آلاف من الملائكة " ولعله إنما قاسه على يوم بدر.
وقال سعيد بن المسيب : حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال : لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم ، فلما انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء ، تلقانا رجال بيض الوجوه ، فقالوا : شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا أكتافنا ، واختلفوا في أن الملائكة هل قاتلوا ذلك اليوم ؟ فالذي روي عن سعيد بن المسيب يدل على أنهم قاتلوا ، وقال آخرون : إن الملائكة ما قاتلوا إلا يوم بدر ، وفائدة نزولهم في هذا اليوم : هو إبقاء الخواطر الحسنة في قلوب المؤمنين.
ثم قال تعالى : ﴿وعذب الذين كفروا﴾ والمراد من هذا التعذيب : قتلهم وأسرهم ، وأخذ أموالهم وسبي ذراريهم.
وهذه الآية تدل على أن فعل العبد خلق لله تعالى ؛ لأن المراد من هذا التعذيب ليس إلا الأخذ والأسر ، وقد نسب تلك الأشياء إلى نفسه.
قوله : ﴿وذالك جزآء الكافرين﴾ تمسك الحنفية في مسألة الجلد مع التعزير بقوله ﴿الزانية والزاني﴾ [النور : ٢] قالوا : الفاء تدل على كون الجلد جزاء ، والجزاء اسم للكافي ، وكون الجلد كافيا يمنع كون غيره مشروعا معه ، وأجيبوا بأن الجزاء ليس اسما للكافي ؛ لأنه
٥٦
تعالى سمى هذا التعذيب جزاء مع أن المسلمين أجمعوا على أن العقوبة الدائمة في القيامة مدخرة لهم ، فدلت هذه الآية على أن الجزاء ليس اسما لما يقع به الكفاية.
قوله ﴿ثم يتوب الله من بعد ذالك على من يشآء﴾ أي : أن الله تعالى مع كل ما جرى عليهم من الخذلان يتوب عليهم ، بأن يزيل عن قلبهم الكفر ، ويخلق فيه الإسلام ، وقال القاضي : معناه : أنه بعد ما جرى عليهم ما جرى ، إذا أسلموا وتابوا فإن الله يقبل توبتهم " وهذا ضعيف ؛ لأن قوله : " ثم يتوب الله " ظاهره

يدل على أن تلك التبوة إنما تحصل لهم من قبله تعالى ، وتقدم الكلام على المعنى في البقرة عند قوله ﴿فتاب عليه﴾ [البقرة : ٣٧] ثم قال : ﴿والله غفور﴾ أي : لمن تاب ﴿رحيم﴾ لمن آمن وعمل صالحا.
جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٥٥
قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اا إنما المشركون نجس﴾ الآية.
اعلم أنه عليه الصلاة والسلام ، لما أمر عليا أن يقرأ على مشركي مكة أول سورة براءة ، وينبذ إليهم عهدهم ، وأن الله بريء من المشركين ورسلوه ، قال أناس : يا أهل مكة ستعلمون ما تلقونه من الشدة لانقطاع السبل وفقد الحمولات ؛ فنزلت هذه الآية ، لرفع الشبهة ، وأجاب الله تعالى عنها بقوله : ﴿وإن خفتم عيلة﴾ أي : فقرا وحاجة ، ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ قال الأكثرون : لفظ المشركين يتناول عبدة الأوثان ، وقال قوم : يتناول جميع الكفار ، وقد تقدم ذلك.
قال الضحاك وأبو عبيدة : " نجس " قذر.
وقيل : خبيث ، وهو مصدر يستوي فيه الذكر والأنثى ، والتثنية والجمع.
جعلوا نفس النجس ، على المبالغة ، أو على حذف مضاف.
وقرأ أبو حيوة " نجس " بكسر النون وسكون الجيم ، وجهه أنه اسم فاعل في الأصل على " فعل " مثل : "كتف وكبد " ثم خفف بسكون عينه بعد إتباع فائه ، ولا بد من حذف موصوف حينئذ قامت هذه الصفة مقامه ، أي : فريق نجس ، أو جنس نجس ، فإذا أفرد قيل " نجس " بفتح النون.
قال البغوي " ولا يقال على الانفراد ، بكسر النون وسكون الجيم ، إنما يقال
٦٠
". (١)

"الصلاة والسلام . فاستحى منه.
قالوا : وهو قول عكرمة ، ومجاهد ، الحسن ، وسعيد بن جبير.
وروى سعيد بن جبير رضي الله عنه عن ابن عباس . رضي الله عنهما . تمثل له يعقوب ، فضرب في صدره فخرجت شهوته من أنامله.
الثالث : قالوا : إنه سمع في الهواء قائلا : يا بن يعقوب ، لا تكن كالطير له ريش ، فإذا زنا ذهب ريشه.
الرابع : نقلوا عن ابن عباس أن يوسف . عليه الصلاة والسلام . لم ينزجر بكلام يعقوب حتى ركضه جبريل

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٦٠١

، فلم يبق به شيء من الشهوة إلا خرج.

قال ابن الخطيب : " ولما ذكر الواحدي هذه الروايات تصلف وقال : هذا الذي ذكرنا قول أئمة التفسير الذين أخذوا التأويل عمن شاهدوا التنزيل فيقال له : إنك لا تأتينا ألبتة إلا بهذه التصلفات التي لا فائدة فيها ، فأين هذا من الحجة والدليل الذي ذكرناه ، وأيضا : فإن ترادف الدلائل على الشيء الواحد جائز وإنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان ممتنعا من الزنا بحسب الدلائل الأصلية ، فلما انضاف إليها هذه الزواجر ازدادت قوة.

وأيضا : روي أن جبريل عليه الصلاة والسلام امتنع من دخول حجرة النبي المختار ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بسبب وقع هناك بغير علمه ؛ قالوا : فامتنع جبريل عليه السلام من الدخول [عليه] أربعين يوما ، وههنا زعموا أن يوسف حين اشتغاله بالفاحشة ذهب إليه جبريل ، والعجب أيضا أنهم زعموا أنه لم يمتنع عن ذلك العمل بسبب حضور جبريل ـ عليه السلام ـ ، ولو أن أفسق الخلق ، وأكفرهم كان مشتغلا بفاحشة ، فإذا دخل عليه رجل في زي الصالحين استحى منه ؛ وترك [ذلك] العمل وهاهنا يعقوب ـ عليه الصلاة والسلام ـ عض على أنامله ، فلم يلتفت ، ثم إن جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ على جلالة قدره دخل عليه ، فلم يمتنع أيضا عن ذلك القبيح بدخوله حتى احتاج جبريل إلى أن ركضه على ظهره ".

٦٨

فنسأل الله أن يصوننا عن الغي في الدين ، الخذلان في طلب اليقين.

فصل والفرق بين السوء ، والفحشاء من وجهين : الأول : أن السوء : جناية اليد ، والفحشاء : الزنا.

الثاني : السوء : مقدمات الفاحشة من القبلة ، والنظر بالشهوة.

والفحشاء : هو الزنا.

قوله : " وكذلك " في هذه الكاف أوجه : أحدها : أنها في محل نصب ، وقدره الزمشخري مثل ذلك التثبيت ثبتناه.

وقدره الحرفي أريناه البراهين بذلك ، وقدره ا بن عطية : جرت أفعالنا ، وأقدارنا كذلك ، وقدره أبو البقاء : نراعيه كذلك.

الثاني : أن الكاف في محل رفع ، فقدره الزمخشري ، وأبو البقاء : الأمر مثل ذلك ، وقدره أبن عيطةك عصمته كذلك.

وقال الحوفي : أمر البراهين بذلك ثم قال : والنصب أجود لمطالبة حروف الجر للأفعال أو معانيها.

الثالث : أن في الكلام تقديما ، وتأخيرا ، وتقديره : همت به ، وهم بها كذلك ثم قال : لولا أن رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه ما هم بها هذا نص ابن عطية.

وليس بشيء ؛ إذ مع تسليم جواز التقديم ، والتأخير لا معنى لما ذكره.

قال أبو حيان : وأقول : إن التقديرك مثل تلك الرؤية ، أو مثل ذلك الرأي نري براهيننا ، لنصرف عنه ، فتجعل الإشارة إلى الرأي ، أو الرؤية ، والناصب الكاف مما دل عليه قوله : ﴿لولا اا أن رأى برهان ربه﴾ ، و " لنرف " متعلق بذلك الفعل الناصب للكاف ، ومصدر " رأى " " رؤية ورأي " ؛ قال : [الرجز]

٣٠٦٧. ورأي عيني الفتى أباكا

[يعطي الجزيل فعليك ذاكا]

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٥٥

وقرأ الاعمش " ليصرف " بياء الغيبة ، والفاعل هو الله ـ سبحانه وتعالى ، قوله تعالى : ﴿المخلصين﴾ قرأ هذه اللفظة [حيث وردت] إذا كانت معرفة بأل مكسورة

٦٩

." (١)

"والبعير لغة يقع على الذكر خاصة ، وأطلقه بعضهم على الناقة أيضا وجعله نظير " إنسان " ويجوز كسر بائه إتباعا لعينه ، ويجمع في القلة على أبعرة ، وفي الكثرة على بعران.

والمعنى : ونزداد كيل بعير بسبب حضور أخينا ؛ لأنه كان يكيل لكل رجل حمل بعير.

ثم قال : ﴿ذالك كيل يسير﴾ قال مقاتل ـ رحمه الله ـ : ذلك كيل يسير على هذا الرجل المحسن ، وحرصه على البذل ، وهو اختيار الزجاج.

وقيل : ﴿ذالك كيل يسير﴾ ، أي قصير المدة ليس سبيل مثله أن تطول مدته بسبب الحبس والتأخير.

وقيل : ذلك الذي يدفع إلينا بدون أخينا شيئا يسيرا قليلا ، لا يكفينا وأهلنا ؛ فابعث أخانا معنا ؛ لكي يكثر ما نأخذه.

وقال مجاهد : البعير ههنا الحمار ، "كيل بعير " أي : حمل حمار ، وهي لغة ، يقال للحمير بعير ، وهم كانوا أصحاب حمر ، والأول أصح ؛ بأنه البعير المعروف.

قوله تعالى : ﴿قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله﴾ الآية.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ ، ص/٢٩٥٦

الموثق : مصدر بمعنى الثقة ، ومعناه : العهد الذي يوثق به ، فهو مصدر بمعنى المفعول ، يقول : لن أرسله معكم حتى تعطوني عهدا يوثق به ، وقوله " من الله " أيك عهدا موثوقا به ؛ بسبب تأكد الشهادة من الله ، أو بسبب القسم بالله عليه.

والموثق : العهد المؤكد بالقسم ، وقيل : المؤكد بإشهاد الله على نفسه.

قوله : ﴿لتأتنني به﴾ هذا جواب للقسم المضمر في قوله " موثقا " ؛ لأن معناه حتى تحلفوا لي لتأتنني به.

قوله ﴿إلا أن يحاط بكم﴾ في هذا الإستثناء أوجه : أحدها : أنه منقطع ، قاله أبو البقاء.

يعني فيكون تقدير الكلام : لكن إذا أحيط بكم

١٤٩

خرجتم من عتبي ، وغضبي عليكم إن لم تأتوني به ؛ لوضوح عذركم.

والثاني : أنه متصل ، وهو استثناء من المفعول له العام.

قال الزمخشري : " فإن قلت : أخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ، ففيه إشكال.

؟ قلت : " أن يحاط بكم " معفول له ، والكلام المثبت ، الذي هو قوله " لتأتنني به " في معنى النفي ، معناه : لا تمتنعون من الإتيان به ؛ إلا للإحاطة بكم ، أو لا تمتنعون منه لعلة واحدة وهي ﴿أن يحاط بكم﴾ فهو استثناء من أعم العام في المفعول له ، والاستثناء من أعم العام لا يكون إلا في النفي وحده ؛ فلا بد من تأويله بالنفي ، ونظيره في الإثبات المتأول بالنفي بمعنى النفي قولهم : أقسمت بالله لما فعلت وإلا فعلت بزيد يريد ما أطلب منك إلا الفعل ".

ولوضوح هذا الوجه لم يذكره غيره.

الثالث : أنه مستثنى من أعم العام من الأحوال قال أبو البقاء : تقديرهك لتأتنني به على كل حال ، إلا في حال ، إلا في حال الإحاطة بكم.

قال شهاب الدين : " قد نصوا على أن أن الناصبة للفعل ، لا تقع موقع الحال وإن كانت مؤولة بمصدر ، يجوز أن تقع موقع الحال ؛ لأنهم لم يغتفروا في المؤول ما يغتفرونه في الصريح ، فيجيزون : جئتك ركضا ، ولا يجيزون : جئتك أن أركض وإن كانا في تأويله ".

الرابع : أنه مسثنى من أعم العام في الأزمان ، والتقدير : لتأتنني به في كل وقت إلا في وقت الإحاطة بكم ، وقد تقدم [البقرة : ٢٥٨] الخلاف في هذه المسألة ، وأن أبا الفتح أجاز ذلك كما يجوزه في المصدر

الصريح ، فكما تقول : " آتيك صياح الديك " يجوز أن تقول : آتيك أن يصيح الديك ، جعل من ذلك قول تأبط شرا : [الطويل] ٣١١٩. وقالوا لها : لا تنكحيه فإنه

لأول نصل أن يلاقي مجمعا

جزء : ١١ رقم الصفحة : ١٤٧

وقول أبي ذؤيب الهذلي : [الطويل] ٣١٢٠. وتالله ما إن شهلة أم واحد

بأوجد مني أن يهان صغيرها

قال : تقديره : وقت ملاقاته الجمع ، ووقت إهانة صغيرها.

قال أبو حيان : " فعلى ما قاله يجوز تخريج الآية ، ويبقى ﴿لتأتنني به﴾ على ظاهره من الإثبات ".

١٥٠

". (١)

"وجعل عامر يومىء إليه ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما يصنع بسيفه ، فقال : " اللهم أكفنيهما بما شئت " فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم مصحو صائف ، فأحرقته ، وولى عامر بن الطفيل هاربا ، وقال : يا محمدا! دعوت ربك فقتل أربد ، والله لأملأنها عليك خيلا جردا ، وفتيانا مردا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " يمنعك الله من هذا ، وأبناء قيلة " يريد الأوس ، والخزرج ؛ فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما أصبح ، ضم عليه سلاحه ، وقد تغير لونه ، فخرج يركض في الصحراء ويقول : ابرز يا ملك الموت ، ويقول الشعر ، ويقول : واللات لئن أصبح لي محمدا وصاحبه . يعني ملك المت . لأنفذتهما برمحي ؛ فأرسل الله . تبارك وتعالى . ملكا فلطمه بجناحه ، فأذراه في التراب ، وخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة ، فعاد إلى بيت السلولية ، وهو يقول : " غدة كغدة البعير ، وموت في بيت سلولية " ، ثم دعا بفرسه ، فركبه ، ثم أجراه حتى مات على ظهره ، فأجاب الله دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل عامر بالطعن ، وأربد بالصاعقة " ، وأنزل الله في هذه القصة : ﴿سوآء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات﴾ يعنى للرسول صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله ، يعنم : تلك المعقبات من أمر الله ، وفيه تقديم وتأخير.

ونقل عن ابن عباس . رضي الله عنهما . واختاره أبو مسلم الأصفهاني . رحمه الله . أن المراد يستوي في

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٢٩٩٧

علم الله السر ، والجهر ، والمستخفي في ظلمة الليل والسارب بالنهار المستظهر بالمعاونين ، والأنصار ، وهم الملوك ، والأمراء فمن لجأ إلى الله فلن يفوت الله سبحانه وتعالى أمره ، ومن سار نهارا بالمعقبات ، وهم الأحراس والأعوان الذين يحفظونه لم ينجه حراسه من الله ـ تعالى ـ والمعقب هو العون ؛ لأنه إذا نصر هذا وذاك ؛ فلا بد وأن ينصر ذاك هذا ؛ فنصر كل واحد منهما معاقبة لنصرة الآخر ؛ فهذه المعقبات لا تخلص من قضاء الله ، وقدره ، وهم وإن ظنوا أنهم يخلصون مخدومهم من أمر الله ، ومن قضائه ؛ فإنهم لا يقدرون على ذلك ألبتة.

والمقصود من الكلام : بعث السلاطين ، والأمراء ، والكبراء على أن يطلبوا الخلاص من المكاره من الله ، ويعلولوا على حفظه وعصمته ولا يعولوا في دعفها على الأعوان والأنصار ؛ ولذلك قال تعالى ـ جل ذكره ـ بعده : ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال﴾.

قال القرطبي : " قيل : إن في الكلام نفيا محذوفا تقديره : لا يحفظونه من أمر الله ـ تعالى ـ ذكره الماوردي.

٢٧٠

قال المهدوي : ومن ج عل المعقبات : الحرس ، فالمعنى : م يحفظونه من أمر الله على ظنه ، وزعمه.

وقيل : سواء من أسر القول ، ومن جهر ، فله حراس ، وأعوان يتعاقبون عليه ، فيحملونه على المعاصي ، و " يحفظونه " من أن ينجع فيه وعظ.

قال القشيري : وهذا لا يمنع الرب من الإمهال إلى أن يحق العذابل ، وهو إذا غير هذا العاصي ما بنفسه بطول الإصرار ، فيصير ذلك سببا للعقوبة ، فكأنه الذي يحل العقوبة ".

وقال عبدالرحمن بن زيد : " المعقبات : ما تعاقب من أمر الله ـ تعالى ـ وقضائه في عباده ".

قال الماوردي : " ومن قال بهذا القول ، ففي تأويل قوله : ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ وجهان : أحدهما : يحفظونه من الموت ما لم يأت أجله ، قاله الضحاك.

الثاني : يحفظونه من الجن ، والهوام المؤذية ، ما لم يأت قدر ، قاله أبو أمامة ، وكعب الأحبار ـ رضي الله عنهما ـ فإذا جاء القدر خلوا عنه ؟ .

قوله : ﴿إن الله لا يغير ما بقوم﴾ : من العافية والنعمة ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ من [الحالة الجميلة] فيعصون ربهم.

قال الجبائي ، والقاضي : هذه الآية تدل على مسألتين : الأولى : أنه سبحانه لا يعاقب أطفال المشركين

بذنوب آبائهم ؛ لأنهم لم يغيروا ما بأنفسهم من نعمه ، فيغير الهلن حالهم من النعمة إلى العذاب.
الثانية : قالوا : الآية تدل على بطلان قول المجبرة : إنه تعالى ابتدأ العبد بالضلال ، والخذلان أول ما يبلغ ؛ لأن ذلك أبلغ في العقاب ، مع أنه ما كان منه تغيير.
قال ابن الخطيب : " والجواب أن ظاهر الآية يدل على أن فعل الله تعالى في التغيير يترتب على فعل العبد ، وقوله ﴿وما تشآءون إلا أن يشآء الله﴾ [التكوير : ٢٩] يدل على أن فعله مقدم على فعل العبد ، فوقع التعارض.
وقوله تعالى : ﴿وإذا أراد الله بقوم سواءا فلا مرد له﴾ يدل على أن العبد غير مستقل
٢٧١
." (١)

"ف " أولئك " يشار به إلى العقلاء وغيرهم من الجموع ، واعتذر ابن عطية عن الإشارة به لغير العقلاء ، فقال : وعبر عن السمع ، والبصر ، والفؤاد بـ " أولئك " لأنها حواس لها إدراك ، وجعلها في هذه الآية مسئولة ؛ فهي حالة من يعقل ؛ ولذلك عبر عنها بكناية من يعقل ، وقد قال سيبويه – رحمه الله – في قوله تعالى : ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾ [يوسف : ٤] إنما قال " رأيتهم " في نجوم ؛ لأن لما وصفها بالسجود – وهو فعل من يعقل – عبر عنها بكناية من يعقل ، وحكى الزجاج أن العرب تعبر عمن يعقل وعمن لا يعقل بـ " أولئك " وأنشد هو والطبري : [الكامل] ٣٤٢١ – ذم المنازل بعد منزلة اللوى
والعيش بعد أولئك الأيام
وأما حكاية أبي إسحاق عن اللغة فأمر يوقف عنده ، وأما البيت فالرواية فيه " الأقوام " ولا حاجة إلى هذا الاعتذار لما عرفت ، وأما قوله : " إن الرواية : الأقوام " فغير معرنوفة والمعروف إنما هو " الأيام ".
قوله : "كل اولئك " مبتدأ ، و الجملة من "كان " خبره ، وفي اسم "كان " وجهان : أحدهما : أنه ضمير عائد على "كل " باعتبار لفظها ، وكذا الضمير في " عنه " و " عنه " متعلق بـ " مسئولا " و " مسئولا " خبرها.
والثاني : أن اسمها ضمير يعود على القافي ، وفي " عنه " يعود على "كل " وهو من الالتفات ؛ إذ لو جرى على ما تقدم ، لقيل : كنت عنه مسئولا ، وقال الزمخشري : و " عنه " في موضع الرفع بالفاعلية ، أي : كل واحد كان مسئولا عنه ، فمسئول مسند إلى الجار والمجرور ؛ كالمغضوب في قوله ﴿غير

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٠٥٨

المغضوب عليهم﴾ [الفاتحة : ٧] انتهى.
وفي تسميته مفعول ما لم يسم فاعله فاعلا خلاف الاصطلاح.
وقد رد أبو حيان عليه قوله : بأن القائم مقام الفاعل حكمه حكمه ، فلا يتقدم على رافعه كأصله ، وليس لقائل أن يقول : يجوز على رأي الكوفيين ؛ فإنهم يجيزون تقديم الفاعل ؛ لأن النحاس حكى الإجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل ، إذا كان جارا أو مجرورا ، فليس هو نظير وله ﴿غير المغضوب عليهم﴾ فحينئذ يكون القائم مقام الفاعل الضمير المستكن العائد على "كل " أو على القافي.
فصل في ظاهر الآية يدل على أن الجوارح مسئولة ، وفيه وجوه :
٢٨٥
الأول : معناه أن صاحب السمع ، والبصر ، والفؤاد هو المسئول ؛ لأن السؤال لا يصح إلا من العاقل ، وهذه الجوارح ليست كذلك ، بل العاقل الفاهم هو الإنسان : لم سمعت ما لا يحل سماعه ، ولم نظرت إلى ما لا يحل لك نظره ، ولم عزمت على م الا يحل لك العزم عليه.
والثاني : أن أولئك الأقوام كلهم مسئولون عن السمع ، والبصر ، والفؤاد , فيقال لهم : استعملتم السمع فيماذا ، أفي الطاعة ، أو في المعصية ؟ وكذلك القول في بقية الأعضاء ، وذلك ؛ لأن الحواس آلات النفس ، والنفس كالأمير لها ، والمستعمل لها في مصالحها ، فإن استعملها في الخيرات ، استوجب الثواب ، وإذا استعملها في المعاصي ، استحق العقاب.
والثالث : أنه تعالى يخلق الحياة في الأعضاء ، ثم إنها تسأل ؛ لقوله تعالى : ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ [النور : ٢٤] فكذلك لا يبعد أن يخلق العقل ، والحياة ، و النطق في هذه الأعضاء ، ثم إنها تسال.
روي عن شكل بن حميد – رحمه الله – قال : " أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، علمني تعويذا ، أتعوذ به ، فأخذ بيدي ، ثم قال : " قل اللهم ؛ أعوذ بك من شر سمعي ، وشر بصري ، وشر لسانى ، وشر قلبي ، وشر منيي " قال فحفظتها.
قال سعيد : والمني ماؤه.
جزء : ١٢ رقم الصفحة : ٢٨٠
وهذا هو النهي الثاني.
قوله تعالى : " مرحا " : العامة على فتح الراء ، وفيه أوجه : أحدها : أنه مصدر واقع موقع الحال ، أي :

مرحا بكسر الراء ، ويدل عليه قراءة بعضهم فميا حكاه يعقوب " مرحا " بالكسر.

قال الزجاج : " مرحا " مصدر ، ومرحا : اسم الفاعل ، وكلاهما جائز ، إلا أن المصدر هنا أحسن وأوكد ، تقول : جاء زيد ركضا وراكضا ، وآكد ؛ لأنه يدل على توكيد الفعل.

الثاني : أنه على حذف مضاف ، أي : ذا مرح.

٢٨٦

". (١)

"يكتفى بها وبالمرفوع بعدها كلاما نحو خرجت فإذا الأسد.

قوله : " يخيل إليه " قرأ العامة " يخيل " بضم الياء الأولى وفتح الثانية مبنيا للمفعول ، و " أنها تسعى " مرفع بالفعل قبله لقيامه مقام الفاعل تقديره : يخيل إليه سعيها.

وجوز أبو البقاء فيه وجهين : أحدهما : (أن يكون القائم مقام الفاعل ضمير الجبضا والعصي وإنما ذكر ولم يقل " تخيل " بالتاء من فوق ، لأن تأنيث الحبال غير حقيقي.

الثاني : أن القائم مقام الفاعل ضمير يعود على الملقي ، فلذلك ذكر.

وعلى الوجهين : ففي قوله : " أنها تسعى " وجهان أحدهما) : أنه بدل اشتمال من ذلك الضمير المستتر أيضا ، والمعنى : يخيل إليه هي أنها ذات سعي.

ولا حاجة إلى هذا ، وأيضا فقد نصوا على أن المصدر المؤول لا يقع موقع الحال ، لو قلت : جاء زيد أن ركض ، تريد ركضا بمعنى ذا ركض لم يجز.

وقرأ ابن ذكوان : " تخيل " بالتاء من فوق ، وفيه ثلاثة أوجه : أحدها : أن الفعل مسند لضمير الجبال والعصي ، أي : تخيل الحبال (والعصي ، و) " أنها تسعى " بدل اشتمال من ذلك الضمير.

٣١١

الثاني : كذلك إلا " أنها تسعى " حال ، أي : ذات سعي كما تقدم تقريره قبل ذلك.

الثالث : أن الفعل مسند لقوله : " أنها تسعى " كقراءة العامة في أحد الأوجه وإنما أنث الفعل لاكتساب المرفوع التأنيث بالإضافة ، إذ التقدير : تخيل إليه سعيها ، فهو كقوله :

٣٦٧٤ - شرقت صدر القناة من الدم

")

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٣٢٣

جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٣٠٦

فله عشر أمثالها ").

وقرأ أبو السمال : " تخيل " بفتح التاء والياء مبنيا للفاعل ، والأصل : تتخيل ، فحذف إحدى التاءين نحو " تنزل الملائكة " ، و " أنها تسعى " بدل اشتمال أيضا من ذلك الضمير.

وجوز ابن عطية أيضا أنه مفعول من أجله.

ونقل ابن جبارة الهذلي : قراءة أبي السمال : " تخيل " بضم التاء من فوق وكسر الياء ، فالفعل مسند لضمير الحبال ، و " أنها تسعى " مفعول ، أي : تخيل الحبال سعيها.

٣١٢

ونسب ابن عطية هذه القراءة للحسن وعيسى الثقفي.

وقرأ أبو حيوة : " نخيل " بنون العظمة ، و " أنها تسعى " مفعول به أيضا على هذه القراءة.

وقرأ الحسن والثقفي " عصيهم " بضم العين حيث وقع ، وهو الأصل ، وإنما كسرت العين إتباعا (للصاد ، وكسرت الصاد إتباعا) للياء نحو دلو ودلي ، وقوس وقسي ، والأصل : عصوو ، بواوين فأعل كما ترى بقلب الواوين ياءين استثقالا لهما ، فكسرت الصاد لتصح الياء ، وكسرت العين إتباعا.

ونقل صاحب اللوامح : أن قراءة الحسن " عصيهم " بضم العين وسكون الصاد وتخفيف الياء مع الرفع ، وهو أيضا جمع كالعامة إلا أنه على فعل ، والأول على فعول كفلوس.

والجملة من " تخيل " يحتمل أن تكون في محل رفع خبرا لهي على أن " إذا " الفجائية فضلة.

وأن تكون في محل نصب على الحال على أن " إذا " الفجائية هي الخبر والضمير في " إليه " الظاهر عوده على موسى.

وقيل يعود على (فرعون) (ويدل للأول) قوله تعالى : ﴿ فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴾.

وفيه إضمار أي : فألقوا فإذا حبالهم وعصيهم ، جمع حبل وعصا.

فصل قال ابن عباس : ألقوا حبالهم وعصيهم وأخذوا أعين الناس فرأى موسى والقوم كأن الأرض امتلأت حيات وكانت أخذت ميلا من كل جانب ، وأنها تسعى فخاف ،

٣١٣

." (١)

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٥٨٢

"قوله : "كانت ظالمة " في محل جر صفة لـ " قرية " ، ولا بد من مضاف محذوف قبل " قرية " أي : وكم قصمنا من أهل قرية بدليل عود الضمير في قوله : " فلما أحسوا " ولا يجوز أن يعود على قوله " قوما " لأنه لم يذكر لهم ما يقتضي ذلك.

فصل لما حكى عنهم تلك الاعتراضات الساقطة ، لكونها في مقابلة ما ثبت إعجازه ، وهو القرآن ظهر لكل عاقل أن اعتراضهم كان لأجل حب الرياسة والدنيا.

والمراد بقوله : " قصمنا " أهلكنا.

قال ابن عباس : المراد منه القتل بالسيوف ، والمراد بالقرية : حضور وسحول باليمن ينسب إليهما الثياب ، وفي الحديث : "كفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ثوبين سحولين " ، وروي " حضورين " بعث الله إليهما نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم.

وروي " أنه لما أخذتهم السيوف ناداه مناد من السماء يا لثارات الأنبياء " فندموا واعترفوا بالخطأ ، و ﴿قالوا يا ويلنآ إنا كنا ظالمين﴾.

وقال الحسن : المراد عذب الاستئصال.

وهذا أقرب ، أن إضافة ذلك إلى الله أقرب من إضافته إلى القائل ، ثم بتقدير أن يحمل ذلك على عذاب القتل فما الدليل على الحصر في القريتين اللتين ذكرهما ابن عباس.

وقوله : "كانت ظالمة " أي كافرة ، يعني أهلها " وأنشأنا بعدها " أي : أحدثنا بعد علاك أهلها " قوما آخرين ".

﴿فلمآ أحسوا بأسنآ﴾ أي : عذابنا بحاسة البصر ﴿إذا هم منها يركضون﴾ أي : يسرعون هاربين.

والركض ضرب الدابة بالرجل ، يقال : ركض الدابة يركضها ركضا ، ومنه قوله تعالى : " اركض برجلك ".

فيجوز أن يركبوا دوابهم فيركضوها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب.

ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين.

٦٤٥

قوله : " إذا هم " : " إذا " هذه فجائية ، وتقدم الخلاف فيها.

و " هم " مبتدأ ، و " يركضون " خبره.

وتقدم أول الكتاب أن أمثال هذه الآية دالة على أن " لما " ليست ظرفية بل حرف وجوب لوجوب ، لأن الظرف لا بد له من عامل ، ولا عامل هنا ، لأن ما بعد " إذا " لا يعمل فيما قبلها.

والجواب أنه عمل فيها معنى المفاجأة المدلول عليه بـ " إذا ".
والضمير في " منها " يعود على " قرية " ، ويجوز أن يعود على " بسنا " لأنه في معنى النقمة والبأساء ، فأنث الضمير حملا على المعنى.
و " من " على الأول لابتداء الغاية ، وللتعليل على الثاني.
قوله : " لا تركضوا " أي : قيل لهم : لا تركضوا ، أي لا تهربوا.
قال الزمخشري : القول محذوف ، فإن قلت : من القائل ؟ قلت : يحتمل أن يكون بعض الملائكة ، أو من ثم من المؤمنين ، أو يكون خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل ، أو بقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفهم في دينهم.
أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم.
٤٥٧
وقوله : ﴿وارجعوا اا إلى مآ أترفتم﴾ من العيش الرافه والحال الناعمة.
والإتراف انتظار النعمة ، وهي الترفه.
وقوله : " لعلكم تسألون " تهكم بهم وتوبيخ.
قال ابن عباس : تسألون عن قتل نبيكم.
وقال غيره : هذا التهكم يحتمل وجوها : الأول : ارجعوا إلى نعمتكم ومساكنكم لعلكم تسألون عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم ، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة.
الثاني : ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى تسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ، ويقولوا لكم : بم تأمرون ، وماذا ترسمون كعادة المخدومين.
الثالث : تسألكم الناس ما في أيديكم ويستشيرونكم في المهمات.
قوله : ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ اسم " زالت " " تلك " و " دعواهم " الخبر هذا هو الصواب.
وقد قال الحوفي والزمخشري وأبو البقاء : يجوز العكس ، وهو مردود بأنه إذا أخفي الإعراب مع استوائهما في المسوغ لكون كل منهما اسما أو خبرا ، وجب جعل المتقدم اسما والمتأخر خبرا ، وهو من باب ضرب موسى عيسى وتقدم إيضاح هذا في أول سورة الأعراف فليلتفت إليه.
و " تلك " إشارة إلى الجملة المقولة.
قال

". (١)

"مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ فقال : ارفع رأسك فقد استجبت لك ﴿اركض برجلك﴾ [ص : ٤٢] فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها ، فلم يبق في ظاهر بدنه دابة إلا سقطت ، ثم ضرب برجله مرة أخرى ، فنبعت عين أخرى ، فشرب منها ، فلم يبق في جوفه داء إلا خرج ، وقام صحيحا ، وعاد إليه شبابه وجماله حتى صار أحسن ما كان ، ثم كسي حبة فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الأهل والمال إلا وقد ضاعفه الله ، حتى ذكر أن الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب ، فجعل يضمه بيده ، فأوحى الله إليه : يا أيوب ألم أغنك ؟ قال : بلى ، ولكن من يشبع من نعمك ، قال : فخرج حتى جلس مكان مشرف ، ثم إن امرأته قالت : هب أنه طردني أفأتركه حتى يموت جوعا وتأكله السباع ، لأرجعن غليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ، ولا تلك الحال ، وإذا الأمور قد تغيرت ، فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي ، وهابت صاحب الحلة أن تأتيه ، وتسأل عنه ، فأرسل إيلها أيوب ، ودعاها ، فقال : ما تريدين يا أمة الله ؟ فبكت ، وقالت : بعليط ، قال أتعرفينه إذا رأتيه ، قالت : وهل يخفى علي فتبسم وقال : أنا هو.

فعرفته بضحكه فاعتنقته ، ثم قال : إنك أمرتيني أن أذبح لإبليس سخلة ، وإني أطعت الله ، وعصيت إبليس ، ودعوت الله ، فرد علي ما ترين.

وروى الضحاك ومقاتل : أن أيوب بقي في البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات.

وقال وهب : بقي في البلاء ثلاث سنين ، فلما غلب أيوب – عليه السلام – إبليس ذهب إبليس – لعنه الله – إلى امرأته على هيئة ليست كهيئة بني آدم في العطم والحسن والجمال ، وعلى مركب ليس من مراكب الناس ، فقال لها : أنت صاحبة أيوب ، قاقلت : نعم.

قال : فهل تعرفيني ؟ قالت : لا.

قال : فأنا إله الأرض ، صنعت بأيوب ما صنعت ، وذلك لأن عبد إله الـسماء وتركني فأغضبني ، ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك جميع ما لكما من مال وولد فإن ذلك عندي.

قال وهب : وسمعت أنه قال : لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم الله لعوفي مما في البلاء ، وفي رواية أخرى قال لها : لو شئت فاسجدي لي سجدة واحدة لرجعت المال والولد وأعافي زوجك.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٦٢٦

فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها.

فقال لها أيوب – عليه

٥٧٠

السلام – أتاك عدو الله ليفتنك ، ثم أقسم إن عافاه الله ليضربنها مائة سوط.

فقال عند ذلك : ﴿مسني الضر﴾ يعني من طمع إبليس في سجودي له وسجود زوجتي له ، ودعائه إياها وإياي إلى الكفر.

وفي رواية قال وهب : كانت امرأة أيوب تعمل للناس وتأتيه بقوته ، فلما طال عليه البلاء ، وسئمها الناس ، فلم يستعملوها ، فالتمست ذات يوم شيئا من الطعام ، فلم تجد شيئا ، فجزت قرنها من رأسها فباعته برغيف ، فأتته ، فقال لها : أين قرنك ؟ فأخبرته بذلك.

فحينئذ قال : ﴿مسني الضر﴾.

وفي رواية قال إسماعيل السدي : لم يقل أيوب ﴿مسني الضر﴾ إلا لأشياء ثلاثة : أحدها : قول الرجل له : لو كان عملك خالصا لما أصابك ما أصابك.

والثاني : كانت لامرأته ثلاث ذوائب فعمدت إلى إحداهن فقطعتها وباعتها فأعطوها بذلك خبزا ولحما ، وجاءت إلى أيوب ، فقال : من أين هذا ؟ قالت : كل فإنه حلال.

فلما كان من الغ لم تجد شيئا فباعت الثانية ، وكذلك فعلت في اليوم الثالث ، وقالت : كل فإنه حلال ، فقال لا آكل ما لم تخبريني ، فأخبرته ، فبلغ ذلك من أيوب ما الله أعلم به.

وقيل : إنما باعت ، لأن إبليس تمثل لقومه في صورة بشر ، وقال : لئن تركتم أيوب في قريتكم فإني أخاف أن يعدي إليكم ما به من العلة فخرجوه إلى باب البلد ، ثم قال لهم : إن امرأته تدخل في بيوتكم وتعمل وتمس زوجها ، فأقول : إنه يتعدى إليكم علته ، فحينئذ لم يستعملها أحد فباعت ضفيرتها.

والثالث : حين قالت له امرأته ما قالت.

وفي رواية : قيل : سقطت دودة من فخذه فردها إلى موضعها ، وقال : قد جعلني الله طعمة لك ، فعضته عضة شديدة.

فقال : ﴿مسني الضر﴾.

وأوحى الله إليه : لولا أني جعلت تحت كل شعرة صبرا لما صبرت.

فصل طعنت المعتزلة في هذه القصة من وجوه : الأول : قال الجبائي : ذهب بعض الجهال إلى أن ما

كان به من المرض كان فعلا للشيطان سلطه عليه لقوله تعالى عنه ﴿مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ [ص : ٤١].

وهذا جهل أما أولا : فإنه لو قدر على إحداث الأمراض والأسقام وضدها من العافية لتهيأ له فعل الأجسام ، ومن هذا حاله يكون إلها.

وأما ثانيا : فلأن الله تعالى أخبر عنه وعن جنوده بأن

٥٧١

." (١)

"قوله : ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض﴾ فيه لطيفة وهي أن الإنسان له جسم وروح ، فالأجسام أجزاءها في الأرض والأرواح في السماء فقوله : ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات﴾ إشارة إلى علمه بالأرواح ، وقوله : ﴿ولا في الأرض﴾ إشارة إلى عمله بالأجسم فإذا علم الروح والأجسام قدر على جمعها فلا اسبعاد في الإعادة.

قوله : " ولا أصغر " العامة على رفع " أصغر وأكبر " وفيه وجهان : أحدهما : الابتداء ، والخبر قوله " إلا في كتاب ".

والثاني : النسق على " مثقال " وعلى هذا فيكون : " إلا في كتاب " تأكيدا للنفي في : " لا يعزب " كأنه قال لكنه في كتاب مبين وقرأ قتادة والأعمش ورويت عن أبي عمرو ونافع أيضا بفتح الراءين.

وفيها وجهان : أحدهما : أنها " لا " التبرئة وبني اسمها معها , والخبر قوله : " إلا في كتاب ".

والثاني : النسق على " ذرة " وتقدم في يونس أن حمزة قرأ بفتح راء " أصغر " وأكبر " وهنا وافق على الرفع وتقدم البحث هناك.

قال الزمخشري : فإن قلت : هلا جاز عطف : " ولا أصغر " على " مثقال " وعطف " ولا أكبر " على ذرة ؟ قلت : يأبي ذلك حرف الاستثناء إلا اا إذا جعلت الغيب اسما للخفيات قبل أن تكتب في اللوح المحفوظ لأنها إثبات في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى أنه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزال عنه إلا مسطورا في اللوح.

قال أبو حيان : ولا يحتاج إلى هذا التأويل إذ جعلنا الكتاب ليس اللوح

٧

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٣٦٦٧

المحفوظ ، وقرأ زيد بن علي بخفض راء أصغر وأكبر وهي مشكلة جدا ، وخرجت على أنهما في نية الإضافة ، إذ الأصل : " ولا اصغره ولا أكبره " وما لا ينصرف إذا أضيف انجر في موضع الجر ثم حذف المضاف إليه ونوي معناه فترك المضاف بحاله وله نظائر كقولهم :

٤١٠٢ - بين ذراعي وجبهة الأسد

٤١٠٣ - يا تيم تيم عدي

على خلاف.

وقد يفرق بأن هناك ما يدل على المحذفو لفظا بخلاف هنا.

وقد رد بعضهم هذا التخريج لوجود " من " ؛ لأن " أفعل " متى أضيف لم يجامع " من " وأجيب عن ذلك بوجهين : أحدهما : أن (من) ليست متعقة " بأفعل " بل محذوف على سبيل البيان ؛ لأنه لما حذف المضاف إليه أبهم المضاف فبين " بمن " ومجروها أي أعني من ذلك.

والثاني : أنه مع تقديره للمضاف إليه نوي طرحه ، فلذلك أتى " بمن " ويدل على ذلك أنه قد ورد التصريح بالإضافة مع وجود " من " قال الشاعر : ٤١٠٤ - نحن بغرس الودي أعلمنا

منا بركض الجياد في السدف

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ٣

٨

وخرج على هذين الوجهين إلى التعليق بمحذوف وإما نية طرح المضاف إليه وهذا كما احتاجوا إلى تأويل الجمع بين " أل " ومن في أفعل كقوله : ٤١٠٥ - ولست بالأكثر منهم حصى

....

وهذه توجيهات شذوذ ويكفي فيها مثل ذلك.

فصل قوله : ﴿ولا أصغر من ذلك﴾ إشارة إلى أن مثقال لم يذكر للتحديد بل الأصغر منه لا يعزب.

فإن قيل : فأي حاجة إلى ذلك الأكبر وإن من علم الأصغر من الذرة لا بد وأن يعلم الأكبر ؟ فالجواب : لما كان الله تعالى أراد بينان إثبات الأمور في الكتاب فلو اقتصر على الأصغر لتوهم متوهم أنه يثبت الصغائر لكونها محل النسيان وأما الأكبر فلا ينسى فلا حاجة إلى إثباته فقال الإثبات في الكبائر ليس كذلك فإن الأكبر فيه أيضا مكتوب ثم لما بين علمه بالصغائر والكبائر ذكر أن جميع ذلك وإثباته للجزاء فقال : ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾.

قوله : " ليجزي " فيه أوجه : أحدهما : أنه متعلق (بلا) وقال أبو البقاء و (يعزب) بمعنى لا يعزب أي يحصي ذلك ليجزي.
وهو حس أو بقوله : " ليأتينكم " أو بالعامل في قوله : " إلا في كتاب " اي إلا استقر ذلك " في كتاب مبين " ليجزي.
٩
." (١)

"وقرأ العامة بفتح الهمزة على أنه هو المنادي بهذا اللفظ.
وعيسى بن عمر بكسرها على إضمار القول أو على إجراء النداء مجراه.
قوله : ﴿بنصب﴾ قرأ العامة بالضم والسكون ، فقيل : هو جمع نصب بفتحتين ، نحو : (وثن) ووثن وأسد وأسد وقيل : هو لغة في النصب نحو : رشد ورشد وحزن وحزن وعدم وعدم.
وأبو جعفر وشيبة وحفص ونافع - في رواية - بضمتين - وهو تثقيل نصب بضمة وسكون ، قاله الزمخشري.
وفيه بعد لما تقرر أن مقتضى اللغة تخفيف فعل كعنق لا تثقيل فعل كقفل.
وفيه خلاف وقد تقدم في هذا العسر واليسر في البقرة.
وقرأ أبو حيوة ويعقوب وحفص - في رواية - بفتح وسكون وكلها بمعنى واحد وهو التعب والشمقة.
فصل النصب المشقة والضر.
قال قتادة ومقاتل : النصب في الجسد والعذاب في المال واعلم أن داود سليمان - عليهما (الصلاة و) السلام - كانا ممن أفاض الله عليهما أصناف الآلاء والنعماء ، وأيوب كان ممن خصه الله تعالى بأنواع البلاء.
والمقصود من جميع هذه القصص الاعتبار كأن الله تعالى قال : يا محمد اصرر على سفاهة قومك فإنه ما كان في الدنيا أكثر نعمة ومالا وجاها أكثر من داود وسليمان ، وما كان أكثر بلاء ولا محنة من أيوب.
فتأمل في أحوال هؤلاء لتعرف أن أحوال الدنيا لا تنتظم لأحد وأن العاقل لا بد له من الصبر على المكاره.
٤٢٧
فصل قال بعض الحكماء : الآلام والأسقام الحاصلة في جسمه إنما حصلت بفعل الشيطان ، وقيل : إنما

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤١٥٧

حصلت بفعل الله تعالى.

والعذاب المضاف في هذه الآية إلى الشيطان هو عذاب الوسوسة وإلقاء الخواطر الفاسدة أما تقرير القول الأول فهو ما روي أن إبليس سأل فيه ربه فقال : هل في عبيدك من لو سلطتني عليه يمتنع مني ؟ فقال الله تعالى : نعم عبدي أيوب فجعل يأتيه بوساوسه وهو يرى إبليس عيانا ولا يلتفت إليه فقال : رب إنه قد امتنع علي فسلطني على ماله فكان يجيئه ويقول له : هلك من مالك كذا وكذا فيقول : الله أعطى والله أخذ ثم يحمد الله تعالى فقال : يا رب إن أيوب لا يبالي بماله فسلطني على ولده فجاءه وأخبره به فلم يلتفت إليه فقال : يا رب إنه لا يبالي بماله وولده فسلطني على جسده فأذن فيه فنفخ في جلد أيوب فحدث أسقام عظيمة وآلام شديدة فيه فمكث في ذلك البلاء سنين حتى استقدره أهل بلده فخرج إلى الصحراء وما كان يقرب منه أحد فجاء الشيطان إلى امرأته ، وقال : إن زوجك إن استغاث إلي خلصته من هذه البلاء فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف بالله لئن عافاه الله ليجلدها مائة جلده وعند هذه الواقعة قال : ﴿أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ فأجاب الله دعاءه وأوحى إليه أن : " اركض برجلك " وأظهر الله تعالى من تحت رجله عينا باردة طيبة فاغتسل منها فأذهب الله عنه كل داء في ظاهره وباطنه ، ورد عليه أهله وماله.

وأما القول الثاني أن الشيطان لا قدرة له البتة على إيقاع الناس في الأمراض والأسقام ويدل عليه وجوه :

الأول : أنا لو جوزنا حصول الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان فلعل الواحد منا إنما وجد الحياة بفعل الشيطان ولعل ما عندما من الخيرات والسعادات قد حصل بفعل الشيطان وحينئذ لاسبيل (لنا) إلى معرفة معطي الحياة والموت والصحة والسقم هو الله تعالى أم الشيطان.

الثاني : أن الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يسعى في قتل الأنبياء والأولياء ، ولم (لا) يخرب دورهم ولم يقتل أولادهم.

الثالث : أن الله حكى عن الشيطان أنه قال : ﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾ [إبراهيم : ٢٢] فصرح بأنه لا قدرة له في حق البشر ، إلا إلقاء الوساو والخواطر الفاسدة فدل ذلك على فساد القول بأن الشيطان هو الذي ألقاه في تلك الأمراض.

٤٢٨

". (١)

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٣٢٥

"فإن قيل : لم لا يجوز أن يقال : إن الفاعل لهذه الأحوال هو الله لكن على وفق التماس الشيطان ؟ قلنا : فإذا كان لا بد من الاعتراف بأن خالق تلك الآلام والأسقام هو الله تعالى فأي فائدة في جعل الشيطان واسطة في لك بل الحق أن المراد في قوله : ﴿أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ أنه سبب إلقاء الوساوس الفاسدة كأن يلقيه في أنواع العذاب ، والقائلون بهذا القول اختلفوا في أن تلك الوساوس كيف كانت وذكروا وجوها : الأول : أن علته كانت شديدة الألم ثم طالت تلك العلة واستقذره الناس ونفروا عن مجاورته ولم يبق له مال ألبتة وامرأته كانت تخدم الناس وتحصل قدر القوت ، ثم بلغت نفرة الناس عنه إلى أن منعوا امرأته من الدخول عليهم ومن خدمتهم والشيطان كان يذكر(ه) النعم التي كانت ، والآفات التي حصلت وكان يحتال في دفع تلك الوساوس ، فلما قويت تلك الوساوس في قلبه خاف وتضرع إلى الله تعالى وقال : ﴿مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ لأنه كلما كثرت تلك الخواطر كان تألم قلبه منها أشد.

الثاني : أنه لما طالت مدة المرض جاء الشيطان فكان يقنطه مدة ويزلزله أن يجزع فخاف من خاطر القنوط في قلبه وتضرع إلى الله تعالى وقال : إني مسني الشيطان.

الثالث : روي أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : " بقي أيوب في البلاء ثمان عشرة سنة حتى رفضه القري والبعيد إلا رجلين ، ثم قال أحدهما لصاحبه : لقد أذنب أيوب فقال : لا أدري ما تقولان غير أنني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكر أن الله تعالى فأرجع إلى بيتي فأنفر عنهما كراهية أن يذكر الله تعالة إلا في حق ".

الرابع : قيل : إن امرأته كانت تخدم الناس وتأخذ منهم قدر القوت وتجيء به إلى أيوب فاتفق أنهم ما استخدموها ألبتة وطلب بعض الناس منها قطع إحدى ذؤابتيها على أن تعطيها قدر القوت ففعلت ، ثم في اليوم الثاني مثل ذلك فلم يبق لها ذؤابة وكان أيوب – عليه (الصلاة و) السلام – إذا أراد أن يتحرك على فراشه تعلق بتلك الذؤابة فلما لم يجد الذؤابة وقعت الخواطر الرديئة في قلبه ، فعند ذلك قال : ﴿مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾.

الخامس : روي أنه – عليه (الصلاة و) السلام – قال في بعض الأيام : يا رب لقد علمت أني ما اجتمع علي أمران إلا آثرت طاعتك ، ولما أعطيتني المال كنت للأرامل

٤٢٩

قيما ، ولابن السبيل معينا ولليتامى أبا فنودي : يا أيوب ممن كان ذلك التوفيق ؟ فأخذ أيوب التراب ووضعه على رأسه وقال : منك يا رب ثم خاف من الخاطر الأول فقال : مسني الشيطان بنصب وعذاب وذكر

احوالا أخر.

والله أعلم.

قوله : ﴿اركض برجلك﴾ معناه أنه لما اشتكى مس الشيطان فكأنه سأل ربه أن يزيل عنه تلك البلية فأجابه الله بأن قال : ﴿اركض برجلك﴾ والركض هو الدفع القوي بالرجل.

ومنه ركض الفرس والتقدير قلنا له اركض برجلك قيل : إنه ضرب برجله تلك الأرض فنبعت عين ، فقيل : هذا مغتسل بارد وشراب أي هذا ما تغتسل به فيبرأ ظاهرك وتشرب منه فيبرأ باطنك.

وظاهر (هذا) اللفظ يدل على أنه نبعت له عين واحدة من الماء فاغتسل منه ، وشرب منه ، والمفسرون قالوا : نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره ومن باطنه بإذن الله تعالى.

وقيل : ضرب برجله اليمين فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم بالسرى فنبعت عين باردة فشرب منها.

قوله : ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم﴾ قيل : هم عين أهله وديراه " ومثلهم " قيل : غيرهم مثلهم ، والأول أولى ؛ لأنه الظاهر فلا يجوز العدول عنه من غير ضرورة ثم اختلفوا فقيل : أزلنا عنهم السقم فأعيدوا أصحاء ، وقيل : بل حضروا عنده بعد أن غابوا عنه واجتمعوا عبد أن تفرقوا ، وقيل : بل تمكن منهم وتمكنوا منه كما يفعل بالعشرة والخدمة.

قوله : ﴿ومثلهم معهم﴾ الأقرب أنه تعالى (متعه) بصحته وماله وقواه حتى كثر نسله وصاروا أهله ضعف ما كانوا وأضعاف ذلك.

وقال الحسن : المراد بهبة الأهل أنه تعالى أحياهم بعد أن هلكوا.

٤٣٠

". (١)

"قوله : " رحمة وذكرى " مفعول من أجله وهبناهم له لأجل رحمتنا إياه وليتذكر بحاله أولو الألباب يعني سلطنا عليه البلاء أولا فصبر ، ثم أزلنا عنه البلاء وأوصلنا إليه الآلاء والنعماء تنبيها لأولي الألباب عن أن من صبر ظفر.

وهو تسلية لمحمد - عليه (الصلاة و) السلام - كما تقدم.

قالت المعتزلة : وهذا يدل على أن أفعال الله تعالى معللة بالأغراض والمقاصد لقوله : ﴿رحمة منا وذكرى

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٤٣٢٦

لأولي الألباب﴾.
قوله : ﴿وخذ بيدك ضغثا﴾ (ضغثا) معطوف على " اركض " والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش والقضبان ، وقيل : الحزمة الكبيرة من القضبان وفي المثل : " ضغث على إبالة " والإبالة الحزمة من الحطب ، قال الشاعر : ٤٢٧٦ - وأسفل مني نهدة قد ربطتها
وألقيت ضغثا من خلى متطيب
جزء : ١٦ رقم الصفحة : ٤٢٦
وأصل المادة يدل على جمع المختلطات ، وقد تقدم هذا في يوسف في قوله : ﴿أضغاث أحلام﴾ [يوسف : ٤٤].
قوله : ﴿ضغثا فاضرب به ولا تحنث﴾ الحنث الإثم ويطلق على فعل ما حلف على تركه أو ترك ما حلف على فعله لأنهما سببان فيه غالبا.
فصل هذا الكلام يدل على تقدم يمين منه ، وقد روي أنه حلق على أهله ، وختلفوا في سبب حلفه عليها ، ويبعد ما قيل : إنها رغبة في طاعة الشيطان ويبعد أيضا ما روي أنها قطعت ذوائبها لأن المضطر يباح له ذلك ، بل الأقرب أنها خالفته في بعض المهمات ، وذلك أنها ذهبت في بعض المهمات فأبطأت فحلف في مرضه ليضربنها مائة إذا برئ ،
٤٣١
ولما كانت حسنة الخدمة لا جرم حلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها وهذه الرخصة باقية ، لما روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أتى برجل ضعيف زنا بأمة فقال : " خذوا (عثكالا فيه) مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة واحدة ".
قوله : ﴿إنا وجدناه صابرا﴾ فإن قيل : كيف وجده صابرا وقد شكا إليه ؟ فالجواب من وجوه : الأول : أنه شكى مس الشيطان إليه وما شكى إلى أحد.
والثاني : أن الآلام حين كانت على الجسد لم يذكر شيئا فلما عظمت الوساوس خاف على القلب والدين (ف)تضرع.
الثالث : أن الشيطان عدو والشكاية من العدو إلى الحبيب لا تقدح في الصبر.
قوله : ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ يدل على أن التشريف بقوله : ﴿نعم العبد﴾ إنما حصل لكونه أوابا.
روي أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿نعم العبد﴾ في حق سليمان تارة وفي حق أيوب أخرى عظم في قلوب أمة

محمد – صلى الله عليه وسلم – وقالوا : إن قوله : نعم العبد تشريف عظيم فإن احتجنا إلى تحمل بلاء مثل أيوب لم نقدر عليه فكيف السبيل إلى تحصيله ؟ فأنزل الله تعالى قوله : ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ [الحج : ٧٨] والمراد أنك إن لم تكن نعما لعبد فأنا نعم المولى فإن كان منك الفضل فمني الفضل وإن كان منك التقصير فمني الرحمة والتيسير.

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ٤٢٦

قوله : ﴿واذكر عبادنآ إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾ قرأ ابن كثير : عبدنا بالتوحيد.

والباقون عبادنا بالجمع والرسم يحلتملهما ، فأما قراءة ابن كثير فإبراهيم بدل ، أو بيان ،

٤٣٢

." (١)

"على الابتداء وما قبله الخبر ، أو فاعل بالجار لاعتماده على حرف النفي ، وكأنه وهم في التلاوة فزعم أن القرآن : وما لبشر أن يكلمه مع أنه يمكن الجواب عنه بتكلف.

و ﴿إلا وحيا﴾ يجوز أن يكون مصدرا أي إلا كلام وحي.

وقال أبو البقاء : استثناء منقطع ؛ لأن الوحي ليس من جنس الكلام.

وفيه نظر ؛ لأن ظاهره أنه مفرغ ، والمفرغ لا يوصف بذلك.

ويجوز أن يكون مصدرا في موضع الحال.

قوله : " أو يرسل " قرأ نافع : " أو يرسل " بفرع اللام ، وكذلك : فيوحي فسكنت ياؤه.

والباقون بنصبهما.

فاما القراءة الأولى ففيها ثلاثة أوجه : أحدها : أنه رفع على إضمار مبتدأ أي : أو هو يرسل.

الثاني : أنه عطف على " وحيا " على أنه حال ؛ لأن وحيا في تقدير الحال أيضا فكأنه قال : إلا موحيا أو مرسلا.

الثالث : أن يعطف على ما يتعلق به " من وراء " ؛ إذ تقديره أو يسمع من وراء حجاب و " وحيا " في موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر المعطوف عليه " أو يرسل " ، والتقدير : إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا.

وأما الثانية ففيها ثلاثة أوجه : أحدها : أن يعطف على المضمر الذي يتعلق به ﴿من ورآء حجاب﴾ إذ

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٣٢٧

تقديره : أو يكلمه من وراء حجاب.

وهذا الفعل (المقدر) معطوف على " وحيا " ، والمعنى : إلا بوحي أو إسماع من وراء حجاب أو إرسال رسول.

ولا يجوز أن يعطف على " يكلمه " لفساد المعنى ؛ إذ يصير التقدير : وما كان لبشر أن يرسل الله رسولا ، فيفسد لفظا ومعنى.

وقال مكي : لأنه يلزم منه نفي الرسل ، ونفي المرسل إليهم.

الثاني : أن ينصب بأن مضمرة وتكون هي وما نصبته معطوفين على " وحيا "

٢٢١

و " وحيا " ، فيكون هذا أيضا حالا ، والتقدير : إلا موحيا أو مرسلا.

وقال الزمخشري : " وحيا وأن يرسل " مصدران واقعان موقع الحال ، لأن : أن يرسل في معنى : إرسالا و ﴿من ورآء حجاب﴾ ظرف واقع موقع الحال أيضا كقوله : ﴿وعلى جنوبهم﴾ [آل عمران : ١٩١] والتقدير : وما صح أن يكلم أحدا إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا.

ورد عليه أبو حيان بأن وقوع المصدر موقع الحال غير منقاس وإنما قاس منه المبرد ما كان نوعا للفعل فيجيز أتيته ركضا ويمنع : أتيته بكاء أي باكيا.

وبأن : أن يرسل لا يقع حالا لنص سيبويه : على أن " أن " والفعل لا يقع حالا وإن كان المصدر الصريح يقع حالا تقول : جاء زيد ضحكا ، ولا يجوز أن يضحك.

الثالث : أنه عطف على معنى وحيا فإنه مصدر مقدر بأن والفعل والتقدير : إلا بأن يوحي إليه أو بأن يرسل.

ذكره مكي وأبو البقاء.

قوله : ﴿من ورآء حجاب﴾ العامة على الإفراد.

وابن أبي عبلة : حجب جمعا.

وهذا الجار يتعلق بمحذوف تقديره : أو يكلمه من وراء حجاب.

وقد تقدم أن هذا الفعل معطوف على معنى وحيا ، أي إلا أن يوحي أو يكلمه.

قال أبو البقاء : ولا يجوز أن يتعلق من بـ " يكلمه " (الموجودة في اللفظ لأن ما قبل الاستثناء لا يعمل فيما بعد إلا.

ثم قال : وقيل : من مسبوقة بيكلمه﴾ لأنه ظرف والظرف يتسع فيه.

٢٢٢

". (١)

"حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، " ﴿ﷺفلا تكونن من الممترين﴾ [البقرة: ١٤٧] قال: من الشاكين؛ قال: لا تشكن في ذلك " والممتري: مفتعل من المرية، والمرية: هي الشك، ومنه قول الأعشى:

[البحر المتقارب]

-[٦٧٤]- تدر على أسؤق الممترين ... ركضا إذا ما السراب ارجحن

فإن قال لنا قائل: أوكان النبي صلى الله عليه وسلم شاكا في أن الحق من ربه، أو في أن القبلة التي وجهه الله إليها حق من الله تعالى ذكره حتى نهي عن الشك في ذلك فقيل له: ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ [البقرة: ١٤٧] قيل: ذلك من الكلام الذي تخرجه العرب مخرج الأمر أو النهي للمخاطب به، والمراد به غيره، كما قال جل ثناؤه: ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ [الأحزاب: ١] ثم قال: ﴿واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ [الأحزاب: ٢] فخرج الكلام مخرج الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم والنهي له، والمراد به أصحابه المؤمنون به. وقد بينا نظير ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته." (٢)

"حدثنا سفيان بن وكيع، قال: ثنا أبي، عن الفضل بن دلهم، عن الحسن: " ﴿ﷺفإن خفتم فرجالا أو ركبانا﴾ [البقرة: ٢٣٩] قال: ركعة وأنت تمشي، وأنت يوضع بك بعيرك، ويركض بك فرسك على أي جهة كان "." (٣)

"حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: " ﷺعبر يومئذ النهر مع طالوت أبو داود فيمن عبر مع ثلاثة عشر ابنا له، وكان داود أصغر بنيه. فأتاه ذات يوم فقال: يا أبتاه ما أرمي بقذافتي شيئا إلا صرعته. فقال: أبشر يا بني، فإن الله قد جعل رزقك في قذافتك ثم أتاه مرة أخرى قال: يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال، فوجدت أسدا رابضا، فركبت عليه، فأخذت بأذنيه، فلم يهجني. قال:

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٤٧٧

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٧٣/٢

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٨٨/٤

أبشر يا بني، فإن هذا خير يعطيكه الله ثم أتاه يوما آخر فقال: يا أبتاه إني لأمشي بين الجبال، فأسبح، فما يبقى جبل إلا سبح معي. فقال: أبشر يا بني، فإن هذا خير أعطاكه الله وكان داود راعيا، وكان أبوه خلفه يأتي إليه وإلى إخوته بالطعام. فأتي النبي بقرن فيه دهن وبثوب من حديد، فبعث به إلى طالوت، فقال: إن صاحبكم الذي يقتل جالوت يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي حتى يدهن منه ولا يسيل على وجهه، يكون على رأسه كهيئة الإكليل، ويدخل في هذا الثوب فيملؤه. فدعا طالوت بني إسرائيل فجربهم، فلم يوافقه منهم أحد. فلما فرغوا، قال طالوت لأبي داود: هل بقي لك من ولد لم يشهدنا؟ قال: نعم، بقي ابني داود، وهو يأتينا بطعامنا. فلما أتاه داود مر في الطريق بثلاثة أحجار، فكلمنه، وقلن له: خذنا يا داود تقتل بنا جالوت قال: فأخذهن فجعلهن في مخلاته. وكان طالوت قال: من قتل جالوت زوجته ابنتي، وأجريت خاتمه في ملكي. فلما جاء داود وضعوا القرن على رأسه، فغلى حتى ادهن منه، ولبس الثوب فملأه، وكان رجلا مسقاما مصفارا، ولم يلبسه أحد إلا تقلقل فيه. فلما لبسه داود تضايق -[٥٠٨]- الثوب عليه حتى تنقض. ثم مشى إلى جالوت، وكان جالوت من أجسم الناس وأشدهم؛ فلما نظر إلى داود قذف في قلبه الرعب منه، فقال له: يا فتى ارجع فإني أرحمك أن أقتلك قال داود: لا، بل أنا أقتلك. فأخرج الحجارة فجعلها في القذافة، كلما رفع حجرا سماه، فقال: هذا باسم أبي إبراهيم، والثاني باسم أبي إسحاق، والثالث باسم أبي إسرائيل. ثم أدار القذافة فعادت الأحجار حجرا واحدا، ثم أرسله فصك به بين عيني جالوت، فنقب رأسه فقتله. ثم لم تزل تقتل كل إنسان تصيبه تنفذ منه، حتى لم يكن بحيالها أحد. فهزموهم عند ذلك، وقتل داود جالوت. ورجع طالوت، فأنكح داود ابنته، وأجرى خاتمه في ملكه؛ فمال الناس إلى داود فأحبوه. فلما رأى ذلك طالوت وجد في نفسه وحسده، فأراد قتله. فعلم به داود أنه يريد به ذلك، فسجى له زق خمر في مضجعه، فدخل طالوت إلى منام داود، وقد هرب داود فضرب الزق ضربة فخرقه، فسالت الخمر منه، فوقعت قطرة من خمر في فيه، فقال: يرحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر ثم إن داود أتاه من القابلة في بيته وهو نائم، فوضع سهمين عند رأسه وعند رجليه وعن يمينه وعن شماله سهمين؛ فلما استيقظ طالوت بصر بالسهام فعرفها، فقال: يرحم الله داود هو خير مني، ظفرت به فقتلته، وظفر بي فكف عني. ثم إنه ركب يوما فوجده يمشي في البرية وطالوت على فرس، فقال طالوت: اليوم أقتل داود وكان داود إذا فزع لا يدرك، فركض على أثره طالوت، ففزع داود، فاشتد فدخل غارا، وأوحى الله إلى

العنكبوت فضربت عليه بيتا؛ فلما انتهى طالوت إلى الغار نظر إلى بناء العنكبوت، -[٥٠٩]- فقال: لو كان دخل ها هنا لخرق بيت العنكبوت، فخيل إليه فتركه "." (١)

"حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة: ﴿ﷺإلا ما ذكيتم﴾ [المائدة: ٣] قال: «فكل هذا الذي سماه الله عز وجل ههنا ما خلا لحم الخنزير إذا أدركت منه عينا تطرف أو ذنبا يتحرك أو قائمة تركض ، فذكيته ، فقد أحل الله لك ذلك»." (٢)

"حدثنا أبو كريب ، قال: ثنا مصعب بن سلام التميمي ، قال: ثنا جعفر بن -[٦٥]- محمد ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب ، قال: «ﷺإذا ركضت برجلها أو طرفت بعينها أو حركت ذنبها ، فقد أجزأ»." (٣)

"حدثنا ابن المثنى ، قال: ثنا الحجاج بن المنهال ، قال: ثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن ، قال: «ﷺإذا كانت الموقوذة تطرف ببصرها ، أو تركض برجلها ، أو تمصع بذنبها ، فاذبح وكل» حدثني المثنى قال: ثنا الحجاج ، قال: ثنا حماد ، عن قتادة ، بمثله." (٤)

"كل شيء قلعته من موضعه فرميت به، يقال منه: نتقت نتقا. قال: ولهذا قيل للمرأة الكبيرة ناتق؛ لأنها ترمي بأولادها رميا، واستشهد ببيت النابغة:

[البحر الكامل]

لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم ... دحقت عليك بناتق مذكار

وقال آخر: معناه في هذا الموضع: رفعناه. وقال: قالوا: نتقني السير: حركني. وقال: قالوا: ما نتق برجله لا يركض، والنتق: نتق الدابة صاحبها حين تعدو به وتتعبه حتى يربو، فذلك النتق والنتوق، ونتقتني الدابة، ونتقت المرأة تنتق نتوقا: كثر ولدها وقال بعض الكوفيين: نتقنا الجبل: علقنا الجبل فوقهم فرفعناه ننتقه نتقا، وامرأة منتاق: كثيرة الولد، قال: وسمعت: أخذ الجراب ونتق ما فيه: إذا نثر ما فيه." (٥)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٠٧/٤

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٤/٨

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٤/٨

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٥/٨

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٤٦/١٠

"حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن كثير بن عباس بن عبد المطلب، عن أبيه، قال: لما كان يوم حنين التقى المسلمون والمشركون، فولى المسلمون يومئذ، قال: فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وما معه أحد إلا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، آخذا بغرز النبي صلى الله عليه وسلم، لا يألو ما أسرع نحو المشركين. قال: فأتيت حتى أخذت بلجامه وهو على بغلة له شهباء، فقال: «يا عباس ﷺناد أصحاب السمرة» وكنت رجلا صيتا، فأذنت بصوتي الأعلى: أين أصحاب السمرة؟ فالتفتوا كأنها الإبل إذا حنت إلى أولادها، يقولون: يا لبيك يا لبيك يا لبيك، وأقبل المشركون فالتقوا هم والمسلمون، وتنادت الأنصار: يا معشر الأنصار، ثم قصرت الدعوة في بني الحارث بن الخزرج، فتنادوا: يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول إلى قتالهم، فقال: «هذا حين حمي الوطيس» . ثم أخذ بيده من -[٣٩١]- الحصباء فرماهم بها، ثم قال: «انهزموا ورب الكعبة، انهزموا ورب الكعبة» قال: فوالله ما زال أمرهم مدبرا وحدهم كليلا حتى هزمهم الله. قال: فلكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته." (١)

"قد جاء فرج. قال: وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، فذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض رجل إلي فرسا، وسعى ساع من أسلم قبلي وأوفى الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس. فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي، فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما. وانطلقت أتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة، ويقولون: لتهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره - قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة - قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك» فقلت: أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ قال: «لا بل من عند الله» . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه. قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمسك بعض مالك فهو خير لك» قال: فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. وقلت: يا رسول الله إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١١/٣٩٠

أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت قال: فوالله ما علمت أحدا من المسلمين ابتلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت." (١)

"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر بن عبد الله، عن شهر بن حوشب، عن عمرو بن خارجة، قال: قلنا له: حدثنا حديث ثمود قال: أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمود: " ﷺكانت ثمود قوم صالح أعمرهم الله في الدنيا فأطال أعمارهم حتى جعل أحدهم يبني المسكن من المدر، فينهدم والرجل منهم حي، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فرهين، فنحتوها وجوفوها، وكانوا في سعة من معايشهم، فقالوا: يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا آية نعلم أنك رسول الله فدعا صالح ربه، فأخرج لهم الناقة، فكان شربها يوما وشربهم يوما معلوما، فإذا كان يوم شربها خلوا عنها وعن الماء، وحلبوها لبنا، ملئوا كل إناء ووعاء وسقاء، حتى إذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء، فلم تشرب منه شيئا، فملئوا كل إناء ووعاء وسقاء. فأوحى الله إلى صالح: إن قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم، فقالوا: ما كنا لنفعل فقال: إلا تعقروها أنتم يوشك -[٤٥٩]- أن يولد فيكم مولود. قالوا: ما علامة ذلك المولود؟ فوالله لا نجده إلا قتلناه قال: فإنه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر. قال: وكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان، لأحدهما ابن يرغب به عن المناكح، وللآخر ابنة لا يجد لها كفؤا، فجمع بينهما مجلس، فقال أحدهما لصاحبه: ما يمنعك أن تزوج ابنك؟ قال: لا أجد له كفؤا، قال: فإن ابنتي كفؤ له، وأنا أزوجك فزوجه، فولد بينهما ذلك المولود. وكان في المدينة ثمانية رهط يفسدون في الأرض، ولا يصلحون، فلما قال لهم صالح: إنما يعقرها مولود فيكم، اختاروا ثماني نسوة قوابل من القرية، وجعلوا معهن شرطا كانوا يطوفون في القرية، فإذا وجدوا المرأة تمخض، نظروا ما ولدها إن كان غلاما قلبنه، فنظرن ما هو، وإن كانت جارية أعرضن عنها، فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن: هذا الذي يريد رسول الله صالح فأراد الشرط أن يأخذوه، فحال جداه بينهم وبينه وقالا: لو أن صالحا أراد هذا قتلناه فكان شر مولود، وكان يشب في اليوم شباب غيره في الجمعة، ويشب في الجمعة شباب غيره في الشهر، ويشب في الشهر شباب غيره في السنة. فاجتمع الثمانية الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وفيهم الشيخان، فقالوا نستعمل علينا هذا الغلام لمنزلته وشرف جديه، فكانوا تسعة. وكان صالح لا ينام معهم في القرية، كان في مسجد يقال له مسجد صالح، فيه يبيت -[٤٦٠]- بالليل، فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكرهم، وإذا أمسى خرج إلى مسجده فبات فيه ". قال حجاج: وقال ابن جريج: " لما قال لهم صالح: إنه سيولد غلام يكون

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٢/٦٤

هلاككم على يديه، قالوا فكيف تأمرنا؟ قال: آمركم بقتلهم فقتلوهم إلا واحدا. قال: فلما بلغ ذلك المولود قالوا: لو كنا لم نقتل أولادنا، لكان لكل رجل منا مثل هذا، هذا عمل صالح. فأتمروا بينهم بقتله، وقالوا: نخرج مسافرين، والناس يروننا علانية، ثم نرجع من ليلة كذا من شهر كذا وكذا، فنرصده عند مصلاه فنقتله، فلا يحسب الناس إلا أنا مسافرون كما نحن فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصدونه، فأرسل الله عليهم الصخرة فرضختهم، فأصبحوا رضخا. فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم، فإذا هم رضخ، فرجعوا يصيحون في القرية: أي عباد الله، أما رضي صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم حتى قتلهم؟ فاجتمع أهل القرية على قتل الناقة أجمعون، وأحجموا عنها إلا ذلك الابن العاشر. " ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " وأرادوا أن يمكروا بصالح، فمشوا حتى أتوا على سرب على طريق صالح، فاختبأ فيه ثمانية، وقالوا: إذا خرج علينا قتلناه، وأتينا أهله فبيتناهم فأمر الله الأرض فاستوت عليهم ". قال: " فاجتمعوا ومشوا إلى الناقة وهي على حوضها قائمة، فقال -[٤٦١]- الشقي لأحدهم: ائتها فاعقرها فأتاها فتعاظمه ذلك، فأضرب عن ذلك، فبعث آخر فأعظم ذلك، فجعل لا يبعث رجلا إلا تعاظمه أمرها؛ حتى مشوا إليها، وتطاول فضرب عرقوبيها، فوقعت تركض، وأتى رجل منهم صالحا، فقال: أدرك الناقة فقد عقرت فأقبل، وخرجوا يتلقونه ويعتذرون إليه: يا نبي الله إنما عقرها فلان، إنه لا ذنب لنا. قال: فانظروا هل تدركون فصيلها؟ فإن أدركتموه، فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه، ولما رأى الفصيل أمه تضطرب أتى جبلا يقال له القارة قصيرا، فصعد وذهبوا ليأخذوه، فأوحى الله إلى الجبل، فطال في السماء حتى ما يناله الطير ". قال: " ودخل صالح القرية، فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه، ثم استقبل صالحا فرغا رغوة، ثم رغا أخرى، ثم رغا أخرى، فقال صالح لقومه: لكل رغوة أجل يوم ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾ [هود: ٦٥] ألا إن أية العذاب أن اليوم الأول تصبح وجوهكم مصفرة، واليوم الثاني محمرة، واليوم الثالث مسودة فلما أصبحوا فإذا وجوههم كأنها طليت بالخلوق، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم. فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم: ألا قد مضى يوم من الأجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم محمرة كأنها خضبت بالدماء، فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا آية العذاب، فلما -[٤٦٢]- أمسوا صاحوا بأجمعهم: ألا قد مضى يومان من الأجل، وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث، فإذا وجوههم مسودة كأنها طليت بالقار، فصاحوا جميعا: ألا قد حضركم العذاب فتكفنوا وتحنطوا، وكان حنوطهم الصبر والمقر، وكانت أكفانهم الأنطاع. ثم ألقوا أنفسهم بالأرض، فجعلوا يقلبون أبصارهم، فينظرون إلى السماء مرة وإلى الأرض مرة، فلا يدرون من حيث يأتيهم العذاب من فوقهم من

السماء أو من تحت أرجلهم من الأرض خسفا وغرقا. فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت كل شيء له صوت في الأرض، فتقطعت قلوبهم في صدورهم، فأصبحوا في دارهم جاثمين "." (١)

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا -[٢٣٣]- بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون﴾ [الأنبياء: ١٢] يقول تعالى ذكره: وكثيرا قصمنا من قرية. والقصم: أصله الكسر، يقال منه: قصمت ظهر فلان إذا كسرته، وانقصمت سنه: إذا انكسرت وهو ههنا معني به: أهلكنا، وكذلك تأوله أهل التأويل." (٢)

"حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿ﷺلا تركضوا﴾ [الأنبياء: ١٣] لا تفروا -[٢٣٥]- حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله." (٣)

"كما حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿ﷺلا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون﴾ [الأنبياء: ١٣] يعني من نزل به العذاب في الدنيا ممن كان يعصي الله من الأمم." (٤)

"آخرين سواهم وقوله: ﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ [الأنبياء: ١٢] يقول: فلما عاينوا عذابنا قد حل بهم ورأوه قد وجدوا مسه، يقال منه: قد أحسست من فلان ضعفا، وأحسته منه ﴿إذا هم منها يركضون﴾ [الأنبياء: ١٢] يقول: إذا هم مما أحسوا بأسنا النازل بهم يهربون سراعا عجلى يعدون منهزمين، يقال منه: ركض فلان فرسه: إذا كده بسياقته." (٥)

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون﴾ [الأنبياء: ١٣] يقول تعالى ذكره: لا تهربوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه: يقول: إلى ما أنعمتم فيه من عيشتكم ، ومساكنكم ،:." (٦)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٥٨/١٢
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٣٢/١٦
(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٣٤/١٦
(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٣٤/١٦
(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٣٤/١٦
(٦) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٣٤/١٦

"حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: فحدثني محمد بن إسحاق قال: وكان وهب بن منبه يقول: " ﷺلبث في ذلك البلاء ثلاث سنين ، لم يزد يوما واحدا ، فلما غلبه أيوب فلم يستطع منه شيئا، اعترض لامرأته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والطول ، على مركب ليس من مراكب الناس، له عظم وبهاء وجمال ليس لها، فقال لها: أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى؟ قالت نعم. قال: هل تعرفينني؟ قالت لا. قال: فأنا إله الأرض ، وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت، وذلك أنه عبد إله السماء ، وتركني فأغضبني، ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان لكما من مال وولد، فإنه عندي ثم أراها إياهم فيما ترى ببطن الوادي الذي لقيها فيه. قال: وقد سمعت أنه إنما قال: لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم عليه لعوفي مما به من البلاء، والله أعلم. وأراد عدو الله أن يأتيه من قبلها. فرجعت إلى أيوب، فأخبرته بما قال لها ، وما أراها ، قال: أو قد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك؟ ثم أقسم إن الله عافاه ليضربها مائة ضربة ، فلما طال عليه البلاء، جاءه أولئك النفر الذين كانوا معه قد آمنوا به وصدقوه، -[٣٥٥]- معهم فتى حديث السن ، قد كان آمن به وصدقه، فجلسوا إلى أيوب ، ونظروا إلى ما به من البلاء، فأعظموا ذلك ، وفظعوا به، وبلغ من أيوب صلوات الله عليه مجهوده، وذلك حين أراد الله أن يفرج عنه ما به ، فلما رأى أيوب ما أعظموا ما أصابه قال: أي رب ، لأي شيء خلقتني ، ولو كنت إذ قضيت علي البلاء تركتني فلم تخلقني؟ ليتني كنت دما ألقتني أمي. ثم ذكر نحو حديث ابن عسكر، عن إسماعيل بن عبد الكريم، إلى: وكابدوا الليل، واعتزلوا الفراش، وانتظروا الأسحار ، ثم زاد فيه: أولئك الآمنون الذي لا يخافون، ولا يهتمون ، ولا يحزنون، فأين عاقبة أمرك يا أيوب من عواقبهم؟ قال فتى حضرهم ، وسمع قولهم ، ولم يفطنوا له ، ولم يأب،وا لمجلسه، وإنما قيضه الله لهم لما كان من جورهم في المنطق ، وشططهم، فأراد الله أن يصغر به إليهم أنفسهم ، وأن يسفه بصغره لهم أحلامهم ، فلما تكلم تمادى في الكلام، فلم يزدد إلا حكما. وكان القوم من شأنهم الاستماع والخشوع إذا وعظوا ، أو ذكروا ، فقال: إنكم تكلمتم قبلي أيها الكهول، وكنتم أحق بالكلام ، وأولى به مني لحق أسنانكم، ولأنكم جربتم قبلي ، ورأيتم وعلمتم ما لم أعلم ، وعرفتم ما لم أعرف، ومع ذلك قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم ، ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ، ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم ، ومن الموعظة أحكم من الذي وصفتم، وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم، هل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم ، وحرمة من انتهكتم ، ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم؟ ولم تعلموا أيها الكهول أن أيوب نبي الله ، -[٣٥٦]- وخيرته وصفوته من أهل الأرض يومكم هذا، اختاره الل،ه لوحيه ، واصطفاه لنفسه ، وائتمنه على نبوته، ثم لم تعلموا

، ولم يطلعكم الله على أنه سخط شيئا من أمره مذ أتاه ما آتاه إلى يومكم هذا ، ولا على أنه نزع منه شيئا من الكرامة التي أكرمه بها مذ آتاه ما آتاه إلى يومكم هذا، ولا أن أيوب غير الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا ، فإن كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم، فقد علمتم أن الله يبتلي النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، ثم ليس بلاؤه لأولئك بدليل سخطه عليهم ، ولا لهوانه لهم، ولكنها كرامة ، وخيرة لهم ، ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة ، ولا في النبوة ، ولا في الأثرة ، ولا في الفضيلة ، ولا في الكرامة، إلا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحابة، لكان لا يجمل بالحكيم أن يعذل أخاه عند البلاء ، ولا يعيره بالمصيبة بما لا يعلم ، وهو مكروب حزين، ولكن يرحمه ويبكي معه ، ويستغفر له ، ويحزن لحزنه ، ويدله على مراشد أمره ، وليس بحكيم ، ولا رشيد من جهل هذا، فالله الله أيها الكهول في أنفسكم قال: ثم أقبل على أيوب: صلى الله عليه وسلم: فقال، وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت: ما يقطع لسانك، ويكسر قلبك، وينسيك حججك؟ ألم تعلم يا أيوب أن لله عبادا أسكتتهم خشيته من غير عي ، ولا بكم ، وإنهم لهم الفصحاء النطقاء ، النبلاء ، الألباء ، العالمون بالله وبآياته؟ ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم ، واقشعرت جلودهم ، وانكسرت قلوبهم ، وطاشت عقولهم إعظاما لله ، وإعزازا ، وإجلالا، فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله بالأعمال -[٣٥٧]- الزاكية، يعدون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين، وإنهم لأنزاه برآء، ومع المقصرين والمفرطين، وإنهم لأكياس أقوياء، ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير، ولا يرضون لله بالقليل، ولا يدلون عليه بالأعمال ، فهم مروعون مفزعون مغتمون خاشعون وجلون مستكينون معترفون متى ما رأيتهم يا أيوب قال أيوب: إن الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير، فمتى نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان، وليست تكون الحكمة من قبل السن ولا الشبيبة ، ولا طول التجربة، وإذا جعل الله العبد حكيما في الصيام لم يسقط منزله عند الحكماء وهم يرون عليه من الله نور الكرامة، ولكنكم قد أعجبتكم أنفسكم ، وظننتم أنكم عوفيتم بإحسانكم، فهنالك بغيتم وتعززتم، ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم أنفسكم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله بالعافية التي ألبسكم ، ولكني قد أصبحت اليوم وليس لي رأي ، ولا كلام معكم، قد كنت فيما خلا مسموعا كلامي ، معروفا حقي ، منتصفا من خصمي ، قاهرا لمن هو اليوم يقهرني ، مهيبا مكاني ، والرجال مع ذلك ينصتون لي ، ويوقروني، فأصبحت اليوم قد انقطع رجائي ، ورفع حذري ، وملني أهلي ، وعقني أرحامي ، وتنكرت لي معارفي ، ورغب عني صديقي ، وقطعني أصحابي ، وكفرني أهل بيتي ، وجحدت حقوقي ، ونسيت صنائعي، أصرخ فلا يصرخونني ، وأعتذر فلا يعذرونني، وإن قضاءه هو الذي أذلني ، وأقمأني ،

وأخسأني، وإن سلطانه هو الذي أسقمني ، -[٣٥٨]- وأنحل جسمي. ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري ، وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي، ثم كان ينبغي للعبد يحاج عن نفسه، لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ، ولكنه ألقاني ، وتعالى عني، فهو يراني ولا أراه، ويسمعني ولا أسمعه ، لا نظر إلي فرحمني، ولا دنا مني ولا أدناني فأدلي بعذري ، وأتكلم ببراءتي ، وأخاصم عن نفسي لما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده، أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب، ثم نودي منه، ثم قيل له: يا أيوب، إن الله يقول: ها أنا ذا قد دنوت منك، ولم أزل منك قريبا، فقم فأدل بعذرك الذي زعمت، وتكلم ببراءتك ، وخاصم عن نفسك، واشدد إزارك ثم ذكر نحو حديث ابن عسكر، عن إسماعيل، إلى آخره، وزاد فيه: ورحمتي سبقت غضبي، فاركض برجلك ، هذا مغتسل بارد ، وشراب فيه شفاؤك، وقد وهبت لك أهلك ، ومثلهم معهم ، ومالك ومثله معه وزعموا: ومثله معه لتكون لمن خلفك آية، ولتكون عبرة لأهل البلاء ، وعزاء للصابرين فركض برجله، فانفجرت له عين، فدخل فيها فاغتسل، فأذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء. ثم خرج فجلس، وأقبلت امرأته تلتمسه في مضجعه، فلم تجده، فقامت كالوالهة متلددة، ثم قالت: يا عبد الله، هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان ههنا؟ قال: لا ، ثم تبسم، فعرفته بمضحكه، فاعتنقته." (١)

"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن مبارك، عن الحسن، ومخلد، عن هشام، عن الحسن، دخل حديث أحدهما في الآخر ، قالا: " ﷺفقيل له: ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ [ص: ٤٢] ، فركض برجله ، فنبعت عين، فاغتسل منها، فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر إلا سقط، فأذهب الله كل ألم وكل سقم، وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان ، وأفضل ما كان. ثم ضرب برجله، فنبعت عين أخرى فشرب منها، فلم يبق في جوفه داء إلا خرج، فقام صحيحا، وكسي حلة. قال: فجعل يتلفت ولا يرى شيئا مما كان له من أهل ومال إلا وقد أضعفه الله له، حتى والله ذكر لنا أن الماء الذي اغتسل به تطاير على صدره جرادا من ذهب. قال: فجعل يضمه بيده، فأوحى الله إليه: يا أيوب ، ألم أغنك؟ قال: بلى، ولكنها بركتك، فمن يشبع منها؟ قال: فخرج حتى جلس على مكان مشرف. ثم إن امرأته قالت: أرأيت إن كان طردني ، إلى من أكله؟ أدعه يموت جوءا ، أو يضيع فتأكله السباع؟ لأرجعن إليه فرجعت، فلا كناسة ترى، ولا من تلك الحال التي كانت، وإذا الأمور قد تغيرت، فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي، وذلك بعين أيوب ، قالت: وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأل عنه، فأرسل إليها أيوب فدعاها، فقال: ما تريدين يا أمة الله؟ فبكت وقالت: أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٥٤/١٦

الكناسة، لا أدري أضاع أم ما فعل. قال لها أيوب ما كان منك؟ فبكت وقالت: بعلي، فهل رأيته وهي تبكي إنه قد كان ها هنا؟ قال: وهل تعرفينه إذا رأيتيه؟ قالت: وهل يخفى على أحد رآه؟ ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه، ثم قالت: أما إنه كان أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحا. قال: فإني أنا أيوب الذي أمرتيني أن أذبح للشيطان، وإني أطعت الله ، وعصيت الشيطان، فدعوت الله فرد علي -[٣٦٥]- ما ترين. قال الحسن: ثم إن الله رحمها بصبرها معه على البلاء أن أمره تخفيفا عنها أن يأخذ جماعة من الشجر ، فيضربها ضربة واحدة تخفيفا عنها بصبرها معه "." (١)

"الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ [ص: ٤٢] يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿واذكر﴾ [آل عمران: ٤١] أيضا يا محمد ﴿عبدنا أيوب إذ نادى ربه﴾ [ص: ٤١] مستغيثا به فيما نزل به من البلاء: يا رب ﴿أني مسني الشيطان بنصب﴾ [ص: ٤١] فاختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿بنصب﴾ [ص: ٤١] فقرأته عامة قراء الأمصار خلا أبي جعفر القارئ: ﴿بنصب﴾ [ص: ٤١] بضم النون وسكون الصاد، وقرأ ذلك أبو جعفر: بضم النون والصاد كليهما، وقد حكي عنه بفتح النون والصاد؛ والنصب والنصب بمنزلة الحزن والحزن، والعدم والعدم، والرشد والرشد، والصلب والصلب وكان الفراء يقول: إذا ضم أوله لم يثقل، لأنهم جعلوهما على سمتين: إذا فتحوا أوله ثقلوا، وإذا ضموا أوله خففوا قال: وأنشدني بعض العرب:

[البحر الطويل]

لئن بعثت أم الحميدين مائرا ... لقد غنيت في غير بؤس ولا جحد

من قولهم: جحد عيشه: إذا ضاق واشتد؛ قال: فلما قال جحد خفف وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين: النصب من العذاب وقال: العرب تقول: أنصبني: عذبني وبرح بي. قال: وبعضهم يقول: نصبني، واستشهد لقيله ذلك بقول بشر بن أبي خازم:

[البحر الطويل]

تعناك نصب من أميمة منصب ... كذي الشجو لما يسله وسيذهب." (٢)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٦٤/١٦

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٠٥/٢٠

"ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، ﴿ﷺاركض برجلك. . .﴾ [ص: ٤٢] الآية، قال: «ضرب برجله الأرض، أرضا يقال لها الجابية»." (١)

"ﷺوقوله: ﴿اركض برجلك﴾ [ص: ٤٢] ومعنى الكلام: إذ نادى ربه مستغيثا به، أني مسني الشيطان ببلاء في جسدي، وعذاب بذهاب مالي وولدي، فاستجبنا له، وقلنا له: اركض برجلك الأرض: أي حركها وادفعها برجلك، والركض: حركة الرجل، يقال منه: ركضت الدابة، ولا تركض ثوبك برجلك وقيل: إن الأرض التي أمر أيوب أن يركضها برجله: الجابية." (٢)

"حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه، ﴿ﷺاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ [ص: ٤٢] قال: «فركض برجله، فانفجرت له عين، فدخل فيها واغتسل، فأذهب الله عنه كل ما كان من البلاء»." (٣)

"حدثني بشر بن آدم، قال: ثنا أبو قتيبة، قال: ثنا أبو هلال، قال: سمعت الحسن، في قول الله: ﴿ﷺاركض برجلك﴾ [ص: ٤٢] «فركض برجله، فنبعت عين فاغتسل منها، ثم مشى نحوا من أربعين ذراعا، ثم ركض برجله، فنبعت عين، فشرب منها» فذلك قوله: ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ [ص: ٤٢] وعني بقوله: ﴿مغتسل﴾ [ص: ٤٢] ما يغتسل به من الماء، يقال منه: هذا مغتسل، وغسول للذي يغتسل به من الماء وقوله: ﴿وشراب﴾ [ص: ٤٢] يعني: ويشرب منه، والموضع الذي يغتسل فيه يسمى مغتسلا." (٤)

"وقد: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني نافع بن يزيد، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ﷺإن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلان من إخوانه كانا من أخص إخوانه به، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين، قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: من ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به؛ فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول، غير أن الله يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله،

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٠٧/٢٠

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٠٧/٢٠

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٠٨/٢٠

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٠٨/٢٠

فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق؛ قال: وكان يخرج إلى حاجته، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، وأوحي إلى أيوب في مكانه: أن ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ [ص: ٤٢] فاستبطأته، فتلقته تنظر، فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو على أحسن ما كان؛ فلما رأته -[١١٠]- قالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، فوالله على ذلك ما رأيت أحدا أشبه به منك إذ كان صحيحا؟ قال: فإني أنا هو؛ قال: وكان له أندران: أندر للقمح، وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح، أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض "." (١)

"حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، قال: ﷺخرج النبي صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية في بضع عشرة مئة من أصحابه، حتى إذا كانوا بذي الحليفة قلد الهدي وأشعره، وأحرم بالعمرة، وبعث بين يديه عينا له من خزاعة يخبره عن قريش، وسار النبي صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان بغدير الأشطاط قريبا من قعيقعان، أتاه عينه الخزاعي، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد جمعوا لك الأحابيش، وجمعوا لك جموعا، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشيروا علي أترون أن نميل على ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم، فإن قعدوا قعدوا موتورين محزونين وإن لحوا تكن عنقا قطعها الله؟ أم ترون أنا نؤم البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه؟» فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله: إنا لم نأت لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فروحوا إذا» . وكان أبو هريرة يقول: ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من النبي صلى الله عليه وسلم، فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين» فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هو بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرا لقريش، وسار النبي صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها، بركت به -[٢٩٧]- راحلته؛ فقال الناس: حل حل، فقال: «ما حل؟» فقالوا: خلأت القصواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما خلأت وما ذاك لها بخلق، ولكنها حبسها حابس الفيل» ، ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون بها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها» ، ثم زجرت فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء، إنما يتبرضه الناس تبرضا، فلم يلبث الناس أن نزحوه فشكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٠٩/٢٠

العطش، فنزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة، وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي، قد نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنا لم نأت لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددناهم مدة، ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا وإن هم -[٢٩٨]- أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو لينفذن الله أمره» فقال بديل: سنبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشا، فقال: إنا جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولا فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا؛ قال سفهاؤهم: لا حاجة لنا في أن تحدثنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته؛ يقول: قال سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فقام عروة بن مسعود الثقفي، فقال: أي قوم، ألستم بالولد؟ قالوا: بلى؛ قال: أولست بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: فهل أنتم تتهموني؟ قالوا: لا؛ قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ، فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى؛ قال: فإن هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، ودعوني آته؛ فقالوا: ائته، فأتاه، فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من مقالته لبديل؛ فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرأيت إن استأصلت قومك، فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك وإن تكن الأخرى فوالله إني لأرى وجوها وأوباشا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك، فقال أبو بكر: امصص بظر اللات واللات: طاغية ثقيف الذي كانوا يعبدون، أنحن نفر وندعه؟ -[٢٩٩]- فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو بكر، فقال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك؛ وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف، وعليه المغفر؛ فكلما أهوى عروة إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ضرب يده بنصل السيف، وقال: أخر يدك عن لحيته، فرفع رأسه فقال: «من هذا؟» قالوا: المغيرة بن شعبة، قال: «أي غدر أولست أسعى في غدرتك» وكان المغيرة بن شعبة صحب قوما في الجاهلية، فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما الإسلام فقد قبلناه، وأما المال فإنه مال غدر لا حاجة لنا فيه» وإن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه، فوالله إن تنخم النبي صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه

وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه تعظيما له، فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا؛ والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا عنده خفوا أصواتهم، وما يحدون النظر إليه تعظيما له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة: دعوني آته، فقالوا: ائته؛ فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له» ، فبعثت له، واستقبله قوم يلبون؛ فلما رأى ذلك قال: -[٣٠٠]- سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال: دعوني آته، فقالوا ائته، فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «هذا مكرز بن حفص، وهو رجل فاجر» فجاء فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فبينما هو يكلمه، إذ جاء سهيل بن عمرو، قال أيوب: قال عكرمة: إنه لما جاء سهيل، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد سهل لكم من أمركم» . قال الزهري: فجاء سهيل بن عمرو، فقال: هات نكتب بيننا وبينك كتابا؛ فدعا الكاتب فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم "، فقال: ما الرحمن؟ فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اكتب باسمك اللهم» ثم قال: " اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله "، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، ولكن اكتب محمد بن عبد الله» ؛ قال الزهري: وذلك لقوله: «والله لا يسألوني خطة يعظمون بها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها» ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت، فنطوف به» ؛ قال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن لك من العام المقبل، فكتب فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، فقال المسلمون: سبحان الله، وكيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟ فبينما هم كذلك، إذا جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا -[٣٠١]- محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلينا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فأجره لي» ، فقال: ما أنا بمجيره لك، قال: «بلى فافعل» ،

قال: ما أنا بفاعل؛ قال صاحبه مكرز وسهيل إلى جنبه: قد أجرناه لك؛ فقال أبو جندل: أي معاشر المسلمين، أأرد إلى المشركين وقد جئت مسلما؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ كان قد عذب عذابا شديدا في الله. قال عمر بن الخطاب: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى» ، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: «إني رسول الله، ولست أعصيه وهو ناصري» ، قلت: ألست تحدثنا أنا سنأتي البيت، فنطوف به؟ قال: «بلى» ، قال: «فأخبرتك أنك تأتيه العام؟» قلت: لا، قال: «فإنك آتيه ومتطوف به» ؛ قال: ثم أتيت أبا بكر، فقلت: أليس هذا نبي الله حقا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل إنه رسول الله، وليس يعصي ربه، فاستمسك بغرزه حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق؛ قلت: أوليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قال: لا، قال: فإنك آتيه ومتطوف به قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالا؛ فلما فرغ من قصته، قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا» ، قال: فوالله ما قام منا رجل حتى قال ذلك -[٣٠٢]- ثلاث مرات؛ فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا رسول الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم كلمة، حتى نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه؛ فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما؛ ثم جاءه نسوة مؤمنات، فأنزل الله عز وجل عليه: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾ [الممتحنة: ١٠] حتى بلغ ﴿بعصم الكوافر﴾ [الممتحنة: ١٠] قال: فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك؛ قال: فنهاهم أن يردوهن، وأمرهم أن يردوا الصداق حينئذ؛ قال رجل للزهري: أمن أجل الفروج؟ قال: نعم، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فجاءه أبو بصير رجل من قريش، وهو مسلم، فأرسل في طلبه رجلان، فقالا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به، حتى إذا بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا، فاستله الآخر فقال: والله إنه لجيد، لقد جربت به وجربت؛ فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه به حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «رأى هذا ذعرا» ، فقال: والله قتل صاحبي، وإني والله لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: قد والله أوفى الله ذمتك ورددتني إليهم، ثم أغاثني الله

منهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد» فلما سمع عرف أنه سيرده إليهم؛ قال: فخرج حتى أتى سيف البحر، وتفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو، فلحق بأبي بصير، فجعل لا -[٣٠٣]- يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشأم إلا اعترضوا لهم فقتلوهم، وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يناشدونه الله والرحم لما أرسل إليهم، فمن أتاه فهو آمن فأنزل الله ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم﴾ [الفتح: ٢٤] حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت." (١)

"صالح، أخبرنا خارجة عن سعيد عن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال: «والله، ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن نعلم فيم أنزلت، وما معناها» .

وقال الحسن: «علم القرآن لم يعلمه إلا الذكور من الرجال» .

وسمعت الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازي يقول: سمعت العباس بن حمزة يقول: سمعت ابن أبي الجوزي يقول: حدثنا أبو نصر سعيد الرملي قال: أتينا الفضيل بن العياض بمكة، فسألناه أن يملي علينا فقال: «ضيعتم كتاب الله وطلبتم كلام فضيل وابن عيينة؟! ولو تفرغتم لكتاب الله تعالى لوجدتم فيه شفاء لما تريدون» .

قلنا: قد تعلمنا القرآن! قال: «إن في تعلم القرآن شغلا لأعماركم وأعمار أولادكم وأولاد أولادكم» «١» .

قلنا: كيف؟ قال: «لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه، ومحكمه ومتشابهه، وحلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه. فإذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة، ثم قال: »أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ... يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين «٢» .

وروى مؤمل بن إسماعيل عن سفيان الثوري أنه قال: «أفنينا عمرنا في الإيلاء والظهار ونبذنا كتاب الله وراء ظهورنا فماذا نقول لربنا في المعاد؟» .

[لغة] التفسير:

سمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر يقول: سمعت أبا بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال يقول: سمعت أبا بكر محمد بن الحسن البريدي يقول:

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٩٦/٢١

[أما التفسير في اللغة فهو راجع إلى معنى الإظهار والكشف، وأصله في اللغة من التفسرة، وهي القليل] «٣» من الماء الذي ينظر فيه الأطباء، فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن بيان موطنها وشأن الآية وقصصها، ومعناها والسبب الذي نزلت فيه» .

وسمعت الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا سعد محمد بن سعيد الفارسي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن محمد بن القاسم الأنباري يقول: سمعت أحمد بن محمد [الخارزنجي] يقول:

هو من قول العرب: فسرت الفرس إذا ركضتها مصورة لينطلق حصيرها، وهو يؤول إلى أنما قد سمعته يقول: سمعت أبا حامد أحمد بن محمد الخارزنجي يقول: من [علوت] «٤» من سفر مثل جذب وحيد وبيت الماء وبصق ووسع لفحل الناقة وبغاها. تقول العرب: فسرت الناقة، إذا سيرتها حتى زال شعرها، وظهر جلدها. وأنشدوا فيه لبعض الهذليين:

---

(١) الخبر في تفسير القرطبي ١/ ٢٢، والمصنف اختصره.

(٢) سورة يونس: ٥٧.

(٣) زيادة من البرهان للزركشي لتقويم النص: ٢/ ١٤٧.

(٤) الموجود في الأصل: عادت.." [1]

"سورة الفيل

مكية، وهي ستة وتسعون حرفا، وعشرون كلمة، وخمس آيات

أخبرنا ناقل بن راقم قال: حدثنا محمد بن شادة قال: حدثنا أحمد بن الحسن قال: حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا سالم بن قتيبة عن شعبة عن عاصم عن زر عن أبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الفيل عافاه الله عز وجل أيام حياته في الدنيا من القذف والمسخ»

[٢٥٩] «١» .

بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة الفيل (١٠٥) : الآيات ١ الى ٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٨٦/١

ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل (١) ألم يجعل كيدهم في تضليل (٢) وأرسل عليهم طيرا أبابيل (٣) ترميهم بحجارة من سجيل (٤)

فجعلهم كعصف مأكول (٥)

ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل.

القصة وبالله التوفيق.

قال محمد بن إسحاق: كان من قصة أصحاب الفيل فيما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد ابن جبير وعكرمة عن ابن عباس، وعمن لقي من علماء أهل اليمن وغيرهم أن ملكا من ملوك حمير يقال له زرعة ذو نواس كان قد تهود واستجمعت معه حمير على ذلك، إلا ما كان من أهل نجران، فإنهم كانوا على النصرانية على أصل حكم الإنجيل، ولهم رأس يقال له عبد الله بن التامر، فدعاهم إلى اليهودية فأبوا فخيرهم فاختاروا القتل فخد له أخدودا وصنف لهم أصناف القتل.

فمنهم من قتل صبرا، ومنهم من خد لهم فألقاه في النار إلا رجلا من أهل سبأ يقال له دوس بن ثعلبان، فذهب على فرس له فركض حتى أعجزهم في الرمل، فأتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم واستنصره فقال: بعدت بلادك عنا ولكني سأكتب لك إلى ملك الحبشة، فإنه على ديننا فينصرك، فكتب إلى النجاشي يأمره بنصره. فلما قدم على النجاشي بعث معه رجلا من أهل الحبشة يقال له: ارياط، فلما بعثه قال:

---

(١) تفسير مجمع البيان: ١٠/ ٤٤١.." [1]

"خيطه حتى نظم غلفهم فجاء بها إلى طالوت فألقى إليه وقال: ادفع إلى امرأتي، فزوجه أبنته وأجرى خاتمه في ملكه.

فمال الناس إلى داود وأحبوه وأكثروا ذكره، فوجد طالوت من ذلك وحسده فأراد قتله، فأخبر بذلك بنت طالوت رجل يقال له ذو المغنيين، فقالت لداود: إنك لمقتول الليلة.

قال: ومن يقتلني؟

قالت: أبي.

قال: وهل جزمت جزما؟

قالت: حدثني من لا يكذب ولا عليك لن تفوت الليلة حتى تنظر مصداق ذلك.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٨٨/١٠

فقال: لئن كان أراد ذلك ما أستطيع خروجا ولكن ائتيني بزق من خمر، فأتته، فوضعه في مضجعه على السرير.

وسجاه ودخل تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل وأراد أن يقتل داود فقال لها: أين بعلك؟

فقالت: هو نائم على السرير، فضربه ضربة بالسيف فسال الخمر، فلما وجد ريح الشراب قال: يرحم الله داود ما أكثر شربه الخمر وخرج، فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئا فقال: إن رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق أن لا يدعني حتى يدرك مني ثأره، فشدد حجابه وحراسه وأغلق دونه أبوابه.

ثم إن داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله تعالى الحجبة وفتح له الأبواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج. فلما استيقظ طالوت أبصر بالسهام فعرفها فقال: يرحم الله داود فهو خير مني، ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني، ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي. وما أنا بالذي آمنه.

فلما كانت المقابلة أتاه ثانيا فأعمى الله الحجاب فدخل عليه وهو نائم وأخذ إبريق طالوت الذي كان يتوضأ منه وكوزه الذي كان يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئا من هدب ثيابه ثم خرج وهرب وتوارى.

فلما أصبح طالوت ورأى ذلك، سلط على داود العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه، ثم إن طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي في البرية، فقال طالوت: اليوم أقتل داود أنا راكب وهو ماش، وكان داود إذا فزع لم يدرك فركض طالوت على أثره، فاشتد داود فدخل غارا فأوحى الله تعالى إلى العنكبوت فنسجت عليه بيتا.." (١)

"صفة لمؤنث أو مذكر، والعرب تقول لحية دهين، وعين كحيل، وكف خضيب فإذا حذفوا الإسم وأفردوا الصفة أدخلوا الهاء، قالوا: رأينا كحيلة وخضيبة ودهينة، وأكيلة السبع فأدخلوا الهاء مثل الذبيحة والسكينة وما أكل السبع غير [المعلم] .

وقرأ ابن عباس: وأكيل السبع، وقرأ ابن أبي زائدة: وأكيلة السبع، وقرأ الحسن وطلحة ابن سليمان: وما أكل السبع بسكون الباء [وهي لغة لأهل نجد] «١» .

قال حسان بن ثابت في عتبة بن أبي لهب:

من يرجع العام إلى أهله ... فما أكيل السبع بالراجع «٢»

قال قتادة: كان أهل الجاهلية إذا أكل السبع مليا أو أكل منه أكلوا ما بقي إلا ما ذكيتم يعني إلا ما أدركتم

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢/٢٢٠

ذكاته من هذه الأشياء، والتذكية تمام فري الأوداج، وانهار الدم، ومنه الذكاة في السن وهو أن يأتي على قروحه سنة، وذلك تمام استكمال القوة ومثله المثل السائد: جري المذكيات غلاب «٣» .

قال الشاعر «٤» :

يفضله إذا اجتهدوا عليه ... تمام السن منه والذكاء «٥»

ومنه الذكاء في الفهم إذا كان تام العقل سريع القبول.

ويقول في الذكاة إذا أتممت إشعالها، فمعنى ذكيتم أدركتم ذبحه على التمام.

وقال ابن عباس وعتبة بن عمير: إذا طرفت بعينها أو ظربت بذنبها أو ركضت برجلها أو تحركت فقد حلت لك.

وعن زيد بن ثابت: أن ذئبا نيب في شاة فذبحوها بمروة فرخص النبي صلى الله عليه وسلم في أكله «٦» .

أبو قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» «٧» [١٠] .

---

(١) زيادة عن تفسير القرطبي: ٦/ ٥٠

. (٢) تفسير القرطبي: ١٧/ ٨٣

. (٣) الغاب: المغالبة أي إن المذكي يغالب مجاريه فيغلبه لقوته

. (٤) والقائل هو: زهير

. (٥) لسان العرب: ١٤/ ٢٨٨

. (٦) مسند أحمد: ٥/ ٤٨١

. (٧) سنن ابن ماجة: ٢/ ١٠٥٨ [.....]

.." (١)

"وقال ابن إسحاق: لما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلا إلى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها إبراهيم فأصلحت من شأنه ما يصنع من المولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت إلى بيتها ثم كانت تطالعه

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٣/٤

في المغارة لتنظر ما فعل فتجده حيا يمص إبهامه.

وقال أبو روق: كانت أم إبراهيم كلما دخلت على إبراهيم وجدته يمص أصابعه، فقالت ذات يوم: لأنظرن إلى أصابعه فوجدته يمص من إصبع ماء ومن إصبع عسلا ومن إصبع لبنا ومن إصبع تمرا ومن إصبع سمنا.

قال محمد بن إسحاق: وكان آزر قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل. فقالت: ولدت غلاما فمات، فصدقها فسكت عنها وكان اليوم على إبراهيم في الشباب كالشهر، والشهر كالسنة فلم يمكث إبراهيم في المغارة إلا خمسة عشر شهرا ثم رجع إلى أبيه آزر فأخبره إنه ابنه وأخبرته أم إبراهيم إنه ابنه وأخبرته بما كانت صنعت في غيابه فسر بذلك آزر وفرح فرحا شديدا، قالوا:

فإنما شب إبراهيم و هو في السرب بعد ما قال لأمه: من ربي؟

قالت: أنا، قال: فمن ربك؟ قالت: أبوك، قال: فمن رب أبي؟ قالت له: أسكت، فسكت، فلما رجعت إلى زوجها قالت: أرأيت الغلام الذي كنا نتحدث إنه بغير دين أهل الأرض فإنه ابنك ثم أخبرته بما قال لها، فأتاه أبوه آزر فقال له إبراهيم: يا أبتاه من ربي؟ قال:

أمك، قال: فمن رب أمي؟ قال: أنا، قال: من ربك أنت؟ قال نمرود، قال: فمن رب نمرود؟

فلطمه لطمة وقال: أسكت وقم، قال لأبويه: أخرجاني، فأخرجاه من السرب وانطلقا به حين غابت الشمس فنظر إبراهيم إلى الإبل، والخيل، والغنم، فقال: أباه ما هذه؟ قال: إبل وخيل وغنم، فقال: ما لهذه بد من أن يكن لها رب وخالق ثم نظر وتفكر في خلق السماوات والأرض. فقال: إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني ربي ما لي إله غيره. ثم نظر فإذا المشتري قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة في آخر الشهر فرأى الكوكب قبل القمر. فقال:

هذا ربي فذلك قوله عز وجل: فلما جن عليه الليل أي دخل يقال: جن الليل وأجن وجنه الليل وأجنه وجن عليه الليل يجن جنونا وجنانا إذا أظلم ومضى كل شيء، وإنما سميت الجن لاجتنانها فلا ترى.

قال أبو عبيدة: جنون الليل سواده، وأنشد:

فلولا جنان الليل أدرك ركضنا ... بذي الرمث والأرطى عياض بن ناشب «١»

ورأى كوكبا ف قال هذا ربي اختلفا فيه فأجراه بعضهم على الظاهر. وقالوا: ما كان

---

(١) الصحاح: ٥/ ٢٠٩٤ وفيه: ركابنا، وتفسير القرطبي: ٧/ ٢٥. والرمث بالكسر مرعى الإبل، والأرطى

شجر ينبت بالرمل

.." (١)

"سمعت رجلا من العرب يقول لغلامه: فخذ الحجر ألقه فانتقه أي نكسه وانثره.

ويقال للمرأة الكثيرة الولد: ناتق ومنتاق لأنها ترمي [صدرها] رميا قال النابغة:

لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم ... حقت عليك بناتق مذكار «١»

وقال بعضهم: هو من التحريك فقال: ينتفي السير أي حركني، يقال: ينتق برجله ويركض إذا حركت رجله على الدابة حين تعدو به. كأنه ظلة الظلة ما أضللك وظنوا أنه واقع بهم نازل بهم خذوا أي قلنا خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فاعملوا به لعلكم تتقون وذلك حين أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة ويعملوا بها لتغليظها وكانت شريعة ثقيلة فرفع الله عز وجل جبلا على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ.

وقيل لهم: إن قبلتموها بما فيها ليقعن عليكم. قال الحسن البصري: فلما نظروا للجبل خر كل رجل ساجدا على حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليمنى على الجبل خوفا من أن يسقط عليهم فلذلك ليس اليوم في الأرض يهودي يسجد إلا على حاجبه الأيسر، يقولون: هذه السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة.

نشر موسى الألواح فيها كتاب الله كتب بيده لم يبق على وجه الأرض جبل، ولا بحر ولا حجر إلا اهتز فليس اليوم يهودي على الأرض صغير ولا كبير يقرأ عليه التوراة إلا اهتز وتعفر لها رأسه.

وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم.

---

(١) تاج العروس: ٧/ ٧٥.." (٢)

"بدرا قال: «هذه مصارع القوم إن شاء الله» ، فلما طلعوا عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك، اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبرئيل وقال: خذ حفنة من تراب فارمهم بها» [٢٢١] .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه: «أعطني قبضة من حصا الوادي» فناوله من حصى عليه تراب فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم به في وجوه القوم وقال: «شاهت الوجوه» .

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٦٣/٤

(٢) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣٠٢/٤

فلم يبق مشرك إلا دخل في عينه وفمه ومنخريه منها شيء ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وكانت تلك الرمية سبب الهزيمة «١» .

وقال حكيم بن حزام: لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت في طست ورمي رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية فانهزمنا.

وقال قتادة وابن زيد: ذكر له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى حصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين أظهرهم.

وقال: «شاهت الوجوه» فانهزموا [٢٢٢] «٢» .

الزهري عن سعيد بن المسيب قال: نزلت هذه الآية في قتل أبي بن كعب الجمحي. وذلك أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل وهو يفته فقال: يا محمد الله يحيي هذا وهو رميم؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يحيه الله ثم يميتك ثم يدخلك النار فلما كان يوم بدر أسره ثم فدي، فلما افتدي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لي فرسا أعلفها كل يوم [فرق] ذرة لكي أقتلك عليها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أنا أقتلك إن شاء الله، فلما كان يوم أحد أقبل أبي بن خلف يركض بفرسه ذلك حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترض له رجال من المسلمين ليقتلوه، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استاخروا» [٢٢٣] ، فاستأخروا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بحربة في يده فرمى بها أبي بن خلف فكسرت الحربة ضلعا من أضلاعه فرجع أبي إلى أصحابه ثقيلا فاحتملوه وطفقوا يقولون:

لا بأس، فقال أبي: والله لو كانت الناس لقتلهم، ألم يقل إني أقتلك إن شاء الله، فانطلق به أصحابه ينعونه حتى مات ببعض الطريق فدفنوه ففي ذلك أنزل الله هذه الآية وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى الآية «٣» .

وروى صفوان بن عمرو عن عبد العزيز بن [جبير] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر دعا بقوس

---

(١) تفسير الطبري: ٩/ ٢٧٠. ٢٧١

. (٢) المصدر السابق

. (٣) الطبقات الكبرى: ٢/ ٤٦
.." (١)

"وقال قتادة: وذكر لنا أن الطلقاء [انجفلوا] يومئذ بالناس وسأل رجل البراء بن عازب: أفررتم يوم حنين؟ فقال: كانت هوازن رماة وإنا لما حملنا عليهم وانكشفوا وأقبلنا على الغنائم، فاستقبلوا بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الكلبي: كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلاثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس عنهم.

وقال الآخرون: لم يبق يومئذ مع النبي صلى الله عليه وسلم غير العباس بن عبد المطلب وعلي وأيمن بن أم أيمن، وقتل يومئذ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطفق رسول الله يركض بغلته نحو الكفار لا يألوا، وكانت بغلة شهباء أهداها له فروة الجدامي.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا العمري، حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا الحمامي، حدثنا شريك عن أبي إسحاق، قيل للبراء: كان النبي صلى الله عليه وسلم فيمن ولى دبره يوم حنين قال: والذي لا إله إلا هو ما ولى رسول الله دبره قط، لقد رأيناه وأبو سفيان بن الحرث آخذ بالركاب والعباس آخذ لجام الدابة، وهو يقول:

أنا النبي لا كذب ... أنا بن عبد المطلب

، قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس: ناد يا معشر المهاجرين ويا معشر الأنصار وكان العباس رجلا صويتا.

ويروى من شدة صوت العباس أنه أغير يوما على مكة فنادى: وا صباحاه فأسقطت كل حامل سمعت صوته جنينها.

فجعل ينادي: يا عباد الله، يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، وعطف المسلمون حين سمعوا صوته عطفة البقر على أولادها فقالوا: يا لبيك يا لبيك يا لبيك وجاءوا عنقا واحدا فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عصابة من الأنصار فقال: هل معكم غيركم؟ فقالوا: يا نبي الله لو عمدت إلى برك العماد من ذي يمن لكنا معك، ثم أقبل المشركون فالتقوا هم والمسلمون، وتنادى الأنصار: يا معشر الأنصار أم قصرت الدعوة على بني الحرث والخزرج، فتنادوا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول إلى قتالهم فقال هذا حين حمي الوطيس، فأخذ بيده كفا من [الحب] «١» فرماهم وقال:

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٤/ ٣٣٨

شاهت الوجوه، ثم قال: انهزموا ورب الكعبة، انهزموا ورب الكعبة.

قال: فوالله ما زال أمرهم مدبرا وجدهم كليلا حتى هزمهم الله تعالى.

قال يعلى بن عطاء: فحدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا: ما بقي منا أحد يومئذ إلا وامتلأت عيناه من ذلك التراب، قال يزيد بن عامر وكان في المشركين يومئذ: فانصرفنا ما بقي منا أحد، وكأن أعيننا عميت فأنجز الله وعده وأنزل نصره وجنده فقهر المشركين ونصر المسلمين

، وقال سعيد بن جبير: أمد الله [المسلمين] بخمسة آلاف من الملائكة مسومين، وقال الحسن: كانوا ثمانية آلاف من الملائكة.

---

(١) في المصادر: تراب، وفي بعضها: حصيات.." (١)

"لنا الأرض حتى ما هي الأرض التي نعرف، [وكنت أقوى أصحابي وكنت أخرج فأطوف بالأسواق وآتي المسجد فأدخل فآتي النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه بالسلام، فإذا قمت فأقبلت على صلاتي نظر إلي بمؤخر عينيه وإذا نظرت إليه، واستكان أعرض عني فاستكانا صاحباي فجعلا يبكيان الليل لا يطلعان نفسيهما فلما طال علي ذلك المسلمين من جفوة حتى تسمرت بظلة حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه فو الله ما رد علي السلام فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلمن أني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت، فعدت فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدران فبينا أطوف في السوق إذا برجل نصراني نبطي من نبط أهل الشام جاء بطعام له يبيعه ويقول: من سيدل على كعب بن مالك. فطفق الناس يشيرون له إلي فأتاني فدفع إلي كتابا من ملك غسان فإذا فيه: أما بعد فإنه بلغني أن صاحبك قد جفاك وأقصاك [ولست بدار مضيعة ولا هوان] فالحق بنا نواسيك، فقلت: هذا من البلاء والشرف فسجرت التنور فأحرقته فلما مضيت له بغضون ليلة إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتاني فقال: «اعتزل امرأتك» فقلت: أطلقها. قال:

«لا ولكن لا تقربها» وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك وكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال: فجاءت امرأة هلال فقالت: يا نبي الله إن هلال بن أمية شيخ ضعيف فهل تأذن لي أن أخدمه قال: «نعم ولكن لا يقربك» .

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٥/٢٣

قالت: يا نبي الله والله ما به حركة لشيء ما زال مكبا يبكي الليل والنهار. قد كان من أمره ما كان. قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله وما يدريني ماذا يقول إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب. فلما مضت خمسون ليلة من حين نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فصليت على ظهر بيت لما صلى الفجر وجلست وأنا في المنزلة التي قال الله عز وجل: ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت علينا أنفسنا إذ سمعت نداء من جبل سلع أن أبشر يا كعب بن مالك، فخررت ساجدا وعلمت أن الله قد جاء بالفرج ثم جاء رجل يركض على فرس وكان الصوت أسرع من فرسه [فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي، فكسوتها إياه ببشارته واستعرت ثوبين فلبستهما] «١» قال: وكانت توبتنا نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ثلثي الليل فقالت أم سلمة عشيتئذ: يا نبي الله ألا تبشر كعب بن مالك. قال: إذا يحطمك الناس ويمنعونكم النوم بسائر الليل وكانت أم سلمة محسنة في شأني حزنى بأمري فاستطلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام إلي طلحة ابن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال: «ليهنك توبة الله عليك» ، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره وكان كعب لا ينساها لطلحة.

---

(١) عن تفسير الطبري، وفي مسند أحمد: فأعطيته ثوبي بشارة ولبست ثوبين آخرين.." [١]

"فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يمنعك الله من ذلك وأبناء قيلة» [١٣٨] «١» يعني الأوس والخزرج، فنزل عامر ببيت امرأة سلولية فأنشأ يقول:

بخير أبيت اللعن إن شئت ودنا ... فإن شئت حربا بأس ومصدق

وإن شئت فنسيا ما يكفي أمرهم ... يكبون كبش العارفين متألق

فلما أصبح ضم إليه سلاحه وقد تغير لونه، وهو يقول:

واللات لئن أصحر محمد إلي وصاحبه- عني ملك الموت- لأنفذنهما برمحي، فلما رأى الله تعالى ذلك منه أرسل ملكا فلطمه بجناحه فأذراه في التارب، وخرجت على ركبته غدة في الوقت كغدة البعير فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول: غدة كغدة البعير وموت في السلولية ثم مات على ظهر فرسه «٢» .

لعمري وما عمري علي بهين ... لقد شأن حمر الوجه طعنة مسهر

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٠٧/٥

قد علم المزنوق أني أكر ... على جمعهم كر المنيح المشهر «٣»

وأزود من وقع السنان زجرته ... وأخبرته أني امرؤ غير مقصر

وأخبرته أن الفرار خزاية ... على المرء ما لم يبل عذرا فيعذر.

لقد علمت عليا هوازن أنني ... أنا الفارس الحامي حقيقة «٤» جعفر

فجعل يركض في الصحراء ويقول: أبرز يا ملك الموت، ثم أنشأ يقول:

لا قرب المزنوق ولتجد ما أرى لنفر ... من يوم شره غير حامد.

إلا قرباه إن غاية حرمناه إذا ... قرب المزنوق بين الصفائد هو من عامر قدن

إذا ما دعوتهم أجابوا ... ولبى منهم كل ماجد

وكان بعضهم يعير بعضا النزول على سلولية ولذلك ركب فرسه ليموت خارجا من بيتها ما أحس بالموت، ثم دعا بفرسه يركبه ثم أجراه حتى مات على ظهره.

فأجاب الله تعالى دعاء رسوله صلى الله عليه وسلم وقتل عامرا بالطاعون وأربد بالصاعقة، فرثى لبيد بن ربيعة أخاه أربد بجملة من المراثي فمنها هذه:

وانا لك فاذهب والحق ... بأسرتك الكرام الغيب

---

(١) تفسير القرطبي: ٩/ ٢٩٨.

(٢) أسباب النزول للواحدي ١٨٤.

(٣) المزنوق اسم فرسه، والبيت في لسان العرب: ١٠/ ١٤٦.

(٤) الحقيقة: الراية والبيت في لسان العرب: ١٠/ ٥٢، وجعفر هذا أبو جده.." [١]

"وقال قطرب: وهذا سائغ في كلام العرب وحكي عن بعضهم أنه قال: سمعت بعض العرب يقول: أكلوني البراغيث قال الله سبحانه ثم عموا وصموا كثير منهم. وقال الشاعر:

بك نال النصال دون المساعي ... فاهتدين النبال للأغراض «١»

ويحتمل أن يكون محل الذين رفعا على الابتداء، ويكون معناه وأسروا النجوى، ثم قال هم الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون أنه سحر قال ربي

قرأ أكثر أهل الكوفة (قال) على الخبر عن محمد صلى الله عليه وسلم، وقرأ الباقون «قل» على الأمر له

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٧٧/٥

يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع لأقوالهم العليم بأفعالهم بل قالوا أضغاث أحلام أي أباطليها وأهاويلها بل افتراه بل هو شاعر يعني أن المشركين اقتسموا القول فيه: فقال بعضهم: أضغاث أحلام، وقال بعضهم: بل افتراه، وقال بعضهم: بل محمد شاعر، وهذا الذي جاءكم به شعر، لأن بل تأتي لتدارك شيء ونفي آخر.

فليأتنا بآية إن كان صادقا كما أرسل الأولون من الرسل بالآيات.

قال الله سبحانه مجيبا لهم ما آمنت قبلهم من قرية أهل قرية أتتها الآيات فأهلكناهم أفهم يؤمنون إن جاءتهم آية ...

وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم وهذا جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم فسئلوا أهل الذكر أي التوراة والإنجيل يعني علماء أهل الكتاب إن كنتم لا تعلمون وقال ابن زيد: أراد بالذكر القرآن يعني فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن،

قال جابر الجعفي:

لما نزلت هذه الآية قال علي: نحن أهل الذكر.

وما جعلناهم يعني الرسل الأولين جسدا قال الفراء: لم يقل أجسادا لأنه اسم الجنس لا يأكلون الطعام يقول: لم نجعلهم ملائكة، بل جعلناهم بشرا محتاجين إلى الطعام، وهذا جواب لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام وما كانوا خالدين في الدنيا ثم صدقناهم الوعد الذي وعدناهم هلاك أعدائهم ومخالفيهم وإنجائهم ومتابعيهم فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين المشركين.

لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم قال مجاهد: حديثكم، وقيل: شرفكم.

أفلا تعقلون.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ١١ الى ٢٩]

وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢) لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون (١٣) قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (١٤) فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (١٥)

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (١٦) لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين (١٧) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (١٨) وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (١٩) يسبحون الليل والنهار لا

يفترون (٢٠)
أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون (٢١) لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب الع‍رش عما يصفون (٢٢) لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (٢٣) أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون (٢٤) وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون (٢٥)
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون (٢٦) لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون (٢٧) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (٢٨) ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين (٢٩)

(١) تفسير القرطبي: ١١/ ٢٦٩.." [١]

"وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة أي أهلكنا، والقصم: الكسر يقال: قصمت ظهر فلان، وانقصمت سنة إذا انكسرت.

وأنشأنا وأحدثنا بعدها بعد إهلاك أهلها قوما آخرين فلما أحسوا رأوا بأسنا عذابنا إذا هم منها يركضون يسرعون هاربين، يقال منه: ركض فلان فرسه إذا كده بالرجل، وأصله التحريك.
لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه نعمتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون عن نبيكم، مجاهد: لعلكم تفقهون بالمسألة، قتادة: لعلكم تسألون من دنياكم شيئا استهزاء بهم، نزلت هذه الآيات في أهل حصورا وهي قرية باليمن، وكان أهلها العرب فبعث الله إليهم نبيا يدعوهم إلى الله سبحانه فكذبوه وقتلوه، فسلط الله عليهم بخت نصر حتى قتلهم وسباهم ونكل بهم، فلما استحر فيهم القتل ندموا وهربوا وانهزموا، فقالت الملائكة لهم على طريق الاستهزاء لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه إلى مساكنكم وأموالكم، فأتبعهم بخت نصر وأخذتهم السيوف. ونادى مناد من جو السماء: يا لثارات الأنبياء، فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم فقالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين. فما زالت تلك دعواهم قولهم وهجيراهم حتى جعلناهم حصيدا بالسيوف كما يحصد الزرع خامدين ميتين.

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٦/٢٧٠

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين عبثا وباطلا لو أردنا أن نتخذ لهوا قال قتادة: اللهو بلغة أهل اليمن المرأة.." (١)

"الصخور، وكأن صريف أسنانه أصوات الصواعق، وكأن نظر عينيه لهب البرق، وتمر به الجيوش وهو متكئ لا يفزعه شيء، ليس فيه مفصل الحديد، عنده مثل الطين، والنحاس، عنده مثل الخيوط لا يفزع من النشاب ولا يحس وقع الصخور على جسده، ويسير في الهواء كأنه عصفور، ويهلك كل شيء يمر به، هل أنت آخذه بأحبولتك أو واضع اللجام في شدقه؟ هل تحصي عمره أم هل تعرف تقوت رزقه أم هل تدري ماذا خرب من الأرض؟ وماذا يخرب فيما بقي من عمره؟

أتطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك؟ تبارك الله وتعالى.

فقال أيوب: قصرت عن هذا الأمر الذي يعرض على ليت الأرض انشقت فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يسخط ربي، اجتمع على البلاء إلهي فجعلتني مثل العدو، وقد كنت تكرمني وتعرف نصحي، وقد علمت أن كل الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من هذا، ما شئت عملت، لا يعجزك شيء ولا تخفى عليك خافية ولا تغيب عنك غائبة، من هذا الذي يظن أن يسر عنك سرا وأنت تعلم ما يخطر على القلوب؟ وقد علمت منك في بلائي هذا ما لم أكن أعلم، وخفت حين بلوت أمرك أكثر مما كنت أخاف، إنما كنت أسمع بسطوتك سمعا فأما الآن فهو نظر العين، إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني، وسكت حين سكت لترحمني، كلمة زلت فلن أعود، قد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي ودسست فيه وجهي لصغاري، وسكت كما أسكتتني خطيئتي، فاغفر لي ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه مني.

فقال الله سبحانه: يا أيوب فقد نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي إذ خطئت فقد غفرت لك، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم ليكون لمن خلفك آية، ويكون عبرة لأهل البلاء وغزاء للصابرين ف اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، فيه شفاؤك، وقرب عن صحابتك قربانا واستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك.

فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها، فاغتسل فأذهب الله عنه كلما كان به من البلاء، ثم خرج فجلس وأقبلت امرأته فقامت تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت كالواله مترددة متحيرة ثم قالت: يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان هاهنا؟ فقال لها: وهل تعرفينه إذا رأيته؟ قالت: نعم ومالي لا أعرفه؟

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٦/٢٧١

فتبسم وقال: أنا هو فعرفته بمضحكه فاعتنقته.
قال ابن عباس: فو الذي نفس عبد الله بيده ما فارقته من عناقه حتى مر بهما كل مال لهما وولد، فذلك قوله وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر «١» .
واختلف العلماء في وقت ندائه، والسبب الذي قال: لأجله أني مسني الضر وفي مدة بلائه.

---

(١) بطوله في تفسير الطبري: ١٧/ ٧٦ إلى ٩٠.." (١)
"فحدثنا الإمام أبو الحسن على بن سهل الماسرخسي إملاء يوم الجمعة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة قال: أخبرنا أبو طالب عمر بن الربيع بن سليمان الخشاب بمصر قال: حدثنا يحيى بن أيوب العلاف قال: حدثنا سعيد بن أبي مريم قال: حدثنا نافع بن يزيد عن عقيل عن شهاب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أيوب نبي الله لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه ذات يوم: والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين، فقال له صاحبه: وما ذاك؟
قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به، فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك، فقال أيوب: ما أدري ما يقولان غير أن الله سبحانه يعلم أني كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله سبحانه وتعالى، فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكرا الله إلا في حق» «١» .
قال: فكان يخرج بحاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، وأوحي إلى أيوب في مكانه اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب «٢» فاستبطأته فتلقته تنظر، وأقبل عليها وقد أذهب الله ما به من البلاء وهو أحسن ما كان، فلما رأته قالت: هل رأيت نبى الله هذا المبتلى؟
قال: إني أنا هو، وكان له أندران: أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله سبحانه سحابتين، فلما كانت أحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض.
وقال الحسن: مكث أيوب مطروحا على كناسة في مزبلة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف فيه الدواب.
وقال وهب: لم يكن بأيوب أكلة إنما كان يخرج منه مثل ثدي النساء ثم يتفقأ.
قال الحسن: ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غير رحمة صبرت معه، تصدق وتأتيه وتحمد

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٦/٢٩٤

الله إذا حمد، وأيوب على ذلك لا يفتر من ذكر الله سبحانه والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه، فصرخ عدو الله إبليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض جزعا من صبر أيوب فلما اجتمعوا إليه قالوا: ما جزعك؟ قال: أعياني هذا العبد الذي سألت ربي أن يسلطني على ماله وولده فلم أدع له مالا، وولدا فلم يزدد بذلك إلا صبرا وثناء على الله سبحانه، ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة بني إسرائيل، لا تقربه إلا امرأته، فقد افتضحت بربي فاستعنت بكم لتعينوني عليه، قالوا له: أين مكرك؟ أين عملك الذي أهلكت به من مضى؟

---

(١) مسند أبي يعلى: ٦/ ٢٩٩.

(٢) سورة ص: ٤٢.." [1]

"قال: بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا علي، قالوا: نشير عليك، أرأيت آدم حين أخرجته من الجنة؟ قال: من قبل امرأته، قالوا: فشأنك بأيوب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد يقربه غيرها، قال: أصبتم، فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدق، فتمثل لها في صورة رجل، فقال: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت: هو ذاك يحك قروحه، وتتردد الدواب في جسده، فلما سمعها طمع أن يكون كلمة جزع، فوسوس إليها فذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال، وذكرها جمال أيوب وشبابه، وما هو فيه من الضر، وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبدا.

قال الحسن: فصرخت، فلما صرخت علم أن قد جزعت، فأتاها بسخلة فقال: ليذبح هذا لي أيوب ويبرأ.

قال: فجاءت تصرخ: يا أيوب حتى متى يعذبك ربك؟ ألا يرحمك؟ أين المال؟ أين الماشية؟ أين الولد؟ أين الصديق؟ إن لونك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد، أين جسمك الحسن الذي قد بلي وتردد فيه الدواب؟ اذبح هذه السخلة واسترح.

قال أيوب: أتاك عدو الله فنفخ فيك وأجبته؟! ويلك أرأيت ما تبكين عليه مما تذكرين مما كنا فيه من المال والولد والصحة، من أعطانيه؟ قالت: الله، قال: فكم متعنا به؟ قالت: ثمانين سنة، قال: فمذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء؟ قالت: منذ سبع سنين وأشهر. قال: ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت ربك، ألا صبرت يكون في هذا البلاء الذي ابتلانا ربنا به ثمانين سنة، كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة، أمرتني أن أذبح لغير الله طعامك وشرابك الذي أتيت به؟ علي حرام أن أذوق شيئا مما تأتينني

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٦/٢٩٥

به بعد إذ قلت لي هذا، فاغربي عني فلا أراك، فطردها فذهبت فلما نظر أيوب إلى امرأته قد طردها، وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا وقال: رب مسني الضر ثم رد ذلك إلى ربه فقال وأنت أرحم الراحمين فقيل له: ارفع رأسك فقد استجبت لك، اركض برجلك، فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق عليه من دابة شيء ظاهر إلا سقط، فأذهب الله كل ألم وكل سقم، وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان وأفضل ما كان، ثم ضرب رجله فنبعت عين أخرى فشرب منها، فلم يبق في جوفه داء إلا خرج، فقام صحيحا وكسي حلة.

قال: فجعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من أهل ومال إلا وقد أضعفه الله له حتى والله ذكر لنا أن الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب، قال: فجعل يضمه بيده فأوحى إليه: يا أيوب ألم أغنك؟ قال: بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها، قال: فخرج حتى جلس على مكان مشرف، ثم إن امرأته قالت: أرأيت إن كان طردني، إلى من أكله؟ أدعه يموت جوعا وتأكله السباع لأرجعن إليه، فرجعت إليه فلا كناسة ترى ولا تلك الحال التي كانت، وإذا الأمور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي، وذلك بعين أيوب.." (١)

"روى أبو معشر عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس أنهما قالا في قوله عز وجل: وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب.

روى أبو معشر عن محمد بن كعب قال: إن أول من يشرب الكأس يوم القيامة داود.

يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب تركوا الأيمان بيوم الحساب وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا ليتدبروا آياته.

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٢٩ الى ٤٤]

كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب (٢٩) ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب (٣٠) إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد (٣١) فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٦/٢٩٦

توارت بالحجاب (٣٢) ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق (٣٣)
ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب (٣٤) قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب (٣٥) فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب (٣٦) والشياطين كل بناء وغواص (٣٧) وآخرين مقرنين في الأصفاد (٣٨)
هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب (٣٩) وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب (٤٠) واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١) اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢) ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (٤٣)
وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب (٤٤)
هذه قراءة العامة. وقرأ أبو جعفر وعاصم في رواية الأعشى والترجمني: (ليدبروا) بياء واحدة مفتوحة مخففة على الحذف.
قال الحسن: تدبر آياته، إتباعه.
وليتذكر أولوا الألباب ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب إذ عرض عليه بالعشي.
قال الكلبي: غزا سليمان (عليه السلام) أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ألف فرس.
وقال مقاتل: ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس وكان أبوه أصابها من العمالقة.
وقال عوف عن الحسن: بلغني أنها كانت خيلا خرجت من البحر لها أجنحة.
قالوا: فصلى سليمان الصلاة الأولى وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه، فعرضت عليه منها تسعمائة فتنبه لصلاة العصر، فإذا الشمس قد غابت وفاتته الصلاة ولم يعلم بذلك بفتنته له، واغتم لذلك فقال: ردوها علي.." (١)

"أصاب الكلام فلم يستطع ... فأخطأ الجواب لدى المفصل «١»
والشياطين أي وسخرنا له الشياطين كل بناء وغواص يستخرجون له اللئالئ من البحر، وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر وآخرين مقرنين في الأصفاد يعني مشدودين في القيود واحدها صفد هذا عطاؤنا فامنن فأعط، من قوله سبحانه: ولا تمنن تستكثر «٢» .
وتقول العرب: من علي برغيف، أي أعطانيه.
قال الحسن: إن الله عز وجل لم يعط أحدا عطية إلا جعل فيها حسابا، إلا سليمان فإن الله سبحانه أعطاه

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٩٩/٨

عطاء هنيئا فقال: هذا عطاؤنا فامنن.

أو أمسك بغير حساب قال: إن أعطى أجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة.

قال مقاتل: هو في أمر الشياطين، خذ من شئت منهم في وثاقك لا تبعة عليك فيما تتعاطاه.

وإن له عندنا لزلفى قربة وحسن مآب مصير.

واذكر عبدنا أيوب.

قال مقاتل: كنيته أبو عبد الله.

إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب بتعب ومشقة وبلاء وضر.

قال مقاتل: بنصب في الجسد وعذاب في المال.

وفيه أربع لغات: (نصب) بضمتين وهي قراءة أبي جعفر، و (نصب) بفتح النون والصاد وهي قراءة يعقوب و (نصب) بفتح النون وجزم الصاد وهي رواية هبيرة عن حفص عن عاصم، و (نصب) بضم النون وجزم الصاد وهي قراءة الباقين.

واختلفوا في سبب ابتلاء أيوب:

فقال وهب: استعان رجل أيوب على ظلم يدرأه عنه، فلم يعنه فابتلي.

وروى حيان عن الكلبي: أن أيوب كان يغزوا ملكا من الملوك كافرا، وكانت مواشي أيوب في ناحية ذلك الملك، فداهنه ولم يغزه فابتلي.

وقال غيرهما: كان أيوب كثير المال فأعجب بماله فابتلى.

اركض برجلك الأرض، أي ادفع وحرك هذا مغتسل.

---

(١) تفسير القرطبي: ١٥/ ٢٠٥، تفسير الثعالبي: ٥/ ٦٩.

(٢) سورة المدثر: ٦.." [١]

"نستغفر الله، ونتوب إليه» . ففعلوا، فقال: «والله إنها للحطة التي عرضت على بني إسرائيل، فلم يقولوها» [٤٤] «١» .

ثم قال رسول الله للناس: «اسلكوا ذات اليمين» في طريق يخرجه على ثنية المرار على مهبط الحديبية من أسفل مكة.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٨/٢١١

فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيل قريش فترة قريش وأن رسول الله قد خالفهم عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش ينذرونهم، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك ثنية المرار بركت به ناقته، فقال الناس: حل حل. فقال: «ما حل؟» قالوا: حلأت الفضول. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما حلأت، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل» .

ثم قال: «والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يعظمون بها حرمات الله، وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها» ، ثم قال للناس: «انزلوا» فنزلوا بأقصى الحديبية على بئر قليلة الماء، إنما يتبرضه الناس تبرضا، فلم يلبث الناس أن ترجوه، فشكا الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته، وأعطاه رجلا من أصحابه يقال له: ناجية بن عمير بن يعمر بن دارم، وهو سائق بدن رسول الله [٤٥] «٢» ، فنزل في ذلك البئر، فغرزه في جوفه، فجاش الماء بالري، حتى صدروا عنه، ويقال: إن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها، وناجية في القليب يمتح على الناس، فقالت:

يا أيها الماتح دلوي دونكا ... إني رأيت الناس يحمدونكا «٣»

يثنون خيرا ويمجدونكا ... أرجوك للخير كما يرجونكا

فقال:

قد علمت جارية يمانية ... أني أنا الماتح واسمي ناجية

وطعنة ذات رشاش واهية ... طعنتها عند صدور العادية

قال: فبينا هم كذلك، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه، وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد نزلوا بعداد مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنا لم نأت لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددناهم مدة، ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر، وإن

---

(١) تاريخ الطبري: ٢/ ٢٧٣ البداية والنهاية: ٤/ ١٨٩.

(٢) مسند أحمد: ٤/ ٣٢٣ وصحيح البخاري: ٣/ ١٧٨ بتفاوت، وسنن أبي داود: ١/ ٦٢٩. [.....]

(٣) البداية والنهاية: ٤/ ١٨٩.." (١)

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٥٦/٩

"لأضربنك مائة فلما برأ أخذ شمراخا فيه مائة عرجون فضربها به ضربة.

فيكون " النصب " على هذا، ما ألقاه الشيطان إليه ووسوس به إلى امرأته.

وقرأ الحسن: " بنصب " بفتح النون والصاد. وهما لغتان، كالحزن والحزن.

وقيل: من ضم النون جعله جمع نصب، (كوثن ووثن).

فأما قوله: ﴿وما ذبح على النصب﴾ [المائدة: ٣] "، فهو جمع نصاب.

وقوله ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾.

في الكلام حذف، والتقدير: فاستجبنا له إذ نادى، وقلنا له اركض برجلك الأرض، أي: حركها وادفعها برجلك. والركض: حركة الرجل.

قال المبرد: الركض: التحريك، ولهذا قال الأصمعي: يقال: ركضت." (١)

"الدابة، ولا يقال: ركضت (هي)، لأن الركض حركة الرجل من راكبها، ولا فعل لها في ذلك الوقت.

وحكى سيبويه: (ركضت) الدابة فركضت، مثل جبرت العظم فجبر.

قوله: ﴿هذا مغتسل بارد وشراب﴾. قال قتادة: " ضرب برجله أرضا يقال لها الجابية، فإذا عينان تنبعثان، فشرب من إحداهما واغتسل من الأخرى ".

قال وهب: فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله D عنه كل ما كان فيه من البلاء.

قال الحسن: فركض برجله فنبعث عين فاغتسل منها، ثم مشى نحوا من أربعين ذراعا ثم ركض برجله، فنبعت عين، فشرب منها فذلك قوله: ﴿هذا مغتسل بارد وشراب﴾ فالموضع الذي يغتسل فيه يسمى مغتسلا.." (٢)

"وقد ذكرناه في غير هذا الموضع.

وروى أنس أن النبي A قال: " إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشر سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه، كانا من أخص إخوانه به، كانا يغدوان إليه ويروحان. فقال أحدهما لصاحبه: تعلم، والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين! قال له صاحبه: وما ذاك؟! قال: منذ ثماني عشرة سنة لم ي C فيكشف ما به. فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له. فقال له أيوب: ما أدري ما تقول،

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٢٥٨/١٠

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٢٥٩/١٠

غير أن الله D يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله – أي: يحلفان به – فأرجع إلى بيتي (فأكفر عنهما) كراهية أن يذكر الله إلا في حق. قال: وكان يخرج إلى حاجته، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ، قال: فلما كانت ذات يوم أبطأ عليها وأوحى الله جل ذكره إلى أيوب في مكانه أن اركض برجلك، هذا مغتسل بارد وشراب. فاستبطأته فتلقته وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على خير ما كان. فلما رأته قالت: بارك الله فيك، هل رأيت نبي." (١)

"الله! ما رضي صالح بأن جعلهم قتلوا أولادهم حتى قتلهم. فأجمع أهل القرية على عقر الناقة أجمعون إلا رجلا منهم.

وقال عرم وابن خارجة: أراد المولود مع الثمانية قتل صالح، فمشوا حتى أتوا سريا على طريق صالح، فاختفى فيه ثمانية، وبقي هو، وقالوا: إذا خرج علينا قتلناه، وأتينا أهله، فبيتناهم، فأمر الله D، الأرض، فاستوت عليهم، فاجتمعوا ومشوا إلى الناقة، وهي على حوضها قائمة. فقال الشقي لأحدهم " إيتها فاعقرها، فأتاها فتعاظمه ذلك، فرجع ثم بعث آخر، فعظم عليه عقرها، فرجع ثم آخر، فرجع، حتى رجع الجميع، ولم يعقروا. فمشى هو إليها، وتطاول، فضرب عرقوبيها، فوقعت تركض. وأتى رجل منهم صالحا، فقال: أدرك الناقة، فقد عقرت. فأقبل، وخرج وهم يتلقونه، ويعتذرون إليه. يا نبي الله! إنما عقرها فلان، إنه لا ذنب لنا. قال: انظروا هل تدركون فصيلها، فإن أدركتموه فعسى الله أن يدفع عنكم العذاب. فخرجوا." (٢)

"ديوان النبؤة.

(و) قال ابن أبي مليكة عن ابن عباس: نودي أيا يوسف! أتزني! فتكون مثل الطير الذي نتف ريشه، وذهب يطير فلم يستطع.

وقيل: ركضه جبريل A، بعد النداء ركضة في ظهره، فلم تبق فيه شهوة إلا خرجت. فوثب واستبقا الباب، وتطاير (ت) مسامير الباب، فلم تقدر أن تعلقه عليه. فتعلقت به، فقدت قميصه من دبر.

وقال علي بن أبي طالب (Bه): هم يوسف أن يحل التك [ة]، فقامت." (٣)

"إليهم بنفسه، فهزمهم، فخرجوا يركضون فسمع مناد يقول: ﴿لا تركضوا وارجعوا إلى مآ أترفتم فيه ومساكنكم﴾. فرجعوا، فسمعوا صوتا يقول: يا لثارات النبي فقتلوا كلهم. فهي التي عنى الله في هذه السورة

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٢٦١/١٠

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٤٢٣/٥

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٥٤٠/٥

حصدوا بالسيف.

قال مجاهدك " قصمنا ": أهكلنا. وجرى الخبر عن القرية والمراد أهلها، لأن المعنى مفهوم.

ثم قال: ﴿وأنشأنا بعدها قوما آخرين﴾ أي: أحدثنا بعد إهلاك هؤلاء الظالمين قوما آخرين سواهم.

ثم قال: ﴿فلمآ أحسوا بأسنآ إذا هم منها يركضون﴾.

أي: فلما عاين هؤلاء الظالمون من أهل القرى العذاب، ووجدوا مسه، إذا هم مما أحسوا يركضون. أي: يهربون سراعا يعدون. وأصله من ركض الدابة إذا حركت رجليك عليها فعدت.

فقوله: ﴿فلمآ أحسوا بأسنآ﴾.." (١)

"لا يرجع إلى قوله: ﴿قوما آخرين﴾ لأنه لم يذكر لهم ذنبا يعذبون من أجله، لكنه راجع إلى قوله: ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة﴾.

ثم قال: ﴿لا تركضوا﴾.

أي: لا تفروا ولا تهربوا. ﴿وارجعوا إلى مآ أترفتم فيه﴾. أي: إلى ما أنعمتم فيه من عيشكم وإلى، ﴿ومساكنكم لعلكم تسألون﴾ أي: تسألون عن دنياكم شيئا. على وجه السخرية بهم والاستهزاء. قاله: قتادة.

وقال مجاهد: ﴿لعلكم تسألون﴾ أي: تنتهون.

وقيل: معناه: لعلكم تسألون شيئا مما شغلكم عما لكم فيه الصلاح، على التهدد.

وقيل: معناه: لعلكم تسألون عما نزل بكم من العقوبة وعاينتموه من العذاب.

ثم قال تعالى: ﴿قالوا ياويلنآ إنا كنا ظالمين﴾.

أي: قالوا لما حل عليهم العذاب: يا ويلنا. وهي كلمة يقولها من وقع في هلكة وتقال لمن وقع في هلكة.." (٢)

"وقال الحسن البصري: مكث في ذلك البلاء تسع سنين وستة أشهر ملقى على رماد في جانب القرية، فلما اشتد بلاؤه وعظمت مصيبته أراد الله تعالى أن يفرج عنه، فقيل له: يا أيوب، اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقد وهبت لك أهلك ومثلهم معهم وولدك ومثلهم معهم، وعمرك ومثله معه، لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لأهل البلاء، وعزاء للصابرين. فركض برجله، وانفرجت له عين فدخل فيها فاغتسل. فأذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء، ثم خرج وجلس، وأقبلت امرأته تلتمسه في مضعجعه،

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٧٣٥/٧

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٧٣٦/٧

فلم تجده، وقامت كالواهلة ملتدمة، ثم قالت: يا عبد الله، هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان ها هنا؟ قال: لا، ثم تبسم فعرفته واعتنقته.

قال ابن عباس: فوالذي نفسي بيده، ما فارقته من عناقه حتى موجها كل مال لهما وولد.

ويروى أن الله جل ذكره رد عليه أهله ومثلهم معهم، وأمطر عليهم فراشا من ذهب، فجمع حتى ملأ كل ما أراد، وأقبل يشحن في ثيابه فأوحى الله إليه، أما يكفيك ما جمعت حتى تشحن في قميصك؟ فقال أيوب: وما يشبع من خيرك؟

ويروى أن إبليس اللعين تمثل لامرأة أيوب A في هيئة شريفية ومركب له هيبة، وقال [لها]: أنت صاحبة أيوب المبتلى؟ فقالت: نعم. قال: هل تعرفينني؟ قالت: لا. فقال: أنا إله الأرض، وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لأنه عبد إله السماء وتركني.." (١)

"قوله تعالى ذكره ﴿قالت يا أيها الملأ أفتوني﴾.

أي قالت بلقيس لأشراف قومها: أشيروا / علي في أمري الذي قد حضرني في أمر هذا الكتاب الذي ألقي إلي. ﴿ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون﴾، أي قالت: ما كنت قاضية أمرا في جواب هذا الكتاب حتى تشهدون أي تحضروني. قال لها أشراف قومها لما شاروتهم في أمرها: ﴿نحن أولو قوة﴾، أي أصحاب قوة في القتال ﴿وأولو بأس شديد﴾ أي ذوو بأس في الحرب شديد، والأمر أيتها الملكة إليك في القتال وغيره ﴿فانظري ماذا تأمرين﴾.

روي: أن قومها كانوا أولي قوة، وأن أحدهم كان يركض الفرس حتى إذا امتلأ في جريه ضم فخذيه عليه فحبسه بقوته.." (٢)

"﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ رأوا عذابنا ﴿إذا هم منها﴾ من قريتهم ﴿يركضون﴾ يسرعون هاربين وتقول لهم الملائكة:." (٣)

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٧٩٤/٧

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٤١٦/٨

(٣) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٧١٢

"﴿لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾ نعمتم فيه ﴿لعلكم تسألون﴾ من دنياكم شيئا قالت الملائكة لهم هذا على سبيل الاستهزاء بهم كأنهم قيل لهم: ارجعوا إلى ما كنتم فيه من المال والنعمة لعلكم تسألون فإنكم أغنياء تملكون المال فلما رأوا ذلك أقروا على أنفسهم حيث لم ينفعهم فقالوا:." [١]

"﴿اركض برجلك﴾ أي: دس وحرك برجلك في الأرض فداس فنبعت عين ماء فاغتسل به حتى ذهب الداء من ظاهره ثم شرب منه فذهب الداء من باطنه." [٢]

"حتى ولوا مدبرين" (١).

قال البراء بن عازب: كانت هوازن رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا وأكببنا (٢) على الغنائم فاستقبلونا (٣) بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولم يبق معه إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحارث" (٤)، قال البراء: "والذي لا إله إلا هو ما ولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دبره قط، لقد رأيته، وأبو سفيان آخذ بالركاب (٥)، والعباس آخذ بلجام الدابة، وهو يقول:

"أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب"

وطفق يركض بغلته نحو الكفار لا يألو، وكانت بغلة شهباء، ثم قال للعباس: " [ناد: يا معشر الأنصار، يا معشر المهاجرين، وكان العباس رجلا صيتا، فجعل ينادي: يا عباد الله] (٦)، يا أصحاب (٧) الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، فجاء المسلمون حين سمعوا صوته عنقا واحدا (٨)، وأخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بيده كفا من الحصباء فرماهم بها، وقال:

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ٤٤٠.

(٢) في (ى): (وانحنينا)، وفي "الصحيحين": فأكببنا.

(٣) في (ى): (فاستقبلوا).

(٤) رواه مختصرا البخاري في "صحيحه" (٤٣١٥)، كتاب: المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿ويوم حنين ...﴾، ومسلم في "صحيحه" (١٧٧٦)، كتاب الجهاد والسير.

(٥) الركاب: موضع في سرج الدابة، وهو كالغرز للرجل. انظر "القاموس المحيط"، فصل الراء، باب الباء ٩١٥٥، و"لسان العرب" (ركب) ٣/ ١٧١٣.

---

(١) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٧١٢

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٩٢٤

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٧) في (ح): يا معشر أصحاب الشجرة.

(٨) العنق: الجماعة الكثيرة من الناس، وجاء القوم عنقا عنقا: أي طوائف. انظر: "لسان العرب" (عنق) ١٠/ ٢٧٣.." [1]

"جبير (١) وقتادة (٢) والضحاك (٣) وابن سيرين (٤) ومقاتل (٥)، قال سعيد بن جبير: مثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته من أنامله.

وقال ابن عباس (٦) في رواية ابن أبي مليكة: إنه لم يزدجر برؤية صورة يعقوب حتى ركضه جبريل في ظهره، فلم يبق فيه شهوة إلا خرجت، فوثب واستبقا الباب، هذا الذي ذكره قول أئمة المفسرين الذي أخذوا التأويل عمن شاهدوا التنزيل، وأما المتأخرون فإنهم ذكروا في الآية أوجها قصدوا بها تنزيه يوسف عن الهم الفاسد. أخبرنا أبو الفضل العروضي (٧) قال أخبرني الأزهري عن المنذري عن ثعلب أنه سئل عن هذه الآية فقال: همت زليخا بالمعصية مصرة على ذلك، وهم يوسف بالمعصية ولم يأتها ولم يصر عليها، فبين الهمين فرق. وشرحه ابن الأنباري (٨) فقال: همت المرأة عازمة على الزنا قاصدة قصده، ويوسف عارضه ما يعارض البشر من خطرات القلب، وحديث

---

(١) الطبري ١٢/ ١٨٧، ابن أبي حاتم ٧/ ٢١٢٥، أبو الشيخ كما في "الدر" ٤/ ٢٣، الثعلبي ٧/ ٧٤ أ.

(٢) عبد الرزاق ٢/ ٣٢١، الطبري ٢/ ١٠٩، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٢٥، وأبو الشيخ كما في "الدر" ٤/ ٢٣، الثعلبي ٧/ ٧٤ ب.

(٣) الطبري ١٢/ ١٩٠، و"الدر" ٤/ ٥٢٤، وا لثعلبى ٧/ ٧٤ أ.

(٤) الطبري ١٢/ ١٨٩، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٢٤، وأبو الشيخ كما في "الدر" ٤/ ٢٣، والثعلبي ٧/ ٧٤ أ.

(٥) "تفسير مقاتل" ١٥٢ ب.

(٦) انظر ابن أبي حاتم ٧/ ٢١٢٤ بمعناه.

(٧) هو أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي، سبقت ترجمته في شيوخ المؤلف.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٤٨/١٠

انظر: "تهذيب اللغة" (همم) ٤/ ٣٧٩٨.

(٨) "زاد المسير" ٤/ ٢٠٣.." [١]

"الجودة سواء، غير أن المصدر أوكد في الاستعمال، تقول: جاء زيد ركضا وراكضا، فركضا أوكد؛ لأنه يدل على توكيد الفعل (١).

وقوله تعالى: ﴿إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ﴾ الآية. الخرق معناه في اللغة كالشق، يقال: خرق الثوب إذا شقه، وخرق الأرض إذا قطعها حتى بلغ أقصاها (٢).

قال ابن عباس: يريد ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾: بكبرك ومشيك عليها، ﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾: بعظمتك، وإنما أنت مخلوق عبد ذليل (٣).

قال الزجاج: والتأويل: إن قدرتك لن تبلغ هذا المبلغ فيكون لك (٤) وصلة إلى الاختيال (٥)، وهذا (٦) الذي ذكره موافق لتفسير ابن عباس، والمعنى: إنك عبد لا تقدر أن تنقص الأرض حتى تبلغ آخرها، ولا أن تطاول الجبال، فمن أين تستحق الكبر والفخر؟!

قال ابن قتيبة: يريد أنه ليس ينبغي للعاجز (٧) أن يبذخ (٨)

---

(١) "معانى القرآن وإعرابه" ٣/ ٢٤٠ بتصرف يسير.

(٢) انظر: (خرق) في "تهذيب اللغة" ١/ ١٠١٥، و"المحيط في اللغة" ٤/ ١٩٣، و"اللسان" ٢/ ١١٤١.

(٣) ورد في تفسيره "الوسيط" تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٨ بنصه، انظر: "تفسير ابن الجوزي" ٥/ ٣٦، والقرطبي ١٠/ ٢٦١، بلا نسبة.

(٤) في المصدر: (ذلك).

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ٢٤٠، بنصه.

(٦) ساقط من (د).

(٧) هذه الكلمة أصح مما في المصدر، وهي: (للفاجر)، ولعل ما في المصدر تصحيف.

(٨) البذخ: الكبر، وتبذخ: تطاول وتكبر وفخر وعلا، والباذخ: العالي، وشرف باذخ: عال، والبواذخ من

---

[١] التفسير البسيط الواحدي ٧٤/١٢

الجبال: الشوامخ. انظر بذخ في "المحيط في اللغة" ٤/ ٣٢١، و"الصحاح" ١/ ٤١٨، و"اللسان" ٣١/ ٢٣٦.." [١]

"الفراء: (وأصلها اتخذ افتعل) (١).

وحكى (٢) النضر: (استخذت عليهم يدا أي: اتخذت) (٣). ومثل هذا حكى سيبويه: (استخذ فلان أرضا) (٤).

قال أبو علي الفارسي: (وتأويله على أمرين أحدهما: أنه اتخذ فأبدل السين من التاء الأولى. والآخر: أنه استفعل من تخذ فحذف التاء التي هي فاء من تخذت) (٥). وكلهم أنشدوا (٦):

وقد تخذت رجلي إلى جنب غرزها ... نسيفا كأفحوص القطاة المطرق

فحصل من هذا أن تخذ لغة بمعنى اتخذ، وأصله: اتخذ، على ما قال الفراء، كأنهم لما رأوا التاء في اتخذ ظنوها أصلية فقالوا في الثلاثي: تخذ، كما قالوا: اتقى من يتقي (٧).

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ١٥٦.

(٢) في (ص): (حلي)، وهو تصحيف.

(٣) "تاج العروس" (أخذ) ٥/ ٣٤٥، "لسان العرب" (أخذ) ١/ ٣٧.

(٤) "الكتاب" لسيبويه ٤/ ٤٨٣.

(٥) "الحجة للقراء السبعة" ٥/ ١٦٣.

(٦) البيت للممزق العبدي، واسمه: شأس بن نهار.

غرزها: الغرز للناقة مثل الحزام للفرس، والنسيف: أثر ركض الرجل بجنبي البعير. والأفحوص: المبيض، والمطرق: وصف للقطاة إذا حان خروج بيضها. انظر: "الحجة للقراء السبعة" ٥/ ١٦٣، "الخصائص" ٢/ ٢٨٧، "الأصمعيات" ص ٦٥، "الحيوان" ٢/ ٢٩٨، "مجالس العلماء" للزجاجي ص ٣٣٣، "الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني" ص ٩٩٣، "تهذيب اللغة" (نسف) ٤/ ٣٥٦٢، "لسان العرب" (فحص) ٦/ ٣٣٥٦.

(٧) "إملاء ما من به الرحمن" ص ٤٠٣، "سر صناعة الإعراب" ١/ ١٩٨.." [٢]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٣٥/١٣

(٢) التفسير البسيط الواحدي ١١٠/١٤

"ومنتهى، كما ليس له غاية وحد، فأوصاف ذاته غير محدودة أيضا. وهذا رد على اليهود حين ادعوا أنهم أوتوا العلم الكثير، وكأنه قيل لهم: أي: شيء الذي أوتيتم في علم الله، فكلماته التي لا تنفذ ولا تتناهى، كما لو كتبت بماء البحار وأضعاف ذلك. وقال ابن عباس في تفسير ﴿كلمات ربي﴾: (يريد مواعظ الشكر (١) مني، أو مواعيد ربي وعلمه في خلقه) (٢).

وقوله تعالى: ﴿ولو جئنا بمثله مددا﴾ أي: بمثل البحر في كثرة مائه مدادا زيادة له.

وأراد لو جئنا بمثله مدادا له، والمدد: كل شيء زاد في شيء. يقال أمددناهم بمدد أي: بقوم يزيدون في عددهم. قال الزجاج: (﴿مددا﴾ منصوب على التمييز، يقول: ملؤ هذا، ومثل هذا ذهبا، أي: من الذهب) (٣). كقوله: ﴿أو عدل ذلك صياما﴾ [المائدة: ٩٥] قال ابن الأنباري: (ويجوز أن يكون ﴿مددا﴾ منصوب على المصدر لجئنا بتقدير: لمدد البحر بمثله مددا، كما تقول: جاء فلان ركضا. قال: ويجوز أن يكون نائبا عن الحال بتقدير: لو جئنا بمثله مادين) (٤).

= ولا تشبيه، وهو صفة ذاتية باعتبار أصله؛ لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته يتكلم متى شاء بما شاء. وقد تقدم التعليق مرارا على الأقوال التي يوردها الواحدي والمتعلقة بالأسماء والصفات.

وانظر: "شرح العقيدة الطحاوية" ١/ ١٧٢، "القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى" للشيخ: محمد بن عثيمين ص ٣٣، "العقيدة الواسطية" ص ٤٣.

(١) في (ص): (الشك)، وهو تصحيف.

(٢) "الجامع لأحكام القرآن" ١١/ ٦٩.

(٣) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٣١٦.

(٤) ذكر نحوه بلا نسبة في "المحتسب" ٢/ ٣٥، "إملاء ما من به الرحمن" ص ٤٠٥، =." [1]

"ألم ترى رأسي أمسى واضحا ... سلط الشيب عليه فاشتعل

أي: انتشر وكثر، والإشتعال للشيب إلا أنه نقل الفعل إلى الرأس فخرج الشيب مفسرا ولذلك نصب كما يقال: ألم رأسه، ووجع بطنه (١).

وقال بعضهم: انتصب قوله: "شيبا" على المصدر كأنه قال: شاب رأسي شيبا (٢).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٧٤/١٤

قال ابن الأنباري: (المعنى واشتعل شيب الرأس، فنقل الفعل عن الشيب إلى الرأس وانتصب الشيب بتحول الفعل عنه وخروجه من الوصف، يعني من أن يوصف بأنه فاعل، كما يقال: مررت برجل حسن وجها، نقلوا الحسن إلى الرجل، فلما انعدل الحسن عن الوجه انتصب بخروجه عن الوصف. قال: ويجوز أن يكون الشيب نائبا عن المصدر، والتأويل واشتعل الرأس اشتعالا، فسد الشيب مسد الاشتعال، كما تقول: جاء فلان ركضا، والتأويل ركض ركضا أو جاء مجيئا) (٣).

ومعنى الشيب: مخالطة الشعر الأبيض الأسود، وهو موافق لمعنى الشايب الذي يخلط الشيء بغيره (٤).

وقوله تعالى: ﴿ولم أكن بدعائك﴾ أي: بدعائي إياك، والمصدر هاهنا مضاف إلى المفعول ﴿رب شقيا﴾ قال ابن عباس: (لم تكن تخيب

---

(١) "إملاء ما من به الرحمن" ١/ ١١٠، "إعراب القرآن" للنحاس ٢/ ٣٠١.

(٢) "معاني القرآن" للأخفش ٢/ ٦٢٤، "إعراب القرآن" للنحاس ٢/ ٣٠١.

(٣) ذكره نحوه بلا نسبة "إملاء ما من به الرحمن" ص ٤٠٦، "المحرر الوجيز" ٩/ ٤٢٦، "الجامع لأحكام القرآن" ١١/ ٧٧، "الدر المصون" ٧/ ٥٦٥.

(٤) انظر: "تهذيب اللغة" (شاب) ٢/ ١٧٩٩، "مقاييس اللغة" (شيب) ٣/ ٢٣٢، "القاموس المحيط" (شيب) ٩٩، "المعجم الوسيط" (شيب) ١/ ٥٠٢.." [1]

"وقوله تعالى: ﴿إذا هم منها يركضون﴾ يفرون، وينهزمون، ويهربون من العذاب. هذا قول المفسرين (١).

وأصل معنى الركض في اللغة: ضرب الرجل مركلي (٢) الدابة برجليه.

يقال: ركض الفرس، إذا كده (٣) بساقيه، فلما كثر هذا على ألسنتهم استعملوه في الدواب، فقالوا: هي تركض، كأن الركض منها، وأصل الركض: الضرب (٤).

يقال: ركضت المرأة ذيلها عند المشي، إذا ضربنه برجلها، وركض (٥) البعير كما يقال: رمح ذو الحافر، ومنه قوله: ﴿اركض برجلك﴾ [ص: ٤٢] أي: اضرب الأرض بها، وقد ركض الرجل إذا فر وعدا (٦).

والأصمعي يقول: ركضت الدابة (٧)، ولا يقال: ركض هو (٨).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٤/ ١٩٠

(١) كمجاهد والسدي والربيع وغيرهم. انظر: "الطبري" ١٧/ ٨، "الدر المنثور" للسيوطي ٥/ ٦١٨.

(٢) في جميع النسخ: (من كلي)، والصواب: (مر كلي) كما في "التهذيب" للأزهري ١٠/ ٣٧، وغيره. قال الجوهري في "الصحاح" ٤/ ١١٢ ٧ (ركل): (ومراكل الدابة: حيث يركلها الفارس برجله إذا حركه للركض، وهما مركلان.

(٣) في (د)، (ع): (أكده).

(٤) الضرب: ساقط من (أ)، (ت).

(٥) في (أ): (فركض).

(٦) هذا الكلام في معنى الركض منقول عن "تهذيب اللغة" للأزهري ١٠/ ٣٧ - ٣٩ "ركض" مع تصرف وحذف. وانظر: (ركض) في "الصحاح"، للجوهري ٣/ ١٠٧٩ - ١٠٨٠.

(٧) (الدابة): ساقطة من (أ)، (ت).

(٨) قول الأصمعي في "تهذيب اللغة" ١٠/ ٣٩ (ركض).." [1]

"وقال شمر (١): وقد وجدنا في كلامهم: ركضت الدابة في سيرها، وركض الطائر في طيرانه (٢).

ومنه قوله:

لو كان يدركه ركض اليعاقيب (٣)

وقال سيبويه (٤): ركضت (٥) الدابة وركضته (٦).

وقوله تعالى: ﴿إذا هم منها يركضون﴾ [يجوز أن يكون المعنى: يركضون دوابهم] (٧)، [ويجوز أن يكون المعنى: يركضون] (٨) هم بأنفسهم

---

(١) ضبط هذا الاسم محقق "تهذيب اللغة" للأزهري هكذا: شمر، بكسر الشين وسكون الميم.
وضبط في بعض مصادر ترجمته المطبوعة هكذا: شمر، بفح الشين وكسر الميم. وضبط في بعضها: شمر.

(٢) قول شمر في "تهذيب اللغة" ١٠/ ٣٩ مادة (ركض).

(٣) هذا عجز بيت لسلامة بن جندل السعدي يصف فيه الشباب الذاهب، وصدره:

ولى حثيثا وهذا الشيب يطلبه

وهو في "ديوانه" ص ٩١، "المفضليات" ص ١١٩، "الشعر والشعراء" لابن قتيبة ص ١٦٦، "مقاييس اللغة"

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٩/١٥

٢/ ٢٩ (حث)، "تهذيب اللغة" للأزهري ١/ ٢٧٨ (عقب)، المحكم لابن سيده ٦/ ٤٣٤ (ركض)، "لسان العرب" ٢/ ٦٢٢ (عقب). واليعاقيب في البيت قيل: يعني اليعاقيب من الخيل، سميت بذلك تشبيها بيعاقيب الحجل لسرعتها، وقيل: يعني ذكرر الحجل. انظر: "تهذيب اللغة" ١/ ٢٧٨، "لسان العرب" ١/ ٦٢٢.

(٤) (سيبويه): ساقط ميت (أ).

(٥) هكذا في (ع). وفي باقي النسخ: (ركض)، والمثبت هو الموافق لما في الكتاب.

(٦) "الكتاب" ٤/ ٥٨، وفيه: (وركضتها).

(٧) ساقط من (ت).

(٨) ساقط من (د)، (ع).." [1]

"على معنى يفرون كما ذكره المفسرون. وجملة المعنى (١): يهربون سراعا (٢).

١٣ - قوله تعالى: ﴿لا تركضوا﴾ قال المفسرون: لما أخذتهم السيوف وانهزموا -وكانوا قد خرجوا من مساكنهم لقتال بختنصر فلما انهزموا- مروا على دورهم منهزمين، وديارهم (٣) بها أهلوهم وذراريهم فلم يلووا (٤) عليهم فنادتهم الملائكة استهزاء بهم ﴿لا تركضوا﴾ (٥).

[والتقدير في النظم فقيل لهم: لا تركضوا] (٦).

قال صاحب النظم: ومن عادة العرب إذا ظفر الواحد منهم بواتر له (٧) أن يقول له (٨) مثل هذا القول، كما قال الشاعر:

---

(١) في (د)، (ع): (الأمر).

(٢) انظر: "التبيان" للطوسي ٧/ ٢٠٨.

(٣) (ديارهم): ساقطة من (أ)، (ت).

(٤) في (أ)، (ت): (فلوتلوا).

(٥) ذكر الثعلبي في "الكشف والبيان" ٣/ ٢٨ أنحوا من ذلك. وانظر: "الدر المنثور" ٥/ ٦١٨ - ٦١٩. والأظهر أن الآيات وصف قصة كل قرية، وأنه لم يرد تعيين حضوراء ولا غيرها، فالمعنى على هذا: أن أهل

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٥/ ٣٠

تلك القرى الظالمة لما تيقنوا أن العذاب نازل بهم لا محالة ركضوا فارين، فقيل لهم- على وجه الهزء والتهكم: لا تركضوا هاربين من العذاب وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور والمعيشة والمساكن الطيبة. فاحذروا -أيها المخاطبون- أن تستمروا على تكذيب أشرف الرسل، فيحل بكم كما حل بأولئك.
انظر: "المحرر الوجيز" ١٠/ ١٣٠ - ١٣١، "تفسير ابن كثير" ٣/ ١٧٤، "تفسير ابن سعدي" ٣/ ٢٧٠.
(٦) ساقط من (د)، (ع).
(٧) بواتر: أي: من أصابه بوتر، والوتر: الجناية التي يجنيها الرحل على غيره من قتل أو نهب أو سبي. "لسان العرب" ٥/ ٢٧٤ (وتر).
(٨) (له): ساقطة من (أ)، (ت)." [١]

"والمعنى على هذا أن الملائكة قالت لهم: ارجعوا إلى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون [شيئا] (١) من دنياكم، فإنكم أهل ثروة ونعمة، استهزاء بهم، كما ذكره قتادة. وهذا في الحقيقة توبيخ لهم؛ إذ جهلوا قدر نعمة الله عليهم بنذيب نبيه والإقدام على قتله، فوبختهم الملائكة بهذا ألقول، وذكروهم ما كانوا فيه من النعم؛ ليكون ذلك أشد لتحسرهم.
وقول قتادة في هذه الآية هو (٢) الصحيح، وذكرت أقوال، وهي بعيدة في المعنى، قال السدي: ﴿لعلكم تسألون﴾ يوم القيامة (٣).
وقال الكلبي: ﴿لعلكم تسألون﴾ عن قتل هذا النبي (٤).
وقال الحسن: ﴿لعلكم تسألون﴾ أي تعذبون (٥).
وكل هذه الأقوال بعيدة عن معنى هذه الآية.
قال أبو [إسحاق] (٦). ويجوز لعلكم تسألون فتجيبون عما تشاهدون إذا رأيتم ما نزل بمساكنكم وما أترفتم فيه (٧).

١٤ - قوله تعالى: ﴿قالوا يا ويلنا﴾ قال المفسرون: لما رأوا أن الصوت (٨) لا يسكت عنهم، وهو قو [ل الملائكة لهم [لا تركضوا] (٩) الآية

(١) كشط في (ت).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣١/١٥

(٢) في (١): (وهو).

(٣) لم أجده.

(٤) ذكره عنه ابن الجوزي ٥/ ٣٤٢.

(٥) لم أجده.

(٦) ما بين المعقوفين كشط في (ت).

(٧) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٣/ ٣٨٦.

(٨) في (ت): (الصواب)، وهو خطأ.

(٩) ما بين المعقوفين كشط في (ت).." [١]

"المفعول به أكثر، وذلك نحو قوله (١):

ألم يأتيك والأنباء تنمي ... بما لاقت لبون بني زياد

وقد زيدت مع هذه (٢) الكلمة بعينها قال:

---

(١) هذا البيت أول أبيات لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة القيسي، وكان سيد قومه، ونشأت بينه وبين الربيع بن زياد القيسي شحناء في شأن درع ساومه فيها، ولما نظر الربيع إلى الدرع وهي على ظهر فرس قيس أخذها ثم ركض بها فلم يردها عليه، ثم إن قيسا طرد إبلا للربيع، وقيل إبله وإبل إخوته، فقدم بها مكة، فباعها من عبد الله بن جدعان التيمي، معاوضة بأدراع وأسياف، وفي هذا يقول قيس:

ألم يأتيك ....

وبعده:

ومحبسها على القرشي تشرى ... بأدراع وأسياف حداد

انظر: "خزانة الأدب" ٨/ ٣٦٥ - ٣٦٩.

والبيت في "ديوانه" ص ٢٩ وروايته فيه: ألم يبلغك: "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٢٢٣، "شرح أبيات سيبويه" للسيرافي ١/ ٣٤٠، "المقاصد النحوية" للعيني ١/ ٢٣٠، "لسان العرب" ١٤/ ١٤ (أتى)، "شرح شواهد المغني" للسيوطي ١/ ٣٢٨، ٢/ ٨٠٨. "خزانة الأدب" ٨/ ٣٦١.

وهو غير منسوب في "الكتاب" ١/ ٣١٦، "الخصائص" لابن جني ١/ ٣٣٦، "سر صناعة الإعراب" ١/

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٥/٣٣

٨٧، ٢/ ٦٣١.
قال البغدادي في "الخزانة" ٨/ ٣٦٤: و"الأنباء": جمع نبأ وهو خبر له شأن. و (اللبون): (قال أبو زيد: هي من الشاء، والإبل ذات اللبن .. وقيل: اللبون: الإبل ذوات اللبن. وبنو زيادهم: الربيع، وعمارة، وقيس، وأنس، بنو زياد بن سفيان بن عبد الله العبسي، والمراد لبون الربيع بن زياد فإن القصة معه.
وانظر: "شرح أبيات سيبويه" للسيرافي ١/ ٣٤٠ - ٣٤٣.
(٢) في (ع): (بهذه).." [١]

"عباس في رواية عطاء الخراساني (١)، وقول سعيد بن جير. وقال مقاتل: يعني: كالغبار الذي يسطع من حوافر الدواب (٢). وهو قول ابن عباس في رواية عطاء بن أبي رباح، قال: هو ما يخرج من سنابك الخيل إذا ركضت (٣). والمنثور: المفرق (٤).
قال الزجاج: وتأويله: أن الله -عز وجل- أحبط أعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور (٥). والمعنى: فجعلناه باطلا (٦).

---

(١) أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، معلقا بصيغة الجزم، (هباء منثورا) ما تسفي به الريح. الفتح ٨/ ٤٩٠. ووصله ابن جرير ١٩/ ٤، من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس مثله، وزاد: ويبثه. وأخرج أيضا ١٩/ ٥، من طريق علي بن أبي طلحة: (هباء منثورا) الماء المهراق.
(٢) "تفسير مقاتل" ص ٤٤ ب. و"تفسير هود الهواري" ٣/ ٢٠٧. ولم ينسبه. وأخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٧٩، نحوه عن: علي -رضي الله عنه-.
(٣) "تنوير المقباس" ص ٣٠٢، بمعناه. قال ابن قتيبة: والهباء المنبث: ما سطع من سنابك الخيل. "تأويل مشكل القرآن" ص ١٣٩، و"غريب القرآن" ص ٣١٢. وقال ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٧٩: وروي عن ابن عباس، في بعض الروايات، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والضحاك، نحو ذلك. والسنابك، جمع: سنبك، وهو: طرف الحافر. "القاموس المحيط" ١٢١٨.
(٤) وصف الهباء بالمنثور؛ لأنك تراه منتظما مع الضوء، فإذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب. تفسير الزمخشري ٣/ ٢٦٧.
(٥) "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٦٤.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٥/٥٥٣

(٦) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٢٦٦، بلفظ: ﴿هباء منثورا﴾ أي: باطلا. وقد أوصل ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٧٩، اختلاف المفسرين في الهباء المنبث، إلى خمسة أقوال. وكذا الماوردي ٤/ ١٤١. وابن الجوزي ٦/ ٨٣. وليس بينها تعارض بل يمكن أن تحمل الآية عليها، إذ المعنى كما قال الواحدي: فجعلناه باطلا. وكل ما ذكر من الأقوال السابقة يصلح مثالا على ذلك. والله أعلم. قال ابن كثير ٦/ ١٠٣: وحاصل هذه =" (١)

"٣٢ - ﴿يا أيها الملأ﴾ يعني: الأشراف وهم ثلاثمئة وثلاثة عشر قائدا، وهم أهل مشورتها (١). وهذا قول قتادة والثمالي والكلبي ومقاتل قالوا: وكان كل رجل منهم على عشرة آلاف (٢). وقال مقاتل: كان مع كل قائد: مائة ألف (٣).

وقوله: ﴿أفتوني في أمري﴾ قال ابن عباس: أشيروا علي: أي: بينوا لي مما أعمل (٤) ﴿ما كنت قاطعة أمرا﴾ فاعلة أمرا وقاضيته (٥) ﴿حتى تشهدون﴾ حتى تحضرون، أي: إلا بحضوركم ومشورتكم؛ قاله ابن عباس ومقاتل (٦). قالوا مجيبين لها:

٣٣ - ﴿نحن أولو قوة﴾ (٧) قال عطاء عن ابن عباس: كانت من قوة أحدهم أنه يركض الفرس حتى إذا امتلأ فروجه ضم فخذيه فحبسه بقوته (٨).

---

(١) "تفسير مقاتل" ٥٨ ب. و"الوسيط" ٣/ ٣٧٧، ولم ينسبه.

(٢) ذكره الهواري ٣/ ٢٥٣، وصدره بقوله: قال بعضهم. والثمالي: هو ثابت بن أبي صفية الثمالي.

(٣) "تفسير مقاتل" ٥٨ ب. و"تنوير المقباس" ص ٣١٨، دون ذكر العدد. وفي نسخة: أ، ب: كررت مائة ألف، مرتين.

(٤) أخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٥، عن زهير بن محمد: أشيروا برأيكم. قال الفراء: جعلت المشورة فتيا؛ وذلك جائز لسعة العربية. "معاني القرآن" ٢/ ٢٩٢.

(٥) فالمعنى واحد، فاعلة وقاضية. "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٢٩٢.

(٦) "تفسير مقاتل" ٥٨ ب. و"تنوير المقباس" ٣١٨، بمعناه. وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٣، عن ابن زيد. وهو في "الوسيط" ٣/ ٣٧٧، غير منسوب.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٦٢/١٦

(٧) تكلم أبو علي الفارسي عن كلمة: ﴿أولوا﴾ وأنها جمع: ذو، من غير لفظه. "كتاب الشعر" ٢/ ٤٢٢، و"المسائل الحلبيات" ١٥٤.

(٨) ذكره عن ابن عباس: القرطبي ١٣/ ١٩٥. وفي "الوسيط" ٣/ ٣٧٧: أي: في =." [١]

"و (النذر) ما يجعله الإنسان على نفسه إن سلم مما يخافه (١).

وقد جاء: النذير والنذر مصدرين كالإنذار (٢)، فجاء المصدر على: (فعيل) و (فعل). وفي القرآن ﴿فكيف كان نكير﴾ (٣) وفيه ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ [القمر: ١٦]. وقيل في قوله: ﴿نذيرا للبشر﴾ [المدثر: ٣٦]: إنه مصدر في موضع الحال من قوله: ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ [المدثر: ٣٥]، كما تقول (٤): جاء (٥) ركضا. فتجعل المصدر حالا (٦).

وجعل (نذير) أيضا مصدرا في قوله: ﴿وجآءكم النذير﴾ [فاطر: ٣٧] إذا فسر بأنه الشيب (٧).

---

(١) تعريف النذر اصطلاحا: التزام قربة غير لازمة في أصل الشرع، بلفظ يشعر بذلك، انظر: "الروض المربع مع حاشية ابن قاسم" ٧/ ٤٩٦، "التعريفات" للجرجاني ص٢٤٠، و"فقه السنة" ٢/ ٢٢.

(٢) في "الحجة": (وقالوا: النذير والنذر، كما قالوا: النكير والنكر، فجاء المصدر على فعيل وعلى فعل ..) ١/ ٢٥٤.

(٣) جزء من آية في الحج: ٤٤، وسبأ: ٤٥، وفاطر:٢٦، والملك: ١٨.

(٤) (تقول) ساقط من (ب).

(٥) في (ج): (أجاء).

(٦) في "الحجة": (فأما قوله تعالى: ﴿نذيرا للبشر﴾ فقد قيل فيه قولان: أحدهما: أن يكون حالا من (قم) المذكورة في أول السورة والآخر: أن يكون حالا من قوله: ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ فإذا جعل (نذيرا) حالا مما في (قم) فإن (النذير) اسم فاعل بمعنى المنذر .. وإن جعلته حالا من قوله: ﴿لإحدى الكبر﴾ فليس يخلو الحال أن يكون من المضاف أومن المضاف إليه .. وفي كلا الوجهين ينبغي أن يكون (نذيرا) مصدرا، والمصدر يكون حالا من الجميع كما يكون حالا من المفرد. تقول: جاؤوا ركضا، كما تقول: جاء ركضا ..) ١/ ٢٥٥.

---

[١] التفسير البسيط الواحدي ٢٢٥/١٧

(٧) في "الحجة". (.. فمن قال: إن النذير النبي - صلى الله عليه وسلم - كان اسم فاعل كالمنذر، ومن قال: إنه الشيب كان الأولى أن يكون مصدرا كالإنذار)، "الحجة" ١/ ٢٥٥.." [1]

"وقوله (١) تعالى: ﴿ثم أتخذتم العجل﴾. يقال: اتخذ يتخذ، وتخذ يتخذ (٢)، قال الله تعالى: ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ [الكهف: ٧٧] (٣). قال الشاعر (٤):

وقد تخذت رجلي إلى جنب غرزها ... نسيفا كأفحوص (٥) القطاة المطرق (٦)

و (تخذ) (٧) من (اتخذ) مثل تقي من اتقى وقد مر (٨).

---

(١) في (ج): (له تعالى).

(٢) (يتخذ) بسكون التاء، وفتح الخاء، كذا في "تهذيب اللغة" (أخذ) ٧/ ٥٣٠، "مجالس العلماء" للزجاجي: ص ٣٣٣، "اللسان" (أخذ) ٣/ ٣٧٤، وانظر "الحجة" لأبي علي ٢/ ٦٨.

(٣) الكهف: ٧٧، والاستشهاد بالآية ورد في "الحجة" على قراءة أبي عمرو وابن كثير (لتخذت) كما هنا. انظر "الحجة" ٢/ ٦٨، "السبعة" لابن مجاهد ص ٣٩٦، "تهذيب اللغة" (أخذ) ١/ ١٢٩.

(٤) هو الممزق العبدي، واسمه شأس بن نهار.

(٥) في (ج): (كما نحوص).

(٦) قوله: غرزها: الغرز للناقة مثل الحزام للفرس، و (النسيف): أثر ركض الرجل بجنبي البعير، و (الأفحوص): المبيض، و (المطرق): وصف للقطاة، إذا حان خروج بيضها. ورد البيت في "الحجة" ٢/ ٦٨، "الأصمعيات" ص١٦٥، "تهذيب اللغة" (نسف) ٤/ ٣٥٦٢، "الخصائص" ٢/ ٢٨٧، "مجالس العلماء" للزجاجي ص ٣٣٣، "المخصص" ١/ ٢١، ٨/ ١٢٥، ١٢/ ٢٧٢، ١٦/ ٩٧، ١٣٤، ١٧/ ٢٢، "التكملة": ص١١٧، "اللسان" (حدب) ٢/ ٧٩٦، و (فحص) ٦/ ٣٣٥٦، و (طرق) ٥/ ٢٦٦٦، و (نسف) ٧/ ٤٤١١.

(٧) قال أبو علي: (اتخذ): افتعل، فعلت منه: تخذت ..) ولم أعلم (تخذت) تعدى إلا إلى مفعول واحد. "الحجة" ٢/ ٦٨. قال ابن عطية: (اتخذ وزنه: افتعل من الأخذ، وقال أبو علي: هو من تخذ لا من أخذ

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢/٩٦

١/ ٢١٦، وانظر: "تفسير القرطبي" ١/ ٣٣٨ - ٣٣٩، "الدر المصون" ١/ ٣٥٤.

(٨) مر في تفسير قوله تعالى: ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة: ٢].." [(١)]

"الحال من أن يكون المضاف، أو من المضاف إليه، فإن كان من المضاف إليه، كان القائل فيه "ما في" "إحدى" من معنى التفرد، وإن كان المضاف إليه كان العامل فيه ما في "الكبر" من معنى الفعل، وفي كلا (١) الوجهين ينبغي أن يكون "نذيرا" مصدرا؛ لأن المضاف مؤنث، والمضاف إليه مؤنث مجموع، والمصدر قد يكون حالا من الجميع، كما يكون حالا من المفرد تقول: جاء وأركض (٢)، كما تقول: جاء ركضا (٣).

٣٧ - قوله: ﴿لمن شاء منكم﴾، "لمن " بدل من قوله: "للبشر" (٤)، وهو كقوله: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه﴾ (٥).

قوله: "أن يتقدم"، أي: في الخير والإيمان.

"أو يتأخر" عنه. والمعنى: قد حصل الإنذار لكل أحد لمن آمن وصدق، ولمن عصى وكفر، وهذا تهديد وإعلام أن من تقدم إلى الطاعة، وإلى ما أمر به جوزي بالثواب، وقد سبق له الوعد بذلك، ومن تأخر عما أمر به عوقب، وقد سبق له الإنذار والوعيد. وهذا معنى قول ابن عباس (٦)،

---

(١) في النسختين: كلى.

(٢) في (ع): وأركضا.

(٣) لم أعثر على مصدر لقول أبي علي الفارسي. ولقد ذكرت أوجه أخرى كثيرة في قوله: "نذيرا". انظر ذلك في: الدر المصون: ٦/ ٤١٩ - ٤٢٠.

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ٥/ ٧٢، و"البحر المحيط" ٨/ ٣٧٩.

(٥) سورة آل عمران: ٩٧.

(٦) "جامع البيان" ٢٩/ ١٦٤، و"الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ٨٤، وعبارته: من شاء أتبع طاعة الله، ومن شاء تأخر عنها.." [(٢)]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢/٥١٧

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٢٢/٤٥٠

"قال الشاعر:

واعرورت العلط العرضي تركضه ... أم الفوارس بالديداء والربعه (١)

وقال الليث: يقال: فلان فيه على أعدائه عرضية، وفي الفرس عرضية (٢) في عدوه.

وأنشد القطامي:

بيض الهجان التى كانت تكون بها ... عرضية وهباب حين يرتحل (٣) (٤) (٥)

فالمعنى على هذا الأصل: لا تجعلوا الحلف بالله قوة لأيمانكم في أن لا تبروا، ويحتمل أن يكون المعنى على هذا الأصل: النهي عن المبادرة إلى الأيمان، كأنه يقول: لا تجعلوا اسم الله قوة لأيمانكم تبتدر من أفواهكم مسرعين بذكره.

---

(١) ورد البيت هكذا:

واعرورت العلط العرضي تركضه ... أم الفوارس بالدأداء والربعة

والبيت من البسيط، وهو لأبي الأسود الرؤاسي، في "لسان العرب" ٣/ ١٣١١ مادة: دأدأ، ٥/ ٣٠٦٩ مادة: علط، "تهذيب اللغة" ٣/ ٢٤٠ مادة: "عرض"، ٣/ ٢٣٧٥ مادة "عرا" "جمهرة اللغة" ص ٢٢٦، "ديوان الأدب" ١/ ٢٣٨. انظر "المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية" ٤/ ١٩٦.

(٢) في (ش) و (ي) (عرضة).

(٣) في (ش) (هبات)، وفي (ي) (ترتحل) وهي كذلك في الديوان.

(٤) البيت في ديوانه ص ٢٣ - ٣٠ ط دار الثقافة، بيروت.

(٥) ينظر في عرض: "تهذيب اللغة" ٣/ ٢٣٩٤ - ٢٤٠٣، "المفردات" ٣٣٢، "عمدة الحفاظ" ٣/ ٦٦ - ٧٤، "اللسان" ٥/ ٢٨٨٤ - ٢٨٩٦.." [١]

"من أجلها راكبا ومومئا وحيث ما كان وجهه، وأما صلاة الخوف فبيانها في سورة النساء (١)، وقال

(٢) ابن عمر في تفسير هذه الآية: ومستقبلي القبلة وغير مستقبلها.

والصلاة بالإيماء في شدة الخوف لا يختص (٣) بخوف المشركين، بل إذا خاف سبعا، أو سيلا، أو جملا صائلا، وما الأغلب (٤) من شأنه الهلاك، له أن يومئ بالصلاة إيماء، ويعدو عدوا، أو يركض ركضا إذا خاف فوت الصلاة (٥).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٨٧/٤

وقوله تعالى: ﴿فإذا أمنتم فاذكروا الله﴾ فصلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها ﴿كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ يريد: كما افترض عليكم في مواقيتها (٦).

٢٤٠ - قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم﴾ الآية. قال ابن عباس وغيره من المفسرين: نزلت الآية في رجل من أهل الطائف يقال (٧) له: حكيم بن الحارث، هاجر إلى المدينة وله

= البغوي في "تفسيره" ١/ ٢٩٠: ولا ينتقص عدد الركعات بالخوف عند أكثر أهل العلم.

(١) "تفسير الثعلبي" ٢/ ١٢٨٣. وصلاة الخوف ذكرت في سورة النساء [آية:١٠٢].

(٢) في (أ) و (م) قال.

(٣) في (م): (لا تختص).

(٤) في (م): (وما إلا وغلب)، وفي (ي): (وأما الأغلب).

(٥) "تفسير الثعلبي" ٢/ ١٢٨٣، وينظر: "تفسير الطبري" ٢/ ٥٧٦، "البحر المحيط" ٢/ ٢٤٤.

(٦) "تفسير الثعلبي" ٢/ ١٢٨٥، "تفسير البغوي" ١/ ٢٩٠.

(٧) في (م): فقال.." [1]

"واختلفوا في علة فتح الميم: فقال الفراء (١): طرحت عليها فتحة الهمزة؛ لأن نية حروف الهجاء الوقف. فلما كان ينوى بها الوقف، نوي بما بعده الاستئناف، فكانت الهمزة في حكم الثبات (٢).

ومذهب سيبويه (٣): أنه حرك لالتقاء الساكنين (٤)، والساكن الذي حرك له الميم، لام التعريف؛ وذلك أن حكم هذه الهمزة، أن تجتلب في الابتداء، إذا احتيج إلى اللفظ بحرف ساكن، دون الصلة والإدراج، فإذا اتصل الساكن المجتلب له هذا الحرف بشيء قبله، استغني عنه، فحذف. فإن اتصل بمتحرك، بني على حركته (٥)، نحو: (ذهب ابنك). وإن كان حرفا ساكنا -غير لين- حرك، نحو: ﴿عذاب (٤١) اركض﴾ (٦) [ص:٤١ - ٤٢]،

= رواية حفص عنه. ويقول الزجاج: (والمضبوط عن عاصم في رواية أبي بكر بن عياش وأبي عمرو فتح

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤/٢٩٩

الميم. وفتح الميم إجماع). ويقول مكي: (والذي قرأت به في رواية يحيى بن آدم بالوصل، مثل الجماعة). يعني: رواية يحيى عن أبي بكر. انظر: "معاني القرآن" للزجاج: ١/ ٣٧٣، "التبصرة" لمكي ٤٥٥، "السبعة" لابن مجاهد ص ٢٠٠، "الحجة" للفارسي ٣/ ٥.

(١) في "معاني القرآن" له ١/ ٩. نقله عنه بالمعنى. وقد تقدمت ترجمته.

(٢) يعني بـ "الثبات": عدم سقوط الهمزة في الوصل. وقد ذهب الزمخشري مذهب الفراء، وناقشه أبو حيان ورد عليه. انظر: "الكشاف" للزمخشري ١/ ٤١٠، "البحر المحيط" لأبي حيان ٢/ ٣٧٥ "الدر المصون" للسمين الحلبي ٣/ ٨١٢.

(٣) في "الكتاب" له ٤/ ١٥٢.

(٤) قال السمين الحلبي: (وهو مذهب سيبويه وجمهور الناس). "الدر المصون" ٣/ ٦.

(٥) في (ج): (متحركة).

(٦) يقول أبو علي الفارسي: (فإن كان الحرف الثاني من الكلمة التي فيها الساكن الثاني مضموما ضمة لازمة، جاز فيه التحريك بالضم والكسر جميعا) وأتى بهذه الآية ضمن الشواهد على ذلك. ثم قال: وجميع هذا يجوز في الساكن الأول التحريك بالضم) أي أن تقرأ هكذا: ﴿عذاب (٤١) اركض﴾ في حال الوصل. "التكملة" للفارسي ١٧٧، وانظر: "كتاب سيبويه" ٤/ ١٥٣، "الكشف" لمكي ١/ ٢٧٤. وقد قرأ بكسر الباء مع التنوين في ﴿عذاب﴾ في حال الوصل: عاصم، وحمزة، وأبو عمرو بن العلاء، وقنبل، وابن ذكوان، ويعقوب. وأجمعوا على ضم الهمزة في الابتداء. وقرأ الباقون بضم الباء مع التنوين. انظر: "الكشف" لمكي ١/ ٢٧٤، ٢٧٥، وقال: والضم في ذلك كله الاختيار؛ لأن عليه أكثر القراء، ولأنه أخف. والكسر حسن؛ لأنه الأصل في حركة التقاء الساكنين. وانظر: "إتحاف فضلاء البشر" ص ٣٧٢، "البدور الزاهرة" ص ٢٧٢.." [1]

"وقال ابن السكيت (١): يقال: (طاع له، وأطاعه)، سواء، فمن قال: (طاع)، قال: (يطاع)، ومن قال: (أطاع)، قال: (يطيع). فحصل في (الطوع) لغتان: (طاع يطوع)، و (طاع يطاع).

وانتصب ﴿طوعا وكرها﴾؛ على أنه مصدر وقع موقع الحال؛ وتقديره: طائعا (٢) أو كارها (٣)؛ كقولك: (أتاني ركضا)؛ أي: راكضا؛ ولا يجوز: (أتاني كلاما)؛ أي: متكلما؛ لأن الكلام ليس بضرب للإتيان.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥/٨

٨٤ - قوله تعالى ﴿قل آمنا بالله﴾ الآية. في هذه الآية إنكار (٤) على الكفار من اليهود والنصارى، فيما ذهبوا إليه (٥) من الإيمان ببعض النبيين دون بعض، وأمر للنبي - صلى الله عليه وسلم -، وأمته، أن يقول: آمنا بالله وبجميع الرسل، وما أنزل عليهم: لا نفرق بين جميع الرسل في الإيمان (٦) بهم، كما فعلت اليهود والنصارى.

وأجرى أول الآية على التوحيد، وآخرها على الجمع، في قوله: ﴿لا نفرق﴾، ﴿ونحن﴾ لدخول أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - في هذا الإقرار معه.

٨٥ - قوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا﴾ الآية.

---

(١) في "إصلاح المنطق" ٢٥٧ - ٢٥٨ مع اختلاف في العبارة. والعبارة -هنا- تتفق مع ما في "تهذيب اللغة" ٣/ ٢١٥٢ عن ابن السكيت؛ مما يدل على أن المؤلف نقل النص عن "التهذيب".

(٢) (طائعا): ساقطة من: (ب).

(٣) انظر: "إعراب القرآن" للنحاس: ٣/ ٢٩، "مشكل إعراب القرآن" ١/ ١٦٧.

(٤) في (ج): (ان كان).

(٥) إليه: ساقطة من: (ب).

(٦) في (ب): (بالإيمان).." [1]

"وقال الكلبي: ﴿إلا ما ذكيتم﴾ استثنى من ذلك كله، أي إلا ما ذبحتم. (١)

وحكى أبو العباس عن بعضهم أن الاستثناء مما أكل السبع خاصة (٢).

والقول هو الأول (٣).

وأما كيفية إدراكها فقال أكثر أهل العلم من المفسرين: إن أدركت ذكاته بأن يوجد له عين تطرف أو ذنب متحرك، فأكله جائز (٤).

قال ابن عباس وعبيد بن عمير (٥): إذا طرفت بعينها، أو مصعت بذنبها أو ركضت برجلها، أو تحركت، فاذبح، فهو حلال (٦).

وذهب بعض أهل العلم إلى أنه إذا أخرج السبع الحشوة أو قطع الجوف قطعا تؤس معه الحياة فلا ذكاة

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٠٧/٥

لذلك، وإن كان به حركة ورمق؛ لأنه صار إلى حالة لا يؤثر في حياته الذبح (٧).

---

(١) انظر: "تنوير المقباس" بهامش المصحف ص ١٠٧.

(٢) انظر: "زاد المسير" ٢/ ٢٨٠، و"البحر المحيط" ٣/ ٤٢٤، و"الدر المصون" ٤/ ١٩٦.

(٣) وهذا أيضا اختيار الطبري في "تفسيره" ٦/ ٧٣ وانظر: "زاد المسير" ٢/ ٢٨٠.

(٤) انظر: ا‌لطبري في "تفسيره" ٦/ ٧٢ - ٧٣، و"معاني الزجاج" ٢/ ١٤٥، و"زاد المسير" ٢/ ٢٨٠.

(٥) لعله أبو عاصم عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، ولد على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - ويعد من كبار التابعين، وكان قاص أهل مكة ومن العباد، وقد أجمع على توثيقه. مات رحمه الله قبل ابن عمر رضي الله عنه. انظر: "مشاهير علماء الأمصار" ١٣٤ (٥٩٢)، و"سير أعلام النبلاء" ٤/ ١٥٦، و"التقريب" ص ٣٧٧ (٤٣٨٦).

(٦) أخرجه عنهما الطبري في "تفسيره" ٦/ ٧٢ - ٧٣

(٧) انظر: الطبري في "تفسيره" ٦/ ٧٣ "معاني الزجاج" ٢/ ١٤٥، و"تهذيب اللغة" ٢/ ١٢٨٦ (ذكا).." [1]

"والجنان والجنين، المجن والجنن والمجن وهو المقبور، والجنة والجنة، كل هذا يعود أصله إلى الستر والاستتار، ويقال في مصدره: جن جنا وجنونا وجنانا (١).

ويروى بيت دريد (٢) بالوجهين:

ولولا جنون الليل أدرك ركضنا ... بذي الرمث والأرطى عياض بن ناشب (٣)

ويروى (٤): (جنان الليل). قال بعض النحويين: (﴿جن عليه الليل﴾ أي: أظلم عليه الليل (٥) ولهذا دخلت على، كما تقول في أظلم، فأما جنه فستره من غير تضمين معنى أظلم) (٦).

---

(١) انظر: المراجع السابقة. وقال الطبري في "تفسيره" ٧/ ٢٤٧: (المصدر من جن عليه: جنا وجنونا وجنانا، ومن أجن إجنانا ...) اهـ. وقال السمين في ٥/ ٨: (مصدره جن وجنان وجنون) اهـ.

(٢) دريد بن الصمة الجشمي من هوازن، شاعر جاهلي، تقدمت ترجمته.

(٣) "ديوانه" ص ٢٩، و"مجاز القرآن" ١/ ١٩٨، و"الأصمعيات" ص ١١٢، و"إصلاح المنطق" ص

---

[1] التفسير البسيط الواحدي ٧/٢٤٥

٢٩٥، و"الجمهرة" ١/ ٩٣، و"الأغاني" ١٠/ ١٦، و"المجمل" ١/ ١٧٥، و"مقاييس اللغة" ١/ ٤٢٢، و"اللسان" ٢/ ٧٠١، وهو لخفاف بن ندبة السلمي في "ديوانه" ص ١٣٠، و"الصحاح" ٥/ ٢٠٩٤.

والرمث والأرطى: نبتان معروفان، وذو الرمث: واد لبني أسد. يقول: لولا أن الليل سترنا لأدركنا عياض بن ناشب الفزاري بذلك المكان فقتلناه.

انظر: "تهذيب إصلاح المنطق" ٢/ ١٢٩، و"معجم البلدان" ٣/ ٦٨، و"اللسان" ٢/ ٧٠١ (جن).

(٤) ذكره أكثرهم، وهو في "الديوان" وأكثر المراجع، (ولولا جنان)، وهما بمعنى واحد، وفي "الأغاني": (ولولا سواد) بدل (جنان).

(٥) لفظ: (الليل) ساقط من (ش).

(٦) انظر: "الفريد" ٢/ ١٧٧.." [1]

"مجرى كان) (١).

وقال الزجاج: (يقال (٢): بات بياتا حسنا وبيتة حسنة والمصدر من الأصل بات بيتا وأصل تسمية البيت من أنه يصلح للمبيت) (٣).

وقد ذكر هذا الحرف (٤) في قوله تعالى: ﴿إذ يبيتون﴾ [النساء: ١٠٨] و ﴿بيت طائفة منهم﴾ [النساء: ٨١].

وقوله تعالى: ﴿أو هم قائلون﴾ (٥). قال الفراء: (وفيه واو مضمرة. المعنى: أهلكناها ﴿فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون﴾ فاستثقلوا (٦) نسقا على أثر نسق، ولو قيل كان صوابا).

قال ابن الأنباري: (أضمرت واو الحال لوضوح معناها؛ كما تقول العرب: لقيت عبد الله مسرعا أو (٧) هو يركض، ولا يضربنك ظالما أو (٨) أنت مظلوم، يريدون (أو وأنت) فيحذفون الواو عند أمنهم اللبس؛ لأن الذكر قد عاد على صاحب الحال، ومن أجل أن (أو) حرف عطف والواو كذلك استثقلوا جمعا بين حرفين من حروف العطف فحذفوا الثاني) (٩).

---

(١) "تهذيب اللغة" ١/ ٢٥٠.

(٢) لفظ: (يقال) ساقط من (أ).

(٣) "معاني الزجاج" ٢/ ٣١٧، وانظر "الزاهر" ١/ ٤٤٣.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٨/٢٤٠

(٤) انظر: "البسيط" نسخة جستربتي ٢/ ١٢ ب و ٢٢ ب.

(٥) في "معاني الفراء" ٤/ ٣٧٢: ﴿بياتا أو هم قائلون﴾.

(٦) لفظ: (فاستثقلوا) ساقط من (ب).

(٧) في (ب): (إذ هو)، وهو تحريف.

(٨) في (ب): (وأنت).

(٩) ذكره السمين في "الدر" ٥/ ٢٥٢.." [١]

"وقرأ ابن عامر: ﴿نشرا﴾ خفف الشين كما يقال: كتب ورسل، وقرأ حمزة والكسائي ﴿نشرا﴾؛ والنشر مصدر نشرت الشيء ضد طويته، ويراد بالمصدر هاهنا المفعول، والرياح كأنها كانت بانقطاعها كالمطوية فأرسلها الله تعالى منشورة بعد إنطوائها، فقوله: ﴿نشرا﴾ مصدر حال من الرياح، ويجوز أن يكون النشر هاهنا الذي هو الحياة من قولهم: أنشر الله الميت فنشر. قال الأعشى:

يا عجبا للميت الناشر (١)

فإذا حملته على ذلك -وهو الوجه- كان المصدر يراد به الفاعل، كما تقول: أتاني ركضا أي: راكضا، ويجوز أن يكون انتصاب قوله: ﴿نشرا﴾ انتصاب المصادر لا الحال من باب (صنع الله)؛ لأنه إذا قال: ﴿يرسل الرياح﴾ دل هذا الكلام على نشر الريح نشرا، وقرأ عاصم ﴿بشرا﴾ جمع بشيرا على (بشر) من قوله: ﴿يرسل الرياح مبشرات﴾ [الروم: ٤٦] أي: تبشر بالمطر والرحمة. قال الفراء: (النشر من الرياح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب) (٢). قال ابن الأنباري: (واحدها نشور، وأصل هذا من النشر

= ريش الجناح مما يلي الظهر، والأسحم: الأسود) اهـ. وانظر: شرحه في "شرح القصائد السبع" لابن الأنباري ص ٣٠٥.

(١) "ديوانه" ص ٩٣، و"مجاز القرآن" ٢/ ٧٠، و"الجمهرة" ٢/ ٧٣٤، و"الاشتقاق" ص ٢٤٢، و"تهذيب اللغة" ٤/ ٣٥٧٠، و"الصحاح" ٢/ ٨٢٨، و"الخصائص" ٣/ ٣٢٥، و"مقاييس اللغة" ٥/ ٤٣٠، و"اللسان" ٧/ ٤٤٢٣ (نشر)، و"الدر المصون" ٥/ ٣٤٧ وصدره: حتى يقول الناس مما رأوا. وفي "حاشية الديوان": (الناشر الذي بعث من قبره، والمعنى: وعندئذ يتعجب الناس مما يرون فيقولون: يا عجبا للميت

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٧/٩

الذي بعث من جديد) اهـ.

(٢) "معاني الفراء" ١/ ٣٨١.." [1]

"مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إلي فأتاني بصحيفة من ملك غسان فإذا فيها: أما بعد: فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك وأقصاك ولست بدار مضيعة ولا هوان، فالحق بنا نواسك، فقلت: هذا أيضا من البلاء والشر فسجرت التنور وأحرقتها فلما مضت أربعون ليلة إذا رسول من النبي صلى الله عليه وسلم أتاني فقال: اعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها؟ قال: لا ولكن لا تقربنها فجاءت امرأة هلال بن أمية فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضعيف فهل تأذن لي أن أخدمه؟ قال: نعم ولكن لا يقربنك، قالت: يا نبي الله والله ما به حركة لشيء ما زال مكبا يبكي الليل والنهار منذ كان من أمره ما كان، قال كعب: فلما طال علي البلاء اقتحمت على أبي قتادة حائطه وهو ابن عمي فسلمت عليه فلم يرد علي، فقلت: أنشدك الله يا أبا قتادة أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت عني حتى قلت ثلاثا.

قال أبو قتادة في الثالثة: الله ورسوله أعلم فلم أملك نفسي أن بكيت ثم اقتحمت من الحائط خارجا حتى مضت خمسون ليلة من حين نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فصليت على ظهر بيت لنا صلاة الفجر ثم جلست وأنا بالمنزلة التي قال الله تعالى: قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت وضاقت علينا أنفسنا إذ سمعت نداء من ذروة سلع أن أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وعلمت أن الله تعالى قد جاء بالفرج، ثم جاء رجل يركض على فرس يبشرني فكان الصوت أسرع من فرسه، فأعطيته ثوبي بشارة ولبست ثوبين آخرين، قال: وكانت توبتنا نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث الليل، فقالت أم سلمة: يا رسول الله ألا تبشر كعب بن مالك؟ فقال: إذن يحطمكم الناس ويمنعوكم النوم سائر الليل، فكانت أم سلمة محسنة في شأني تحزن لأمري، فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون وهو يستنير كاستنارة القمر، وكان إذا سر بالأمر استنار فجئت فجلست بين يديه فقال: أبشر يا كعب بن مالك بخير يوم أتى عليك منذ ولدتك أمك، فقلت: يا نبي الله أمن عند الله أم من عندك؟ قال: بل هو من عند الله ثم تلا عليهم ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ [التوبة: ١١٧] الآيات، وفينا أنزلت أيضا ﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة: ١١٩] فقلت: يا نبي الله إن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله عز وجل وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال: أمسك عليك بعض مالك فإنه خير لك، قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر قال: فما أنعم

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٨٧/٩

الله علي نعمة بعد الإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صدقته أنا وصاحباي، وألا نكون كذبنا فهلكنا كما هلكوا، وإني لأرجو أن لا يكون الله أبلى أحدا في الصدق مثل الذي أبلاني، ما تعمدت الكذبة بعد وأرجو أن يحفظني الله فيما بقي " قال الزهري: فهذا ما انتهى إلينا من حديث كعب بن مالك

وقوله: ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ [التوبة: ١١٨] قال المفسرون: ضيق الأرض عليهم بأن المؤمنين." (١)

"﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ [الأنبياء: ٧] أن الرسل بشر، وذلك أن اليهود والنصارى لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرا، وإن أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا الأمر بالسؤال للمشركين لأنهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم أقرب منهم إلى تصديق من آمن.

وما جعلناهم يعني الرسل، جسدا قال الزجاج: هو واحد ينبئ عن جماعة.

أي: وما جعلناهم ذوي أجساد، ﴿لا يأكلون الطعام﴾ [الأنبياء: ٨] وذلك أنهم قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام؟ فأعلموا أن الرسل جميعا كانوا يأكلون الطعام، ﴿وما كانوا خالدين﴾ [الأنبياء: ٨] يعني: يموتون كسائر البشر.

﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ [الأنبياء: ٩] أي: أنجزنا وعدهم الذي وعدناهم بإنجائهم وإهلاك من كذبهم، وهو قوله: فأنجيناهم أي: من العذاب، ومن نشاء قال ابن عباس: يعني الذين صدقوهم، وأهلكنا المسرفين قال: يريد المشركين، وهذا تخويف لكفار مكة.

ثم ذكر منته عليهم بالقرآن، فقال: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون ﴿١٠﴾ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين ﴿١١﴾ فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ﴿١٢﴾ لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون ﴿١٣﴾ قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين ﴿١٤﴾ فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ﴿١٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠-١٥] ﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ [الأنبياء: ١٠] يا معشر قريش، ﴿كتابا فيه ذكركم﴾ [الأنبياء: ١٠] قال: يريد فيه شرفكم، كقوله: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ [الزخرف: ٤٤] وذلك أنه كتاب عربي بلغة قريش.

وقال الحسن: فيه ذكركم، أي ما تحتاجون إليه من أمر دينكم.

أفلا تعقلون ما فضلتكم به على غيركم، أنزلتكم حرمي، وبعثت فيكم نبيي.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٢/٥٣٢

ثم خوفهم فقال: وكم قصمنا القصم: كسر الشيء ودقه.

قال مجاهد، والسدي: أهلكنا.

وقال الكلبي: عذبنا.

﴿من قرية كانت ظالمة﴾ [الأنبياء: ١١] أي: كافرة، يعني أهلها، وأنشأنا وأحدثنا وأوجدنا بعد إهلاك أهلها، ﴿قوما آخرين ﴿١١﴾ فلما أحسوا بأسنا﴾ [الأنبياء: ١١-١٢] رأوا عذابنا بحاسة البصر، ويجوز أن يكون المعنى: لما ذاقوا عذابنا، قال المفسرون: هؤلاء كانوا قوما كذبوا نبيهم، وقتلوه، فسلط الله عليهم بخت نصر حتى قتلهم، وسباهم، ونكل فيهم.

وعلى ما قالوا الآية مخصوصة، وإن وردت عامة، وقوله: ﴿إذا هم منها يركضون﴾ [الأنبياء: ١٢] أي: يفرون وينهزمون ويهربون، وأصله من ركض الرجل مركل الدابة برجليه، يقال: ركض الفرس إذ كده بساقيه.

لا تركضوا أي: قيل لهم: لا تركضوا، وذلك أنهم لما أخذتهم السيوف انهزموا مسرعين، فقالت لهم الملائكة بحيث سمعوا النداء: لا تركضوا ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم﴾ [الأنبياء: ١٣] أي: خولتم ونعمتم، وقال ابن قتيبة: إلى نعمكم التي أترفتم.

وقد بينا هذا عند قوله: ﴿أمرنا مترفيها﴾ [الإسراء: ١٦] ، وقوله: لعلكم تسألون أي: شيئا من دنياكم، والمعنى أن الملائكة استهزأت بهم،." (١)

"تبعة.

قال الزجاج: قوله: بغير حساب أي: بغير جزاء، يعني: أعطيناك تفضلا لا مجازاة.

ثم أخبره بمنزلته في الآخرة، فقال: ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ [ص: ٤٠] .

﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب ﴿٤١﴾ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴿٤٢﴾ ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب ﴿٤٣﴾ وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب ﴿٤٤﴾ ﴾ [ص: ٤١-٤٤] قوله: ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ [ص: ٤١] النصب والنصب كالحزن والحزن، والعدم والعدم، وهو الضر والمكروه والشدة، يعني ما ابتلاه الله به حين سلط عليه الشيطان، قاله ابن عباس.

قال قتادة: بضر في الجسد وعذاب في المال.

وقال السدي: النصب ما أنصب الجسد، والعذاب أهلك المال.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣/٢٣١

ثم فرج الله عنه، وهو قوله: اركض برجلك أي: قلنا له اركض برجلك، قال ابن عباس: اضرب الأرض برجلك، فركض فنبعت بركضته عين ماء.

وهو قوله: هذا مغتسل وهو ما اغتسل به من الماء، بارد وشراب شرب منه، قال مقاتل: انفجرت له عين فاغتسل منها، فخرج منها صحيحا، ثم مشى أربعين خطوة فدفع الأرض برجله الأخرى فنبعت عين أخرى ماء عذبا باردا، فذلك قوله: ﴿هذا مغتسل بارد﴾ [ص: ٤٢] يعني الذي اغتسل فيه، وشراب." (١)

"أراد الذي شرب منه.

وقال الحسن ركض ركضة أخرى فإذا عين تنبع حتى غمرته، فرد الله إليه جسده، فركض ركضة أخرى فإذا عين أخرى فشرب منها فطهرت جوفه، وغسلت كل قذر كان فيه.

وما بعد هذا مفسر في ﴿ [الأنبياء إلى قوله:] وخذ بيدك ضغثا﴾ [سورة ص: ٤٤] وهو ملء الكف من الشجر والحشيش والشماريخ، وكان حلف ليجلدن امرأته مائة جلدة.

قال سعيد بن المسيب: اتهمها أنها قارفت شيئا من الخيانة، لأنها أتته يوما بزيادة على ما كانت تأتي به من الخبز.

وقال قتادة: عرض لها إبليس وأراد أن تحمل زوجها على شيء، فقالت لأيوب: لو تقربت إلى الشيطان بشيء فذبحت له عناقا.

فحلف أيوب لئن شفاه الله ليجلدنها مائة جلدة، فأمر أن يأخذ عيدانا رطبة من تمام مائة عود، فيضرب به كما أمره الله تعالى، وهو قوله: ﴿فاضرب به ولا تحنث﴾ [ص: ٤٤] فكان ذلك تحلة ليمينه، وتخفيفا عن امرأته، ثم أثنى على أيوب، فقال: ﴿إنا وجدناه صابرا﴾ [ص: ٤٤] أي: على البلاء الذي ابتليناه به، نعم العبد هو، إنه أواب رجاع إلى ما يحب الله من طاعته.

قوله: ﴿.﴾" (٢)

"ثم هو أربعة أنواع (١):

النوع الأول: تلبيس على الأفهام (٢)، وهو اللحن المذموم، والمعاريض المذمومة، قال الله تعالى في المنافقين: ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ [محمد:٣٠]، وقال صلى الله عليه وسلم: (إن من البيان لسحرا (٣)، وكذلك (٤) ذم المتفيهقين (٥) المتشدقين.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣/٥٥٧

(٢) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣/٥٥٨

والنوع الثاني: تلبيس على الإحساس بالنيرنجات والتمويهات قال الله تعالى: ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ [طه:٦٦] (٦).

والنوع الثالث: تأثير في الأجساد بالفساد، وهو بالطب أو بمطاوعة (٧) الجن، (٢٥ ظ) قال الشاعر (٨): [من الوافر]

وإنك لا تبالي بعد حول (٩) ... أسحرا كان طبك أم جنونا

وفي حديث بئر أروان (١٠) قال أحد الملكين: طب الرجل، فقال آخر: من طبه؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودي (١١). ومما يختص به من علم الأطباء علم الخواص. وكذلك الجني يمس فيضر (١٢) بالنفس في طاعة وليه من الإنس، كما قال صلى الله عليه وسلم في الطاعون: (هو وخز أعدائكم من الجن) (١٣)، وقال في دم الاستحاضة: (هو (١٤) ركضة من الشيطان) (١٥). فهذه الأنواع الثلاثة مما يجوز أن

---

(١) ذكر الفخر الرازي ثمانية أنواع للسحر في التفسير الكبير ٣/ ٢٠٦ - ٢١٣.

(٢) في ب: الإبهام، وهو تحريف.

(٣) الموطأ ٢/ ٩٨٦، وصحيح البخاري ٥/ ١٩٧٦ و ٢١٧٦، ومسند الشهاب ٢/ ٩٨.

(٤) في ك: ولذلك.

(٥) في ب: التفيقهين. ينظر: الأدب المفرد ٤٤٣، والتواضع والخمول ٢٢٦، وشعب الإيمان ٤/ ٢٥٠ - ٢٥١. والمتفيهق: الذي يتوسع في كلامه ويملأ به فاه، وهذا من التكبر والرعونة، ينظر: غريب الحديث لابن سلام ١/ ١٠٦، والفائق في غريب الحديث ٤/ ٦٨.

(٦) ينظر: المحلى ١/ ٣٦، وتفسير البغوي ١/ ٩٩، وكشاف القناع ٦/ ٢٣٦.

(٧) بعدها في ب: أو بمطاعة، وهي مقحمة. وينظر: البحر المحيط ١/ ٤٩٦.

(٨) لم أقف على هذا البيت. ويروى صدره مع عجز مختلف وهو: أظبي كان أمك أم حمار، وهذا بلا عزو في الجمل في النحو ١٤٧، وشرح الكافية في النحو ٣/ ٢٣٥. وقريب منه قول أبي قيس صيفي بن الأسلت الأنصاري في ديوانه ٩١: ألا من مبلغ حسان عني أسحر كان طبك أم جنون.

(٩) في ب: تحول، وبعدها في ك وب: أسحر، بدل (أسحرا).

(١٠) في ب: ارزان. وبئر أروان، أو بئر ذي أروان: بئر لبني زريق بالمدينة حيث دفن السحر الذي أصيب به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينظر: شرح سنن ابن ماجه ٢٥٣.

(١١) ينظر: مسند أحمد ٦/ ٥٧ و ٩٦، وصحيح البخاري ٥/ ٢١٧٦، ومسلم ٤/ ١٧٢٠. وطب الرجل: سحر، ورجل مطبوب: مسحور، ينظر: لسان العرب ١/ ٥٥٤ (طبب)، وفتح الباري ١٠/ ٢٢٨.

(١٢) في ك: فيصر.

(١٣) ينظر: نوادر الأصول ٤/ ٢٣٠، ومسند البزار ٨/ ١٦ و ١٨ و ٩٢، وشرح الزرقاني ٤/ ٢٩٤.

(١٤) ليس في ب.

(١٥) ينظر: تأويل مختلف الحديث ٣٢٨، والآحاد والمثاني ٦/ ١٢، وسنن الدارقطني ١/ ٢٢٢. والركضة: الدفعة.." [١]

"بالأرض التي نعرف (١)، وكنت أقوى أصحابي فكنت أخرج وأطوف بالسوق وإلى المسجد وأدخل فآتي النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه فأقول: هل حرك شفتيه (٢) بالسلام، فإذا قمت أصلي إلى سارية فأقبلت قبل صلاتي نظر إلي بمؤخر عينه (٣) فإذا نظرت إليه أعرض عني، واستكان صاحباي فجعلا يبكيان الليل والنهار ولا يطلعان (١٥١ ظ) رؤوسهما. قال: فبينا أنا أطوف بالسوق وإذا رجل نصراني جاء بطعام له يبيعه يقول: من يدل على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له إلي، فأتاني بصحيفة من ملك غسان فإذا فيها: أما بعد فإنه بلغني أن صاحبك قد جفاك وأقصاك ولست بدار مضيعة ولا هوان فالحق بنا نواسك، فقلت: هو أيضا من البلاء والشر، فسجرت لها التنور فأحرقتها. فلما مضت أربعون (٤) ليلة إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أتاني فقال: اعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها؟ قال: لا ولكن لا تقربها، فجاءت امرأة هلال فقالت:

يا نبي الله إن هلال بن أمية شيخ ضعيف هل تأذن لي أخدمه؟ قال: نعم ولكن لا يقربنك، فقالت: يا نبي الله (٥) والله ما به حركة لشيء ما زال مكبا يبكي الليل والنهار مذ كان من أمره ما كان. قال (٦) كعب: فلما طال علي البلاء اقتحمت على أبي قتادة حائطه، وهو ابن عمي، فسلمت عليه فلم يرد علي، فقلت: أنشدك الله يا أبا قتادة أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت حتى قلتها ثلاثا، فقال أبو قتادة في الثالثة: الله ورسوله أعلم، فلم أملك نفسي أن بكيت، ثم اقتحمت الحائط خارجا. حتى إذا مضت خمسون ليلة من حيث نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامنا صليت على ظهر بيت لنا صلاة (٧) الفجر، ثم جلست وأنا في المنزلة التي قال الله: قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت وضاقت علينا أنفسنا، إذ سمعت نداء من ذروة سلع أن أبشر يا كعب بن مالك، فخررت ساجدا وعلمت أن الله قد جاءنا بالفرج، ثم جاء

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢١١/١

رجل يركض على فرس يبشرني، فكان الصوت أسرع من فرسه، فأعطيته ثوبي بشارة ولبست ثوبين آخرين. قال:

وكانت توبتي نزلت ثلث الليل على النبي (٨) صلى الله عليه وسلم فقالت أم سلمة: يا رسول الله ألا نبشر كعب ابن مالك؟ قال: إذا يحطمكم الناس ويمنعونكم (٩) النوم سائر الليل، وكانت أم سلمة محسنة في

---

(١) (وتنكرت لنا الأرض. . . نعرف) ساقطة من ب.

(٢) في ب: شفته.

(٣) في ب: عينيه.

(٤) في ب: أربعين، وهو خطأ.

(٥) (الله إن هلال. . . يا نبي الله) ليس في ب.

(٦) في ب: قبل.

(٧) ساقطة من ع وب.

(٨) (على النبي) ليس في ب.

(٩) في ك: ويمنعوكم.." (١)

"تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارضنا وارض عنا»، ثم قال: «أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة»، ثم قرأ: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ (١) [المؤمنون:١] حتى ختم عشر آيات» (١).

ثانيا-فضائل السور: ومن الأمثلة عليه:

١ - ما جاء في آخر سورة الكهف: «قال البراء بن عازب: بينما رجل يقرأ سورة الكهف إذا رأى دابته تركض، فنظر فإذا مثل الغمامة أو السحابة، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، فقال عليه السلام: «تلك السكينة نزلت مع القرآن، أو نزلت على القرآن»» (٢).

٢ - ونجده يذكر في كثير من السور حديث أبي بن كعب في فضل القرآن الكريم سورة سورة، ففي آخر سورة مريم يقول: عن أبي بن كعب، عنه عليه السلام: «من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ١/٨٠٥

كذب زكريا، وصدق به، ويحيى وعيسى وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون وإدريس، وبعدد من دعا لله ولدا، لا إله إلا الله، وبعدد من لم يدع لله ولدا» (٣). وهذا حديث موضوع باتفاق العلماء كما ذكرنا قول ابن تيمية في صدر هذا المبحث، وفي تخريج الحديث في موضعه هناك.

٣ - وكذلك مطلع سورة طه، فيذكر حديثا في فضل سورة طه وسورة يس ما نصه: «عن أبي هريرة، عنه عليه السلام: «أن الله تبارك وتعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألفي سنة، فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبى لأمة ينزل هذا عليها، وطوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لألسن تتكلم بهذا»» (٤). وهو حديث موضوع. وكذلك يذكر قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في سورة النور، فيقول: «عن أبي عطية قال: كتب عمر: علموا نساءكم سورة النور» (٥).

المطلب السادس

القراءات القرآنية

القراءات: جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر سماعي لقرأ. (٦) وتدل في أصل معناها على الجمع والضم. (٧)

أما في الاصطلاح: فقد عرفه ابن الجزري (٨) بأنها: «علم بكيفية أداء كلمات القرآن

---

(١) درج الدرر ٣١٧.

(٢) درج الدرر ٢١٦.

(٣) درج الدرر ٢٤٣، وقد ذكر أجزاء من هذا الحديث في مواضع مختلفة ينظر:٢٩٦ و ٣٢٨ و ٣٧٥ وغيرها.

(٤) درج الدرر ٢٤٤.

(٥) درج الدرر ٣٢٩.

(٦) مناهل العرفان ١/ ٣٦٤.

(٧) ينظر: معجم مقاييس اللغة ٥/ ٧٩، ولسان العرب ١/ ١٢٨.

(٨) ينظر: منجد المقرئيين ٩.." [1]

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٥٧/٢

"وعن أبي (١) سعد بن أبي فضالة (٢٠٥ ظ) الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا جمع الناس يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد (٢): من كان أشرك في عمل عمله لله أحدا، فليطلب ثوابه عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشريك». (٣)
قال البراء بن عازب (٤): بينما رجل يقرأ سورة الكهف إذا رأى دابته تركض، فنظر فإذا مثل الغمامة أو السحابة (٥)، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، فقال عليه السلام: «تلك السكينة نزلت مع القرآن، أو نزلت على القرآن». (٦) وعن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه أوحي إلي من قال: ﴿فمن (٧)﴾ كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا كان له نور من عدن أبين (٨) إلى مكة حشوه الملائكة». (٩)

---

(١) ساقطة من ع. وأبو سعد بن أبي فضالة الأنصاري الحارثي، له صحبة، توفي سنة ٩١ هـ. ينظر: الطبقات الكبرى ٥/ ٤٥٣، والاستيعاب ٤/ ١٦٦٨، وتهذيب الكمال ٣٣/ ٣٤٣.

(٢) الأصل وك: منادي.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٦٦، والترمذي في السنن (٣١٥٤) وقال: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه مثل هذا، وابن ماجه السنن (٤٢٠٣)، والدولابي في الكنى ١/ ٣٥.

(٤) أبو عمارة البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري الأوسي الحارثي المدني، الفقيه الكبير، توفي سنة ٧١ هـ. ينظر: الطبقات الكبرى ٤/ ٢٦٤، ومعجم الصحابة ١/ ٨٦، تهذيب الأسماء ١/ ١٤١.

(٥) ع: السحابة أو الغمامة.

(٦) أخرجه البخاري في الصحيح (٤٧٢٤)، ومسلم في الصحيح (٧٩٥)، والطبراني في الأوسط (١٨٠)، والطيالسي في المسند ١/ ٩٧ (٧١٤).

(٧) الأصول المخطوطة: من.

(٨) ساقطة من ع.

(٩) أخرجه البزار في مسنده ١/ ٤٢١، وينظر: الترغيب والترهيب ٢/ ٢٩٤، ومجمع الزوائد ١٠/ ١٢٦.." (١)

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والس و ر ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢/٢٦٢

"بالغد، وقال: إن ربي قتل ربكما الليلة، فسألاه شرح القصة، فقال: قد سلط الله عليه ابنه شيرويه فقتله، وذلك لتسع ساعات مضت من الليل. وقيل: وكانت تلك الليلة ليلة الثلاثاء لعشر خلون من جمادى الأولى، قال: فدهشا، وسقط في أيديهما، ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم:

انصرفا إلى باذان، فأعلماه هذا، وقولا له: إن أسلمت قررتك على ولايتك، وخلع على بابويه بردة فاخرة، وأعطى خورخسرة منطقة أهداها إليه المقوقس، فرجعا إليه، وأخبرا باذان بالقصة، وقال بابويه: ما هبت شيئا من الخلق هيبة هذا الرجل، فلم يثبت باذان إلا قليلا أن بلغه كتاب شيرويه، يخبره بالخبر، ويوعز إليه أن لا يتعرض لرسول الله إلى أن يأتيه مقال جديد. (١)

وكما كاتب رسول الله هؤلاء الملوك، كاتب ملوك الهند والصين.

١٠ - ﴿فيه ذكركم:﴾ قال مجاهد: حديثكم. (٢) وقيل: تذكيركم وذكراكم. (٣) وقيل: صيرورتكم مذكورين في الغابرين، فإنه لولا القرآن لم يذكروا بخير ولا شر في الأمم في أقطار الأرض، وبهذا فسر بشر.

١١ - ﴿وكم قصمنا:﴾ أهلكنا، والقصم: أن ينكسر الشيء (٤) فيبين، ومنه يقال: أقصمت الثنية.

١٢ - ﴿يركضون:﴾ يعدون ويسيرون هربا، وليس هذا بوصف قرية واحدة، لقوله: ﴿وكم قصمنا من قرية﴾ [الأنبياء:١١]، ولكن ابن عباس ذكر خبرا موافقا لهذا الوصف. روى الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، أنه قال: إن قرية من قرى اليمن يقال لها (٥): حضورا (٦)، أرسل إليهم، فكذبوه، ثم قتلوه، فسلط الله عليهم بختنصر عبدا من عباده ومع جنوده، فقيل له: اغز أرضا يقال له: عربايا، يعني العرب، الذي ليست لبيوتهم أبواب، ولا (٧) أغلاق، فلا تدع شيئا ممن له روح من طير أو سبع ولا غيره إلا قتلته، فغزاهم بالجنود، فلما بلغهم مسير بختنصر وأصحابه، خرجوا إليهم، فكتبوا له الكتائب، فقاتلهم قتالا شديدا حتى حولوه عن منزله، ثم كتب الكتائب، فأتوهم من بين أيديهم ومن خلفهم، فهزمهم الله، واتبعهم بختنصر بالجنود ليقتلهم، فمروا على دورهم منهزمين، وفيها أهلوهم وذراريهم، فلم يلووا على شيء من

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى ١/ ٢٩٥، وتاريخ دمشق ٢٧/ ٣٥٧.

(٢) ينظر: تفسير مجاهد ٤٠٧.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٨٥، وزاد المسير ٣/ ٣٨٥.

(٤) ساقطة من أ.

(٥) الأصول المخطوطة: له.

(٦) حضور: بالفتح ثم الضم وسكون الواو وراء: بلدة باليمن، سميت بحضور بن عدي بن مالك. ينظر: معجم ما استعجم ١/ ٤٤٥، ومعجم البلدان ٢/ ٢٧٢.

(٧) ع: أو.." [١]

"أمرهم، فردتهم الملائكة إلى دورهم، فرجعوا إليها، ودخل عليهم بختنصر وأصحابه، فجعلوا يقتلونهم وهم يقولون: يا لثارات فلان، يا لثارات فلان، ولا يسمون النبي الذي قتلوه (٢١٨ و) فلما رأوا أن الصوت لا يسكت عنهم، وهم يقتلونهم، عرفوا (١) أن الله هو سلطهم عليهم بقتلهم النبي الذي بعثه إليه، فقالوا: يا ولينا إنا كنا ظالمين بقتل النبي. (٢)

١٥ - يقول الله عز وجل: ﴿فما زالت تلك﴾ يعني: الكلمة.

﴿دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين:﴾ فلم يبق منهم عين تطرف من ذكر أو أنثى، ولا صغير ولا كبير، ولا دابة ولا طير. وذكر شيخنا: أن اسم هذا النبي ويغم. وذكر الخرداد بهمن: أن اسمه شعيب بن مهدم بن أبي مهدم بن حضور، قال: وحضور بطن من حمير، قال: فلما قتلوه أوحى الله تعالى إلى نبي اسمه برخيا من سبط يهودا بن يعقوب عليهما السلام: أن ائت بختنصر فمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب، فتقتل مقاتلتهم، وتستبيح أموالهم، فأقبل (٣) برخيا من حران إلى بابل، فأخبر بختنصر الخبر، فتوجه لذلك، فأنزل من يلقي مستأمنا الأبيات، ثم أتاهم بختنصر، وهتف بهم هاتف [من الطويل]:

سيغلب قوم غالبوا الله جهرة ... وإن كايدوه كان أقوى وأكيدا

كذاك يضل الله من كان من قلبه (٤) ... مريضا ومن والى النفاق وألحدا (٥)

وهربوا يركضون، فحصدوا أجمعين. (٦)

١٥ - وقوله: ﴿حصيدا﴾ أي: شيئا حصيدا.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢/٣٠٤

و (الخمود): الجمود والانطفاء.

١٦ - ﴿وما خلقنا السماء والأرض:﴾ اتصالها من حيث ذكر الوبال ينافي العبث والخبال.

١٧ - ﴿أن نتخذ لهوا:﴾ قال ابن عباس: ولدا بلغة حضرموت. (٧) وقيل: صاحبة. (٨)

---

(١) ع: سلطه.

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٤٧، والدر المنثور ٥/ ٤٤، وتفسير السمعاني ٣/ ٣٧١، واللباب في علوم الكتاب ١٣/ ٤٥٦ من غير نسبة.

(٣) (من سلط يهودا. . . فأقبل) ساقطة من ع.

(٤) ع: من كان قبله.

(٥) والقائل أعشى همدان، تاريخ الطبري ٣/ ٥٠١. .

(٦) ينظر: فتح القدير ٣/ ٢٥٧.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة ٤/ ٣٣٠٥ من غير أن ينسبه لابن عباس، ونسبه لأهل التفسير، وزاد المسير ٥/ ٢٥٣.

(٨) ينظر: تفسير الطبري ٩/ ١١ عن مجاهد وقتادة، والدر المنثور ٥/ ٥٤٥ وزاد المسير ٥/ ٢٥٣ عن الحسن وقتادة.." (١)

"عبادته وشكره هي (١) النعمة الظاهرة، فلو انتزعت منه لكفر بالله عز وجل، وأحب الله أن يبتلي عبده باستلاب النعمة الظاهرة ليجليه في حلية البؤس والفقر، كما جلاه في حلية الثروة والغنى، ليظهر فساد اعتقاد عدوه، فسلطه الله على أمواله وأهله حتى أهلك الحرث والنسل شيئا بعد شيء، ثم سلطه على جسده، فمسه ونفخ فيه، فمن شؤمه انفتح جسد أيوب عليه السلام، وخرج منه الجدري، ثم تدودت قروحه بعد ذلك من داخل وخارج، ولم يسلم منه إلا قلبه ولسانه ودماغه، ولبث في ذلك البلاء (٢) سبع سنين، وكل ذلك من جهة إبليس بإذن الله وتخليته، وأيوب عليه السلام في (٣) ذلك صابر شاكر بإذن الله ولطفه وحسن توفيقه، وكان لم يبق معه أحد من أصحابه وخوله إلا امرأته، كانت تطوف على أبواب الناس وتسأل،

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢/٣٠٥

فبعضهم ينهرها، وبعضهم يتصدق عليها، فتجيء وتنفق عليه، فتراءى لها إبليس لعنه الله في صورة آدمي شاب صبيح مليح، وقال لها: أيتها المرأة، أنت امرأة من أولاد الأنبياء، فما بالك تحت رجل من الأشقياء، قد قلاه الله وابتلاه، (٢٢٣ ظ) قالت: بل هو نبي الله وصفيه، لست بمؤثرة عليه أحدا أبدا، ثم جاءت فذكرت ذلك لأيوب، فقال أيوب: إنما ذلك الشيطان فلا تكلميه، ولا تجيبيه بشيء، ثم تراءى لها بعد ذلك، وكلمها بمثل كلامه (٤) الأول، وأجابته بمثل جوابها الأول، فأخبرت بذلك أيوب، فقال: إنما ذلك الشيطان فلا تكلميه، ولا تجيبيه بشيء، ثم تراءى لها بعد ذلك وكلمها، وأجابته كذلك، وأخبرت بذلك أيوب، فقال: أما قلت لك مرة بعد مرة: إنه الشيطان لا تكلميه، ولا تجيبيه، وحلف (٥) بالله تعالى أن يضربها (٦) مئة جلدة إن شفاه الله تعالى. وعن ابن عباس قال: قال أيوب عليه السلام: كان الركض (٧) برجلي أشد علي من البلاء الذي كنت فيه، فأتاه جبريل عليه السلام وقال: ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ [ص:٤٢]، ففعل، ففجرت له عين، فاغتسل منها، فصح جسده، ثم قيل له: اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، ففجرت له عين (٨)، فشرب فالتأم ما في جوفه، وبرئ قدمه.

---

(١) ك: وهي.

(٢) ك: البلاغ.

(٣) ساقطة من أ.

(٤) الأصل وأ: كلام.

(٥) ع: تحلف.

(٦) بياض في أ.

(٧) ك: الراكض.

(٨) (فاغتسل منها. . . ففجرت له عين) ساقطة من ع وأ.." [1]

"سورة النازعات

مكية. (١)

وهي خمس وأربعون آية في غير عدد أهل الكوفة. (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢/٣٢٠

١ - ﴿والنازعات غرقا:﴾ هم الملائكة (٣) الذين ينزعون الأرواح من الأشباح بإذن الله مدا شديدا كإغراق النشاب في القوس، (٤) وإغراقا للنفس في ريقها عند ما يغرغر الإنسان.

٢ - ﴿والناشطات:﴾ هم الملائكة يعقدون على أطراف من حضره الموت مثل العقد على الذبيحة لئلا تضطرب، تقول: نشطت: إذا عقدت، وأنشطت: إذا حللت. (٥) والذين يقشرون الروح قشرا، تقول: نشطت الشيء إذا قشرته (٦).

٣ - ﴿والسابحات:﴾ هم الملائكة كانوا يسبحون في الهواء إلى السماء بروح الميت، والأنفس تسبح في الأشباح إلى أن تنزع.

٤ - و (السابقات): هي الأنفس (٧)، أو الملائكة (٨).

٥ - و (المدبرات): هي الأنفس المدبرة بغير ما قدر الله عليها، والملائكة الذين يدبرون بأمر الله (٩).
وقيل: (النازعات): الرماة (١٠) الغزاة (١١) نزعوا القسي، فاغرقوا النشاب فيها نشاطهم، أو نشاط خيلهم، و (السابحات): هي الخيل التي كأنها تسبح عند الركض، (١٢) و (السابقات): في

---

(١) تفسير الماوردي ٤/ ٣٩٠، وزاد المسير ٨/ ١٩١، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٩٠، والدر المنثور ٨/ ٣٧٠ عن ابن عباس،
(٢) وعدد آيها عند أهل الكوفة ست أربعون آية. البيان في عد آي القرآن ٢٦٣، وفنون الأفنان ٣١٩، وجمال القراء ٢/ ٥٥٤، وإتحاف فضلاء البشر ٥٧٠.
(٣) تفسير الطبري ١٢/ ٤٢٠ عن ابن عباس ومسروق، وزاد المسير ٨/ ١٩١ عن علي وابن مسعود، والدر المنثور ٨/ ٣٧٠ عن علي.
(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٣٠، وتفسير غريب القرآن ٥١٢، ومجمع البيان ١٠/ ١٩٩.
(٥) ينظر: لسان العرب ٧/ ٤١٤، والقاموس المحيط ١/ ٨٩٠.
(٦) ينظر: لسان العرب ٧/ ٤١٥.

(٧) زاد المسير ٨/ ١٩٣ عن ابن مسعود.

(٨) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٣٠، وتفسير الطبري ١٢/ ٤٢٤ عن مجاهد، وزاد المسير ٨/ ١٩٣ عن علي ومسروق.

(٩) ينظر: تفسير الطبري ١٢/ ٤٢٤، ومجمع البيان ١٠/ ٢٠٠.

(١٠) الأصل وك وع: رماة، وأ: النازعا رباه، والتصويب من كتب التخريج.

(١١) تفسير الثعلبي ١٠/ ١٢٢، وتفسير البغوي ٨/ ٣٢٣، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٩١.

(١٢) ينظر: تفسير السمعاني ٦/ ١٤٦، ولسان العرب ٢/ ٤٧١.." [1]

"صلى الله عليه وسلم فذكروا له قتل عبد الله بن سهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تحلفون خمسين يمينا وتستحقون دم صاحبكم أو قاتلكم" فقالوا يا رسول الله لم نشهد ولم نحضر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فتبرئكم يهود بخمسين يمينا" فقالوا يا رسول الله كيف نقبل أيمان قوم كفار؟ فعزم النبي صلى الله عليه وسلم عقله من عنده (١) [وفي لفظ آخر فزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم عقله من عنده] (٢) قال بشير بن يسار: قال سهل لقد ركضتني فريضة من تلك الفرائض في مربد لنا، وفي رواية: لقد ركضتني ناقة حمراء من تلك الفرائض في مربد لنا" أخرجه مسلم عن محمد بن المثنى عن عبد الوهاب. (٣) .

وجه الدليل من الخبر: أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بأيمان المدعين لتقوي جانبهم باللوث، وهو أن عبد الله بن سهل وجد قتيلا في خيبر، وكانت العداوة ظاهرة بين الأنصار وأهل خيبر، وكان يغلب على القلب أنهم قتلوه، واليمين أبدا تكون حجة لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث يقوى جانب المدعى عليه من حيث أن الأصل براءة ذمته وكان القول قوله مع يمينه.

﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون (٧٤) ﴾

قوله تعالى ﴿ثم قست قلوبكم﴾ يبست وجفت، جفاف القلب: خروج الرحمة واللين عنه، وقيل: غلظت، وقيل: اسودت، ﴿من بعد ذلك﴾ بعد ظهور الدلالات. قال الكلبي: قالوا بعد ذلك: نحن لم نقتله، فلم يكونوا قط أعمى قلبا ولا أشد تكذيبا لنبيهم منهم عند ذلك ﴿فهي﴾ أي في الغلظة والشدة ﴿كالحجارة أو أشد قسوة﴾ قيل: أو بمعنى بل وقيل: بمعنى الواو كقوله تعالى: "مائة ألف أو يزيدون" (١٤٧-الصافات)

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٦٨٦/٢

أي: بل يزيدون أو ويزيدون، وإنما لم يشبهها بالحديد مع أنه أصلب من الحجارة، لأن الحديد قابل للين فإنه يلين بالنار، وقد لان لداود عليه السلام، والحجارة لا تلين قط، ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال: ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار﴾ قيل: أراد به (جميع) (٤) الحجارة، وقيل: أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى للأسباط ﴿وإن منها لما يشقق فيخرج منه

---

(١) رواه البخاري: في الجزية والموادعة - باب: الموادعة والمصالحة مع المشركين بالمال وغيره: ٦ / ٢٧٥. ومسلم: في القسامة والمحاربين والقصاص والديات - باب القسامة برقم (١٦٦٩) ٣ / ١٢٩١. والمصنف في شرح السنة: ١٠ / ٢١١ وما بعدها دون زيادة فعزم النبي صلى الله عليه وسلم عقله من عنده.

(٢) زيادة من (ب) .

(٣) وأخرجه مسلم من طرق أخرى عن يحيى بن سعيد في القسامة والمحاربين ٣ / ١٢٩٢.

(٤) زيادة من (ب) .." (١)

"شرطت علي صداقا وليس لي شيء فقال لا أكلفك إلا ما تطيق أنت رجل جريء وفي حيالنا أعداء لنا غلف (١) فإذا قتلت منهم مائتي رجل وجئتني بغلفهم زوجتك ابنتي فأتاهم فجعل كلما قتل واحدا منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم غلفهم فجاء بها إلى طالوت فألقى إليه وقال ادفع إلي امرأتي فزوجه ابنته وأجرى خاتمه في ملكه، فمال الناس إلى داود وأحبوه وأكثروا ذكره، فحسده طالوت وأراد قتله فأخبر ذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين فقالت لداود إنك مقتول في هذه الليلة قال: ومن يقتلني؟ قالت أبي ٤٣/ب قال وهل أجرمت جرما قالت: حدثني من لا يكذب ولا عليك أن تغيب هذه الليلة حتى تنظر مصداق ذلك، فقال: لئن كان أراد الله ذلك لا أستطيع خروجا ولكن ائتيني بزق (٢) خمر فأتت به فوضعه في مضجعه على السرير وسجاه (٣) ودخل تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لها: أين بعلك؟ فقالت: هو نائم على السرير فضربه بالسيف ضربة فسال الخمر فلما وجد ريح الشراب قال: يرحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر، وخرج.

فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئا فقال: إن رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق أن لا يدعني حتى يدرك مني ثأره فاشتد حجابه وحراسه وأغلق دونه أبوابه، ثم إن داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون فأعمى الله سبحانه

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١/١١٠

الحجبة وفتح له الأبواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه، فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج، فلما استيقظ طالوت بصر بالسهام فعرفها فقال: يرحم الله تعالى داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه، فلما كانت القابلة أتاه ثانيا وأعمى الله الحجاب فدخل عليه وهو نائم فأخذ إبريق طالوت الذي كان يتوضأ منه وكوزه الذي كان يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئا من هدب ثيابه، ثم خرج وهرب وتوارى، فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه، ثم إن طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي في البرية فقال: اليوم أقتله فركض على أثره، فاشتد داود وكان إذا فزع لم يدرك، فدخل غارا فأوحى الله تعالى إلى العنكبوت فنسج عليه بيتا فلما انتهى طالوت إلى الغار ونظر إلى بناء العنكبوت قال: لو كان دخل هاهنا لخرق بناء العنكبوت فتركه ومضى، فانطلق داود وأتى الجبل مع المتعبدين فتعبد فيه فطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود إلا قتله، وأغرى بقتل العلماء فلم يكن يقدر على عالم في بني إسرائيل يطيق قتله إلا قتله، حتى أتي بامرأة تعلم اسم الله الأعظم فأمر خبازه بقتلها فرحمها

---

(١) جمع أغلف، وهو الذي لم يختتن.

(٢) الزق: (بكسر الزاي) جلد شاة يسلخ من رجل واحدة، ومن قبل رأسه وعنقه، ثم يعالج حتى يكون سقاء، وكانوا أكثر ما يتخذونه للخمر.

(٣) غطاه ومد عليه ثوبا.." [١]

"وروى شعبة عن أبي إسحاق قال: قال البراء: إن هوازن كانوا قوما رماة، وإنا لما لقيناهم حملنا عليهم، فانهزموا، فأقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهام، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر.

قال الكلبي: كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس.

وقال آخرون: لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ غير: العباس بن عبد المطلب، وأبي سفيان بن الحارث، وأيمن بن أم أيمن، فقتل يومئذ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ١٥٤/ب حدثنا مسلم بن الحجاج، قال: حدثنا أبو طاهر، أحمد بن عمرو

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ١/٣٠٥

بن سرح، حدثنا أبو وهب، أخبرنا يونس عن ابن شهاب، قال: حدثني كثير بن عباس بن عبد المطلب قال: قال عباس: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار، وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عباس: ناد أصحاب السمرة، فقال عباس - وكان رجلا صيتا-فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال: هذا حين حمي الوطيس (١) ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: انهزموا ورب محمد، فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا (٢) .

وقال سلمة بن الأكوع: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال "شاهت الوجوه"، فما خلق

---

(١) لم تسمع هذه الكلمة إلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم. والوطيس: حفرة تحتفر تحت الأرض، فتوقد فيها النار، ويصغر رأسها، ويخرق فيها خرق للدخان، ثم يوضع فيها اللحم ويسد، ثم يؤتى من الغد واللحم غاب لم يحترق. ولحمها شواء. وهي مجاز في شدة الحرب.

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، برقم (١٧٧٥ : ٣ / ١٣٩٨-١٣٩٩، والمصنف في شرح السنة: ١٤ / ٣١-٣٢.." (١)

"الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم،

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٤/ ٢٧

فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟. ثم أصلي قريبا منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام، فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فعدت فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار.

قال: فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له نحوي، حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان فقرأته فإذا فيه: أما بعد: فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، فقلت لما قرأته: وهذا أيضا من البلاء، فتيممت به التنور فسجرته.

حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ فقال: لا بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك، فقلت لامرأتي الحقي بأهلك وكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.

قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال: "لا ولكن لا يقربك"، قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا.

قال كعب: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه. فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يدريني ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب، فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا، فلما صليت الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع، يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر. فخررت لله ساجدا وعرفت أنه قد جاء فرج، وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة

الله ءلينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض رجل إلي فرسا وسعى ساع من أسلم، فأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته إياهما." (١)

"﴿قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون (٧٩) ﴾ .

﴿قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا﴾ وفي القصة أنهم غضبوا غضبا شديدا لهذه الحالة، وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا، وكان روبيل إذا غضب لم يقم لغضبه شيء، وإذا صاح ألقت كل امرأة حامل سمعت صوته ولدها، وكان مع هذا إذا مسه أحد من ولد يعقوب سكن غضبه.

وقيل: كان هذا صفة شمعون من ولد يعقوب.

وروي أنه قال لإخوته: كم عدد الأسواق بمصر؟ فقالوا عشرة، فقال: اكفوني أنتم الأسواق وأنا أكفيكم الملك، أو اكفوني أنتم الملك وأنا أكفيكم الأسواق، فدخلوا على يوسف فقال روبيل: لتردن علينا أخانا أو لأصيحن صيحة لا تبقي بمصر امرأة حامل إلا ألقت ولدها وقامت كل شعرة في جسد روبيل فخرجت من ثيابه، فقال يوسف لابن له صغير: قم إلى جنب روبيل فمسه. وروي: خذ بيده فأتني به، فذهب الغلام فمسه فسكن غضبه. فقال روبيل: إن ها هنا لبزرا من بزر (١) يعقوب، فقال يوسف: من يعقوب؟.

وروي أنه غضب ثانيا فقام إليه يوسف فركضه برجله وأخذ بتلابيبه، فوقع على الأرض وقال: أنتم معشر العبرانيين تظنون أن لا أحد أشد منكم؟

فلما صار أمرهم إلى هذا ورأوا أن لا سبيل لهم إلى تخليصه خضعوا وذلوا، وقالوا: يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا يحبه، ﴿فخذ أحدنا مكانه﴾ بدلا منه، ﴿إنا نراك من المحسنين﴾ في أفعالك (٢) . وقيل: من المحسنين إلينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة. وقيل: يعنون إن فعلت ذلك كنت من المحسنين.

﴿قال﴾ يوسف، ﴿معاذ الله﴾ أعوذ بالله، ﴿أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده﴾ ولم يقل إلا من سرق تحرزا من الكذب، ﴿إنا إذا لظالمون﴾ إن أخذنا بريئا بمجرم.

---

(١) البزر (بفتح فسكون) : الولد، يقال: ما أكثر بزره! أي: ولده.

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٠٧/٤

(٢) أخرجه الطبري مطولا في تاريخه: ١ / ٣٥٥-٣٥٦، ومختصرا في التفسير: ١٦ / ٢٠٠-١٢٠.." (١)

"شبرا، ثم حبسه الله تعالى عنه، فلم يقدر على سله، وجعل عامر يومئ إليه، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأى أربد وما صنع بسيفه، فقال: اللهم اكفنيهما بما شئت. فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم صحو قائظ فأحرقته، وولى عامر هاربا وقال: يا محمد دعوت ربك فقتل أربد والله لأملأنها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يمنعك الله تعالى من ذلك، وأبناء قيلة يريد: الأوس والخزرج. فنزل عامر بيت امرأة سلولية، فلما أصبح ضم عليه سلاحه وقد تغير لونه، فجعل يركض في الصحراء، ويقول: ابرز يا ملك الموت، ويقول الشعر، ويقول: واللات والعزى لئن أبصرت محمدا وصاحبه يعني ملك الموت لأنفذنهما برمحي، فأرسل الله إليه ملكا فلطمه بجناحه فأرداه في التراب وخرجت على ركبتيه في الوقت غدة عظيمة، فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول: غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية. ثم دعا بفرسه فركبه ثم أجراه حتى مات على ظهره فأجاب الله دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقتل عامر بن الطفيل بالطعن وأربد بالصاعقة، وأنزل الله عز وجل في هذه القصة قوله: ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه﴾ يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله (١) . [يعني تلك المعقبات من أمر الله] (٢) . وفيه تقديم وتأخير.

وقال لهذين: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم﴾ من العافية والنعمة، ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٦ / ٣٧٩-٣٨١، تفسير القرطبي: ٩ / ٢٩٦، أسباب النزول للواحدي ص (٣١٤-٣١٥) ، ابن كثير: ٢ / ٥٠٧. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٧ / ٤٢) : "رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفي إسنادهما عبد العزيز بن عمران: ضعيف". ورواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ضعيفة. قال الطبري: وهذا القول الذي قاله ابن زيد في تأويل هذه الآية، قول بعيد من تأويل الآية، مع خلافه أقوال من ذكرنا قوله من أهل التأويل. وذلك أنه جعل "الهاء" في قوله: "له معقبات" من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يجر له في الآية التي قبلها، ولا في التي قبل الأخرى ذكر، إلا أن يكون أراد

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٦٤/٤

أن يردها على قوله: "إنما أنت منذر ولكل قوم هاد"، "وله معقبات" فإن كان ذلك، فذلك بعيد، لما بينهما من الآيات بغير ذكر الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإذا كان ذلك كذلك، فكونها عائدة على "من" التي في قوله: "ومن هو مستخف بالليل" أقرب، لأنه قبلها، والخبر بعدها عنه. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: سواء منكم -أيها الناس- من أسر القول ومن جهر به عند ربكم، ومن هو مستخف بفسقه وريبته في ظلمة الليل، وسارب يذهب ويجيء في ضوء النهار ممتنعا بجنده وحرسه الذين يتعقبونه من أهل طاعة الله أن يحولوا بينه وبين ما يأتي من ذلك، وأن يقيموا حد الله عليه، وذلك قوله: يحفظونه من أمر الله". وكذلك قال ابن عطية في المحرر الوجيز: (٨ / ١٣٧) : "وهذه الآية وإن كانت ألفاظها تنطبق على معنى القصة، فيضعف القول أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتقدم له ذكر فيعود الضمير في "له" عليه".
(٢) ساقط من "ب".." [١]

"﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢) لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون (١٣) قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (١٤) فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (١٥) وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (١٦) ﴾

﴿وكم قصمنا﴾ أهلكنا، والقصم: الكسر، ﴿من قرية كانت ظالمة﴾ أي كافرة، يعني أهلها، ﴿وأنشأنا بعدها﴾ أي: أحدثنا بعد هلاك أهلها، ﴿قوما آخرين﴾ ﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ أي [رأوا] (١) عذابنا بحاسة البصر، ﴿إذا هم منها يركضون﴾ أي يسرعون هاربين. ﴿لا تركضوا﴾ أي قيل لهم لا تركضوا لا تهربوا، ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾ أي نعمتم به، ﴿ومساكنكم لعلكم تسألون﴾ قال ابن عباس: عن قتل نبيكم. وقال قتادة: من دنياكم شيئا، نزلت هذه الآية في أهل حصورا، وهي قرية باليمن وكان أهلها العرب، فبعث الله إليهم نبيا يدعوهم إلى الله فكذبوه وقتلوه، فسلط الله عليهم بختنصر، حتى قتلهم وسباهم (٢) فلما استمر فيهم القتل ندموا وهربوا وانهزموا، فقالت الملائكة لهم استهزاء: لا تركضوا وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسألون.

قال قتادة: لعلكم تسألون شيئا من دنياكم، فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم، فإنكم أهل ثروة ونعمة، يقولون ذلك استهزاء بهم، فاتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف، ونادى مناد في جو السماء: يا ثارات الأنبياء، فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم. ﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ . ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٤/٣٠٢

أي تلك الكلمة وهي قولهم يا ويلنا، دعاؤهم يدعون بها ويرددونها.

﴿حتى جعلناهم حصيدا﴾ بالسيوف كما يحصد الزرع، ﴿خامدين﴾ ميتين. قوله عز وجل: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ أي عبثا وباطلا.

---

(١) زيادة من (ب) .

(٢) انظر: الطبري: ١٧ / ٩.." (١)

"الغنم فوقعت فيه حكة فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها، ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة، فلم يزل يحكها حتى نغل لحمه، وتقطع وتغير وأنتن، وأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة، وجعلوا له عريشا، فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته، وهي رحمة بنت أفراثيم بن يوسف بن يعقوب كانت تختلف إليه بما يصلحه وتلزمه، فلما رأى الثلاثة من أصحابه وهم: يقن ويلدد وصافر ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه، فلما طال به البلاء انطلقوا إليه فبكتوه ولاموه وقالوا له: تب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به، قال: وحضره معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه، فقال لهم: إنكم تكلمتم أيها الكهول، وكنتم أحق بالكلام مني لأسنانكم، ولكن قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم، ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم، ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم، وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمم أفضل من الذي وصفتم، فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم، ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم؟ ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وخيرته من خلقه وصفوته من أهل الأرض إلى يومكم هذا، ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله من أمره على أنه قد سخط عليه شيئا من أمره منذ آتاه الله ما آتاه إلى يومك هذا، ولا على أنه نزع منه شيئا من الكرامة التي أكرمه بها، ولا أن أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا، فإن كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم أن الله يبتلي المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين، وليس بلاؤه لأولئك بدليل على سخطه عليهم ولا لهوانه لهم، ولكنه كرامة وخيرة لهم، ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة إلا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم أن [يعذل] (١) أخاه عند البلاء، ولا يعيره بالمصيبة، ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين، ولكنه يرحمه ويبكي معه، ويستغفر له، ويحزن لحزنه، ويدله على مراشد أمره، وليس بحليم ولا رشيد من جهل هذا، فالله الله أيها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله، وذكر

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣١٢/٥

الموت ما يقطع ألسنتكم، ويكسر قلوبكم، ألم تعلموا أن لله عبادا أسكتتهم خشية من غير عي ولا بكم، وأنهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الألباء العالمون بالله، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم، واقشعرت جلودهم، وانكسرت قلوبهم، وطاشت عقولهم إعظاما وإجلالا لله عز وجل، فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله عز وجل بالأعمال الزاكية يعدون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين، وإنهم لأبرار برءاء، ومع المقصرين والمفرطين، وإنهم لأكياس أقوياء، فقال أيوب: إن الله عز وجل يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير، فمتى نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان، وليست تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة، وإذا جعل الله العبد حكيما في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه عليه نور الكرامة، ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه مستغيثا به متضرعا إليه، فقال رب لأي شيء خلقتني ليتني إذ كرهتني لم تخلقني يا ليتني قد عرفت الذنب الذي أذنبت، والعمل الذي عملت، فصرفت وجهك الكريم عني، لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي الكرام، فالموت كان أجمل بي ألم أكن للغريب دارا، وللمسكين قرارا، ولليتيم وليا، وللأرملة قيما، إلهي أنا عبدك إن أحسنت فالمن لك، وإن أسأت فبيدك عقوبتي، جعلتني +عرضا، وللفتنة نصبا، وقد وقع علي بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله، فكيف يحمله ضعفي وإن قضاءك هو الذي أذلني، وإن سلطانك هو الذي أسقمني وأنحل جسمي، ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي بما كان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي، ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه، لا نظر إلي فيرحمني، ولا دنا مني ولا أدناني فأدلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم ٢٠/أعن نفسي (٢) فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب أليم، ثم نودي يا أيوب إن الله عز وجل يقول: ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا قم فأدل بعذرك، وتكلم ببراءتك، وخاصم عن نفسك، واشدد إزرك، وقم مقام جبار يخاصم جبارا إن استطعت، فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار مثلي، لقد +منتك نفسك يا أيوب أمرا ما تبلغ بمثل قوتك، أين أنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها، هل كنت معي تمد بأطرافها؟ وهل علمت بأي مقدار قدرتها أم على أي شيء وضعت أكنافها؟ أبطاعتك حمل الماء الأرض أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء؟ أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها؟ حتى تبلغ من حكمتك أن تجري نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها؟ أين أنت مني يوم نبعث الأنهار وسكرت البحار، أسلطانك حبس أمواج البحار على حدودها؟ أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت مني يوم صببت

الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال؟ هل تدري على أي شيء أرسيتها؟ وبأي مثقال وزنتها؟ أم هل لك من ذراع تطيق حملها؟ أم هل تدري من أين الماء الذي أنزلت من السماء؟ أم هل تدري من أي شيء أنشيء السحاب؟ أم هل تدري أين خزائن الثلج؟ أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار [وخزانة النهار بالليل] (٣) ؟ وأين خزانة الريح؟ وبأي لغة تتكلم الأشجار؟ ومن جعل العقول في أجواف الرجال؟ ومن شق الأسماع والأبصار؟ ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته؟ وقسم الأرزاق بحكمته؟ في كلام كثير من آثار قدرته ذكرها لأيوب، فقال أيوب: صغر شأني وكل لساني وعقلي ورائي وضعفت قوتي عن هذا الأمر الذي تعرض لي يا إلهي، قد علمت أن كل الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت عملت، لا يعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية إذ لقيني البلاء، يا إلهي فتكلمت ولم أملك لساني وكان البلاء هو الذي أنطقني، فليت الأرض انشقت لي فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يسخط ربي، وليتني مت بغمي في أشد بلائي قبل ذلك، إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني، وسكت حين سكت لترحمني، كلمة زلت مني فلن أعود، وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني، وألصقت بالتراب خدي، أعوذ بك اليوم منك وأستجيرك من جهد البلاء فأجرني، وأستغيث بك من عقابك فأغثني، وأستعين بك على أمري فأعني، وأتوكل عليك فاكفني، وأعتصم بك فاعصمني، وأستغفرك فاغفر لي، فلن أعود لشيء تكرهه مني، قال الله تعالى: يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلقت آية، وتكون عبرة لأهل البلاء وعزاء للصابرين، فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقرب عن أصحابك قربانا فاستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك، فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء، ثم خرج فجلس فأقبلت امرأته تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت كالوالهة مترددة (٤) ثم قالت: يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان هاهنا؟ قال لها: هل تعرفينه إذا رأيتيه؟ قالت: نعم وما لي لا أعرفه، فتبسم وقال: أنا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته. قال ابن عباس: فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقته من عناقه حتى مر بهما كل مال لهما وولد (٥) .

فذلك قوله تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر﴾ واختلفوا في وقت ندائه والسبب الذي قال لأجله: إني مسني الضر، وفي مدة بلائه.

روى ابن شهاب عن أنس يرفعه أن أيوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة (٦) .

وقال وهب: لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما (٧) .

وقال كعب: كان أيوب في بلائه سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام.

وقال الحسن: مكث أيوب مطروحا على كناسة في مزبلة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف فيه الدواب لا يقربه أحد غير رحمة صبرت معه بصدق وتأتيه بطعام وتحمد الله معه إذا حمد، وأيوب على ذلك لا يفتر عن ذكر الله والصبر على ابتلائه (٨) فصرخ إبليس صرخة جمع بها جنوده من أقطار الأرض، فلما اجتمعوا إليه قالوا: له حزنك؟ قال أعياني هذا العبد الذي لم أدع له مالا ولا ولدا فلم يزد إلا صبرا، ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا يقربه إلا امرأته، فاستعنت بكم لتعينوني عليه، فقالوا له أين مكرك الذي أهلكت به من مضى؟ قال: بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا علي قالوا نشير عليك، من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة؟ قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد يقربه غيرها، قال: أصبتم، فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل فقال: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده، فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس إليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال، وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبدا، قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم أن قد جزعت فأتاها بسخلة وقال ليذبح هذه لي أيوب ويبرأ، فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك، أين المال، أين الولد، أين الصديق، أين لونك الحسن، أين جسمك [الحسن] (٩) اذبح هذه السخلة واسترح، قال أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك ويلك أرأيت ما تبكين ٢٠/ب عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه؟ قالت الله، قال فكم متعنا به؟ قالت ثمانين سنة، قال فمنذ كم ابتلانا؟ قالت منذ سبع سنين وأشهر، قال ويلك

---

(١) في "ب" يعتزل.

(٢) أخرجه الطبري: ١٧ / ٦٥ -٦٨ دون أن يعلق بشيء على ما في الرواية من الإسرائيليات كما قال صاحب أضواء البيان: ٤ / ٦٨١، ومنها ما ذكره جماعة من المفسرين: أن الله سلط الشيطان على ماله وأهله ابتلاء لأيوب، فأهلك الشيطان ماله وولده، ثم سلطه على بدنه ابتلاء له فنفخ في جسده نفخة اشتعل منها، فصار في جسده ثآليل، فحكمها بأظافره حتى دميت، ثم بالفخار حتى تساقط لحمه، وعصم الله قلبه ولسانه (وغالب ذلك من الإسرائيليات) انتهى. وقال الدكتور محمد أبو شهبة في كتابه (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٣٩١ - ٣٩٢) بعد أن ساق عدة روايات في ابتلاء أيوب عليه السلام: والمحققون من العلماء على أن نسبة هذا إلى المعصوم - صلى الله عليه وسلم - إما من عمل بعض

الوضاعين الذين يركبون الأسانيد للمتون، أو من غلط بعض الرواة، وأن ذلك من إسرائيليات بني إسرائيل وافترائهم على الأنبياء. . . ثم قال: وقد دلك كتاب الله الصادق، على لسان نبيه محمد الصادق على أن الله - تبارك وتعالى - ابتلى نبيه: أيوب - عليه السلام - في جسده، وأهله، وماله وأنه صبر حتى صار مضرب الأمثال في ذلك. . . والذي يجب أن نعتقده أنه ابتلى، ولكن بلاءه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب، من أنه أصيب بالجذام وأن جسمه أصبح قرحة، وأنه ألقي على كناسة بني إسرائيل، يرعى في جسده الدود، وتعبث به دواب بني إسرائيل، أو أنه أصيب بمرض الجدري، وأيوب - عليه صلوات الله وسلامه - أكرم على الله من أن يقلى على مزبلة، وأن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته، ويقززهم منه، وأي فائدة تحصل من الرسالة وهو على هذه الحال المزرية التي لا يرضاها الله لأنبيائه ورسله.

(٣) زيادة من "ب".

(٤) متلددة: متلفتة يمينا وشمالا.

(٥) أخرجه الطبري: ١٧ / ٦٨ - ٦٩.

(٦) أخرجه الحاكم: ٢ / ٥٨١ إلا أنه ذكر مدة البلاء خمس عشرة سنة، وابن حبان في موارد الظمآن ص ٥١١، وعزاه السيوطي: ٥ / ٦٥٩ لابن أبي الدنيا وأبي يعلي وابن جرير وابن أبي حاتم، وذكره ابن كثير ٣ / ١٨٩ من رواية ابن أبي حاتم عن أنس ابن مالك وقال: رفع هذا الحديث غريب جدا.

(٧) أخرجه الطبري: ١٧ / ٦٦.

(٨) أخرجه الطبري: ١٧ / ٦٩.

(٩) في "ب" الصحيح.." [1]

"ما أنصفت ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة، والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة أمرتيني أن أذبح لغير الله طعامك وشرابك الذي أتيتني به علي حرام [أو حرام علي] (١) أن أذوق شيئا مما تأتيني به بعد إذ قلت لي هذا، فاعزبي عني، فلا أراك فطردها فذهبت، فلما نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق (٢) خر ساجدا وقال: رب ﴿إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ فقيل له: ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر إلا سقط وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان، ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج فقام صحيحا وكسي حلة، قال: فجعل يلتفت فلا

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٥/٣٤٠

يرى شيئا مما كان له من أهل ومال إلا وقد أضعفه الله حتى والله ذكر لنا أن الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده، فأوحى الله إليه يا أيوب ألم أغنك؟ قال: بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها، قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف، ثم إن امرأته قالت أرأيتك إن كان طردني إلى من أكله؟ أدعه يموت جوعا ويضيع فتأكله السباع لأرجعن إليه فلا كناسة ترى ولا تلك الحالة التي كانت، وإذا الأمور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعين أيوب، وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأله عنه، فدعاها أيوب فقال: ما تريدين يا أمة الله؟ فبكت وقالت: أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكناسة لا أدري أضاع أم ما فعل، فقال أيوب: ما كان منك فبكت، وقالت: بعلي، قال: فهل تعرفينه إذا رأيتيه؟ فقالت: وهل يخفى على أحد رآه؟ ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه، ثم قالت: أما أنه أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحا، قال فإني أنا أيوب الذي أمرتني أن أذبح لإبليس، وإني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله سبحانه فرد علي ما ترين (٣) .

وقال وهب: لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب إبليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امرأته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس [من] (٤) مراكب الناس له عظم وبهاء وكمال، فقال لها: أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى؟ قالت: نعم، قال فهل تعرفيني؟ قالت: لا قال: أنا إله الأرض، وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لأنه عبد. إله السماء وتركني فأغضبني، ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان لكما من مال وولد، فإنه عندي ثم أراها إياهم ببطن الوادي الذي لقيها فيه، قال وهب: وقد سمعت

---

(١) زيادة من "ب".

(٢) أخرجه الطبري: ١٧ / ٧٠ - ٧١.

(٣) أخرجه الطبري: ١٧ / ٧١-٧٢.

(٤) في "ب" في صورة.." (١)

"عوفي] (١) ما كان أشد عليك في بلائك قال: شماتة الأعداء. وقيل: قال ذلك حين وقعت دودة من فخذه فردها إلى موضعها.

وقال كلي: فقد جعلني الله طعامك فعضته عضة زاد ألمها على جميع ما قاسى من عض الديدان. فإن

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٤٤/٥

قيل: إن الله سماه صابرا وقد أظهر الشكوى والجزع، بقوله: ﴿إني مسني الضر﴾ و ﴿مسني الشيطان بنصب﴾ (ص: ٤١) ، قيل: ليس هذا شكاية إنما هو دعاء بدليل قوله تعالى: ﴿فاستجبنا له﴾ على أن الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق فأما الشكوى إلى الله عز وجل فلا يكون جزعا ولا ترك صبر كما قال يعقوب: ﴿إنما ٢١/أأشكو بثي وحزني إلى الله﴾ (يوسف: ٨٦) . قال سفيان بن عيينة: وكذلك من أظهر الشكوى إلى الناس وهو راض بقضاء الله لا يكون ذلك جزعا كما روي أن جبريل دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال: كيف تجدك؟ قال: "أجدني مغموما وأجدني مكروبا" (٢) .

وقال لعائشة حين قالت وارأساه، "بل أنا وار أساه" (٣) .

﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين (٨٤) ﴾

قوله عز وجل: ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر﴾ وذلك أنه قال اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين [ماء] (٤) فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره، ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يضرب برجله الأرض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد، فأمره فشرب منها فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح ما يكون من الرجال وأجملهم.

﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ واختلفوا في ذلك، فقال ابن مسعود وقتادة، وابن عباس، والحسن، وأكثر المفسرين: رد الله عز وجل إليه أهله وأولاده بأعيانهم أحياهم الله له وأعطاه مثلهم معهم، وهو ظاهر القرآن (٥) .

قال الحسن: آتاه الله المثل من نسل ماله الذي رده الله [إليه وأهله] (٦) يدل عليه ما روى

---

(١) ساقط من "ب".

(٢) قطعة من حديث طويل أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير": ٣ / ١٣٩، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩ / ٣٥ "فيه عبد الله ابن ميمون القداح، وهو ذاهب الحديث".

(٣) أخرجه البخاري في المرضى، باب: ما رخص للمريض أن يقول: أني وجع، أو وارأساه. . .: ١٠ / ١٢٣.

(٤) ساقط من "ب".

(٥) أخرج الطبري هذه الأقوال: ١٧ / ٧٢-٧٣.

(٦) ساقط من "ب".." (١)

"لم يعط لم يكن عليه تبعة.

وقال مقاتل: هذا في أمر الشياطين، يعني: خل من شئت منهم، وأمسك من شئت في وثاقك، لا تبعة عليك فيما تتعاطاه.

﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب (٤٠) واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١) اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢) ﴾." (٢)

"﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (٤٣) وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب (٤٤) ﴾

﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾

قوله عز وجل: ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ بمشقة وضر.

قرأ أبو جعفر: "بنصب" بضم النون والصاد، وقرأ يعقوب بفتحهما، وقرأ الآخرون بضم النون وسكون الصاد، ومعنى الكل واحد.

قال قتادة ومقاتل: بنصب في الجسد، وعذاب في المال وقد ذكرنا قصة أيوب ومدة بلائه في سورة الأنبياء عليهم السلام (١) .

فلما انقضت مدة بلائه قيل له: ﴿اركض برجلك﴾ اضرب برجلك الأرض ففعل فنبعت عين ماء، ﴿هذا مغتسل﴾ فأمره الله أن يغتسل منها، ففعل فذهب كل داء كان بظاهره، ثم مشى أربعين خطوة، فركض الأرض برجله الأخرى، فنبعت عين أخرى، ماء عذب بارد، فشرب منه، فذهب كل داء كان بباطنه، فقوله: "هذا مغتسل بارد" يعني: الذي اغتسل منه، ﴿وشراب﴾ أراد الذي شرب منه.

﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب وخذ بيدك ضغثا﴾ وهو ملء الكف من الشجر أو الحشيش، ﴿فاضرب به ولا تحنث﴾ في يمينك، وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط، فأمره الله أن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار، ويضربها به ضربة

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٤٦/٥

(٢) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٩٦/٧

(١) راجع فيما سبق تفسير الآيتين (٨٣ – ٨٤) من سورة الأنبياء. ٥ / ٣٣٨ وما بعدها.." [١]

"أن أميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين، وإن نجوا تكن عنقا قطعها الله؟ أو ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه؟ ".

فقال أبو بكر: يا رسول الله إنما خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال أحد ولا حربا، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه.

فقال: "امضوا على اسم الله"، فنفروا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين"، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش، وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حل حل، فألحت، فقالوا: "خلأت القصواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل"، ثم قال: "والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياه، ثم زجرها فوثبت.

قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا، فلم يلبث الناس أن نزحوه، وشكا الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم العطش، فنزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه يقال له ناجية بن عمير، وهو سائق بدن النبي صلى الله عليه وسلم، فنزل في البئر فغرزه في جوفه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاءه بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو لينفذن الله أمره".

فقال بديل: سأبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشا، قال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولا فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، قال: فقال سفاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء، وقال

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٩٦/٧

ذو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول.

قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم. فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال: أي قوم ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهموني؟ قالوا:." (١)

"وكتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش [-وفيه قصة] (١) ذكرناها في سورة الممتحنة – (٢)

.

ثم استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن خلف الغفاري، وخرج عامدا إلى مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمان، فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد -ماء بين عسفان وأمج -أفطر.

ثم مضى حتى نزل بمر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين، ولم يتخلف من المهاجرين والأنصار عنه أحد، فلما نزل بمر الظهران، وقد عميت الأخبار عن قريش، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ما هو فاعل، فخرج في تلك الليلة: أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، يتحسسون الأخبار هل يجدون خبرا؟ وقد قال العباس بن عبد المطلب ليلتئذ: واصباح قريش، والله لئن [بغتها] (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم في بلادها فدخل مكة عنوة إنها لهلاك قريش إلى آخر الدهر.

فخرج العباس على بغلة رسول الله وقال: أخرج إلى الأراك لعلي أرى حطابا أو صاحب لبن أو داخلا يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتونه فيستأمنونه قبل أن يدخلها عليهم عنوة.

قال العباس فخرجت وإني -والله -لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، وقد خرجوا يتحسسون الخبر، فسمعت أبا سفيان يقول: والله ما رأيت كالليلة قط نيرانا، وقال بديل: هذه والله نيران خزاعة [حمشتها] (٤) الحرب، فقال أبو سفيان: خزاعة ألأم من ذلك وأذل فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي فقال: يا أبا الفضل، فقلت: نعم، فقال: مالك فداك أبي وأمي؟ قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا، والله، رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء بما لا قبل لكم به، بعشرة آلاف من المسلمين، قال: وما الحيلة؟ قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه فردفني، ورجع صاحباه فخرجت أركض به بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلما مررت بنار من نيران المسلمين فنظروا إلي قالوا: ٢٠٣/ب هذا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب، فقال: من

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٣١٤/٧

هذا؟ وقام إلي فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة، قال: أبو سفيان عدو الله!

---

(١) ساقط من "ب".

(٢) راجع فيما سبق: ٨ / ٩١.

(٣) في "أ" دخلها.

(٤) أحرقتها.." (١)

"الحمد لله الذي أمكن منك بغير عهد ولا عقد، ثم اشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة وسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني فلأضرب عنقه، فقلت: يا رسول الله إني قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله فأخذت برأسه وقلت: والله لا يناجيه الليلة أحد دوني، فلما أكثر فيه عمر رضي الله عنه قلت: مهلا يا عمر، فوالله ما تصنع هذا إلا أنه رجل من بني عبد مناف، ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا. قال: مهلا يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، [وذلك لأني أعلم أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم] (١) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به"، قال: فذهبت إلى رحلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه قال: "ويحك يا أبا سفيان [ألم يأن] (٢) لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ " قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره فقد أغنى عني شيئا بعد، قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي وما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه فإن في النفس منها [حتى الآن] (٣) شيئا، قال العباس: قلت له: ويحك! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قبل أن يضرب عنقك، قال: فشهد شهادة الحق وأسلم، قال العباس: قلت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئا، قال: نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عباس احبسه، بمضيق الوادي عند خطم (٤) الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها،

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٥٧٠/٨

قال: فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: ومرت به القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: من هؤلاء يا عباس؟ قال: أقول: سليم، قال يقول: مالي ولسليم، ثم تمر القبيلة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: مالي ولمزينة، حتى نفذت القبائل لا تمر قبيلة إلا سألني عنها، فإذا أخبرته يقول: مالي ولبني فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخضراء، كتيبة رسول الله، فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، قال: سبحان الله من هؤلاء يا عباس؟ قلت: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار،

---

(١) ما بين القوسين ساقط من "ب".

(٢) ألم يحن، يقال: آن الشيء يئين، وأنى يأني (كرم يرمي) وأنى يأنى (من باب فرِح) كله بمعنى حان.

(٣) ساقط من "ب".

(٤) أنف الجبل، وهو شيء يخرج منه يضيق به الطريق.." [1]

"يذكرني حاميم والرمح شاجر ... فهلا تلا حاميم قبل التقدم «١»

فأعرب حاميم ومنعها الصرف، وهكذا كل ما أعرب من أخواتها لاجتماع سببى منع الصرف فيها، وهما: العلمية، والتأنيث. والحكاية أن تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الأولى. كقولك: دعني من تمرتان، وبدأت بالحمد لله، وقرأت سورة أنزلناها. قال:

وجدنا في كتاب بنى تميم ... أحق الخيل بالركض المعار «٢»

---

(١) .

وأشعث قوام بآيات ربه ... قليل الأذى فيما ترى العين مسلم

شككت له بالرمح جيب قميصه ... فخر صريعا لليدين وللفم

على غير شيء غير أن ليس تابعا ... عليا ومن لا يتبع الحق يظلم

يذكرني حاميم والرمح شاجر ... فهلا تلا حاميم قبل التقدم

لشريح بن أوفى العبسي يوم الجمل، حين أمر أبو طلحة محمد بن طلحة أن يبرز للقتال، وكان من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان كلما حمل عليه رجل قال: نشدتك بحم لما فيها من آية (قل لا

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٥٧١/٨

أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) حتى حمل عليه العبسي فقتله وأنشأ يقول: ورب أشعث من أثر العبادة كثير القيام والعمل بآيات ربه، أو القيام في الليل بتلاوتها، قليل الأذى، وروى الكرى: أى النوم، وروى القذى: وهو ما يتساقط في العين فيغمضها: كنى بقلته عن قلة النوم فيما ترى العين: أى في رأى العين، شككت: أى خرقت له بالرمح جيب: أى طوق قميصه، كناية عن طعنه به في صدره أو من خلفه حتى نفذ من صدره، أو نظمت وربطت جيب قميصه بصدره فسقط مطروحا على يديه ووجهه. وعبر بالفم مبالغة في التنكيل ولأنه أول ما يلقى الأرض من الوجه، وذلك بلا سبب غير أنه ليس تابعا لعلى بن أبى طالب، وهكذا حال كل من لا يتبع الحق، وهو أنه يعاقب ويهان. يذكرني حاميم، والحال أن رمحي مختلط في ثيابه وأضلاعه. وقيل المعنى: والحال أن الرماح مختلطة والحرب قائمة، وقوله فهلا، فيه نوع توبيخ: أى كان من حقه أن يذكرني بها قبل التقدم للحرب.

(٢) .

وجدنا في كتاب بنى تميم ... أحق الخيل بالركض المعار

يضمر بالأصائل فهو نهد ... أقب مقلص فيه اقورار

كأن سراته والخيل شعث ... غداة وجيفها مسد مغار

كأن حفيف منخره إذا ما ... كتمن الربو كير مستعار

لبشر بن أبى خازم الأسدى، وقيل للطرماح. والركض: ضرب الراكب دابته برجله، وعار الفرس: ذهب هاهنا وهاهنا مرحا عند انفلاته، وأعاره صاحبه فهو معار. قال أبو عبيدة: والناس يرونه أى يظنون المعار من العارية وهو خطأ. ويروى: المعار بكسر الميم. ويروى: يشمر، بدل يضمر. والأصائل جمع أصيل كالآصال وهي أواخر النهار. أى يترك بلا علف من أول النهار فيجوع حتى يكون ضامر البطن في آخره، أو يهيأ ويرسل للقتال في آخر النهار فما بال أوله. والنهد: غليظ الجنبين مرتفع الأضلاع، والأقب، رقيق الخصر، والمقلص- كمعظم على اسم المفعول- المشمر المشرف طويل القوائم، ويجوز جعله على اسم الفاعل بمعنى المتشمر المكتنز اللحم.

يقال: قلصه بالتشديد شمره، فقلص هو أيضا: أى تشمر، ويقال قلصت الناقة كذلك: إذا استمرت على السير.

والاقورار: رقة الجسم ونحافته. والسراة: أعلى الظهر. والوجيف: سرعة سير الخيل. والمسد: الحبل. شبه السراة به في الامتداد والصلابة، وقوله: والخيل شعث، جملة حالية، والشعث جمع أشعث، أو شعث،

وغداة: ظرف له.

والحفيف: دوى الجري والطيران. يقال: حف الفرس حفيفا، وأحففته: إذا حملته على الحفيف، وضمير كتمن للخيل. والربو: الزيادة وما ارتفع من الأرض، والنفس العالي، وانتفاخ الفرس من عدو أو فزع. يقال منه:

ربا يربو، إذا أخذه الربو: أى إذا ضاقت مناخر الخيل عن إخراج النفس لعجزها، كان منخر فرسي واسعا كالكير- وهو منفخة الحداد- لعلو نفسه وتردده، وجعله مستعارا ليدل على أنه تداولته الأيدى. يقول: وجدنا في كلام جدودنا هذا الكلام، فأحق مبتدأ، والمعار خبره، والجملة محكية محلها نصب بوجدنا.." (١)

"تأكل في أرض الله، وهو في موضع الحال بمعنى آكلة وبوأكم ونزلكم. والمباءة: المنزل في الأرض في أرض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا أى تبنونها من سهولة الأرض بما تعملون منها من الرهص «١» واللبن والآجر. وقرأ الحسن: وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون بإشباع الفتحة، كقوله:

ينباع من ذفرى أسيل حرة «٢»

فإن قلت: علام انتصب بيوتا؟ قلت: على الحال، كما تقول: خط هذا الثوب قميصا وأبر هذه القصبة قلما، وهي من الحال المقدرة، لأن الجبل لا يكون بيتا في حال النحت، ولا الثوب ولا القصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبرى. وقيل: كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٧٥ الى ٧٩]

قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون (٧٥) قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون (٦٧) فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين (٧٧) فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين (٧٨) فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين (٧٩)

---

(١) . قوله «من الرهص» هو الصخر الثابت في أسفل الحائط. اه من الصحاح. (ع)

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢٢/١

. (٢)

وكان ربا أو كحيلا معقدا ... حش الوقود به جوانب قمقم

ينباع من ذفرى أسيل حرة ... زيافة مثل الفنيق المكرم

لعنترة بن شداد العبسي من معلقته، يصف عرق ناقته من السير، فشبه بالرب، وهو العصير والطلاء. أو بالكحيل وهو القطران المنعقد بالنار على جوانب القمقم. وأعقدت الدواء: أغليته حتى خثر. وحش الوقود: أشعله وأوقده. وهو هنا مبنى للمجهول وأصل «ينباع» ينبع، فتولدت الألف للأشباع، والذفرى: نقرة منخفضة جنب الأذن، إذا طال سير البعير انتفخ من وسطها جلدة وارتفعت وسال منها العرق في النقرة، وهي المشبهة بالقمقم سابقا. وقيل الذفرى أصل الأذن. والأسيل: الناقة المستقيمة الخلق، من قولهم: خد أسيل، وكف أسيل، وحر كل شيء: خالصه. زيافة: كثيرة الزيف وهو التبختر في السير. والفنيق: فحل الإبل المكرم باعفائه عن العمل لأجل الضراب، فالمكرم: نعت مفسر. ويروى المكدم بالدال. ويقال: كدمه إذا عضه. وأما أكدمه فلم أقف عليها، ولعلها لغة قليلة. والمكدم اسم مفعول منها، أى الذي كدمته الفحول وعضته فأثرت فيه لتنقب جلدها من أثر الرحل والركض. وروى: من ذفرى غضوب جسرة، أى شديدة الغضب صلبة موثقة الخلق. وقيل «ينباع» وزنه «ينفعل» من البوع، وهو طى المسافة البعيدة، ولا معنى له في البيت.." (١)

"شجاعته ورباطة جأشه «١» صلى الله عليه وسلم، وما هي إلا من آيات النبوة، وقال: يا رب ائتني بما وعدتني. وقال صلى الله عليه وسلم للعباس- وكان صيتا: صيح بالناس، فنادى الأنصار فخذا فخذا، ثم نادى: يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب البقرة، فكروا عنقا واحدا «٢» وهم يقولون:

لبيك لبيك، ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتال المسلمين فقال: هذا حين حمى الوطيس، ثم أخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال:

انهزموا ورب الكعبة فانهزموا، قال العباس: لكأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض. خلفهم على بغلته بما رحبت ما مصدرية، والباء بمعنى مع، أى مع رحبها «٣» وحقيقته ملتبسة برحبها، على أن الجار والمجرور في موضع الحال، كقولك: دخلت عليه بثياب السفر، أى ملتبسا بها لم أحلها، تعنى مع ثياب السفر. والمعنى: لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم إليه ونجاتكم لفرط الرعب، فكأنها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم سكينته رحمته التي سكنوا بها وآمنوا وعلى المؤمنين الذين انهزموا. وقيل:

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٢٢/٢

هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب وأنزل جنودا يعنى الملائكة، وكانوا ثمانية آلاف، وقيل خمسة آلاف، وقيل ستة عشر ألفا وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر، وسبى النساء والذراري ثم يتوب الله أى يسلم بعد ذلك ناس منهم. وروى أن ناسا منهم جاءوا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام وقالوا: يا رسول الله، أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبى أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا. قيل: سى يومئذ ستة آلاف نفس، وأخذ من الإبل والغنم مالا يحصى، فقال: إن عندي ما ترون، إن خير القول أصدقه، اختاروا:

إما ذراريكم ونساءكم، وإما أموالكم. قالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئا. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن هؤلاء جاءوا مسلمين. وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئا، فمن كان بيده شيء وطابت نفسه أن يرده فشأنه، ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه. قالوا: رضينا وسلمنا، فقال: إنى لا أدرى لعل فيكم من لا يرضى، فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا، فرفعت إليه العرفاء أن قد رضوا «٤» .

---

(١) . قوله «ورباطة جأشه» الجأش: رواع القلب عند الفزع. ورابط الجأش: من يربط نفسه عن الفرار لشجاعته. (ع)

(٢) . قوله «عنقا واحدا» ويقال هم عنق إليك أى مائلون إليك كذا في الصحاح. (ع)

(٣) . قوله «مع رحبها» في الصحاح «الرحب» بالضم: السعة. (ع)

(٤) . ذكره الثعلبي بغير سند وهذه القصة قد ذكرها ابن إسحاق في المغازي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بطوله، وذكرها البخاري من رواية الزهري عن عروة عن المسور ومروان، ورواها الطبري وغيره من رواية زهير ابن حرد، وفيه الشعر الذي أنشده زهير.." (١)

"ذكركم شرفكم وصيتكم، كما قال وإنه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم. أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء أو حسن الذكر «١» ، كحسن الجوار، والوفاء بالعهد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، والسخاء، وما أشبه ذلك،

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ١١ الى ١٥]

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٢٦٠

وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢) لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون (١٣) قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (١٤) فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (١٥)

وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم، لأن القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء، بخلاف الفصم. وأراد بالقرية: أهلها، ولذلك وصفها بالظلم. وقال قوما آخرين لأن المعنى: أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين. وعن ابن عباس: أنها «حضور» وهي و «سحول» قريتان باليمن، تنسب إليهما الثياب. وفي الحديث «كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين «٢» » وروى «حضوريين «٣» » بعث الله إليهم نبيا فقتلوه، فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم. وروى: أنهم لما أخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الأنبياء، ندموا واعترفوا بالخطإ، وذلك حين لم ينفعهم الندم. وظاهر الاية على الكثرة. ولعل ابن عباس ذكر «حضور» بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية. فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس ومشاهدة، لم يشكوا فيها، ركضوا من ديارهم. والركض: ضرب الدابة بالرجل. ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب.

ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم، فقيل لهم.

لا تركضوا والقول محذوف. فإن قلت: من القائل؟ قلت يحتمل أن يكون بعض الملائكة

---

(١) . قوله «تطلبون بها الثناء أو حسن الذكر» لعله «وحسن الذكر» بالواو فقط. (ع)

(٢) . متفق عليه عن عائشة بلفظ «كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب سحولية» .

(٣) . أخرجه الدارقطني في العلل من حديث ابن عمر رضى الله عنهما، بلفظ «ثلاثة أثواب: ثوبين حضوريين وثوب حبرة» وقال: تفرد به محمد بن إسحاق الصاغاني عن ابن الحوأب عن الثوري عن عاصم بن عبد الله عن سالم عن أبيه بهذا.

«فائدة» «حضور» بفتح المهملة وضم المعجمة: قرية بصنعاء قريبة من قرية عبد الرزاق.." [1]

"أتهجوه ولست له بكفء ... فشر كما لخير كما الفداء «١»

فإن قلت: كيف خولف بين حرفى الجر الداخلين على الحق والضلال؟ قلت: لأن صاحب الحق كأنه

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٠٥/٣

مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدرى أين يتوجه. وفي قراءة أبى: وإنا أو إياكم إما على هدى أو في ضلال مبين.

[سورة سبإ (٣٤) : الآيات ٢٥ الى ٢٦]

قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون (٢٥) قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم (٢٦)

هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ فيه من الأول، حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين والعمل إلى المخاطبين، وإن أراد بالإجرام: الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن، وبالعمل: الكفر والمعاصي العظام «٢» . وفتح الله بينهم: وهو حكمه وفصله: أنه يدخل هؤلاء الجنة وأولئك النار.

[سورة سبإ (٣٤) : آية ٢٧]

قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم (٢٧)

فإن قلت: ما معنى قوله أروني وكان يراهم ويعرفهم؟ قلت: أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله، وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على إحالة القياس إليه والإشراك به. وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسده بإبطال المقايسة، كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام أف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم، وقد نبه على تفاحش

---

(١) . تقدم شرح هذا الشاهد ضمن أبيات بالجزء الثاني صفحة ٥٦٣ فراجعه إن شئت اه مصححه.

(٢) . قال محمود: «وهذا القول أدخل في الانصاف من الأول، حيث أسند الاجرام إلى النفس وأراد به الزلات والصغائر التي لا يخلو عنها مؤمن، وأسند العمل إلى المخاطبين وأراد به الكفر والمعاصي والكبائر» قال أحمد: فعبر عن الهفوات بما يعبر به عن العظائم، وعن العظائم بما يعبر به عن الهفوات، التزاما للانصاف، وزيادة على ذلك أنه ذكر الاجرام المنسوب إلى النفس بصيغة الماضي الذي يعطى تحقيق المعنى، وعن العمل المنسوب إلى الخصم بما لا يعطى ذلك، والله أعلم.." [1]

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥٨٢/٣

"رؤبة أن رجلين من أهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة، فخرج إليهما فقال: أين تصيبان؟ فقالا: هذه طلبتنا ورجعا، ويقال: أصاب الله بك خيرا والشياطين عطف على الريح كل بناء بدل من الشياطين وآخرين عطف على كل داخل في حكم البدل، وهو بدل الكل من الكل: كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية، ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ، وهو أول من استخرج الدر من البحر، وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد. وعن السدى: كان يجمع أيديهم إلى أعناقهم مغللين في الجوامع «١» . والصفد القيد، وسمى به العطاء لأنه ارتباط للمنعم عليه. ومنه قول على رضى الله عنه: من برك فقد أسرك، ومن جفاك فقد أطلقك. ومنه قول القائل: غل يدا مطلقها، وأرق رقبة معتقها. وقال حبيب: إن العطاء إسار، وتبعه من قال:

ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا «٢»

وفرقوا بين الفعلين فقالوا: صفده قيده، وأصفده أعطاه، كوعده وأوعده، أى هذا الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة عطاؤنا بغير حساب، يعنى: جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره فامنن من المنة وهي العطاء، أى: فأعط منه ما شئت أو أمسك مفوضا إليك التصرف فيه. وفي قراءة ابن مسعود: هذا فامنن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب، أو هذا التسخير عطاؤنا، فامنن على من شئت من الشياطين بالإطلاق، وأمسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب، أى لا حساب عليك في ذلك.

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٤١ الى ٤٤]

واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١) اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢) ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (٤٣) وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب (٤٤)

---

(١) . قوله «في الجوامع» في الصحاح «الجامعة» : الغل، لأنها تجمع اليدين إلى العنق. (ع)

(٢) .

وقيدت نفسي في ذراك محبة ... ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا

للمتنبي، يقول: تركت سير الليل وراء ظهري، أى: بالغت في تركه لمن قل ماله، لأنه لا زال يبتغيه، واكتفيت بنعمتك العظمى، وشبه الآمال التي امتدت إليه وبلغت مناها، بأفراس منعلة بالذهب على طريق التصريحية والانعال ترشيح. ويجوز أن ذلك كناية عن عظم النعمة، واستعار التقييد للمنع عن التطلع لغير الممدوح

وقصر المدح عليه.

ويجوز أنه شبه نفسه بحيوان، والتقييد: تخييل. والذرا- بالفتح-: كل ما ستر الشيء، يقال: أنا في ظل الجبل وفي ذراه، أو في ظل فلان وفي ذراه، أى: في كنفه وحماه، ومحبة: مفعول لأجله، وشبه الإحسان بالقيد لأنه سبب استملاك النفس.." (١)

"أيوب عطف بيان. وإذ بدل اشتمال منه أني مسني بأنى مسنى: حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه، ولو لم يحك لقال بأنه مسه: لأنه غائب. وقرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد، وبفتحهما، وضمهما، فالنصب والنصب: كالرشد والرشد، والنصب: على أصل المصدر، والنصب: تثقيل نصب، والمعنى واحد، وهو التعب والمشقة. والعذاب: الألم، يريد مرضه وما كان يقاسى فيه من أنواع الوصب «١» . وقيل: الضر في البدن، والعذاب في ذهاب الأهل والمال فإن قلت: لم نسبه إلى الشيطان، ولا يجوز أن يسلطه الله على أنبيائه ليقضى من إتعابهم وتعذيبهم وطره، ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا إلا وقد نكبه وأهلكه، وقد تكرر في القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فحسب؟ قلت: لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب، نسبه إليه، وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه، مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو. وقيل: أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء، ويغريه على الكراهة والجزع، فالتجأ إلى الله تعالى في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء، أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل. وروى أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين، فارتد أحدهم، فسأل عنه فقيل ألقى إليه الشيطان: إن الله لا يبتلى الأنبياء والصالحين، وذكر في سبب بلائه أن رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه. وقيل: كانت مواشيه في ناحية ملك كافر، فداهنه ولم يغزه. وقيل: أعجب بكثرة ماله اركض برجلك حكاية ما أجيب به أيوب، أى: اضرب برجلك الأرض. وعن قتادة: هي أرض الجابية «٢» فضربها، فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب أى هذا ماء تغتسل به وتشرب منه، فيبرأ باطنك وظاهرك، وتنقلب مآبك قلبة «٣» . وقيل: نبعت له عينان، فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى، فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله، وقيل: ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها، ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها رحمة منا وذكرى مفعول لهما. والمعنى: أن الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الألباب، لأنهم إذا سمعوا بما

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٩٦

(١) . قوله «من أنواع الوصب» في الصحاح «الوصب» : المرض. (ع)

(٢) . قوله «هي أرض الجابية» مدينة بالشام كما في الصحاح. (ع)

(٣) . قوله «وتنقلب ما بك قلبة» في الصحاح «القلاب» داء يأخذ البعير. وقولهم: ما به قلبة، أى: ليست به علة. (ع)." [(١)]

"أنعمنا به عليه لصبره، رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم وخذ معطوف على اركض. والضغث: الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك. وعن ابن عباس: قبضة من الشجر، كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برأ، فحلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها، وهذه الرخصة باقية. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه أتى بمخدج «١» قد خبث بأمة، فقال: «خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة» «٢» ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة، إما أطرافها قائمة، وإما أعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب، وكان السبب في يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره، وقيل: باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب إذا قام. وقيل: قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة فأرد عليكم ما لكم وأولادكم، فهمت بذلك فأدركتها العصمة، فذكرت ذلك له، فحلف. وقيل: أوهمها الشيطان أن أيوب إذا شرب الخمر برأ، فعرضت له بذلك. وقيل:

سألته أن يقرب للشيطان بعناق وجدناه صابرا علمناه صابرا. فإن قلت: كيف وجده صابرا وقد شكا إليه ما به واسترحمه؟ قلت: الشكوى إلى الله عز وعلا لا تسمى جزعا، ولقد قال يعقوب عليه السلام: نما أشكوا بثي وحزني إلى الله

وكذلك شكوى العليل إلى الطبيب، وذلك أن أصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمنى العافية وطلبها، فإذا صح أن يسمى صابرا مع تمنى العافية وطلب الشفاء، فليسم صابرا مع اللجإ إلى الله تعالى، والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الأطباء، على أن أيوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة.

حيث كان الشيطان بوسوس إليهم كما كان يوسوس اليه أنه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به، وإرادة القوة على الطاعة، فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان. ويروى أنه قال في مناجاته: إلهى قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي، ولم يتبع قلبي بصرى، ولم يهبني ما ملكت يمينى، «٣» ولم آكل إلا

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٩٧

ومعى يتيم، ولم أبت شبعان ولا كاسيا ومعى جائع أو عريان، فكشف الله عنه.

---

(١) . قوله «إنه أتى بمخدج» الخداج: النقصان، وأخدجت الناقة: إذا جاءت بولدها ناقص الخلق، وإن كانت أيامه تامة فهي مخدج، والولد مخدج، كذا في الصحاح. (ع)

(٢) . أخرجه النسائي وأحمد وإسحاق وابن أبى شيبة والبزار والطبراني من رواية أبى أمامة بن سهل عن سعيد بن عبادة. قال «كان بين أبياتنا رجل ضعيف مخدج، فلم يرع الحي إلا وهو على أمة من إمائهم يخبث بها- الحديث» قال البزار: لم يرد إلا هذا، واختلف في إسناده. فقيل هكذا. وقيل عن أبى الزناد عن أبى أمامة مرسلا ورواه أبو داود من وجه آخر عن أبى أمامة أنه أخبره بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) . قوله «ولم يهبني ما ملكت يميني» أى لم ينشطنى ولم يهيجني، من هبت الريح: أى هاجت، وهب البعير:

أى نشط، كما في الصحاح. (ع)." (١)

"[سورة ص (٣٨) : الآيات ٣٨ الى ٤٧]

وآخرين مقرنين في الأصفاد (٣٨) هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب (٣٩) وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب (٤٠) واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١) اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢)

ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (٤٣) وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب (٤٤) واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار (٤٥) إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار (٤٦) وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار (٤٧)

إبراهيم وإسحاق ويعقوب عطف بيان لعبادنا. ومن قرأ: عبدنا، جعل إبراهيم وحده عطف بيان له، ثم عطف ذريته على عبدنا، وهي إسحاق ويعقوب، كقراءة ابن عباس: وإله أبيك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق. لما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدى غلبت، فقيل في كل عمل هذا مما عملت أيديهم، وإن كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالأيدى. أو كان العمال جذما لا أيدي لهم، وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا أولي الأيدي والأبصار يريد: أولى الأعمال والفكر، كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة، ولا يجاهدون في الله، ولا

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٩٨

يفكرون أفكار ذوى الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على أعمال جوارحهم والمسلوبى العقول الذين لا استبصار بهم. وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله، ولا من المستبصرين في دين الله، وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما. وقرئ: أولى الأيادى، على جمع الجمع. وفي قراءة ابن مسعود: أولى الأيد، على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة. وتفسيره بالأيد- من التأييد-: قلق غير متمكن أخلصناهم جعلناهم خالصين بخالصة بخصلة خالصة لا شوب فيها، ثم فسرها بذكرى الدار، شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها. وقرئ على الإضافة. والمعنى: بما خلص من ذكرى الدار، على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر، إنما همهم ذكرى الدار لا غير. ومعنى ذكرى الدار: ذكراهم الآخرة دائبا، ونسيانهم اليها ذكر الدنيا. أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها، وتزهيدهم في الدنيا، كما هو شأن الأنبياء وديدنهم. وقيل. ذكرى الدار. الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم. فإن قلت: ما معنى أخلصناهم بخالصة؟ قلت: معناه: أخلصناهم بسبب هذه الخصلة، وبأنهم من أهلها. أو أخلصناهم بتوفيقهم لها، واللطف بهم في اختيارها. وتعضد الأول قراءة من قرأ: بخالصتهم المصطفين المختارين من أبناء جنسهم. والأخيار جمع خير، أو خير، على التخفيف، كالأموات في جمع ميت أو ميت.

[سورة ص (٣٨) : آية ٤٨]

واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار (٤٨)

واليسع كأن حرف التعريف دخل على يسع. وقرئ: والليسع، كأن حرف التعريف." (١)

"شعر شاعر. وأما من جعل مخلصا حالا من العابد، وله الدين مبتدأ وخبرا، فقد جاء بإعراب رجع به الكلام إلى قولك: لله الدين ألا لله الدين الخالص أى: هو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر، لاطلاعه على الغيوب والأسرار، ولأنه الحقيق بذلك، لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها. وعن قتادة: الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله. وعن الحسن: الإسلام والذين اتخذوا يحتمل المتخذين وهم الكفرة، والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى: عن ابن عباس رضى الله عنهما، فالضمير في اتخذوا على الأول راجع إلى الذين، وعلى الثاني إلى المشركين، ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما، والراجع إلى الذين محذوف والمعنى: والذين اتخذهم المشركون أولياء، والذين اتخذوا في موضع

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٩٩

الرفع على الابتداء. فإن قلت: فالخبر ما هو؟ قلت: هو على الأول إما إن الله يحكم بينهم أو ما أضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم. وعلى الثاني: أن الله يحكم بينهم. فإن قلت: فإذا كان إن الله يحكم بينهم الخبر، فما موضع القول المضمر؟ قلت: يجوز أن يكون في موضع الحال، أى:

قائلين ذلك. ويجوز أن يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل، كما أن المبدل منه كذلك. وقرأ ابن مسعود بإظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة أبى: ما نعبدكم إلا لتقربونا على الخطاب، حكاية لما خاطبوا به آلهتهم. وقرئ: نعبدهم، بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة في الأمر، والتنوين في عذاب اركض والضمير في بينهم لهم ولأوليائهم. والمعنى: أن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة، ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم وإياها حصب جهنم، واختلافهم: أن الذين يعبدون موحدون وهم مشركون، وأولئك يعادونهم ويلعنونهم، وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم إلى الله زلفى.

وقيل: كان المسلمون إذا قالوا لهم: من خلق السماوات والأرض، أقروا وقالوا: الله، فإذا قالوا لهم: فما لكم تعبدون الأصنام؟ قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فالضمير في بينهم عائد إليهم وإلى المسلمين. والمعنى: أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين.

والمراد بمنع الهداية: منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا لطف لهم، وأنهم في علم الله من الهالكين «١» .

وقرئ: كذاب وكذوب. وكذبهم: قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله أولياء: بنات الله، ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء

---

(١) . قال محمود: «المراد بمنع الهدآية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا يلطف بهم، وأنه في علمه من الهالكين» قال أحمد: مذهب أهل السنة حمل هذه الآية وأمثالها على الظاهر، فان معتقدهم أن معنى هداية الله تعالى للمؤمن خلق الهدى فيه، ومعنى إضلاله للكافر إزاحته عن الهدى وخلق الكفر له، ومع ذلك فيجوز عند أهل السنة أن يخلق الله تعالى للكافر لطفا يؤمن عنده طائعا، خلافا للقدرية، وغرضنا التنبيه على مذهب أهل الحق لا غيره.." [١]

"يعني: لو أراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح، لكونه محالا، ولم يتأت إلا أن يصطفى من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم، كما يختص الرجل ولده ويقربه. وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/١١١

إياهم، فزعمتم أنهم أولاده، جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الأجسام والأعراض، كأنه قال: لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة، إلا أنكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم أولادا، ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات، فكنتم كذابين كفارين متبالغين في الافتراء «١» على الله وملائكته، غالبين «٢» في الكفر، ثم قال سبحانه فنزه ذاته عن أن يكون له أحد ما نسبوا إليه من الأولاد والأولياء. ودل على ذلك بما ينافيه، وهو أنه واحد، فلا يجوز أن يكون له صاحبة، لأنه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له: وإذا لم يتأت أن يكون له صاحبة لم يتأت أن يكون له ولد، وهو معنى قوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة. وقهار غلاب لكل شيء، ومن الأشياء آلهتهم، فهو يغلبهم، فكيف يكونون له أولياء وشركاء؟

[سورة الزمر (٣٩) : آية ٥]

خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار (٥)

ثم دل بخلق السماوات والأرض، وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر، وتسخير النيرين، وجريهما لأجل مسمى، وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة، وخلق الأنعام على أنه واحد لا يشارك، قهار لا يغالب. والتكوير: اللف واللى، يقال: كار العمامة على رأسه وكورها. وفيه أوجه، منها: أن الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا، وإذا غشى مكانه فكأنما ألبسه والف عليه كما يلف اللباس على اللابس. ومنه قول ذى الرمة في وصف السراب:

تلوى الثنايا بأحقيها حواشيه ... لى الملاء بأبواب التفاريج «٣»

---

(١) . قوله «متبالغين في الافتراء» لعله: مبالغين. (ع)

(٢) . قوله «غالبين في الكفر» لعله: غالين. (ع)

(٣) .

وراكد الشمس أجاج نصب له ... قواضب القوم بالمهرية العوج

إذا تنازع حالا مجهل قذف ... أطراف مطره بالخز منسوج

تلوى الثنايا بحقويها حواشيه ... لي الملاء بأبواب التفاريج

كأنه والرهاة الموت يركضه ... أعراف أزهر تحت الريخ منتوج

لذي الرمة يصف السراب. وراكد الشمس: ما يتساقط منها على الأرض. والأجاج: صفة مبالغة، أي: كثير الأجيج، يقال: أجت النار أجيجا: اشتعلت، والحر: اشتد. وأج الظليم أجا: أسرع وله حفيف. وأج الأمر: اختلط. والأج: طير أبيض سريع الطيران يشبه النعام. ويرى السراب عند شدة الحر أبيض كأنه يسير، فيجوز أنه من الأولين. ويجوز أنه منسوب للأخير، لأنه يشبهه، وللام للتوقيت، وللقواضب: السيوف النواطع.

والمهرية: الخيل المنسوبة لمهر بن حيدان أبى قبيلة من اليمن، خيلها أنجب الخيل. والعوج: جمع عوجاء نوع جيد منها أيضا. والحالان: ارتفاع الأرض وانخفاضها. والمجهل: الموضع الذي يجهله المسافر. والقذف- كسبب-:

الذي يقذف ما فيه فلا أحد فيه. والمطرد: السراب المستوى، شبه بالخز المنسوج في الاستواء والبياض. والثنايا:

العقبات. والحقو: الخصر والإزار، وشده عليه استعارة لجانب العقبة، وحواشي السراب: جوانبه. والملاء بالضم والمد: اسم جمع ملاءة وهي الجلباب. والتفراج: الباب الصغير والثوب من الديباج. والرهاة- جمع رهو-:

المكان المرتفع، ويطلق على المنخفض أيضا. وقيل: اسم موضع. والموت: القفر. والركض: ضرب الدابة بالرجل والضرب مطلقا، وهو هنا مجاز على طريق التصريحية. والأعراف: جمع عرف. وعرف الديك والفرس:

أعلى شعر العنق وأعرف البحر والسيل: إذا تراكم موجه وارتفع كالأعراف، والأزهر: السحاب الأبيض والماء الأبيض، وهو الأنسب بكونه تحت الريح، لأن ظاهر الأول يخالف قوله تعالى أقلت سحابا والمنتوج: الذي تنتجه الريح وتسوقه حتى يقطر، يقول: ورب راكد من الشمس، يعنى السراب شديد الحر أو السير، نصبت مستقبلا لوقته سيوف قومي مع الخيل الجياد إذا تجاذب المنخفض والمرتفع من الأرض القفرة أطراف الآل وهو السراب، وشبه إحاطة جوانبه وتراكمه في جوانب العقبة بلى الجلباب في أبواب التفاريج، وتلوى: يحتمل أنه جواب ذا وأنه صفة لمطرد وجوابها، دل عليه ما قبلها وأسند اللى للثنايا لأنها سبب الالتواء، ولى الملا: مفعول مطلق، وأعراف: خبر كأنه، والرهاة: جملة حالية، وفاعل يركض إما ضمير الآل، أو ضمير الرهاة، لأنهما كأنهما يتضاربان. وروى: تطرده، وفاعله ضمير الرهاة جزما، لأن الآل هو المطرود، وبيت الكشاف: يلوى الثنايا بأحقيها. والحقو: جمعه أحق، وأصل وزنه: أفعل.." (١)

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١١٢/٤

"ونفس الاستحياء ليس بعذاب، لكن العذاب بسببه وقع الاستحياء، ويذبحون بدل من «يسومون»

.

وقوله تعالى: وفي ذلكم إشارة إلى جملة الأمر، إذ هو خبر فهو كمفرد حاضر، وبلاء معناه امتحان واختبار، ويكون البلاء في الخير والشر.

وقال قوم: الإشارة ب ذلكم إلى التنجية من بني إسرائيل، فيكون البلاء على هذا في الخير، أي وفي تنجيتكم نعمة من الله عليكم.

وقال جمهور الناس: الإشارة إلى الذبح ونحوه، والبلاء هنا في الشر، والمعنى وفي الذبح مكروه وامتحان.

وحكى الطبري وغيره في كيفية نجاتهم: أن موسى عليه السلام أوحي إليه أن يسري من مصر ببني إسرائيل فأمرهم موسى أن يستعيروا الحلي والمتاع من القبط، وأحل الله ذلك لبني إسرائيل، فسرى بهم موسى من أول الليل، فأعلم فرعون فقال لا يتبعنهم أحد حتى تصيح الديكة، فلم يصح تلك الليلة بمصر ديك حتى أصبح، وأمات الله تلك الليلة كثيرا من أبناء القبط فاشتغلوا في الدفن وخرجوا في الأتباع مشرقين، وذهب موسى إلى ناحية البحر حتى بلغه، وكانت عدة بني إسرائيل نيفا على ستمائة ألف، وكانت عدة فرعون ألف ألف ومائتي ألف.

وحكي غير هذا مما اختصرته لقلة ثبوته، فلما لحق فرعون موسى ظن بنو إسرائيل أنهم غير ناجين، فقال يوشع بن نون لموسى أين أمرت؟ فقال هكذا وأشار إلى البحر فركض يوشع فرسه فيه حتى بلغ الغمر، ثم رجع فقال لموسى أين أمرت؟ فو الله ما كذبت ولا كذبت، فأشار إلى البحر، وأوحى الله تعالى إليه: أن اضرب بعصاك البحر [الشعراء: ٦٣] . وأوحى إلى البحر أن انفرق لموسى إذا ضربك، فبات البحر تلك الليلة يضطرب فحين أصبح ضرب موسى البحر، وكناه أبا خالد فانفرق وكان ذلك في يوم عاشوراء.

قوله عز وجل:

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٥٠ الى ٥٣]

وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون (٥٠) وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون (٥١) ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون (٥٢) وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون (٥٣)

فرقنا معناه: جعلناه فرقا، وقرأ الزهري «فرقنا» بتشديد الراء، ومعنى بكم بسببكم، وقيل لما كانوا بين الفرق وقت جوازهم فكأنه بهم فرق، وقيل معناه لكم، والباء عوض اللام وهذا ضعيف، والبحر هو بحر القلزم، ولم

يفرق البحر عرضا جزءا من ضفة إلى ضفة، وإنما فرق من موضع إلى موضع آخر في ضفة واحدة، وكان ذلك الفرق بقرب موضع النجاة، ولا يلحق في البر إلا في أيام كثيرة بسبب جبال وأوعار حائلة.
وذكر العامري أن موضع خروجهم من البحر كان قريبا من برية فلسطين وهي كانت طريقهم.." (١)
"ومجاهد وغيرهما: هو عائد على محمد صلى الله عليه وسلم، أي يعرفون صدقه ونبوته، والفريق الجماعة، وخص لأن منهم من أسلم ولم يكتم، والإشارة بالحق إلى ما تقدم من الخلاف في ضمير يعرفونه، فعم الحق مبالغة في ذمهم، وهم يعلمون ظاهر في صحة الكفر عنادا.
وقوله تعالى: الحق من ربك، الحق رفع على إضمار الابتداء والتقدير هو الحق، ويصح أن يكون ابتداء والخبر مقدر بعده، وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه الحق بالنصب، على أن العامل فيه يعلمون، ويصح نصبه على تقدير: الزم الحق.
وقوله تعالى: فلا تكونن من الممترين، الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته، وامترى في الشيء إذا شك فيه، ومنه المراء لأن هذا يشك في قول هذا، وأنشد الطبري- شاهدا على أن الممترين الشاكون- قول الأعشى: [المتقارب]
تدر على اسؤق الممترين ... ركضا إذا ما السراب ارجحن
ووهم في ذلك لأن أبا عبيدة وغيره قالوا: الممترون في البيت هم الذين يمرون الخيل بأرجلهم همزا لتجري كأنهم يحتلبون الجري منها، فليس في البيت معنى من الشك كما قال الطبري.
وقوله تعالى: لكل وجهة
الآية، الوجهة: فعلة من المواجهة كالقبلة، وقوله:
وعائد على اللفظ المفرد في «كل» ، والمراد به الجماعات.
المعنى: لكل صاحب ملة وجهة هو موليها نفسه، قاله الربيع وعطاء وابن عباس، وقرأ ابن عباس وابن عامر وحده من السبعة هو مولاها، وقالت طائفة: الضمير في و/ ١٤٨
عائد على الله تعالى، والمعنى: الله موليها إياهم، وقالت فرقة: المعنى في الآية أن للكل دينا وشرعا وهو دين الله وملة محمد وهو موليها إياهم اتبعها من اتبعها وتركها من تركها، وقال قتادة: المراد بالآية أن الصلاة إلى الشام ثم الصلاة إلى الكعبة لكل واحدة منهما وجهة الله موليها إياهم، وحكى الطبري أن قوما قرؤوا لكل وجهة

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١/١٤١

بإضافة كل إلى وجهة، وخطأها الطبري.
قال القاضي أبو محمد: وهي متجهة، أي فاستبقوا الخيرات لكل وجهة ولاكموها، ولا تعترضوا فيما أمركم من هذه وهذه، أي إنما عليكم الطاعة في الجميع، وقدم قوله: كل وجهة
على الأمر في قوله:
ستبقوا
للاهتمام بالوجهة كما يقدم المفعول، وذكر أبو عمرو الداني هذه القراءة عن ابن عباس رضي الله عنه وسلمت الواو في وجهة ولم تجر كعدة وزنة لأن جهة
ظرف وتلك مصادر فسلمت للفرق، وأيضا فليكمل بناء الهيئة كالجلسة، قال أبو علي: ذهب قوم إلى أنه مصدر شذ عن القياس فسلم، ومال قوم إلى أنه اسم ليس بمصدر.
قال غير أبي علي: وإذا أردت المصدر قلت جهة.
قال القاضي أبو محمد: وقد يقال الجهة في الظرف، وحكى الطبري عن منصور أنه قال: نحن نقرؤها «ولكل جعلنا قبلة يرضونها» .." (١)

"ليروا أن توبتهم ترجع بهم إلى عفو الله كما رجعت بمن هو خير منهم ولم يوبقه القرب من الذنب، وهذا كله على أن هم يوسف بلغ فيما روت هذه الفرقة إلى أن جلس بين رجلي زليخا وأخذ في حل ثيابه وتكته ونحو هذا، وهي قد استقلت له قاله ابن عباس وجماعة من السلف.
وقالت فرقة في «همه» إنما كان بخطرات القلب التي لا يقدر البشر عن التحفظ منها، ونزع عند ذلك ولم يتجاوزه، فلا يبعد هذا على مثله عليه السلام، وفي الحديث: «إن من هم بسيئة ولم يعملها فله عشر حسنات» ، وفي حديث آخر «حسنة» ، فقد يدخل يوسف في هذا الصنف.
وقالت فرقة: كان «هم» يوسف بضربها ونحو ذلك.
قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف البتة، والذي أقول في هذه الآية: إن كون يوسف نبيا في وقت هذه النازلة لم يصح ولا تظاهرت به رواية، وإذا كان ذلك فهو مؤمن قد أوتي حكما وعلما ويجوز عليه الهم الذي هو إرادة الشيء دون مواقعته، وأن يستصحب الخاطر الرديء على ما في ذلك من الخطيئة وإن فرضناه نبيا في ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندي إلا الهم الذي هو الخاطر، ولا يصح عليه شيء مما ذكر من حل تكة ونحو ذلك، لأن العصمة مع النبوة، وما روي من أنه قيل له: تكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٢٤/١

السفهاء، فإنما معناه العدة بالنبوة فيما بعد، والهم بالشيء مرتبتان: فالواحدة الأولى تجوز عليه مع النبوة، والثانية الكبرى لا تقع إلا من غير نبي، لأن استصحاب خاطر المعصية والتلذذ به معصية تكتب، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به نفوسها ما لم تنطق به أو تعمل» . معناه من الخواطر، وأما استصحاب الخاطر فمحال أن يكون مباحا، فإن وقع فهو خطيئة من الخطايا لكنه ليس كمواقعة المعصية التي فيها الخاطر، ومما يؤيد أن استصحاب الخاطر معصية قول النبي صلى الله عليه وسلم: إنه كان حريصا على قتل صاحبه.

وقوله الله تعالى: إن بعض الظن إثم [الحجرات: ١٢] وهذا منتزع من غير موضع من الشرع، والإجماع منعقد أن الهم بالمعصية واستصحاب التلذذ بها غير جائز ولا داخل في التجاوز.

واختلف في «البرهان» الذي رأى يوسف، وقيل: نودي. واختلف فيما نودي به، فقيل ناداه جبريل: يا يوسف، تكون في ديوان الأنبياء. وتفعل فعل السفهاء؟ وقيل: نودي: يا يوسف، لا تواقع المعصية فتكون كالطائر الذي عصى فتساقط ريشه فبقي ملقى- ناداه بذلك يعقوب-، وقيل غير هذا مما في معناه.

وقيل: كان «البرهان» كتابا رآه مكتوبا، فقيل: في جدار المجلس الذي كان فيه، وقيل: بين عيني زليخا، وقيل: في كف من الأرض خرجت دون جسد واختلف في المكتوب، فقيل: قوله تعالى: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت [الرعد: ٣٣] ، وقيل: قوله تعالى: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت [الرعد: ٣٣] ، وقيل: قوله تعالى: ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا [الإسراء: ٣٢] وقيل غير هذا. وقيل: كان البرهان أن رأى يعقوب عليه السلام ممثلا معه في البيت عاضا على إبهامه وقيل: على شفته. وقيل بل انفرج السقف فرآه كذلك. وقيل: إن جبريل قال له: لئن واقعت المعصية لأمحونك من ديوان النبوة، وقيل: إن جبريل ركضه فخرجت شهوته على أنامله.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وقيل: بل كان «البرهان» فكرته في عذاب الله ووعيده على." (١)

"والجملة إذا اتبعت النكرات فهي صفة لها وإذا اتبعت المعارف فهي أحوال منها، وقوله وما أرسلنا قبلك إلا رجالا رد على فرقة منهم كانوا يستبعدون أن يبعث الله من البشر رسولا يشف على نوعه من البشر بهذا القدر من الفضل، فمثل الله تعالى في الرد عليهم بمن سبق من الرسل من البشر، وقرأ الجمهور «يوحى» على بناء الفعل للمفعول، وقرأ حفص عن عاصم «نوحي» بالنون، ثم أحالهم على سؤال أهل الذكر من حيث لم يكن عند قريش كتاب ولا إثارة من علم، واختلف الناس في أهل الذكر من هم، فروى

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٣٤/٣

عبد الله بن سلام أنه قال أنا من أهل الذكر، وقالت فرقة هم أهل القرآن.
قال القاضي أبو محمد: وهذا موضع ينبغي أن يتأمل، وذلك أن الذكر هو كل ما يأتي من تذكير الله تعالى عباده فأهل القرآن أهل ذكر، وهذا ما أراد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأما المحال على سؤالهم في هذه الآية فلا يصح أن يكونوا أهل القرآن في ذلك الوقت لأنهم كانوا خصومهم، وإنما أحيلوا على سؤال أخبار أهل الكتاب من حيث كانوا موافقين لهم على ترك الإيمان بمحمد عليه السلام فتجيء شهادتهم بأن الرسل قديما من البشر لا مطعن فيها لازمة لكفار قريش وقوله تعالى: وما جعلناهم جسدا قيل الجسد من الأشياء يقع على ما لا يتغذى، ومنه قوله تعالى: عجلا جسدا [الأعراف: ١٤٨] .
فمعنى هذا ما جعلناهم أجسادا لا تتغذى، وقيل الجسد يعم المتغذي وغير المتغذي. والمعنى ما جعلناهم أجسادا وجعلناهم مع ذلك لا يأكلون الطعام كالجمادات أو كالملائكة، ف جعلناهم جسدا على التأويل الأول منفي، وعلى الثاني موجب، والنفي واقع على صفته. وقوله تعالى: لا يأكلون الطعام كناية عن الحدث، ثم نفى عنهم الخلد لأنه من صفات القديم وكل محدث فغير خالد في دار الدنيا.
قوله عز وجل:

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٩ الى ١٢]
ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين (٩) لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون (١٠) وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢)
هذا وعيد في ضمن وصفه تعالى سيرته في الأنبياء من أنه يصدق مواعيدهم فكذلك يصدق لمحمد عليه السلام ولأصحابه ما وعدهم من النصر وظهور الكلمة وقوله تعالى: ومن نشاء معناه من المؤمنين بهم، و «المسرفون» الكفار المفرطون في غيهم وكفرهم وكل من ترك الإيمان مفرط مسرف، ثم وبخهم تعالى بقوله: لقد أنزلنا الآية و «الكتاب» القرآن. وقوله تعالى: فيه ذكركم يحتمل أن يكون في الذكر الذي أنزله الله تعالى إليكم بأمر دينكم وآخرتكم ونجاتكم من عذابه، فأضاف الذكر إليهم حيث هو في أمرهم ويحتمل أن يريد فيه شرفكم وذكركم آخر الآية. كما تذكر عظام الأمور، وفي هذا تحريض ثم تأكد التحريض بقوله أفلا تعقلون وحركهم ذلك إلى النصر، ثم مثل لهم على جهة التوعد بمن سلف من الأمم المعذبة، وكم للتكثير

وهي في موضع نصب ب قصمنا ومعناه أهلكنا، وأصل القصم الكسر في الأجرام فإذا استعير للقوم أو القرية ونحوه فهو." (١)

"ما يشبه الكسر وهو إهلاكهم وأوقع هذه الأمور على «القرية» والمراد أهلها وهذا مهيع كثير، ومنه ما آمنت قبلهم من قرية [الأنبياء: ٦] وغيره وقوله تعالى: وأنشأنا أي خلقنا وبثثنا أمة أخرى غير المهلكة، وقوله تعالى: فلما أحسوا وصف عن قرية من القرى المجملة أولا قيل كانت باليمن تسمى حصورا بعث الله تعالى إلى أهلها رسولا فقتلوه، فأرسل الله تعالى بخت نصر صاحب بني إسرائيل فهزموا جيشه مرتين، فنهض في الثالثة بنفسه فلما مزقهم وأخذ القتل فيهم ركضوا هاربين، ويحتمل أن لا يريد بالآية قرية بعينها وأنه واصف حال كل قرية من القرى المعذبة وأن أهل كل قرية كانوا إذا أحسوا العذاب من أي نوع كان أخذوا في الفرار. وأحسوا باشروه بالحواس، و «الركض» تحريك القدم على الصفة المعهودة، فالفار والجاري بالجملة راكض إما دابة وإما الأرض تشبيها بالدابة.

قوله عز وجل:

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ١٣ الى ٦١]

لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون (١٣) قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (١٤) فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (١٥) وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (١٦)

يحتمل قوله تعالى: لا تركضوا إلى آخر الآية أن يكون من قول رجال بخت نصر على الرواية المتقدمة فالمعنى على هذا أنهم خدعوهم واستهزؤوا بهم بأن قالوا للهاربين منهم لا تفروا وارجعوا إلى مواضعكم لعلكم تسئلون صلحا أو جزية أو أمرا يتفق عليه، فلما انصرفوا أمر بخت نصر أن ينادى فيهم يا لثارات النبي المقتول فقتلوا بالسيف عن آخرهم ع، هذا كله مروي، ويحتمل أن يكون لا تركضوا إلى آخر الآية من كلام ملائكة العذاب، على التأويل الآخر أن الآيات وصف قصة كل قرية وأنه لم يرد تعيين حصورا ولا غيرها، فالمعنى على هذا أن أهل هذه القرى كانوا باغترارهم يرون أنهم من الله تعالى بمكان وأنه لو جاءهم عذاب أو أمر لم ينزل بهم حتى يخاصموا أو يسألوا عن وجع تكذيبهم لنبيهم فيحتجون هم عند ذلك بحجج تنفعهم في ظنهم، فلما نزل العذاب دون هذا الذي أملوه وركضوا فارين نادتهم الملائكة على وجه الهزء بهم

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٧٥

لا تركضوا وارجعوا لعلكم تسئلون كما كنتم تطمعون بسفه آرائكم، ثم يكون قوله حصيدا أي بالعذاب تركضوا كالحصيد، و «الإتراف» التنعيم، ودعواهم معناه دعاؤهم وكلامهم أي لم ينطقوا بغير التأسف، والحصيد يشبه بحصيد الزرع بالمنجل الذي ردهم الهلاك كذلك، وخامدين أي موتى دون أزواج مشبهين بالنار إذا طفيت، ولما فرغ وصف هذا الحال وضع الله تعالى السامعين بقوله وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين أي ظن هؤلاء الذين نزل بهم ما نزل وكما تظنون أنتم أيها الكفرة الآن ففي الآية وعيد بهذا الوجه والمعنى إنما خلقنا هذا كله ليعتبر به وينظر فيه ويؤمن بالله بحسبه، قال بعض الناس تسئلون معناه تفهمون وتفقهون.

قال القاضي أبو محمد: وهذا تفسير لا يعطيه اللفظ، وقالت فرقة تسئلون معناه شيئا من أموالكم وعرض دنياكم على وجه الهزء.." (١)

"الجاهلين به قل لهم على جهة التوبيخ والتقريع من يحفظكم، و «كلأ» معناه حفظ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لبلال «اكلأ لنا الفجر» وفي آخر الكلام تقدير محذوف كأنه قال ليس لهم مانع ولا كالىء وعلى هذا النفي تركبت بل في قوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون ثم يقضي عليهم التقدير في أنه لا مانع لهم من الله بأن كشف أمر آلهتهم والمعنى أيظنون أن آلهتهم التي هي بهذه الصفة تمنعهم من دوننا بل ما يمنعهم أحد إلا نحن، وقوله تعالى: ولا هم منا يصحبون يحتمل تأويلين أحدهما يجارون ويمنعون، والآخر ولا هم منا يصحبون بخير ولا تزكية ونحو هذا، وفي الكلام تقدير بعد محذوف كأنه قال ليس ثم شيء من هذا كله بل ضل هؤلاء لأنا متعناهم ومتعنا آباءهم فنسوا عقاب الله وظنوا أن حالهم لا تبيد والمعنى طال العمر في رخاء ثم وقفهم الله تعالى على مواضع العبر في الأمم وفي البشر بحسب الخلاف والأطراف، والرؤية في قوله يرون رؤية العين تتبعها رؤية القلب، ونأتي معناه بالقدرة والبأس، والأرض عامة في الجنس. وقوله من أطرافها إما أن يريد فيما يخرب من المعمور فذلك نقص للأرض وإما أن يريد موت البشر فهو تنقص للقرون ويكون المراد حينئذ نأتي أهل الأرض، وقال قوم النقص من الأطراف موت العلماء ثم وقفهم على جهة التوبيخ أهم يعلمون من غلب أهل الأرض قهر الكل بسلطانه وعظمته أي إن ذلك محال بين بل هم مغلوبون مقهورون.

قوله عز وجل:

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٧٦/٤

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٤٥ الى ٤٦]
قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون (٤٥) ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين (٤٦)
المعنى قل أيها المقترحون المتشططون إنما أنذركم بوحي يوحيه الله إلى وبدلالات على العبر التي نصبها الله تعالى لينظر فيها كنقصان الأرض من أطرافها وغيره ولم أبعث بآية مضطرة ولا ما تقترحون، ثم قال ولا يسمع بمعنى وأنتم معرضون عما أنذر به فهو غير نافع لكم ومثل أمرهم ب الصم، وقرأ جمهور القراء «ولا يسمع» بالياء وإسناد الفعل إلى الصم وقرأ ابن عامر وحده «ولا تسمع» بضم التاء وكسر الميم ونصب «الصم» ، وقرأت فرقة «ولا تسمع» بتاء مضمومة وفتح الميم وبناء الفعل للمفعول والفرقتان نصبت الدعاء، وقرأت فرقة «ولا يسمع الصم الدعاء» بإضافة «الصم» إلى «الدعاء» وهي قراءة ضعيفة وإن كانت متوجهة، ثم خاطب تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم متوعدا لهم بقوله ولئن مستهم نفحة، والنفحة الخطرة والمسة كما تقول نفح بيده إذا قال بها هكذا ضاربا إلى جهة، ومنه نفحة الطيب كأنه يخطر خطرات على الحاسة، ومنه نفح له من عطايا إذا أجراه منها نصيبا، ومنه نفح الفرس برجله إذا ركض، والمعنى ولئن مس هؤلاء الكفرة صدمة عذاب في دنياهم ليندمن وليقرن بظلمهم.
قوله عز وجل:." (١)
"قوله عز وجل:

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٣٦ الى ٤٠]
فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب (٣٦) والشياطين كل بناء وغواص (٣٧) وآخرين مقرنين في الأصفاد (٣٨) هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب (٣٩) وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب (٤٠)
قرأ الحسن وأبو رجاء: «الرياح» ، والجمهور على الإفراد.
وسخر الله تعالى الريح لسليمان وكان له كرسي عظيم يقال يحمل أربعة آلاف فارس، ويقال أكثر، وفيه الشياطين وتظله الطير، وتأتي عليه الريح الإعصار فتقله من الأرض حتى يحصل في الهواء ثم يتولاه الرخاء، وهي اللينة القوية المتشابهة لا تأتي فيها دفع مفرطة فتحمله غدوها شهر ورواحها شهر، وحيث أصاب حيث أراد، قاله وهب وغيره، وأنشد الثعلبي: [المتقارب]

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٨٤/٤

أصاب الكلام فلم يستطع ... فأخطى الجواب لدى المفصل

ويشبه أن أصاب معدى: صاب يصوب، أي حيث وجه جنوده وجعلهم يصوبون صوب السحاب والمطر. قال الزجاج معناه: قصد، وكذلك قولك للمتكلم أصبت: معناه قصدت الحق وقوله: كل بناء بدل من الشياطين، والمعنى: كل من بنى مصانعه للحروب. ومقرنين معناه: موثقين قد قرن بعضهم ببعض. والأصفاد القيود والأغلال.

واختلف الناس في المشار إليه بقوله: هذا عطاؤنا فقال قتادة: أشار إلى ما فعله بالجن فامنن على من شئت منهم وأطلقه من وثاقه وسرحه من خدمته أو أمسك أمره كما تريد وقال ابن عباس: أشار إلى ما وهبه من النساء وأقدره عليه من جماعهن. وقال الحسن بن أبي الحسن: أشار إلى جميع ما أعطاه من الملك وأمره بأن يمن على من يشاء ويمسك عمن يشاء، فكأنه وقفه على قدر النعمة ثم أباح له التصرف فيه بمشيئته، وهو تعالى قد علم منه أن مشيئته عليه السلام إنما تتصرف بحكم طاعة الله، وهذا أصح الأقوال (وأجمعها لتفسير الآية) ، وباقي الآية بين.

قوله عز وجل:

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٤١ الى ٤٤]

واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١) اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢) ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (٤٣) وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب (٤٤)

أيوب هو نبي من بني إسرائيل من ذرية يعقوب عليه السلام، وهو نبي ابتلي في جسده وماله وأهله، وسلم دينه ومعتقده، وروي في ذلك أن الله سلط الشيطان عليه ليفتنه عن دينه، فأصابه في ماله، وقال له: إن أطعتني رجع مالك، فلم يطعه، فأصابه في أهله وولده، فهلكوا من عند آخرهم، وقال له: لو." [1]

"أطعتني رجعوا، فلم يطعه، فأصابه في جسده، فثبت أيوب على أمر الله سبع سنين وسبعة أشهر، قاله قتادة. وروى أنس عن النبي عليه السلام أن أيوب بقي في محنته ثماني عشر سنة يتساقط لحمه حتى مله العالم، ولم يصبر عليه إلا امرأته. وروي أن السبب الذي امتحن الله أيوب من أجله هو: أنه دخل على بعض الملوك فرأى منكرا فلم يغيره. وروي أن السبب: كان أنه ذبح شاة وطبخها وأكلت عنده، وجار له

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٥٠٦

جائع لم يعطه منها شيئا. وروي أن أيوب لما تناهى بلاؤه وصبره، مر به رجلان ممن كان بينه وبينهما معرفة فتقرعاه، وقالا له: لقد أذنبت ذنبا ما أذنب أحد مثله، وفهم منهما شماتا به، فعند ذلك دعا ونادى ربه.

وقوله عليه السلام: مسني الشيطان يحتمل أن يشير إلى مسه حين سلطه الله عليه حسبما ذكرنا، ويحتمل أن يريد: مسه إياه حين حمله في أول الأمر على أن يواقع الذنب الذي من أجله كانت المحنة، إما ترك التغيير عند الملك، وإما ترك مواساة الجار. وقيل أشار إلى مسه إياه في تعرضه لأهله وطلبه منه أن يشرك بالله، فكان أيوب يتشكى هذا الفعل، وكان أشد عليه من مرضه.

وقرأ الجمهور: «أني» بفتح الهمزة. وقرأ عيسى بن عمر: «إني» بكسرها.

وقوله: أني في موضع نصب بإسقاط حرف الجر.

وقرأ جمهور الناس: «بنصب» بضم النون وسكون الصاد. وقرأ هبيرة عن حفص عن عاصم: «بنصب» بفتح النون والصاد، وهي قراءة الجحدري ويعقوب، ورويت عن الحسن وأبي جعفر. وقرأ أبو عمارة عن حفص عن عاصم: «بنصب» بضم النون والصاد، وهي قراءة أبي جعفر بن القعقاع والحسن بخلاف عنه، وروى أيضا هبيرة عن حفص عن عاصم بفتح النون وسكون الصاد، وذلك كله بمعنى واحد، معناه المشقة، وكثيرا ما يستعمل النصب في مشقة الإعياء، وفرق بعض الناس بين هذه الألفاظ، والصواب أنها لغات بمعنى، من قولهم أنصبني الأمر ونصبني إذا شق علي، فمن ذلك قول الشاعر [الطويل] تبغاك نصب من أميمة منصب ومثله قول النابغة: [الطويل] كليني لهم يا أميمة ناصب قال القاضي أبو محمد: وقد قيل في هذا البيت إن ناصبا بمعنى منصب، وأنه على النسب، أي ذا نصب، وهنا في الآية محذوف كثير، تقديره: فاستجاب له.

وقال اركض برجلك والركض: الضرب بالرجل، والمعنى: اركض الأرض. وروي عن قتادة أن هذا الأمر كان في الجابية من أرض الشام. وروي أن أيوب أمر بركض الأرض فركض فيها، فنبعت له عين ماء صافية باردة فشرب منها، فذهب كل مرض في داخل جسده، ثم اغتسل فذهب ما كان في ظاهر بدنه.

وروي أنه ركض مرتين ونبع له عينان: شرب من إحداهما، واغتسل في الأخرى وقرأ نافع وشيبة وعاصم والأعمش: «بعذاب اركض» ، بضم نون التنوين. وقرأ عامة قراء البصرة: «بعذاب اركض» ، بنون مكسورة و: مغتسل معناه: موضع غسل، وماء غسل، كما تقول: هذا الأمر معتبر، وهذا الماء مغتسل مثله.." (١)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥٠٧/٤

"الآية الأولى آية اعتبار دال على القدرة والملك المحيط بالجميع، وأن مشيئته تبارك وتعالى نافذة في جميع خلقه وفي كل أمرهم، وهذا لا مدخل لصنم فيه، فإن الذي يخلق ما يشاء ويخترع، فإنما هو الله تبارك وتعالى، وهو الذي يقسم الخلق فيهب الإناث لمن يشاء، أي يجعل بنيه نساء، ويهب الذكور لمن يشاء على هذا الحد، أو ينوعهم مرة يهب ذكرا ويهب أنثى، وذلك معنى قوله تعالى: أو يزوجهم.

وقال محمد بن الحنفية: يريد بقوله تعالى: أو يزوجهم التوأم، أي يجعل في بطن زوجا من الذرية ذكرا وأنثى. والعقيم: الذي لا يولد له، وهذا كله مدبر بالعلم والقدرة، وهذه الآية تقضي بفساد وجود الخنثى المشكل. وبدئ في هذه الآية بذكر الإناث تأنيسا بهن وتشريفا لهن ليتهمم بصونهن والإحسان إليهن، وقال النبي عليه السلام: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له حجابا من النار» .

وقال واثلة بن الأسقع: من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر، لأن الله تعالى بدأ بالإناث، حكاه الثعلبي. وقال إسحاق بن بشر: نزلت هذه الآية في الأنبياء ثم عمت، فلوط أبو البنات لم يولد له ذكر، وإبراهيم ضده، ومحمد عليه السلام ولد له الصنفان، ويحيى بن زكرياء عقيم.

وقوله تعالى: وما كان لبشر أن يكلمه الله الآية نزلت بسبب خوض كان للكفار في معنى تكليم الله موسى ونحو ذلك، ذهبت قريش واليهود في ذلك إلى تجسيم ونحوه، فنزلت الآية مبينة صورة تكليم الله عباده كيف هو، فبين الله أنه لا يكون لأحد من الأنبياء ولا ينبغي له ولا يمكن فيه أن يكلمه الله إلا بأن يوحي إليه أحد وجوه الوحي من الإلهام. قال مجاهد، والنفث في القلب. وقال النقاش: أو وحي في منام؟ قال إبراهيم النخعي: كان من الأنبياء من يخط له في الأرض ونحو هذا، أو بأن يسمعه كلامه دون أن يعرف هو للمتكلم جهة ولا حيزا كموسى عليه السلام، وهذا معنى: من وراء حجاب أي من خفاء عن المتكلم لا يحده ولا يتصور بذهنه عليه، وليس كالحجاب في الشاهد، أو بأن يرسل إليه ملكا يشافهه بوحي الله تعالى. وقرأ جمهور القراء والناس: «أو يرسل» بالنصب «فيوحي» بالنصب أيضا. وقرأ نافع وابن عامر وأهل المدينة: «أو يرسل» بالرفع «فيوحي» بسكون الياء ورفع الفعل. فأما القراءة الأولى فقال سيبويه: سألت الخليل عنها فقال: هي محمولة على أن غير التي في قوله: أن يكلمه الله لأن المعنى كان يفسد لو عطف على هذه، وإنما التقدير في قوله: وحيا إلا أن يوحي وحيا.

وقوله: من وراء حجاب، من متعلقة بفعل يدل ظاهر الكلام عليه، تقديره: أو يكلمه من وراء حجاب، ثم عطف: «أو يرسل» على هذا الفعل المقدر.

وأما القراءة الثانية فعلى أن «يرسل» في موضع الحال أو على القطع، كأنه قال: أو هو يرسل، وكذلك يكون

قوله: إلا وحيا مصدر في موضع الحال، كما تقول: أتيتك ركضا وعدوا، وكذلك قوله:
من وراء حجاب في موضع الحال كما هو قوله: ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين [آل." (١)
"ما كان من يحيى بن زكريا» قال: ثم دلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده إلى الأرض، فأخذ عودا صغيرا، ثم قال:
«وذلك أنه لم يكن له ما للرجال إلا مثل هذا العود، ولذاك سماه الله سيدا وحصورا» وقال سعيد بن المسيب: كان له كالنواة.
والثاني: أنه كان لا ينزل الماء، قاله ابن عباس والضحاك. والثالث: أنه كان لا يشتهي النساء، قاله الحسن وقتادة والسدي. والرابع: أنه كان يمنع نفسه من شهواتها، ذكره الماوردي «١» .
قوله تعالى: ونبيا من الصالحين قال ابن الأنباري: معناه: من الصالحي الحال عند الله.

[سورة آل عمران (٣) : آية ٤٠]
قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء (٤٠)
قوله تعالى: قال رب أنى يكون لي غلام أي كيف يكون؟!. قال الكميت:
أنى ومن أين آبك الطرب «٢» قال العلماء، منهم الحسن، وابن الأنباري، وابن كيسان: كأنه قال: من أي وجه يكون لي الولد؟
أيكون بازالة العقر عن زوجتي، ورد شبابي؟ أم يأتي ونحن على حالنا؟ فكان ذلك على سبيل الاستعلام، لا على وجه الشك، قال الزجاج: يقال: غلام بين الغلومية، وبين الغلامية، وبين الغلومة.
قال شيخنا أبو منصور اللغوي: الغلام: فعال، من الغلمة، وهي شدة شهوة النكاح، ويقال للكهل: غلام. قالت ليلى الأخيلية تمدح الحجاج:
غلام إذا هز القناة سقاها «٣» وكأن قولهم للكهل: غلام، أي: قد كان مرة غلاما. وقولهم للطفل: غلام على معنى التفاؤل، أي: سيصير غلاما. قال: وقيل: الغلام الطار الشارب، ويقال للجارية: غلامة. قال الشاعر «٤» :
يهان لها الغلامة والغلام قوله تعالى: وقد بلغني الكبر أي: وقد بلغت الكبر، قال الزجاج: كل شيء بلغته فقد بلغك. وفي سنة يومئذ ستة أقوال: أحدها: أنه كان ابن مائة وعشرين سنة، وامرأته بنت ثمان وتسعين،

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤٣/٥

قاله ابن عباس. والثاني: أنه كان ابن بضع وسبعين سنة، قاله قتادة. والثالث: ابن خمس وسبعين، قاله

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله ١/ ٣٦١: اعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان (حصورا) . معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصور عنها، معصوم عن الفواحش والقاذورات. ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا عليه السلام (هب لي من لدنك ذرية طيبة) كأنه قال ولدا له ذرية ونسل وعقب، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(٢) صدره: من حيث لا صبوة ولا ريب.

(٣) صدره: شفاها من الداء العضال الذي بها.

(٤) هو أوس بن غلفاء الهجيمي. وصدر بيته: ومركضة صريحي أبوها.." (١)

"على شفتيه. وقال الحسن: مثل له جبريل في صورة يعقوب في سقف البيت عاضا على إبهامه أو بعض أصابعه. وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، وابن سيرين، والضحاك في آخرين. وقال عكرمة: كل ولد يعقوب، قد ولد له اثنا عشر ولدا، إلا يوسف فانه ولد له أحد عشر ولدا، فنقص بتلك الشهوة ولدا.

والثاني: أنه جبريل عليه السلام. روى ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: مثل له يعقوب فلم يزدجر، فنودي: أتزني فتكون مثل الطائر نتف ريشه؟! فلم يزدجر حتى ركضه جبريل في ظهره، فوثب.

والثالث: أنها قامت إلى صنم في زاوية البيت فسترته بثوب، فقال لها يوسف: أي شيء تصنعين؟ قالت: أستحي من إلهي هذا أن يراني على هذه السوأة، فقال: أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع، ولا أستحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت؟ فهو البرهان الذي رأى، قاله علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين، والضحاك.

والرابع: أن الله تعالى بعث إليه ملكا، فكتب في وجه المرأة بالدم: ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا «١» ، قاله الضحاك عن ابن عباس. وروي عن محمد بن كعب القرظي: أنه رأى هذه الآية مكتوبة بين عينيها، وفي رواية أخرى عنه، أنه رآها مكتوبة في الحائط. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: بدت فيما بينهما كف ليس فيها عضد ولا معصم، وفيها مكتوب ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا، فقام هاربا، وقامت، فلما ذهب عنهما الروع عادت وعاد، فلما قعد إذا بكف قد بدت فيما بينهما فيها

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢٨٠/١

مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون»
الآية، فقام هاربا، فلما عاد، قال الله تعالى لجبرئيل: أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة، فانحط جبريل عاضا على كفه أو أصبعه وهو يقول: يا يوسف، أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الأنبياء؟!.
وقال وهب بن منبه: ظهرت تلك الكف وعليها مكتوب بالعبرانية أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت «٣» ، فانصرفا، فلما عادا رجعت وعليها مكتوب وإن عليكم لحافظين (١٠) كراما كاتبين «٤» ، فلما عادا عادت وعليها مكتوب ولا تقربوا الزنى الآية، فعاد، فعادت الرابعة وعليها مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله، فولى يوسف هاربا «٥» .
والخامس: أنه سيده العزيز دنا من الباب، رواه ابن إسحاق عن بعض أهل العلم. وقال ابن إسحاق: يقال: إن البرهان خيال سيده، رآه عند الباب فهرب.
والسادس: أن البرهان أنه علم ما أحل الله مما حرم الله، فرأى تحريم الزنا، روي عن محمد بن كعب القرظي.
قال ابن قتيبة: رأى حجة الله عليه، وهي البرهان، وهذا هو القول الصحيح، وما تقدمه فليس بشيء، وإنما هي أحاديث من أعمال القصاص، وقد أشرت إلى فسادها في كتاب «المغني في التفسير» . وكيف يظن بنبي لله كريم أنه يخوف ويرعب ويضطر إلى ترك هذه المعصية وهو مصر؟! هذا غاية القبح.

---

(١) سورة الإسراء: ٣٢.
(٢) سورة البقرة: ٢٨١.
(٣) سورة الرعد: ٣٣.
(٤) سورة الانفطار: ١٠- ١١.
(٥) هذه الآثار جميعا من الإسرائيليات، لا حجة في شيء منها، وتقدم ما فيه كفاية.." [1]
"الناس وغيرهم من الموات، تشير إليه بلفظ «أولئك» قال جرير:
الآية ذم المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد أولئك الأيام
قال المفسرون: الإشارة إلى الجوارح المذكورة، يسأل العبد يوم القيامة فيما إذا استعملها، وفي هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل، والاستماع إلى ما يحرم، والعزم على ما لا يجوز.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/٤٣١

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٣٧ الى ٣٩]

ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا (٣٧) كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها (٣٨) ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا (٣٩)

قوله تعالى: ولا تمش في الأرض مرحا وقرأ الضحاك، وابن يعمر: «مرحا» بكسر الراء، قال الأخفش: والكسر أجود، لأن «مرحا» اسم الفاعل قال الزجاج: كلاهما في الجودة سواء، غير أن المصدر أوكد في الاستعمال، تقول: جاء زيد ركضا، وجاء زيد راكضا، ف «ركضا» أوكد في الاستعمال، لأنه يدل على توكيد الفعل، وتأويل الآية: لا تمش في الأرض مختالا فخورا، والمرح:

الأشر والبطر. وقال ابن فارس: المرح: شدة الفرح.

قوله تعالى: إنك لن تخرق الأرض فيه قولان: أحدهما: لن تقطعها إلى آخرها. والثاني: لن تنفذها وتنقبها. قال ابن عباس: لن تخرق الأرض بكبرك، ولن تبلغ الجبال طولا بعظمتك. قال ابن قتيبة: والمعنى: لا ينبغي للعاجز أن يبذخ ويستكبر.

قوله تعالى: كل ذلك كان سيئه قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «سيئة» منونا غير مضاف، على معنى: كان خطيئة، فعلى هذا يكون قوله تعالى: كل ذلك إشارة إلى المنهي عنه من المذكور فقط. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «سيئه» مضافا مذكرا، فتكون لفظة «كل» يشار بها إلى سائر ما تقدم ذكره. وكان أبو عمرو لا يرى هذه القراءة. قال الزجاج: وهذا غلط من أبي عمرو، لأن في هذه الأقاصيص سيئا وحسنا، وذلك أن فيها الأمر ببر الوالدين، وإيتاء ذي القربى، والوفاء بالعهد، ونحو ذلك، فهذه القراءة أحسن من قراءة من نصب السيئة، وكذلك قال أبو عبيدة: تدبرت الآيات من قوله تعالى: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما (٢٣) فوجدت فيها أمورا حسنة.

وقال أبو علي: من قرأ «سيئة» رأى أن الكلام انقطع عند قوله تعالى: وأحسن تأويلا، وأن قوله: ولا تقف لا حسن فيه.

قوله تعالى: ذلك مما أوحى إليك ربك يشير إلى ما تقدم من الفرائض والسنن، من الحكمة، أي: من الأمور المحكمة والأدب الجامع لكل خير. وقد سبق معنى «المدحور» «١» .

[سورة الإسراء (١٧) : آية ٤٠]

أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما (٤٠)

(١) سورة الأعراف: ١٨.." [(١)]

"والثاني: أنه ضغطة القبر حتى تختلف أضلاعه فيه، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: شدة عيشه في النار، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، وابن زيد. قال ابن السائب:

وتلك المعيشة من الضريع والزقوم. والرابع: أن المعيشة الضنك: كسب الحرام، روى الضحاك عن ابن عباس قال: المعيشة الضنك: أن تضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدى لشيء منها، وله معيشة حرام يركض فيها.

قال الضحاك: فهذه المعيشة هي الكسب الخبيث، وبه قال عكرمة. والخامس: أن المعيشة الضنك: المال الذي لا يتقي الله صاحبه فيه، رواه العوفي عن ابن عباس.

فخرج في مكان المعيشة ثلاثة أقوال: أحدها: القبر. والثاني: الدنيا. والثالث: جهنم.

وفي قوله تعالى: ونحشره يوم القيامة أعمى قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «أعمى» «حشرتني أعمى» بفتح الميمين، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم بكسرهما. وقرأ نافع بين الكسر والفتح. ثم في هذا المعنى للمفسرين قولان: أحدهما: أعمى البصر، روى أبو صالح عن ابن عباس قال: إذا أخرج من القبر خرج بصيرا، فإذا سيق إلى المحشر عمي.

والثاني: أعمى عن الحجة، قاله مجاهد، وأبو صالح. قال الزجاج: معناه: فلا حجة له يهتدي بها، لأنه ليس للناس على الله حجة بعد الرسل.

قوله تعالى: كذلك أي: الأمر كذلك كما ترى أتتك آياتنا فنسيتها أي: فتركتها ولم تؤمن بها، وكما تركتها في الدنيا تترك اليوم في النار وكذلك أي: وكما ذكرناه نجزي من أسرف أي: أشرك ولعذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا ومن عذاب القبر وأبقى لأنه يدوم.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ١٢٨ الى ١٣٠]

أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى (١٢٨) ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى (١٢٩) فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى (١٣٠)

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٢٥

قوله تعالى: أفلم يهد لهم أي: أفلم يتبين لكفار مكة إذا نظروا آثار من أهلكنا من الأمم وكانت قريش تتجر وترى مساكن عاد وثمود وفيها علامات الهلاك، فذلك قوله تعالى: يمشون في مساكنهم. وروى زيد عن يعقوب: «أفلم نهد» بالنون.

قوله تعالى: ولولا كلمة سبقت من ربك في تأخير العذاب عن هؤلاء الكفار إلى يوم القيامة، وقيل: إلى يوم بدر، وقيل: إلى انقضاء آجالهم لكان لزاما أي: لكان العذاب لزاما، أي: لازما لهم. واللزام: مصدر وصف به العذاب. قال الفراء وابن قتيبة: في هذه الآية تقديم وتأخير، والمعنى:

ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاما.

قوله تعالى: فاصبر على ما يقولون أمر الله تعالى نبيه بالصبر على ما يسمع من أذاهم إلى أن يحكم الله فيهم، ثم حكم فيهم بالقتل، ونسخ بآية السيف إطلاق الصبر.

قوله تعالى: وسبح بحمد ربك أي: صل له بالحمد له والثناء عليه قبل طلوع الشمس يريد الفجر وقبل غروبها يعني: العصر ومن آناء الليل الآناء: الساعات، وقد بيناها في آل عمران «١» ،

---

(١) سورة آل عمران: ١١٣.." [١]

"تخويف لأهل مكة. ثم ذكر منته عليهم بالقرآن فقال: لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم، وفي ثلاثة أقوال «١» : أحدها: فيه شرفكم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: فيه دينكم، قاله الحسن، يعني: فيه ما تحتاجون إليه من أمر دينكم. والثالث: فيه تذكرة لكم لما تلقونه من رجعة أو عذاب، قاله الزجاج.

قوله تعالى: أفلا تعقلون ما فضلتكم به على غيركم.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ١١ الى ١٥]

وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢) لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون (١٣) قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (١٤) فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (١٥)

ثم خوفهم فقال: وكم قصمنا قال المفسرون واللغويون: معناه: وكم أهلكنا، وأصل القصم:

الكسر. قوله تعالى: كانت ظالمة أي: كافرة، والمراد: أهلها. فلما أحسوا بأسنا أي: رأوا عذابنا بحاسة البصر

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٨١/٣

إذا هم منها يركضون أي: يعدون، وأصل الركض: تحريك الرجلين، يقال: ركضت الفرس: إذا أعديته بتحريك رجليك فعدا.

قوله تعالى: لا تركضوا قال المفسرون: هذا قول الملائكة لهم: وارجعوا إلى ما أترفتم فيه، أي: إلى نعمكم التي أترفتكم، وهذا توبيخ لهم. وفي قوله: لعلكم تسئلون قولان: أحدهما: تسألون من دنياكم شيئا، استهزاء بهم، قاله قتادة. والثاني: تسألون عن قتل نبيكم، قاله ابن السائب. فلما أيقنوا بالعذاب قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين بكفرنا، فما زالت تلك دعواهم أي: ما زالت تلك الكلمة التي هي «يا ويلنا إنا كنا ظالمين» قولهم يرددونها. حتى جعلناهم حصيدا بالعذاب، وقيل: بالسيوف خامدين، أي: ميتين كخمود النار إذا طفئت.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ١٦ الى ٢٤]

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (١٦) لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين (١٧) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (١٨) وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (١٩) يسبحون الليل والنهار لا يفترون (٢٠)

أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون (٢١) لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون (٢٢) لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (٢٣) أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون (٢٤)

قوله تعالى: وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين أي: لم نخلق ذلك عبثا، إنما خلقناهما دلالة على قدرتنا ووحدانيتنا ليعتبر الناس بخلقه، فيعلموا أن العبادة لا تصلح إلا لخالقه، لنجازي أولياءنا، ونعذب أعداءنا.

قوله تعالى: لو أردنا أن نتخذ لهوا في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المشركين لما قالوا:

---

(١) قال الطبري ٩/ ٨: عنى بالذكر في هذا الموضع الشرف، وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه.."

(١)

"الحساب بما نسوا، أي: تركوا القضاء بالعدل، وهو قول عكرمة.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٨٦/٣

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٢٧ الى ٢٩]

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار (٢٧) أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار (٢٨) كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب (٢٩)

قوله تعالى: وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا أي: عبثا ذلك ظن الذين كفروا أن ذلك خلق لغير شيء، وإنما خلق للثواب والعقاب. أم نجعل الذين آمنوا قال مقاتل:

(١٢١٦) قال كفار قريش للمؤمنين: إنا نعطى في الآخرة مثل ما تعطون، فنزلت هذه الآية.

(١٢١٧) وقال ابن السائب: نزلت في الستة الذين تبارزوا يوم بدر، علي رضي الله عنه، وحمزة رضي الله عنه، وعبيدة بن الحارث رضي الله عنه، وعتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة، فذكر أولئك بالفساد في الأرض لعملهم فيها بالمعاصي، وسمى المؤمنين بالمتقين لاتقائهم الشرك، وحكم الآية عام.

قوله تعالى: كتاب أي: هذا كتاب، يعني القرآن، وقد بينا معنى بركته في سورة الأنعام «١» .

ليدبروا آياته وقرأ عاصم في رواية: «ليتدبروا آياته» بالتاء خفيفة الدال، أي: ليتفكروا فيها فيتقرر عندهم صحتها وليتذكر بما فيه من المواعظ أولوا الألباب، وقد سبق بيان هذا.

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٣٠ الى ٤٤]

ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب (٣٠) إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد (٣١) فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب (٣٢) ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق (٣٣) ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب (٣٤)

قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب (٣٥) فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب (٣٦) والشياطين كل بناء وغواص (٣٧) وآخرين مقرنين في الأصفاد (٣٨) هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب (٣٩)

وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب (٤٠) واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١) اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢) ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (٤٣) وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب (٤٤)

قوله تعالى: نعم العبد يعني به سليمان. وفي الأواب أقوال قد تقدمت في بني إسرائيل «٢» ، أليقها بهذا المكان أنه رجاع بالتوبة إلى الله تعالى مما يقع منه من السهو والغفلة.

قوله تعالى: إذ عرض عليه بالعشي وهو ما بعد الزوال الصافنات وهي الخيل، وفي معنى

رواه المصنف عن مقاتل، ومقاتل متهم بالوضع.

رواه المصنف عن ابن السائب الكلبي، وكذا السيوطي في «أسباب النزول» . وابن السائب متهم بالوضع.

---

(١) الأنعام: ٩٢.

(٢) الإسراء: ٢٥.." [1]

"قوله تعالى: رخاء فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مطيعة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن والضحاك. والثاني: أنها الطيبة، قاله مجاهد. والثالث: اللينة، مأخوذ من الرخاوة، قاله اللغويون. فإن قيل: كيف وصفها بهذا بعد أن وصفها في سورة الأنبياء «١» بأنها عاصفة؟ فالجواب: أن المفسرين قالوا: كان يأمر العاصف تارة ويأمر الرخاء أخرى. وقال ابن قتيبة: كأنها كانت تشتد إذا أراد، وتلين إذا أراد.

قوله تعالى: حيث أصاب أي: حيث قصد وأراد. قال الأصمعي: تقول العرب: أصاب فلان الصواب فأخطأ الجواب، أي: أراد الصواب.

قوله تعالى: والشياطين أي: وسخرنا له الشياطين كل بناء يبنون له ما يشاء وغواص يغوصون له في البحار فيستخرجون الدر، وآخرين أي: وسخرنا له آخرين، وهم مردة الشياطين، سخرهم له حتى قرنهم في الأصفاد لكفرهم، قال مقاتل: أوثقهم في الحديد. وقد شرحنا معنى مقرنين في الأصفاد في سورة نبي الله إبراهيم «٢» عليه السلام. هذا عطاؤنا المعنى: قلنا له: هذا عطاؤنا. وفي المشار إليه قولان: أحدهما: أنه جميع ما أعطي، فامنن أو أمسك أي: أعط من شئت من المال، وامنع من شئت. والمن: الإحسان إلى من لا يطلب ثوابه. والثاني: أنه إشارة إلى الشياطين المسخرين له فالمعنى: فامنن على من شئت بإطلاقه، وأمسك من شئت منهم. وقد روي معنى القولين عن ابن عباس.

قوله تعالى: بغير حساب قال الحسن: لا تبعة عليك في الدنيا ولا في الآخرة. وقال سعيد بن جبير: ليس عليك حساب يوم القيامة. وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: هذا عطاؤنا بغير حساب فامنن أو أمسك.

وما بعد هذا قد سبق تفسيره «٣» إلى قوله: مسني الشيطان وذلك أن الشيطان سلط عليه، فأضاف ما

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٥٧٠

أصابه إليه. قوله تعالى: بنصب قرأ الأكثرون بضم النون وسكون الصاد وقرأ الحسن، وابن أبي عبلة، وابن السميفع، والجحدري، ويعقوب: بفتحهما، وهل بينهما فرق؟ فيه قولان:

أحدهما: أنهما سواء، قال الفراء: هما كالرشد والرشد والعدم، والعدم، والحزن والحزن، وكذلك قال ابن قتيبة، والزجاج. وقال المفسرون: والمراد بالنصب: الضر الذي أصابه. والثاني: أن النصب بتسكين الصاد: الشر. وبتحريكها: الإعياء، قاله أبو عبيدة. وقرأ عائشة، ومجاهد، وأبو عمران، وأبو جعفر، وشيبة، وأبو عمارة عن حفص: «بنصب» بضم النون والصاد جميعا. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو الجوزاء، وهبيرة بن حفص: «بنصب» بفتح النون وسكون الصاد. وفي المراد بالعذاب قولان: أحدهما: أنه العذاب الذي أصاب جسده. والثاني: أنه أخذ ماله وولده وأهله.

قوله تعالى: اركض أي: اضرب الأرض برجلك، ومنه: ركضت الفرس، فركض فنبعت عين ماء، فذلك قوله تعالى: هذا مغتسل قال ابن قتيبة: المغتسل: الماء، وهو الغسول أيضا. قال الحسن: ركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها، ثم مشى نحوا من أربعين ذراعا، ثم ركض برجله

---

(١) الأنبياء: ٨١.

(٢) إبراهيم: ٤٩.

(٣) سبأ: ٣٧، الرعد: ٢٩، الأنبياء: ٨٣.." (١)

"فنبعت عين فشرب منها وعلى هذا جمهور العلماء أنه ركض ركضتين فنبعت له عينان، فاغتسل من واحدة، وشرب من الأخرى.

قوله تعالى: وخذ بيدك ضغثا كان قد حلف لئن شفاه الله ليجلدن زوجته مائة جلدة.

وفي سبب هذه اليمين ثلاثة أقوال «١» : أحدها: أن إبليس جلس في طريق زوجة أيوب كأنه طبيب، فقالت له: يا عبد الله، إن ها هنا إنسانا مبتلى، فهل لك أن تداويه؟ قال: نعم، إن شاء شفيته، على أن يقول إذا برأ: أنت شفيتني، فجاءت فأخبرته، فقال: ذاك الشيطان، لله علي إن شفاني أن أجلدك مائة جلدة، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس. والثاني: أن إبليس لقيها فقال: إني أنا الذي فعلت بأيوب ما به، وأنا آله الأرض، وما أخذته منه فهو بيدي، فانطلقي أريك، فمشى بها غير بعيد، ثم سحر بصرها، فأراها واديا عميقا فيه أهلها وولدها ومالها، فأتت أيوب فأخبرته، فقال: ذاك الشيطان، ويحك كيف وعى قوله

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٥٧٦/٣

سمعك، والله لئن شفاني الله عز وجل لأجلدنك مائة، قاله وهب بن منبه. والثالث: أن إبليس جاء إلى زوجته بسخلة، فقال: ليذبح لي هذه وقد برأ فأخبرته فحلف ليجلدنها، وقد ذكرنا هذا القول في سورة الأنبياء عن الحسن. فأما الضغث، فقال الفراء: هو كل ما جمعته من شيء مثل الحزمة الرطبة، قال: وما قام على ساق واستطال ثم جمعته، فهو ضغث. وقال ابن قتيبة: هو الحزمة من الخلال والعيدان. قال الزجاج: هو الحزمة من الحشيش والريحان وما أشبهه.

قال المفسرون: جزى الله زوجته بحسن صبرها أن أفتاه في ضربها فسهل الأمر، فجمع لها مائة عود، وقيل: مائة سنبلة، وقيل: كانت أسلا، وقيل: من الإذخر، وقيل: كانت شماريخ، فضربها بها ضربة واحدة ولم يحنث في يمينه. وهل ذلك خاص له، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه عام، وبه قال ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح وابن أبي ليلى. والثاني: أنه خاص لأيوب، قاله مجاهد.

فصل:

وقد اختلف الفقهاء فيمن حلف أن يضرب عبده عشرة أسواط فجمعها كلها وضربه بها ضربة واحدة، فقال مالك، والليث بن سعد: لا يبر، وبه قال أصحابنا. وقال أبو حنيفة والشافعي: إذا أصابه في الضربة الواحدة كل واحد منها، فقد بر واحتجوا بعموم قصة أيوب عليه الصلاة والسلام.

---

(١) هذه الأقوال باطلة، والخبر بطوله من الإسرائيليات. وقال ابن العربي: ولم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين الأولى قوله تعالى: وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر الأنبياء: ٨٣ والثانية في ص: أني مسني الشيطان بنصب وعذاب وأما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: «نبيا أيوب يغتسل إذ خر عليه رجل من جراد من ذهب» الحديث- أخرجه البخاري ٢٧٩ و ٣٣٩٣ وغيره من حديث أبي هريرة.

وإذ لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه، فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره، أم على أي لسان سمعه؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فأعرض عن سطورها بصرك، واصمم عن سماعها أذنيك، فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالا، ولا تزيد فؤادك إلا خبالا. وفي «الصحيح» واللفظ للبخاري أن ابن عباس قال: يا معشر المسلمين! تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيكم أحدث الأخبار بالله، تقرؤونه محضا لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتب فقالوا: هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ولا ينهاكم عما جاءكم من العلم عن مسألتهم، فلا

والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم، وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الموطأ على عمر قراءته التوراة.." (١)

"الأبيض، وهو صاحب الأنبياء: أنا أكفيكه، فانطلق على صفة الرهبان، فأتى صومعته، فناداه فلم يجبه، وكان لا ينفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام، ولا يفطر إلا في كل عشرة أيام، فلما رأى أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انفتل برصيصا، اطلع فرآه منتصبا يصلي على هيئة حسنة، فناداه: ما حاجتك؟ فقال: إني أحببت أن أكون معك، أقتبس من عملك، وأتأدب بأدبك، ونجتمع على العبادة، فقال برصيصا: إني لفي شغل عنك، ثم أقبل على صلاته، وأقبل الأبيض يصلي، فلم يقبل إليه برصيصا أربعين يوما، ثم انفتل، فرآه يصلي، فلما رأى شدة اجتهاده قال: ما حاجتك؟ فأعاد عليه القول، فأذن له، فصعد إليه، فأقام معه حولا لا يفطر إلا كل أربعين يوما، ولا ينفتل من صلاته إلا في كل أربعين يوما، وربما زاد على ذلك، فلما رأى برصيصا اجتهاده، أعجبه شأنه وتقاصرت إليه نفسه، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا: إني منطلق عنك، فإن لي صاحبا غيرك ظننت أنك أشد اجتهادا مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي أرى، فاشتد ذلك على برصيصا، وكره مفارقته، فلما ودعه قال له الأبيض: إن عندي دعوات أعلمكها، يشفي الله بها السقيم، ويعافي بها المبتلي، فقال برصيصا: إني أكره هذه المنزلة، لأن لي في نفسي شغلا، فأخاف أن يعلم الناس بهذا، فيشغلوني عن العبادة. فلم يزل به حتى علمه إياها، ثم انطلق إلى إبليس فقال: قد والله أهلكت الرجل، فانطلق الأبيض، فتعرض لرجل فخنقه، ثم جاءه في صورة رجل متطبب، فقال لأهله: إن بصاحبكم جنونا فأعالجه؟ قالوا: نعم، فقال لهم: إني لا أقوى على جنيه، ولكن سأرشدكم إلى من يدعو له فيعافى فقالوا له: دلنا. فقال:
انطلقوا إلى برصيصا العابد فإن عنده اسم الله الأعظم، فانطلقوا إليه فسألوه فدعا بتلك الكلمات، فذهب عنه الشيطان، وكان الأبيض يفعل بالناس ذلك، ثم يرشدهم إلى برصيصا، فيعافون، فلما طال ذلك عليه انطلق إلى جارية من بنات ملوك إسرائيل، لها ثلاثة إخوة، فخنقها، ثم جاء إليهم في صورة متطبب، فقال: أعالجها؟ قالوا: نعم. قال: إن الذي عرض لها مارد لا يطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تدعونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، قالوا: ومن هو؟ قال: برصيصا، قالوا: وكيف لنا أن يقبلها منا، وهو أعظم شأنا من ذلك؟! قال: إن قبلها، وإلا فضعوها في صومعته، وقولوا له: هي أمانة عندك، فانطلقوا اليه، فأبى عليهم، فوضعوها عنده. وفي بعض الروايات أنه قال: ضعوها في ذلك الغار، وهو غار إلى جنب صومعته، فوضعوها،

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٥٧٧/٣

فجاء الشيطان فقال له: انزل إليها فامسحها بيدك تعافى، وتنصرف إلى أهلها، فنزل، فلما دنا إلى باب الغار دخل الشيطان فيها، فإذا هي تركض، فسقطت عنها ثيابها، فنظر العابد إلى شيء لم ير مثله حسنا وجمالا، فلم يتمالك أن وقع عليها، وضرب على أذنه، فجعل يختلف اليها إلى أن حملت، فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصا قد افتضحت، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب؟! فإن سألوك عنها قلت: جاء شيطانها، فذهب بها، فلم يزل به حتى قتلها، ودفنها، ثم رجع إلى صومعته، فأقبل على صلاته إذ جاء إخوتها يسألون عنها، فقالوا: يا برصيصا! ما فعلت أختنا؟ قال: قد جاء شيطانها فذهب بها، ولم أطقه، فصدقوه، وانصرفوا. وفي بعض الروايات أنه قال: دعوت لها، فعافاها الله، ورجعت اليكم، فتفرقوا ينظرون لها أثرا، فلما أمسوا جاء الشيطان إلى كبيرهم في منامه، فقال: ويحك: إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا، وإنه دفنها في موضع كذا من جبل كذا، فقال: هذا حلم، وبرصيصا خير من ذلك، فتتابع عليه ثلاث ليال، وهو لا يكترث، فانطلق إلى الأوسط كذلك، ثم إلى الأصغر، بمثل ذلك، فقال الأصغر لإخوته: لقد رأيت كذا." (١)

"وحرمه، وإن يخل بينه وبين ذلك، فو الله ما لنا به قوة. قال: فانطلق معي إلى الملك، فلما دخل عبد المطلب على أبرهة أعظمه، وأكرمه، ثم قال لترجمانه: قل له: ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له الترجمان، فقال: حاجتي أن يرد علي مائتي بعير أصابها. فقال أبرهة لترجمانه: قل له: لقد كنت أعجبتني حين رأيتك، ولقد زهدت الآن فيك، حين جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك لأهدمنه، فلم تكلمني فيه، وكلمتني لإبل أصبتها. فقال عبد المطلب: أنا رب هذه الإبل، ولهذا البيت رب سيمنعه.

فأمر بإبله فردت عليه، فخرج، وأخبر قريشا، وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب ورؤوس الجبال خوفا من معرة الجيش إذا دخل، ففعلوا، فأتى عبد المطلب الكعبة، فأخذ بحلقة الباب، وجعل يقول:

يا رب لا أرجو لهم سواكا ... يا رب فامنع منهم حماكا

إن عدو البيت من عاداكا ... إمنعهم أن يخربوا قراكا

وقال أيضا:

لا هم إن المرء يمنع ... رحله وحلاله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم عدوا محالك

جروا جميع بلادهم ... والفيل كي يسبوا عيالك

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤/٢٦٢

عمدوا حماك بكيدهم ... جهلا وما رقبوا جلالك

إن كنت تاركهم وكع ... بتنا فأمر ما بدا لك

ثم إن أبرهة أصبح متهيئا للدخول، فبرك الفيل، فبعثوه فأبى، فضربوه، فأبى، فوجهوه إلى اليمن راجعا، فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، وإلى المشرق ففعل مثل ذلك، فوجهوه إلى الحرم، فأبى، فأرسل الله طيرا من البحر.

واختلفوا في صفتها، فقال ابن عباس: كانت لهم خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب. وقال عكرمة: كانت لها رؤوس كرؤوس السباع. وقال ابن إسحاق: كانت أمثال الخطاطيف.

واختلفوا في ألوانها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها كانت خضراء، قاله عكرمة، وسعيد بن جبير.

والثاني: سوداء، قاله عبيد بن عمير. والثالث: بيضاء، قاله قتادة. وقال: وكان مع كل طير ثلاثة أحجار، حجران في رجليه، وحجر في منقاره.

واختلفوا في صفة الحجارة فقال بعضهم: كانت كأمثال الحمص والعدس. وقال عبيد بن عمير:

بل كان الحجر كرأس الرجل وكالجمل، فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم، فلم تصب تلك الحجارة أحدا إلا هلك. وكان الحجر يقع على رأس الرجل، فيخرج من دبره. وقيل: كان على كل حجر اسم الذي وقع عليه، فهلكوا ولم يدخلوا الحرم، وبعث الله على أبرهة داء في جسده، فتساقطت أنامله، وانصدع صدره قطعتين عن قلبه، فهلك، ورأى أهل مكة الطير قد أقبلت من ناحية البحر، فقال عبد المطلب: إن هذه الطير غريبة. ثم إن عبد المطلب بعث ابنه عبد الله على فرس ينظر إلى القوم، فرجع يركض وهو يقول: هلك القوم جميعا، فخرج عبد المطلب وأصحابه فغنموا أموالهم. وقيل: لم ينج من القوم إلا أبو يكسوم، فسار، وطائر يطير على رأسه من فوقه، ولا يشعر به، حتى دخل على النجاشي، فأخبره بما أصاب القوم، فلما أتم كلامه رماه الطائر فمات، فأرى الله تعالى النجاشي كيف." (١)

"الحكم الثاني: من أحكام كونه تعالى ملكا أنه ملك لا يشبه سائر الملوك لأنهم إن تصدقوا بشيء انتقص ملكهم، وقلت خزائنهم، أما الحق سبحانه وتعالى فملكه لا ينتقص بالعطاء والإحسان، بل يزداد، بيانه أنه تعالى إذا أعطاك ولدا واحدا لم يتوجه حكمه إلا على ذلك الولد الواحد، أما لو أعطاك عشرة من الأولاد كان حكمه وتكليفه لازما على الكل، فثبت أنه تعالى كلما كان أكثر عطاء كان أوسع ملكا. الحكم الثالث: من أحكام كونه ملكا كمال الرحمة، والدليل عليه آيات: إحداها: ما ذكر في هذه السورة من كونه

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤٩١/٤

ربا رحمانا رحيما وثانيها: قوله تعالى: هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ثم قال بعده: هو الله الذي لا إله إلا هو الملك [الحشر: ٢٢، ٢٣] ثم ذكر بعده كونه قدوسا عن الظلم والجور، ثم ذكر بعده كونه سلاما، وهو الذي سلم عباده من ظلمه وجوره، ثم ذكر بعده كونه مؤمنا، وهو الذي يؤمن عبيده عن جوره وظلمه، فثبت أن كونه ملكا لا يتم إلا مع كمال الرحمة. وثالثها: قوله تعالى: الملك يومئذ الحق للرحمن [الفرقان: ٢٦] لما أثبت لنفسه الملك أردفه بأن وصف نفسه بكونه رحمانا، يعني إن كان ثبوت الملك له في ذلك اليوم يدل على كمال القهر، فكونه رحمانا يدل على زوال الخوف وحصول الرحمة. ورابعها: قوله تعالى:

قل أعوذ برب الناس ملك الناس [الناس: ١، ٢] فذكر أولا كونه ربا للناس ثم أردفه بكونه ملكا للناس، وهذه الآيات دالة على أن الملك لا يحسن ولا يكمل إلا مع الإحسان والرحمة، فيا أيها الملوك اسمعوا هذه الآيات وارحموا هؤلاء المساكين ولا تطلبوا مرتبة زائدة في الملك على ملك الله تعالى. الحكم الرابع: للملك أنه يجب على الرعية طاعته فإن خالفوه ولم يطيعوه وقع الهرج والمرج في العالم وحصل الاضطراب والتشويش ودعا ذلك إلى تخريب العالم وفناء الخلق، فلما شاهدتم أن مخالفة الملك المجازي تفضي آخر الأمر إلى تخريب العالم وفناء الخلق فانظروا إلى مخالفة ملك الملوك كيف يكون تأثيرها في زوال المصالح وحصول المفاسد؟ وتمام تقريره أنه تعالى بين أن الكفر سبب لخراب العالم، قال تعالى: تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا [مريم: ٩٠، ٩١] وبين أن طاعته سبب للمصالح قال تعالى: وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى [طه: ١٣٢] فيا أيها الرعية كونوا مطيعين لملوككم، ويا أيها الملوك كونوا مطيعين لملك الملوك حتى تنتظم مصالح العالم.

الحكم الخامس: أنه لما وصف نفسه بكونه ملكا ليوم الدين أظهر للعالمين كمال عدله فقال: وما ربك بظلام للعبيد [فصلت: ٤٦] ثم بين كيفية العدل فقال: ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا [الأنبياء: ٤٧] فظهر بهذا أن كونه ملكا حقا ليوم الدين إنما يظهر بسبب العدل. فإن كان الملك المجازي عادلا كان ملكا حقا وإلا كان ملكا باطلا فإن كان ملكا عادلا حقا حصل من بركة عدله الخير والراحة في العالم وإن كان ملكا ظالما ارتفع الخير من العالم.

يروى أن أنوشروان خرج إلى الصيد يوما، وأوغل في الركض، وانقطع عن عسكره واستولى العطش عليه، ووصل إلى بستان، فلما دخل ذلك البستان رأى أشجار الرمان فقال لصبي حضر في ذلك البستان: أعطني رمانة واحدة، فأعطاه رمانة فشقها وأخرج حبها وعصرها فخرج منه ماء كثير فشربه، وأعجبه ذلك الرمان

فعزم على أن يأخذ ذلك البستان من مالكه ثم قال لذلك الصبي: أعطني رمانة أخرى، فأعطاه فعصرها فخرج منها ماء قليل فشربه فوجده عفصا مؤذيا، فقال: أيها الصبي لم صار الرمان هكذا؟ فقال الصبي: لعل ملك البلد عزم." (١)

"مشرف فتموت، وهذا أيضا من الميتة لأنها ماتت وما سال منها الدم، ويدخل فيه ما إذا أصابه سهم وهو في الجبل فسقط على الأرض فإنه يحرم أكله لأنه لا يعلم أنه مات بالتردي أو بالسهم، والثامن: النطيحة، وهي المنطوحة إلى أن ماتت، وذلك مثل شاتين تناطحا إلى أن ماتا أو مات أحدهما، وهذا أيضا داخل في الميتة لأنها ماتت من غير سيلان الدم.

واعلم أن دخول الهاء في هذه الكلمات الأربع، أعني: المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، إنما كان لأنها صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة، كأنه قيل: حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة، وخصت الشاة لأنها من أعم ما يأكله الناس، والكلام يخرج على الأعم الأغلب ويكون المراد هو الكل.

فإن قيل: لم أثبت الهاء في النطيحة مع أنها كانت في الأصل منطوحة فعدل بها إلى النطيحة، وفي مثل هذا الموضع تكون الهاء محذوفة، كقولهم: كف خضيب، ولحية دهين، وعين كحيل.

قلنا: إنما تحذف الهاء من الفعلية إذا كانت صفة لموصوف يتقدمها، فإذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة وضعتها موضع الموصوف، تقول: رأيت قتيلة بني فلان بالهاء لأنك إن لم تدخل الهاء لم يعرف أرجل هو أو امرأة، فعلى هذا إنما دخلت الهاء في النطيحة لأنها صفة لمؤنث غير مذكور وهو الشاة، والتاسع: قوله وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وفيه مسائل:

المسألة الأولى: السبع: اسم يقع على ما له ناب ويعدو على الإنسان والدواب ويفترسها، / مثل الأسد وما دونه، ويجوز التخفيف في سبع فيقال: سبع وسبعة، وفي رواية عن أبي عمرو: السبع بسكون الباء، وقرأ ابن عباس: وأكيل السبع.

المسألة الثانية: قال قتادة: كان أهل الجاهلية إذا جرح السبع شيئا فقتله وأكل بعضه أكلوا ما بقي، فحرمه الله تعالى. وفي الآية محذوف تقديره: وما أكل منه السبع لأن ما أكله السبع فقد نفد ولا حكم له، وإنما الحكم للباقي.

المسألة الثالثة: أصل الذكاء في اللغة إتمام الشيء، ومنه الذكاء في الفهم وهو تمامه، ومنه الذكاء في السن، وقيل: جري المذكيات غلاب، أي جري المسنات التي قد أسنت، وتأويل تمام السن النهاية في

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٠٦/١

الشباب، فإذا نقص عن ذلك أو زاد فلا يقال له الذكاء في السن، ويقال ذكيت النار أي أتممت إشعالها.
إذا عرفت هذا الأصل فنقول: الاستثناء المذكور في قوله إلا ما ذكيتم فيه أقوال: الأول:
أنه استثناء من جميع ما تقدم من قوله والمنخنقة إلى قوله وما أكل السبع وهو قول علي
وابن عباس والحسن وقتادة، فعلى هذا إنك إن أدركت ذكاته بأن وجدت له عينا تطرف أو ذنبا يتحرك أو رجلا تركض فاذبح فإنه حلال، فإنه لولا بقاء الحياة فيه لما حصلت هذه الأحوال، فلما وجدتها مع هذه الأحوال دل على أن الحياة بتمامها حاصلة فيه.
والقول الثاني: أن هذا الاستثناء مختص بقوله وما أكل السبع.
والقول الثالث: أنه استثناء منقطع كأنه قيل: لكن ما ذكيتم من غير هذا فهو حلال.
والقول الرابع: أنه استثناء من التحريم لا من المحرمات، يعني حرم عليكم ما مضى إلا ما ذكيتم فإنه لكم." (١)

"واعلم أن أحوال هذا العالم محصورة في أمور أربعة: الآثار العلوية والمعادن والنبات والحيوان ومن جملة الآثار العلوية الرياح والسحاب والأمطار ويترتب على نزول الأمطار أحوال النبات وذلك هو المذكور في هذه الآية.
الوجه الثاني: في تقرير النظم أنه تعالى لما أقام الدلالة في الآية الأولى على وجود الإله القادر العالم الحكيم الرحيم أقام الدلالة في هذه الآية على صحة القول بالحشر والنشر والبعث والقيامة ليحصل بمعرفة هاتين الآيتين كل ما يحتاج إليه في معرفة المبدأ والمعاد وفي الآية مسائل:
المسألة الأولى: قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على لفظ الواحد والباقون الرياح على لفظ الجمع فمن قرأ الرياح بالجمع حسن وصفها بقوله: بشرا فإنه وصف الجمع بالجمع ومن قرأ الريح واحدة قرأ بشرا جمعا لأنه أراد بالريح الكثرة كقولهم كثير الدرهم والدينار والشاة والبعير وكقوله:
إن الإنسان لفي خسر [العصر: ٢] ثم قال: إلا الذين آمنوا [العصر: ٣] فلما كان المراد بالريح الجمع وصفها بالجمع واما قوله: نشرا ففيه قراءات: إحداها: قراءة الأكثرين نشرا بضم النون والشين وهو جمع نشور مثل رسل ورسول والنشور بمعنى المنشر كالركوب بمعنى المركوب فكان المعنى رياح منشرة أي مفرقة من كل جانب والنشر التفريق، ومنه نشر الثوب، ونشر الخشبة بالمنشار. وقال الفراء: النشر من الرياح الطيبة اللينة التي تنشر السحاب واحدها نشور وأصله من النشر وهو الرائحة الطيبة ومنه قول امرئ القيس ونشر

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٨٤/١١

العطر.

والقراءة الثانية: قرأ ابن عامر نشرا بضم النون وإسكان الشين فخفف العين كما يقال كتب ورسل.

والقراءة الثالثة: قرأ حمزة نشرا بفتح النون وإسكان الشين والنشر مصدر نشرت الثوب/ ضد طويته ويراد بالمصدر هاهنا المفعول والرياح كأنها كانت مطوية فأرسلها الله تعالى منشورة بعد انطوائها فقوله:

نشرا مصدر هو حال من الرياح والتقدير: أرسل الرياح منشرات ويجوز أيضا أن يكون النشر هنا بمعنى الحياة من قولهم أنشر الله الميت فنشر. قال الأعشى:

يا عجبا للميت الناشر.

فإذا حملته على ذلك وهو الوجه كان المصدر مرادا به الفاعل كما تقول: أتاني ركضا أي راكضا ويجوز أيضا أن يقال: إن أرسل ونشر متقاربان فكأنه قيل: وهو الذي ينشر الرياح نشرا.

والقراءة الرابعة: حكى صاحب «الكشاف» عن مسروق نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنقض وحسب ومنه قولهم: ضم نشره.

والقراءة الخامسة: قراءة عاصم بشرا بالباء المنقطة بالنقطة الواحدة من تحت جمع بشيرا على بشر من قوله تعالى: يرسل الرياح مبشرات أي تبشر بالمطر والرحمة، وروى صاحب «الكشاف» بشرا بضم الشين وتخفيفه وبشرا بفتح الباء وسكون الشين مصدر من بشره بمعنى بشره أي باشرات وبشرى.

المسألة الثانية: علم أن قوله: وهو الذي يرسل الرياح معطوف على قوله: إن ربكم الله الذي خلق." (١)

"من قوله: ولكن الله رمى هو أنه تعالى رمى قلوبهم بذلك الرعب.

والجواب: أن كل ما ذكرتموه عدول عن الظاهر، والأصل في الكلام الحقيقة.

فإن قالوا: الدلائل العقلية تمنع من القول بأن فعل العبد مخلوق لله تعالى. فنقول: هيهات فإن الدلائل العقلية في جانبنا والبراهين النقلية قائمة على صحة قولنا، فلا يمكنكم أن تعدلوا عن الظاهر إلى المجاز. والله أعلم.

المسألة الثالثة: قرئ ولكن الله قتلهم ... ولكن الله رمى بتخفيف ولكن ورفع ما بعده.

المسألة الرابعة: في سبب نزول هذه الآية ثلاثة أقوال: الأول: وهو قول أكثر المفسرين أنها نزلت في يوم بدر. والمراد أنه عليه السلام أخذ قبضة من الحصباء، ورمى بها وجوه القوم وقال شاهت الوجوه، فلم يبق مشرك إلا ودخل في عينيه ومنخريه منها شيء، فكانت تلك الرمية سببا للهزيمة، وفيه نزلت هذه الآية.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٤/ ٢٨٧

والثاني:

أنها نزلت يوم خيبر

روي أنه عليه السلام أخذ قوسا وهو على باب خيبر. فرمى سهما. فأقبل السهم حتى قتل ابن أبي الحقيق، وهو على فرسه، فنزلت وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى

والثالث: أنها نزلت في يوم أحد في قتل أبي بن خلف، وذلك

أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد من يحيي هذا وهو رميم؟ فقال عليه السلام يحييه الله ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك النار فأسر يوم بدر، فلما افتدي. قال لرسول الله إن عندي فرسا أعتلفها كل يوم فرقا من ذرة، كي أقتلك عليها. فقال صلى الله عليه وسلم: «بل أنا أقتلك إن شاء الله» فلما كان يوم أحد أقبل أبي يركض على ذلك الفرس حتى دنا من الرسول عليه الصلاة والسلام فاعترض له رجال من المسلمين ليقتلوه. فقال عليه السلام: «استأخروا» ورماه بحربة فكسر ضلعا من أضلاعه، فحمل فمات ببعض الطريق

ففي ذلك نزلت الآية والأصح أن هذه الآية نزلت في يوم بدر، وإلا لدخل في أثناء القصة كلام أجنبي عنها، وذلك لا يليق بل لا يبعد أن يدخل تحته سائر الوقائع، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

أما قوله تعالى: وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا فهذا معطوف على قوله: ولكن الله رمى / والمراد من هذا البلاء الإنعام، أي ينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصرة والغنيمة والأجر والثواب، قال القاضي: ولولا أن المفسرين اتفقوا على حمل الابتلاء هاهنا على النعمة، وإلا لكان يحتمل المحنة بالتكليف فيما بعده من الجهاد، حتى يقال: إن الذي فعله تعالى يوم بدر، كان السبب في حصول تكليف شاق عليهم فيما بعد ذلك من الغزوات.

ثم إنه تعالى ختم هذا بقوله: إن الله سميع عليم أي سميع لكلامكم عليم بأحوال قلوبكم، وهذا يجري مجرى التحذير والترهيب، لئلا يغتر العبد بظواهر الأمور، ويعلم أن الخالق تعالى مطلع على كل ما في الضمائر والقلوب.

[سورة الأنفال (٨) : الآيات ١٨ الى ١٩]

ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين (١٨) إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن

تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين (١٩)

[في قوله تعالى ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين] في الآية مسائل:." (١)

"لقتال هوازن وثقيف. واختلفوا في عدد عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عطاء عن ابن عباس: كانوا ستة عشر ألفا، وقال قتادة: كانوا اثني عشر ألفا عشر آلاف الذين حضروا مكة، وألفان من الطلقاء. وقال الكلبي: كانوا عشرة آلاف وبالجملة فكانوا عددا كثيرين، وكان هوازن وثقيف أربعة آلاف، فلما التقوا قال رجل من المسلمين:

لن تغلب اليوم من قلة، فهذه الكلمة ساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي المراد من قوله: إذ أعجبتكم كثرتكم وقيل إنه قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل قالها أبو بكر وإسناد هذه الكلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيد، لأنه كان في أكثر الأحوال متوكلا على الله منقطع القلب عن الدنيا وأسبابها.

ثم قال تعالى: فلم تغن عنكم شيئا ومعنى الإغناء إعطاء ما يدفع الحاجة فقوله: فلم تغن عنكم شيئا أي لم تعطكم شيئا يدفع حاجتكم والمقصود من هذا الكلام أن الله تعالى أعلمهم أنهم لا يغلبون بكثرتهم، وإنما يغلبون بنصر الله، فلما أعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين، وقوله: وضاقت عليكم الأرض بما رحبت يقال رحب يرحب رحبا ورحابة، فقوله: بما رحبت أي يرحبها، ومعناه مع رحبها «فما» هنا مع الفعل بمنزلة المصدر، والمعنى: أنكم لشدة ما لحقكم من الخوف ضاقت عليكم الأرض فلم تجدوا فيها موضعا يصلح لفراركم عن عدوكم. قال البراء بن عازب: كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا وكبنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام وانكشف المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يبق معه إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحرث

قال البراء: والذي لا إله إلا هو ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم دبره قط، قال: ورأيته وأبو سفيان آخذ بالركاب، والعباس آخذ بلجام دابته وهو يقول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» وطفق يركض بغلته نحو الكفار لا يبالي، وكانت بغلته شهباء، ثم قال للعباس: ناد المهاجرين والأنصار، وكان العباس رجلا صيتا، فجعل ينادي يا عباد الله يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، فجاء/ المسلمون حين سمعوا صوته عنقا واحدا، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده كفا من الحصى فرماهم بها وقال: «شاهت الوجوه» فما زال أمرهم مدبرا، وحدهم كليلا حتى هزمهم الله تعالى، ولم يبق منهم يومئذ أحد إلا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٥/ ٤٦٧

وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب،
فذلك قوله: ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين.
واعلم أنه تعالى لما بين أن الكثرة لا تنفع، وأن الذي أوجب النصر ما كان إلا من الله ذكر أمورا ثلاثة:
أحدها: إنزال السكينة والسكينة ما يسكن إليه القلب والنفس، ويوجب الأمنة والطمأنينة، وأظن وجه الاستعارة فيه أن الإنسان إذا خاف فر وفؤاده متحرك، وإذا أمن سكن وثبت، فلما كان الأمن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الأمن.
واعلم أن قوله تعالى: ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين يدل على أن الفعل موقوف على حصول الداعي، ويدل على أن حصول الداعي، ليس إلا من قبل الله تعالى.
أما بيان الأول: فهو أن حال انهزام القوم لم تحصل داعية السكون والثبات في قلوبهم، فلا جرم لم يحصل السكون والثبات، بل فر القوم وانهزموا ولما حصلت السكينة التي هي عبارة عن داعية السكون والثبات رجعوا إلى رسول الله على الصلاة والسلام، وثبتوا عنده وسكنوا فدل هذا على أن حصول الفعل موقوف على حصول الداعية.
وأما بيان الثاني: وهو أن حصول تلك الداعية من الله تعالى فهو صريح.." (١)
"الحالة أشد كانت القوة في القيام بلوازم العبودية أكمل، فقد ظهر بحمد الله تعالى صحة هذا القول الذي ذهبنا إليه ولم يبق في يد الواحدي إلا مجرد التصلف وتعديد أسماء المفسرين، ولو كان قد ذكر في تقرير ذلك القول شبهة لأجبنا عنها إلا أنه ما زاد على الرواية عن بعض المفسرين.
واعلم أن بعض الحشوية
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما كذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات»
فقلت الأولى أن لا نقبل مثل هذه الأخبار فقال على طريق الاستنكار فإن لم نقبله لزمنا تكذيب الرواة فقلت له:
يا مسكين إن قبلناه لزمنا الحكم بتكذيب إبراهيم عليه السلام وإن رددناه لزمنا الحكم بتكذيب الرواة ولا شك أن صون إبراهيم عليه السلام عن الكذب أولى من صون طائفة من المجاهيل عن الكذب.
إذا عرفت هذا الأصل فنقول للواحدي: ومن الذي يضمن لنا أن الذين نقلوا هذا القول عن هؤلاء المفسرين كانوا صادقين أم كاذبين، والله أعلم.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٦/ ١٩

المسألة الثانية: في أن المراد بذلك البرهان ما هو أما المحققون المثبتون للعصمة فقد فسروا رؤية البرهان بوجوه: الأول: أنه حجة الله تعالى في تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب والثاني: أن الله تعالى طهر نفوس الأنبياء عليهم السلام عن الأخلاق الذميمة. بل نقول: إنه تعالى طهر نفوس المتصلين به عنها كما قال:

إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا [الأحزاب: ٣٣] فالمراد برؤية البرهان هو حصول تلك الأخلاق وتذكير الأحوال الرادعة لهم عن الإقدام على المنكرات. والثالث: أنه رأى مكتوبا في سقف البيت ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا [الإسراء: ٣٢] والرابع: أنه النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش، والدليل عليه أن الأنبياء عليهم السلام بعثوا لمنع الخلق عن القبائح والفضائح فلو أنهم منعوا الناس عنها، ثم أقدموا على أقبح أنواعها وأفحش أقسامها لدخلوا تحت قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون [الصف: ٢، ٣] / وأيضا أن الله تعالى عير اليهود بقوله: أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم [البقرة: ٤٤] وما يكون عيبا في حق اليهود كيف ينسب إلى الرسول المؤيد بالمعجزات.

وأما الذين نسبوا المعصية إلى يوسف عليه السلام فقد ذكروا في تفسير ذلك البرهان أمورا: الأول: قالوا إن المرأة قامت إلى صنم مكلل بالدر والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب فقال يوسف: لم فعلت ذلك؟

قالت: أستحي من إلهي هذا أن يراني على معصية، فقال يوسف: أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع ولا أستحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت فو الله لا أفعل ذلك أبدا قالوا: فهذا هو البرهان. الثاني: نقلوا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه تمثل له يعقوب فرآه عاضا على أصابعه ويقول له: أتعمل عمل الفجار وأنت مكتوب في زمرة الأنبياء فاستحى منه. قال وهو قول عكرمة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ومقاتل وابن سيرين قال سعيد بن جبير: تمثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته من أنامله. والثالث:

قالوا إنه سمع في الهواء قائلا يقول يا ابن يعقوب لا تكن كالطير يكون له ريش فإذا زنا ذهب ريشه. والرابع: نقلوا عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يوسف عليه السلام لم ينزجر برؤية صورة يعقوب حتى ركضه جبريل عليه السلام فلم يبق فيه شيء من الشهوة إلا خرج، ولما نقل الواحدي هذه الروايات تصلف وقال: هذا

الذي ذكرناه قول أئمة التفسير الذين أخذوا التأويل عمن شاهد التنزيل فيقال له: إنك لا تأتينا البتة إلا بهذه التصلفات." (١)

"التي لا فائدة فيها فأين هذا من الحجة والدليل، وأيضا فإن ترادف الدلائل على الشيء الواحد جائز، وأنه عليه الصلاة والسلام كان ممتنعا عن الزنا بحسب الدلائل الأصلية، فلما انضاف إليها هذه الزواجر قوي الانزجار وكمل الاحتراز والعجب أنهم نقلوا أن جروا دخل حجرة النبي صلى الله عليه وسلم وبقي هناك بغير عمله قالوا: فامتنع جبريل عليه السلام من الدخول عليه أربعين يوما، وهاهنا زعموا أن يوسف عليه السلام حال اشتغاله بالفاحشة ذهب إليه جبريل عليه السلام، والعجب أنهم زعموا أنه لم يمتنع عن ذلك العمل بسبب حضور جبريل عليه السلام، ولو أن أفسق الخلق وأكفرهم كان مشتغلا بفاحشة فإذا دخل عليه رجل على زي الصالحين استحيا منه وفر وترك ذلك العمل، وهاهنا أنه رأى يعقوب عليه السلام عض على أنامله فلم يلتفت إليه، ثم إن جبريل عليه السلام على جلالة قدره دخل عليه فلم يمتنع أيضا عن ذلك القبيح بسبب حضوره حتى احتاج جبريل عليه السلام إلى أن يركضه على ظهره فنسأل الله أن يصوننا عن الغي في الدين، والخذلان في طلب اليقين فهذا هو الكلام المخلص في هذه المسألة والله أعلم.

المسألة الثالثة: في الفرق بين السوء والفحشاء وفيه وجوه: الأول: أن السوء جناية اليد/ والفحشاء هو الزنا. الثاني: السوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بالشهوة والفحشاء هو الزنا. أما قوله: إنه من عبادنا المخلصين أي الذين أخلصوا دينهم لله تعالى ومن فتح اللام أراد الذين خلصهم الله من الأسواء، ويحتمل أن يكون المراد أنه من ذرية إبراهيم عليه السلام الذي قال الله فيهم: إنا أخلصناهم بخالصة [ص: ٤٦] .

المسألة الرابعة: قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو المخلصين بكسر اللام في جميع القرآن والباقون بفتح اللام.

[سورة يوسف (١٢) : الآيات ٢٥ الى ٢٩]

واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم (٢٥) قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين (٢٦) وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين (٢٧) فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم (٢٨) يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٤٣/١٨

كنت من الخاطئين (٢٩)

اعلم أنه تعالى لما حكى عنها أنها همت أتبعه بكيفية طلبها وهربه فقال: واستبقا الباب والمراد أنه هرب منها وحاول الخروج من الباب وعدت المرأة خلفه لتجذبه إلى نفسها، والاستباق طلب السبق إلى الشيء، ومعناه تبادر إلى الباب يجتهد كل واحد منهما أن يسبق صاحبه فإن سبق يوسف فتح/ الباب وخرج، وإن سبقت المرأة أمسكت الباب لئلا يخرج، وقوله: واستبقا الباب أي استبقا إلى الباب كقوله: واختار موسى قومه سبعين رجلا [الأعراف: ١٥٥] أي من قومه.

واعلم أن يوسف عليه السلام سبقها إلى الباب وأراد الخروج والمرأة تعدو خلفه فلم تصل إلا إلى دبر." (١)

"يهوذا، وهو الذي نهاهم عن قتل يوسف، ثم حكى تعالى عن هذا الكبير أنه قال: ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما قال يوسف عليه السلام: معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده [يوسف: ٧٩] غضب يهوذا، وكان إذا غضب وصاح فلا تسمع صوته حامل إلا وضعت ويقوم شعره على جسده فلا يسكن حتى يضع بعض آل يعقوب يده عليه فقال لبعض إخوته اكفوني أسواق أهل مصر وأنا أكفيكم الملك فقال يوسف عليه السلام لابن صغير له مسه فمسه فذهب غضبه وهم أن يصيح فركض يوسف عليه السلام رجله على الأرض وأخذ بملابسه وجذبه فسقط فعنده قال يا أيها العزيز، فلما أيسوا من قبول الشفاعة تذاكروا وقالوا: إن أبانا قد أخذ علينا موثقا عظيما من الله. وأيضا نحن متهمون بواقعة يوسف فكيف المخلص من هذه الورطة.

المسألة الثانية: لفظ ما في قوله: ما فرطتم فيها وجوه: الأول: أن يكون أصله من قبل هذا فرطتم في شأن يوسف عليه السلام، ولم تحفظوا عهد أبيكم. الثاني: أن تكون مصدرية ومحله الرفع على الابتداء وخبره الظرف، وهو من قبل. ومعناه وقع من قبل تفريطكم في يوسف، الثالث: النصب عطفا على مفعول ألم تعلموا والتقدير: ألم تعلموا أخذ أبيكم موثقكم وتفريطكم من قبل في يوسف. الرابع: أن تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه أي قدمتموه في حق يوسف من الخيانة العظيمة، ومحله الرفع والنصب على الوجهين المذكورين، ثم قال: فلن أبرح الأرض أي فلن أفارق أرض مصر حتى يأذن لي أبي في الانصراف إليه أو يحكم الله لي بالخروج منها أو بالانتصاف ممن أخذ أخي أو بخلاصه من يده بسبب من الأسباب وهو خير الحاكمين، لأنه لا يحكم إلا بالعدل والحق، وبالجملة فالمراد ظهور عذر يزول معه

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٨/٤٤٤

حياؤه وخجله من أبيه أو غيره قاله انقطاعا إلى الله تعالى في إظهار عذره بوجه من الوجوه.

[سورة يوسف (١٢) : الآيات ٨١ الى ٨٢]

ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين (٨١) وسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون (٨٢)

واعلم أنهم لما تفكروا في الأصوب ما هو ظهر لهم أن الأصوب هو الرجوع، وأن يذكروا لأبيهم كيفية الواقعة على الوجه من غير تفاوت، والظاهر أن هذا القول قاله ذلك الكبير الذي قال: فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي قيل إنه روبيل، وبقي هو في مصر وبعث سائر إخوته إلى الأب.

فإن قيل: كيف حكموا عليه بأنه سرق من غير بينة، لا سيما وهو قد أجاب بالجواب الشافي، فقال الذي جعل الصواع في رحلي هو الذي جعل البضاعة في رحلكم.

والجواب عنه من وجوه:

الوجه الأول: أنهم شاهدوا أن الصواع كان موضوعا في موضع ما كان يدخله أحد إلا هم، فلما شاهدوا أنهم أخرجوا الصواع من رحله غلب على ظنونهم أنه هو الذي أخذ الصواع، وأما قوله: وضع الصواع في رحلي من وضع البضاعة في رحالكم فالفرق ظاهر، لأن هناك لما رجعوا بالبضاعة إليهم اعترفوا بأنهم هم الذين." (١)

"الإنسان مشيا يدل على الكبرياء والعظمة. قال الزجاج: لا تمش في الأرض مختالا فخورا ونظيره قوله تعالى في سورة الفرقان: وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا [الفرقان: ٦٣] وقال في سورة لقمان:

واقصد في مشيك واغضض من صوتك [لقمان: ١٩] وقال أيضا فيها: ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور [لقمان: ١٨] .

المسألة الثانية: قال الأخفش: ولو قرئ: مرحا بالكسر كان أحسن في القراءة. قال الزجاج: مرحا مصدر ومرحا اسم الفاعل وكلاهما جائز، إلا أن المصدر أحسن هاهنا وأوكد، تقول جاء زيد ركضا وراكضا فركضا أوكد لأنه يدل على توكيد الفعل، ثم إنه تعالى أكد النهي عن الخيلاء والتكبر فقال: إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا والمراد من الخرق هاهنا نقب الأرض، ثم ذكروا فيه وجوها: الأول: أن المشي إنما

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٨/٤٩٣

يتم بالارتفاع والانخفاض فكأنه قيل: إنك حال الانخفاض لا تقدر على خرق الأرض ونقبها، وحال الارتفاع لا تقدر على أن تصل إلى رؤوس الجبال، والمراد التنبيه على كونه ضعيفا عاجزا فلا يليق به التكبر. الثاني: المراد منه أن تحتك الأرض التي لا تقدر على خرقها وفوقك الجبال التي لا تقدر على الوصول إليها فأنت محاط بك من فوقك وتحتك بنوعين من الجماد، وأنت أضعف منهما بكثير، والضعيف المحصور لا يليق به التكبر فكأنه قيل له: تواضع ولا تتكبر فإنك خلق ضعيف من خلق الله المحصور بين حجارة وتراب فلا تفعل فعل المقتدر القوي:

ثم قال تعالى: كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الأكثرون قرءوا سيئه بضم الهاء والهمزة وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو سيئة منصوبة أما وجه قراءة الأكثرين فظاهر من وجهين:

الوجه الأول: قال الحسن: إنه تعالى ذكر قبل هذا أشياء أمر ببعضها ونهى عن بعضها، فلو حكم على الكل بكونه سيئة لزم كون المأمور به سيئة وذلك لا يجوز، أما إذا قرأناه بالإضافة كان المعنى أن ما كان من تلك الأشياء المذكورة سيئة فهو مكروه عند الله واستقام الكلام.

والوجه الثاني: أنا لو حكمنا على كل ما تقدم ذكره بكونه سيئة لوجب أن يقال: إنها مكروهة وليس الأمر كذلك لأنه تعالى قال: مكروها أما إذا قرأناه بصيغة الإضافة كان المعنى أن سيئ تلك الأقسام يكون مكروها، وحينئذ يستقيم الكلام. أما قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو: فيها وجوه: الأول: أن الكلام تم عند قوله: ذلك خير وأحسن تأويلا [الإسراء: ٣٥] ثم ابتدأ وقال: ولا تقف ما ليس لك به علم [الإسراء: ٣٦] ولا تمش في الأرض مرحا [الإسراء: ٣٧] .

ثم قال: كل ذلك كان سيئه والمراد هذه الأشياء الأخيرة التي نهى الله عنها. والثاني: أن المراد بقوله: كل ذلك أي كل ما نهى الله عنه فيما تقدم. وأما قوله: مكروها فذكروا في تصحيحه على هذه القراءة وجوها: الأول: التقدير: كل ذلك كان سيئة وكان مكروها. الثاني: قال صاحب «الكشاف» : السيئة في حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه، ولا فرق بين من قرأ سيئة ومن قرأ سيئه ألا ترى أنك تقول: الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة، فلا تفرق بين إسنادها إلى مذكر ومؤنث. الثالث: فيه." (١)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٤٢/٢٠

"وبراءتهم عن الصفات القادحة في التبليغ، أما قوله تعالى: ثم صدقناهم الوعد فقال صاحب «الكشاف» هو مثل قوله: واختار موسى قومه سبعين رجلا [الأعراف: ١٥٥] والأصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم المقال: ومن نشاء هم المؤمنون، قال المفسرون: المراد منه/ أنه تقدم وعده جل جلاله بأنه إنما يهلك بعذاب الاستئصال من كذب الرسل دون نفس الرسل ودون من صدق بهم، وجعل الوفاء بما وعد صدقا من حيث يكشف عن الصدق ومعنى: وأهلكنا المسرفين أي بعذاب الاستئصال وليس المراد عذاب الآخرة لأنه إخبار عما مضى وتقدم، ثم بين تعالى بقوله: لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم عظيم نعمته عليهم بالقرآن في الدين والدنيا، فلذلك قال فيه: ذكركم وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: ذكركم شرفكم وصيتكم، كما قال: وإنه لذكر لك ولقومك [الزخرف: ٤٤] . وثانيها: المراد فيه تذكرة لكم لتحذروا ما لا يحل وترغبوا فيما يجب، ويكون المراد بالذكر الوعد والوعيد، كما قال: وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين [الذاريات: ٥٥] . وثالثها:

المراد ذكر دينكم ما يلزم وما لا يلزم لتفوزوا بالجنة إذا تمسكتم به وكل ذلك محتمل، وقوله: أفلا تعقلون كالبعث على التدبر في القرآن لأنهم كانوا غفلاء لأن الخوض من لوازم الغفلة والتدبر دافع لذلك الخوض ودفع الضرر عن النفس من لوازم الفعل فمن لم يتدبر فكأنه خرج عن العقل.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ١١ الى ١٥]

وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢) لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون (١٣) قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (١٤) فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (١٥)

اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم تلك الاعتراضات وكانت تلك الاعتراضات ظاهرة السقوط لأن شرائط الإعجاز لما تمت في القرآن ظهر حينئذ لكل عاقل كونه معجزا، وعند ذلك ظهر أن اشتغالهم بإيراد تلك الاعتراضات كان لأجل حب الدنيا وحب الرياسة فيها فبالغ سبحانه في زجرهم عن ذلك فقال: وكم قصمنا من قرية قال صاحب «الكشاف» القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم وذكر القرية وأنها ظالمة وأراد أهلها توسعا لدلالة العقل على أنها لا تكون ظالمة ولا مكلفة ولدلالة قوله تعالى:

وأنشأنا بعدها قوما آخرين فالمعنى أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين وقال: فلما أحسوا بأسنا- إلى قوله-: قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين وكل ذلك لا يليق إلا بأهلها الذين كلفوا بتصديق الرسل فكذبوهم ولولا هذه/

الدلائل لما جاز منه سبحانه ذكر المجاز لأنه يكون ذلك موهما للكذب، واختلفوا في هذا الإهلاك فقال ابن عباس: المراد منه القتل بالسيوف والمراد بالقرية حضور وهي وسحول قريتان باليمن ينسب إليهما الثياب.

وفي الحديث: «كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين»

وروي: «حضوريين بعث الله إليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم»

وروي: «أنه لما أخذتهم السيوف نادى مناد من السماء يا لثارات الأنبياء»

فندموا واعترفوا بالخطأ، وقال الحسن: المراد عذاب الاستئصال، واعلم أن هذا أقرب لأن إضافة ذلك إلى الله تعالى أقرب من إضافته إلى القاتل، ثم بتقدير أن يحمل ذلك على عذاب القتل فما." (١)

"الدليل على قول ابن عباس ولعل ابن عباس ذكر حضور بأنها إحدى القرى التي أرادها الله تعالى بهذه الآية، وأما قوله تعالى: فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون فالمعنى لما علموا شدة عذابنا وبطشنا علم حس ومشاهدة ركضوا في ديارهم، والركض ضرب الدابة بالرجل، ومنه قوله تعالى: اركض برجلك فيجوز أن يكونوا ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب، ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين، أما قوله: لا تركضوا قال صاحب «الكشاف» : القول محذوف، فإن قلت من القائل قلنا يحتمل أن يكون بعض الملائكة ومن ثم من المؤمنين، أو يكونوا خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل، أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثون به نفوسهم، أما قوله: وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم أي من العيش والرفاهية والحال الناعمة، والإتراف إبطار النعمة وهي الترفه، أما قوله تعالى: لعلكم تسئلون فهو تهكم بهم وتوبيخ، ثم فيه وجوه: أحدها: أي ارجعوا إلى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة. وثانيها: ارجعوا كما كنتم في مجالسكم حتى تسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقول لكم بم تأمرون وماذا ترسمون المخدومين. وثالثها: تسألكم الناس في أنديتكم لتعاونوهم في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات ويستعينون بآرائكم. ورابعها: يسألكم الوافدون عليكم والطامعون فيكم إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم وتوبيخا إلى توبيخ، أما قوله تعالى: فما زالت تلك دعواهم فقال صاحب

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٢٣/٢٢

«الكشاف» تلك إشارة إلى يا ويلنا لأنها عدوى كأنه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم، والدعوى بمعنى الدعوة قال تعالى: وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين [يونس: ١٠] فإن قلت: لم سميت دعوى؟ قلت: لأنهم كانوا دعوا بالويل: ف قالوا يا ويلنا أي يا ويل احضر فهذا وقتك، وتلك مرفوع أو منصوب اسما أو خبرا وكذلك: دعواهم قال المفسرون: لم يزالوا يكررون هذه الكلمة فلم ينفعهم ذلك كقوله تعالى: فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا [غافر: ٨٥] أما قوله: حتى جعلناهم حصيدا خامدين/ فالحصيد الزرع المحصود أي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم، كما تقول جعلناهم رمادا أي مثل الرماد فإن قيل: كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل، قلت: حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد والمعنى جعلناهم جامعين لهذين الوصفين، والمراد أنهم أهلكوا بذلك العذاب حتى لم يبق لهم حس ولا حركة وجفوا كما يجف الحصيد، وتخمدوا كما تخمد النار.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ١٦ الى ١٨]

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (١٦) لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين (١٧) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (١٨)

اعلم أن فيه مسائل:

المسألة الأولى: في تعلق هذه الآية بما قبلها وجهان: الأول: أنه تعالى لما بين إهلاك أهل القرية لأجل تكذيبهم أتبعه بما يدل على أنه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على ما فعلوا فقال: وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين أي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب والغرائب كما." (١)

"وأنت أرحم الراحمين

وفي مدة بلائه. فالرواية الأولى:

روى ابن شهاب عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أيوب عليه السلام بقي في البلاء ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان ويروحان إليه، فقال أحدهما للآخر ذات يوم: والله لقد أذنب أيوب ذنبا/ ما أذنبه أحد من العالمين، فقال له صاحبه: وما ذاك؟ فقال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله تعالى ولم يكشف ما به. فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٢٤/٢٢

حتى ذكر ذلك لأيوب عليه السلام. فقال أيوب: ما أدري ما تقولان، غير أن الله تعالى يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله عز وجل فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق. وفي رواية أخرى أن الرجلين لما دخلا عليه وجدا ريحا فقالا: لو كان لأيوب عند الله خير ما بلغ إلى هذه الحالة، قال: فما شق على أيوب شيء مم ابتلي به أشد مما سمع منهما، فقال: اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت شبعانا وأنا أعلم بمكان جائع فصدقني فصدقه وهما يسمعان، ثم خر أيوب عليه السلام ساجدا ثم قال: اللهم إني لا أرفع رأسي حتى تكشف ما بي قال فكشف الله ما به.

الرواية الثانية:

قال الحسن رحمه الله: مكث أيوب عليه السلام بعد ما ألقي على الكناسة سبع سنين وأشهرا، ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق غير امرأته رحمة صبرت معه وكانت تأتيه بالطعام وتحمد الله تعالى مع أيوب وكان أيوب مواظبا على حمد الله تعالى والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه، فصرخ إبليس صرخة جزعا من صبر أيوب، فاجتمع جنوده من أقطار الأرض وقالوا له ما خبرك؟ قال: أعياني هذا العبد الذي سألت الله أن يسلطني عليه وعلى ماله وولده فلم أدع له مالا ولا ولدا ولم يزدد بذلك إلا صبرا وحمدا لله تعالى، ثم سلطت على جسده فتركته ملقى في كناسة وما يقربه إلا امرأته، وهو مع ذلك لا يفتر عن الذكر والحمد لله، فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا له: أين مكرك! أين عملك الذي أهلكت به من مضى؟ قال: بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا علي، قالوا: أدليت آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيته؟ قال من قبل امرأته، قالوا: فشأنك بأيوب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها لأنه لا يقربه أحد غيرها. قال: أصبتم فانطلق حتى أتى امرأته فتمثل لها في صورة رجل، فقال: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت: هو هذا يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده، فلما سمعها طمع أن يكون ذلك كله جزعا، فوسوس إليها وذكرها ما كان لها من النعم والمال، وذكرها جمال أيوب وشبابه. قال الحسن رحمه الله:

فصرخت، فلما صرخت علم أنها قد جزعت فأتاها بسخلة، وقال ليذبح هذه لي أيوب ويبرأ، قال: فجاءت تصرخ إلى أيوب يا أيوب حتى متى يعذبك ربك، ألا يرحمك أين المال، أين الماشية، أين الولد، أين الصديق، أين اللون الحسن، أين جسمك الذي قد بلي وصار مثل الرماد، وتردد فيه الدواب اذبح هذه السخلة واسترح؟ فقال أيوب عليه السلام: أتاك عدو الله ونفخ فيك فأجبتيه! ويلك أترين ما تبكين عليه مما تذكرين مما كنا فيه من المال والولد والصحة، من أعطانا ذلك؟ قالت الله. قال: فكم متعنا به؟ قالت: ثمانين سنة. قال:

فمنذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء؟ قالت: منذ سبع سنين وأشهر، قال ويلك، والله ما أنصفت ربك، ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة. والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة. أمرتيني أن أذبح لغير الله، وحرام علي أن أذوق بعد هذا شيئا من طعامك وشرابك الذي تأتيني به، فطردها فذهبت، فلما نظر/ أيوب في شأنه وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق، وقد ذهبت امرأته خر ساجدا، وقال: رب أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فقال: ارفع رأسك فقد استجبت لك: اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل من ه ا، فلم يبق في ظاهر بدنه دابة إلا سقطت منه، ثم ضرب برجله مرة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب." (١)

"كثيفة الأجسام، وزعم أن الناس كانوا يشاهدونهم في زمن سليمان، ثم إنه لما توفي سليمان عليه السلام، أمات الله أولئك الجن والشياطين، وخلق نوعا آخر من الجن والشياطين تكون أجسامهم في غاية الرقة، ولا يكون لهم شيء من القوة، والموجود في زماننا من الجن والشياطين ليس إلا من هذا الجنس.

ثم قال تعالى: هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وفيه قولان الأول: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب، أي ليس عليك حرج فيما أعطيت وفيما أمسكت الثاني: أن هذا في أمر الشياطين خاصة، والمعنى هؤلاء الشياطين المسخرون عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين فحل عنه، واحبس من شئت منهم في العمل بغير حساب.

ولما ذكر الله تعالى ما أنعم به على سليمان في الدنيا، أردفه بإنعامه عليه في الآخرة، فقال: وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب وقد سبق تفسيره.

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٤١ الى ٤٤]

واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١) اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢) ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (٤٣) وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب (٤٤)

[القصة الثالثة]

[في قوله تعالى واذكر عبدنا أيوب إلى قوله بنصب وعذاب] اعلم أن هذا هو القصة الثالثة من القصص المذكورة في هذه السورة، واعلم أن داود وسليمان كانا ممن أفاض الله عليه أصناف الآلاء والنعماء، وأيوب

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٧٣/٢٢

كان ممن خصه الله تعالى بأنواع البلاء، والمقصود من جميع هذه القصص الاعتبار. كأن الله تعالى قال: يا محمد اصبر على سفاهة قومك فإنه ما كان في الدنيا أكثر نعمة ومالا وجاها من داود وسليمان عليهما السلام، وما كان أكثر بلاء ومحنة من أيوب، فتأمل في أحوال هؤلاء لتعرف أن أحوال الدنيا لا تنتظم لأحد، وأن العاقل لا بد له من الصبر على المكاره، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قال صاحب «الكشاف» : أيوب عطف بيان، وإذ بدل اشتمال منه أني مسني أي بأني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه، ولو لم يحك لقال بأنه مسه لأنه غائب، وقرء: بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وفتحها وضمها، فالنصب والنصب، كالرشد والرشد، والعدم والعدم، والسقم والسقم، والنصب، على أصل المصدر، والنصب تثقيل نصب، والمعنى واحد، وهو التعب والمشقة والعذاب والألم.

واعلم أنه كان قد حصل عنده نوعان من المكروه: الغم الشديد بسبب زوال الخيرات وحصول المكروهات، والألم الشديد في الجسم ولما حصل هذان النوعان لا جرم، ذكر الله تعالى لفظين وهما النصب والعذاب.

المسألة الثانية: للناس في هذا الموضع قولان الأول: أن الآلام والأسقام الحاصلة في جسمه إنما حصلت بفعل الشيطان الثاني: أنها إنما حصلت بفعل الله، والعذاب المضاف في هذه الآية إلى الشيطان هو عذاب الوسوسة، وإلقاء الخواطر الفاسدة.." (١)

"وأما القول الأول: فتقريره ما روي أن إبليس سأل ربه، فقال هل في عبيدك من لو سلطتني عليه يمتنع مني؟ فقال الله: نعم عبدي أيوب، فجعل يأتيه بوساوسه وهو يرى إبليس عيانا ولا يلتفت إليه، فقال: يا رب إنه قد امتنع علي فسلطني على ماله، وكان يجيئه ويقول له: هلك من مالك كذا وكذا، فيقول الله أعطى والله أخذ، ثم يحمد الله، فقال: يا رب إن أيوب لا يبالي بماله فسلطني على ولده، فجاء وزلزل الدار فهلك أولاده بالكلية، فجاءه وأخبره به فلم يلتفت إليه، فقال يا رب لا يبالي بماله وولده فسلطني على جسده، فأذن فيه، فنفخ في جلد أيوب، وحدثت أسقام عظيمة وآلام شديدة فيه، فمكث في ذلك البلاء سنين، حتى صار بحيث استقذره أهل بلده، فخرج إلى الصحراء وما كان يقرب منه أحد، فجاء الشيطان إلى امرأته، وقال لو أن زوجك استعان بي لخلصته من هذا البلاء، فذكرت المرأة ذلك لزوجها، فحلف بالله لئن عافاه الله ليجلدنها مائة جلدة، وعند هذه الواقعة قال: / أني مسني الشيطان بنصب وعذاب فأجاب الله دعاءه، وأوحى إليه أن اركض برجلك فأظهر الله من تحت رجله عينا باردة طيبة فاغتسل منها، فأذهب الله

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٩٦/٢٦

عنه كل داء في ظاهره وباطنه، ورد عليه أهله وماله.
والقول الثاني: أن الشيطان لا قدرة له البتة على إيقاع الناس في الأمراض والآلام، والدليل عليه وجوه الأول: أنا لو جوزنا حصول الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان، فلعل الواحد منا إنما وجد الحياة بفعل الشيطان، ولعل كل ما حصل عندنا من الخيرات والسعادات، فقد حصل بفعل الشيطان، وحينئذ لا يكون لنا سبيل إلى أن نعرف أن معطي الحياة والموت والصحة والسقم، هو الله تعالى الثاني: أن الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يسعى في قتل الأنبياء والأولياء، ولم لا يخرب دورهم، ولم لا يقتل أولادهم الثالث: أنه تعالى حكى عن الشيطان أنه قال: وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي [إبراهيم: ٢٢] فصرح بأنه لا قدرة له في حق البشر إلا على إلقاء الوساوس والخواطر الفاسدة، وذلك يدل على قول من يقول إن الشيطان هو الذي ألقاه في تلك الأمراض والآفات، فإن قال قائل: لم لا يجوز أن يقال إن الفاعل لهذه الأحوال هو الله تعالى لكن على وفق التماس الشيطان؟ قلنا فإذا كان لا بد من الاعتراف بأن خالق تلك الآلام والأسقام هو الله تعالى، فأي فائدة في جعل الشيطان واسطة في ذلك؟ بل الحق أن المراد من قوله: أني مسني الشيطان بنصب وعذاب أنه بسبب إلقاء الوساوس الفاسدة والخواطر الباطنة كان يلقيه في أنواع العذاب والعناء، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في أن تلك الوساوس كيف كانت وذكروا فيه وجوها الأول: أن علته كانت شديدة الألم، ثم طالت مدة تلك العلة واستقذره الناس ونفروا عن مجاورته، ولم يبق له شيء من الأموال البتة. وامرأته كانت تخدم الناس وتحصل له قدر القوت، ثم بلغت نفرة الناس عنه إلى أن منعوا امرأته من الدخول عليهم ومن الاشتغال بخدمتهم، والشيطان كان يذكره النعم التي كانت والآفات التي حصلت، وكان يحتال في دفع تلك الوساوس، فلما قويت تلك الوساوس في قلبه خاف وتضرع إلى الله، وقال: أني مسني الشيطان بنصب وعذاب لأنه كلما كانت تلك الخواطر أكثر كان ألم قلبه منها أشد. الثاني: أنها لما طالت مدة المرض جاءه الشيطان وكان يقنطه من ربه ويزين له أن يجزع فخاف من تأكد خاطر القنوط في قلبه فتضرع إلى الله تعالى وقال: أني مسني الشيطان، الثالث: قيل إن الشيطان لما قال لامرأته لو أطاعني زوجك أزلت عنه هذه الآفات فذكرت المرأة له ذلك، فغلب على ظنه أن الشيطان طمع في دينه فشق ذلك عليه فتضرع إلى الله." (١)

"تعالى وقال: أني مسني الشيطان بنصب وعذاب، الرابع:
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أنه بقي أيوب في البلاء ثمان عشرة سنة حتى رفضه القريب والبعيد

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٩٧/٢٦

إلا رجلين، ثم قال أحدهما لصاحبه لقد أذنب أيوب ذنبا ما أتى به أحد من العالمين، ولولاه ما وقع في مثل هذا البلاء، فذكروا ذلك/ لأيوب عليه السلام، فقال: لا أدري ما تقولان غير أن الله يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فأرجع إلى بيتي فأنفر عنهما كراهية أن يذكر الله تعالى إلا في الحق»

الخامس: قيل إن امرأته كانت تخدم الناس فتأخذ منهم قدر القوت وتجيء به إلى أيوب، فاتفق أنهم ما استخدموها البتة وطلب بعض النساء منها قطع إحدى ذؤابتيها على أن تعطيها قدر القوت ففعلت، ثم في اليوم الثاني ففعلت مثل ذلك فلم يبق لها ذؤابة. وكان أيوب عليه السلام إذا أراد أن يتحرك على فراشه تعلق بتلك الذؤابة، فلما لم يجد الذؤابة وقعت الخواطر المؤذية في قلبه واشتد غمه، فعند ذلك قال: أني مسني الشيطان بنصب وعذاب، السادس: قال في بعض الأيام: يا رب لقد علمت ما اجتمع علي أمران إلا آثرت طاعتك، ولما أعطيتني المال كنت للأرامل قيما، ولابن السبيل معينا، ولليتامى أبا! فنودي من غمامة يا أيوب ممن كان ذلك التوفيق؟ فأخذ أيوب التراب ووضعه على رأسه، وقال منك يا رب ثم خاف من الخاطر الأول فقال: مسني الشيطان بنصب وعذاب وقد ذكروا أقوالا أخرى، والله أعلم بحقيقة الحال، وسمعت بعض اليهود يقول: إن لموسى بن عمران عليه السلام كتابا مفردا في واقعة أيوب، وحاصل ذلك الكتاب أن أيوب كان رجلا كثير الطاعة لله تعالى مواظبا على العبادة، مبالغا في التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة على خلق الله، ثم إنه وقع في البلاء الشديد والعناء العظيم، فهل كان ذلك لحكمة أم لا؟ فإن كان ذلك لحكمة فمن المعلوم أنه ما أتى بجرم في الزمان السابق حتى يجعل ذلك العذاب في مقابلة ذلك الجرم، وإن كان ذلك لكثرة الثواب فالإله الحكيم الرحيم قادر على إيصال كل خير ومنفعة إليه من غير توسط تلك الآلام الطويلة والأسقام الكريهة. وحينئذ لا يبقى في تلك الأمراض والآفات فائدة، وهذه كلمات ظاهرة جلية وهي دالة على أن أفعال ذي الجلال منزهة عن التعليل بالمصالح والمفاسد، والحق الصريح أنه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون [الأنبياء: ٢٣] .

المسألة الثالثة: لفظ الآية يدل على أن ذلك النصب والعذاب إنما حصل من الشيطان ثم ذلك العذاب على القول الأول عبارة عما حصل في بدنه من الأمراض، وعلى القول الثاني عبارة عن الأحزان الحاصلة في قلبه بسبب إلقاء الوساوس، وعلى التقديرين فيلزم إثبات الفعل للشيطان، وأجاب أصحابنا رحمهم الله بأنا لا ننكر إثبات الفعل للشيطان لكنا نقول فعل العبد مخلوق لله تعالى على التفصيل المعلوم.

أما قوله تعالى: اركض برجلك فالمعنى أنه لما شكا من الشيطان، فكأنه سأل ربه أن يزيل عنه تلك البلية

فأجابه الله إليه بأن قال له: اركض برجلك والركض هو الدفع القوي بالرجل، ومنه ركضك الفرس، والتقدير قلنا له اركض برجلك، قيل إنه ضرب برجله تلك الأرض فنبعت عين فقيل: هذا مغتسل بارد وشراب أي هذا ماء تغتسل به فيبرأ باطنك، وظاهر اللفظ يدل على أنه نبعت له عين واحدة من الماء اغتسل فيه وشرب منه. والمفسرون قالوا نبعت له/ عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى، فذهب الداء من ظاهره ومن باطنه بإذن الله، وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها.." (١)

"ثم قال تعالى: ووهبنا له أهله فقد قيل هم عين أهله وزيادة مثلهم، وقيل غيرهم مثلهم، والأول: أولى لأنه هو الظاهر فلا يجوز العدول عنه من غير ضرورة، ثم اختلفوا فقال بعضهم: معناه أزلنا عنهم السقم فعادوا أصحاء، وقال بعضهم: بل حضروا عنده بعد أن غابوا عنه واجتمعوا بعد أن تفرقوا. وقال بعضهم: بل تمكن منهم وتمكنوا منه فيما يتصل بالعشرة وبالخدمة.

أما قوله: ومثلهم معهم فالأقرب أنه تعالى متعه بصحته وبماله وقواه حتى كثر نسله وصار أهله ضعف ما كان وأضعاف ذلك، وقال الحسن رحمه الله: المراد بهبة الأهل أنه تعالى أحياهم بعد أن هلكوا.

ثم قال: رحمة منا أي إنما فعلنا كل هذه الأفعال على سبيل الفضل والرحمة، لا على سبيل اللزوم.

ثم قال: وذكرى لأولي الألباب يعني سلطنا البلاء عليه أولا فصبر ثم أزلنا عنه البلاء وأوصلناه إلى الآلاء والنعماء، تنبيها لأولي الألباب على أن من صبر ظفر، والمقصود منه التنبيه على ما وقع ابتداء الكلام به وهو قوله لمحمد: اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود وقالت المعتزلة قوله تعالى: رحمة منا وذكرى لأولي الألباب يعني إنما فعلناها لهذه الأغراض والمقاصد، وذلك يدل على أن أفعال الله وأحكامه معللة بالأغراض والمصالح والكلام في هذا الباب قد مر غير مرة.

أما قوله تعالى: وخذ بيدك ضغثا فهو معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك. واعلم أن هذا الكلام يدل على تقدم يمين منه، وفي الخبر أنه حلف على أهله، ثم اختلفوا في السبب الذي لأجله حلف عليها، ويبعد ما قيل إنها رغبته في طاعة الشيطان، ويبعد أيضا ما روي أنها قطعت الذوائب عن رأسها لأن المضطر إلى الطعام يباح له ذلك بل الأقرب أنها خالفته في بعض المهمات، وذلك أنها ذهبت في بعض المهمات فأبطأت فحلف في مرضه ليضربنها مائة إذا برىء، ولما كانت حسنة الخدمة له لا جرم حلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها، وهذه الرخصة باقية،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٩٨/٢٦

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتى بمجذم خبث بأمة فقال:
«خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه به ضربة» .

ثم قال تعالى: إنا وجدناه صابرا فإن قيل كيف وجده صابرا وقد شكا إليه، والجواب من وجوه الأول: أنه شكا من الشيطان إليه وما شكا منه إلى أحد الثاني: أن الألم حين كان على الجسد لم يذكر شيئا فلما عظمت الوساوس خاف على القلب والدين فتضرع الثالث: أن الشيطان عدو، والشكاية من العدو إلى الحبيب لا تقدح في الصبر، ثم قال: نعم العبد إنه أواب وهذا يدل على أن تشريف نعم العبد، إنما حصل لكونه أوابا، وسمعت بعضهم قال: لما نزل قوله تعالى: نعم العبد في حق سليمان عليه السلام تارة، وفي حق أيوب عليه السلام أخرى عظم الغم في قلوب أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقالوا إن قوله تعالى: نعم العبد في حق سليمان تشريف عظيم، فإن احتجنا إلى اتفاق مملكة مثل مملكة سليمان حتى بحد هذا التشريف لم نقدر عليه، وإن احتجنا إلى تحمل بلاء مثل أيوب لم نقدر عليه، فكيف السبيل إلى تحصيله. فأنزل الله تعالى قوله: نعم المولى ونعم النصير [الأنفال: ٤٠] والمراد أنك إن لم تكن نعم العبد فأنا نعم المولى وإن كان منك الفضول، فمني الفضل، وإن كان منك التقصير، فمني الرحمة والتيسير.

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٤٥ الى ٤٨]

واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار (٤٥) إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار (٤٦) وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار (٤٧) واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار (٤٨)." [١]

"زيد وعمر ويجعل أمرا سببا لأمر، وفي الأخيرة يجعل الله مقصودا ولا يقصد غيره، ولا يرى إلا منه سره وجهره، فلا ينيب إلى شيء في شيء فهذا هو الإيمان الآخر بالله وذلك الإيمان الأول.

وأما ما في النبي صلى الله عليه وسلم فيقول أولا هو صادق فيما ينطق، ويقول آخر لا نطق له إلا بالله، ولا كلام يسمع منه إلا وهو من الله، فهو في الأول يقول بالصدق ووقوعه منه، وفي الثاني يقول بعدم إمكان الكذب منه لأن حاكي كلام الغير لا ينسب إليه الكذب ولا يمكن إلا في نفس الحكاية، وقد علم هو أنه حاك عنه كما قاله، وأما في المرتبة الأولى فيجعل الحشر مستقبلا والحياة العاجلة حالا وفي المرتبة الأخيرة يجعل الحشر حالا والحياة الدنيا ماضيا، فيقسم حياة نفسه في كل لحظة، ويجعل الدنيا كلها عدما لا

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٩٩/٢٦

يلتفت إليها ولا يقبل عليها.
المسألة الرابعة: قوله وآمنوا بما نزل على محمد هو في مقابلة قوله في حق الكافر وصدوا [محمد: ١] لأنا بينا في وجه أن المراد بهم صدوا عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا حث على اتباع محمد/ صلى الله عليه وسلم، فهم صدوا أنفسهم عن سبيل الله، وهو محمد عليه السلام وما أنزل عليه، وهؤلاء حثوا أنفسهم على اتباع سبيله، لا جرم حصل لهؤلاء ضد ما حصل لأولئك، فأضل الله حسنات أولئك وستر على سيئات هؤلاء.
المسألة الخامسة: قوله تعالى: وهو الحق من ربهم هل يمكن أن يكون من ربهم وصفا فارقا، كما يقال رأيت رجلا من بغداد، فيصير وصفا للرجل فارقا بينه وبين من يكون من الموصل وغيره؟ نقول لا، لأن كل ما كان من الله فهو الحق، فليس هذا هو الحق من ربهم، بل قوله من ربهم خبر بعد خبر، كأنه قال وهو الحق وهو من ربهم، أو إن كان وصفا فارقا فهو على معنى أنه الحق النازل من ربهم لأن الحق قد يكون مشاهدا، فإن كون الشمس مضيئة حق وهو ليس نازل من الرب، بل هو علم حاصل بطريق يسره الله تعالى لنا.
ثم قال تعالى: كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم أي سترها وفيه إشارة إلى بشارة ما كانت تحصل بقوله أعدمها ومحاها، لأن محو الشيء لا ينبئ عن إثبات أمر آخر مكانه، وأما الستر فينبئ عنه، وذلك لأن من يريد ستر ثوب بال أو وسخ لا يستره بمثله، وإنما يستره بثوب نفيس نظيف، ولا سيما الملك الجواد إذا ستر على عبد من عبيده ثوبه البالي أمر بإحضار ثوب من الجنس العالي لا يحصل إلا بالثمن الغالي، فيلبس هذا هو الستر بينه وبين المحبوبين، وكذلك المغفرة، فإن المغفرة والتكفير من باب واحد في المعنى، وهذا هو المذكور في قوله تعالى: فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات [الفرقان: ٧٠] وقوله وأصلح بالهم إشارة إلى ما ذكرنا من أنه يبدلها حسنة، فإن قيل كيف تبدل السيئة حسنة؟ نقول معناه أنه يجزيه بعد سيئاته ما يجزي المحسن على إحسانه، فإن قال الإشكال باق وباد، وما زال بل زاد، فإن الله تعالى لو أثاب على السيئة كما يثيب عن الحسنة، لكان ذلك حثا على السيئة، نقول ما قلنا إنه يثيب على السيئة وإنما قلنا إنه يثيب بعد السيئة بما يثيب على الحسنة، وذلك حيث يأتي المؤمن بسيئة، ثم يتنبه ويندم ويقف بين يدي ربه معترفا بذنبه مستحقرا لنفسه، فيصير أقرب إلى الرحمة من الذي لم يذنب، ودخل على ربه مفتخرا في نفسه، فصار الذنب شرطا للندم، والثواب ليس على السيئة، وإنما هو على الندم، وكأن الله تعالى قال عبدي أذنب ورجع إلي، ففعله شيء لكن ظنه بي حسن حيث لم يجد ملجأ غيري فاتكل على فضلي،

والظن عمل القلب، والفعل عمل البدن، واعتبار عمل القلب أولى، ألا ترى أن النائم والمغمى عليه لا يلتفت إلى عمل بدنه، والمفلوج الذي لا حركة له يعتبر قصد قلبه، ومثال الروح والبدن راكب دابة يركض فرسه بين يدي ملك يدفع عنه العدو بسيفه وسنانه، والفرس." [1]

"يلطخ ثوب الملك بركضه في استنانه، فهل يلتفت إلى فعل الدابة مع فعل الفارس، بل لو كان الراكب فارغا/ الفرس يؤذي بالتلويث يخاطب الفارس به، فكذلك الروح راكب والبدن مركوب، فإن كانت الروح مشغولة بعبادة الله وذكره، ويصدر من البدن شيء لا يلتفت إليه، بل يستحسن منه ذلك ويزاد في تربية الفرس الراكض ويهجر الفرس الواقف، وإن كان غير مشغول فهو مؤاخذ بأفعال البدن ثم قال تعالى:

[سورة محمد (٤٧) : آية ٣]

ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم (٣)

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في الباطل وجوه الأول: ما لا يجوز وجوده، وذلك لأنهم اتبعوا إلها غير الله، وإله غير الله محال الوجود، وهو الباطل وغاية الباطل، لأن الباطل هو المعدوم، يقال بطل كذا، أي عدم، والمعدوم الذي لا يجوز وجوده ولا يمكن أن يوجد، ولا يجوز أن يصير حقا موجودا، فهو في غاية البطلان، فعلى هذا فالحق هو الذي لا يمكن عدمه وهو الله تعالى، وذلك لأن الحق هو الموجود، يقال تحقق الأمر، أي وجد وثبت، والموجود الذي لا يجوز عدمه هو في غاية الثبوت الثاني: الباطل الشيطان بدليل قوله تعالى: لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين [ص: ٨٥] فبين أن الشيطان متبوع وأتباعه هم الكفار والفجار، وعلى هذا فالحق هو الله، لأنه تعالى جعل في مقابلة حزب الشيطان حزب الله الثالث: الباطل، هو قول كبرائهم ودين آبائهم، كما قال تعالى عنهم: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون [الزخرف: ٢٢] ومقتدون فعلى هذا الحق ما قاله النبي عليه السلام عن الله الرابع: الباطل كل ما سوى الله تعالى، لأن الباطل والهالك بمعنى واحد. وكل شيء هالك إلا وجهه [القصص: ٨٨] وعلى هذا فالحق هو الله تعالى أيضا.

المسألة الثانية: لو قال قائل من ربهم لا يلائم إلا وجها واحدا من أربعة أوجه، وهو قولنا المراد من الحق

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٥/٢٨

هو ما أنزل الله وما قال النبي عليه السلام من الله، فأما على قولنا الحق هو الله فكيف يصح قوله اتبعوا الحق من ربهم نقول على هذا من ربهم لا يكون متعلقا بالحق، وإنما يكون تعلقه بقوله تعالى: اتبعوا أي اتبعوا أمر ربهم، أي من فضل الله أو هداية ربهم اتبعوا الحق، وهو الله سبحانه.

المسألة الثالثة: إذا كان الباطل هو المعدوم الذي لا يجوز وجوده، فكيف يمكن اتباعه؟ نقول لما كانوا يقولون إنما يفعلون للأصنام وهي آلهة وهي تؤجرهم بذلك كانوا متبعين في زعمهم، ولا متبع هناك.

المسألة الرابعة: قال في حق المؤمنين اتبعوا الحق من ربهم وقال في حق الكفار اتبعوا الباطل من آلهتهم أو الشيطان، نقول أما آلهتهم فلأنهم لا كلام لهم ولا عقل، وحيث ينطقهم الله ينكرون فعلهم، كما قال تعالى: ويوم القيامة يكفرون بشرككم [فاطر: ١٤] وقال تعالى: وكانوا بعبادتهم كافرين [الأحقاف: ٦] والله تعالى رضي بفعلهم وثبتهم عليه، ويحتمل أن يقال قوله من ربهم عائد إلى الأمرين جميعا، أي من ربهم اتبع هؤلاء الباطل، وهؤلاء الحق، أي من حكم ربهم، ومن عند ربهم.

ثم قال تعالى: كذلك يضرب الله للناس أمثالهم وفيه أيضا مسائل:

المسألة الأولى: أي مثل ضربه الله تعالى حتى يقول كذلك يضرب الله للناس أمثالهم؟ نقول فيه وجهان أحدهما: إضلال أعمال الكفار وتكفير سيئات الأبرار الثاني: كون الكافر متبعا للباطل، وكون المؤمن متبعا." (١)

"اعلم أنه تعالى لما أوجب المحافظة على الصلوات والقيام على أدائها بأركانها وشروطها، بين من بعد أن هذه المحافظة على هذا الحد لا تجب إلا مع الأمن دون الخوف، فقال: فإن خفتم فرجالا/ أو ركبانا وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: يروى فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا.

المسألة الثانية: قال الواحدي رحمه الله معنى الآية: فإن خفتم عدوا فحذف المفعول لإحاطة العلم به، قال صاحب الكشاف: فإن كان بكم خوف من عدو أو غيره، وهذا القول أصح لأن هذا الحكم ثابت عند حصول الخوف، سواء كان الخوف من العدو أو من غيره، وفيه قول ثالث وهو أن المعنى: فإن خفتم فوات الوقت إن أخرتم الصلاة إلى أن تفرغوا من حربكم فصلوا رجالا أو ركبانا، وعلى هذا التقدير الآية تدل على تأكيد فرض الوقت حتى يترخص لأجل المحافظة عليه بترك القيام والركوع والسجود.

المسألة الثالثة: في الرجال قولان أحدهما: رجالا جمع راجل مثل تجار وتاجر وصحاب وصاحب والراجل

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٦/٢٨

هو الكائن على رجله ماشيا كان أو واقفا ويقال في جمع راجل: رجل ورجالة ورجالة ورجال ورجال.

والقول الثاني: ما ذكره القفال، وهو أنه يجوز أن يكون جمع الجمع، لأن راجلا يجمع على راجل، ثم يجمع رجل على رجال، والركبان جمع راكب، مثل فرسان وفارس، قال القفال: ويقال إنه إنما يقال راكب لمن كان على جمل، فأما من كان على فرس فإنما يقال له فارس، والله أعلم.

المسألة الرابعة: رجالا نصب على الحال، والعامل فيه محذوف، والتقدير: فصلوا رجالا أو ركبانا.

المسألة الخامسة: صلاة الخوف قسمان أحدهما: أن تكون في حال القتال وهو المراد بهذه الآية والثاني: في غير حال القتال وهو المذكور في سورة النساء في قوله تعالى: وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك [النساء: ١٠٢] وفي سياق الآيتين بيان اختلاف القولين.

إذا عرفت هذا فنقول: إذا التحم القتال ولم يمكن ترك القتال لأحد، فمذهب الشافعي رحمه الله أنهم يصلون ركبانا على دوابهم ومشاة على أقدامهم إلى القبلة وإلى غير القبلة يومئون بالركوع والسجود، ويجعلون السجود أخفض من الركوع ويحترزون عن الصيحات لأنه لا ضرورة إليها وقال أبو حنيفة: لا يصلي الماشي بل يؤخر، واحتج الشافعي رحمه الله بهذه الآية من وجهين الأول: قال ابن عمر: فرجالا أو ركبانا يعني مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها قال نافع: لا أرى ابن عمر ذكر ذلك إلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الوجه الثاني: وهو أن الخوف الذي تجوز معه الصلاة مع الترجل والمشي ومع الركوب والركض لا يمكن معه المحافظة على الاستقبال، فصار قوله: فرجالا أو ركبانا يدل على الترخص/ في ترك التوجه، وأيضا يدل على الترخص في ترك الركوع والسجود إلى الإيماء لأن مع الخوف الشديد من العدو لا يأمن الرجل على نفسه إن وقف في مكانه لا يتمكن من الركوع والسجود، فصح بما ذكرنا دلالة رجالا أو ركبانا على جواز ترك الاستقبال، وعلى جواز الاكتفاء بالإيماء في الركوع والسجود.

إذا ثبت هذا فلنتكلم فيما يسقط عنه وفيما لا يسقط، فنقول: لا شك أن الصلاة إنما تتم بمجموع أمور ثلاثة أحدها: فعل القلب وهو النية، وذلك لا يسقط لأنه لا يتبدل حال الخوف بسبب ذلك والثاني: فعل اللسان." (١)

"كمن سيؤمن هو أو أحد من ذريته، ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال. وأهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي.

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٨٩/٦

لقد أنزلنا إليكم يا قريش كتابا يعني القرآن. فيه ذكركم صيتكم كقوله وإنه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الأخلاق. أفلا تعقلون فتؤمنون.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ١١ الى ١٣]

وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢) لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون (١٣)

وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب عظيم لأن القصم كسر يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم.

كانت ظالمة صفة لأهلها وصفت بها لما أقيمت مقامه. وأنشأنا بعدها بعد إهلاك أهلها. قوما آخرين مكانهم.

فلما أحسوا بأسنا فلما أدركوا شدة عذابنا إدراك المشاهد المحسوس، والضمير للأهل المحذوف.

إذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم، أو مشبهين بهم من فرط إسراعهم.

لا تركضوا على إرادة القول أي قيل لهم استهزاء لا تركضوا إما بلسان الحال أو المقال، والقائل ملك أو من ثم من المؤمنين. وارجعوا إلى ما أترفتم فيه من التنعم والتلذذ والإتراف إبطار النعمة.

ومساكنكم التي كانت لكم. لعلكم تسئلون غدا عن أعمالكم أو تعذبون فإن السؤال من مقدمات العذاب، أو تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ١٤ الى ١٥]

قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (١٤) فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (١٥)

قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم. وقيل إن أهل حضور من قرى اليمن بعث إليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الأنبياء فندموا وقالوا ذلك.

فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يرددون ذلك، وإنما سماه دعوى لأن المولول كأنه يدعو الويل ويقول: يا ويل تعال فهذا أوانك، وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية. حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع. خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا منزلة المفعول الثاني كقولك: جعلته حلوا حامضا إذ المعنى: وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أو صفة له أو حال من ضميره.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ١٦ الى ١٧]

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (١٦) لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين (١٧)

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين وإنما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسببا لما ينتظم به أمور العباد في المعاش والمعاد، فينبغي أن يتسلقوا بها إلى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فإنها سريعة الزوال.

لو أردنا أن نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب. لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا، أو من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الأجسام المرفوعة والأجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها، وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد به الرد على النصارى إن كنا." [1]

"قل من يرزقكم من السماوات والأرض يريد به تقرير قوله لا يملكون. قل الله إذ لا جواب سواه، وفيه إشعار بأنهم إن سكتوا أو تلعثموا في الجواب مخافة الإلزام فهم مقرون به بقلوبهم. وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين أي وإن أحد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة، والمشركين به الجماد النازل في أدنى المراتب الإمكانية لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال المبينين، وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال أبلغ من التصريح لأنه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب، ونظيره قول حسان:

أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخير كما الفداء

وقيل إنه على اللف والنشر وفيه نظر، واختلاف الحرفين لأن الهادي كمن صعد منارا ينظر الأشياء ويتطلع عليها أو ركب جوادا يركضه حيث يشاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئا أو محبوس في مطمورة لا يستطيع أن يتفصى منها.

[سورة سبإ (٣٤) : الآيات ٢٥ الى ٢٦]

قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون (٢٥) قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم (٢٦)

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٤/٤٧

قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ في الإخبات حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم والعمل إلى المخاطبين.

قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة. ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار. وهو الفتاح الحاكم الفاصل في القضايا المنغلقة. العليم بما ينبغي أن يقضى به.

[سورة سبإ (٣٤) : الآيات ٢٧ الى ٢٨]

قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم (٢٧) وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢٨)

قل أروني الذين ألحقتم به شركاء لأرى بأي صفة ألحقتموهم بالله في استحقاق العبادة، وهو استفسار عن شبهتهم بعد إلزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم. كلا ردع لهم عن المشاركة بعد إبطال المقايسة.

بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة، وهؤلاء الملحقون به متسمون بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأسا، والضمير لله أو للشأن.

وما أرسلناك إلا كافة للناس إلا إرسالة عامة لهم من الكف فإنها إذا عمتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم، أو إلا جامعا لهم في الإبلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة، ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار. بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك.

[سورة سبإ (٣٤) : الآيات ٢٩ الى ٣٠]

ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (٢٩) قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون (٣٠)

ويقولون من فرط جهلهم. متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه أو الموعود بقوله:

يجمع بيننا ربنا. إن كنتم صادقين يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

قل لكم ميعاد يوم وعد يوم أو زمان وعد، وإضافته إلى اليوم للتبيين ويؤيده أنه قرئ «يوم» على البدل، وقرئ «يوما» بإضمار أعني. لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون إذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والإنكار.." (١)

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٢٤٧/٤

"ووهبنا لداود سليمان نعم العبد أي نعم العبد سليمان إذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله. إنه أواب رجاع إلى الله بالتوبة، أو إلى التسبيح مرجع له.
إذ عرض عليه ظرف ل أواب أو ل نعم، والضمير ل سليمان عند الجمهور بالعشي بعد الظهر الصافنات الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد أو رجل، وهو من الصفات المحمودة في الخيل الذي لا يكاد يكون إلا في العراب الخلص. الجياد جمع جواد أو جود، وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود في الركض، وقيل جمع جيد.
روي أنه عليه الصلاة والسلام غزا دمشق ونصيبين وأصاب ألف فرس
، وقيل أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر، أو عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله.

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٣٢ الى ٣٣]
فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب (٣٢) ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق (٣٣)
فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي أصل أحببت أن يعدى بعلى لأنه بمعنى آثرت لكن لما أنيب مناب أنبت عدي تعديته، وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله:
مثل بعير السوء إذا أحبا أي برك، وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير، والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل أنه سماها خيرا لتعلق الخير بها.
قال عليه الصلاة والسلام «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة» .
وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الياء. حتى توارت بالحجاب أي غربت الشمس، شبه غروبها بتواري المخبأة بحجابها وإضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها.
ردوها علي الضمير ل الصافنات. فطفق مسحا فأخذ بمسح السيف مسحا. بالسوق والأعناق أي بسوقها وأعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته إذا ضرب عنقه، وقيل جعل يمسح بيده أعناقها وسوقها حبالها، وعن ابن كثير «بالسؤق» على همز الواو لضمة ما قبلها كمؤقن، وعن أبي عمرو »بالسؤوق» وقرئ «بالساق» اكتفاء بالواحد عن الجمع لأمن الإلباس.

[سورة ص (٣٨) : آية ٣٤]

ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب (٣٤)
ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب وأظهر ما قيل فيه ما روي مرفوعا «أنه قال:
لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة جاءت بشق رجل، فو الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فرسانا» .

وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك، فكان يغدوه في السحاب فما شعر به إلا أن ألقي على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه بأن لم يتوكل على الله. وقيل إنه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب ابنته جرادة، فأحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعا على أبيها، فأمر الشياطين فمثلوا لها صورته فكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه، فأخبره آصف فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج إلى الفلاة باكيا متضرعا، وكانت له أم ولد اسمها أمينة إذا دخل للطهارة أعطاها خاتمه وكان ملكه فيه، فأعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر وأخذ الخاتم وتختم به وجلس على كرسيه، فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء إلا في نسائه وغير سليمان عن هيئته، فأتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته، فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى أربعون يوما عدد ما عبدت الصورة في بيته، فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا." (١)

"وعاد إليه الملك، فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لأنه كان متمثلا بما لم يكن كذلك، والخطيئة تغافله عن حال أهله لأن اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ، وسجود الصورة بغير علمه لا يضره.

[سورة ص (٣٨) : آية ٣٥]
قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب (٣٥)
قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي، أو لا ينبغي لأحد أن يسلبه مني بعد هذه السلبة، أو لا يصح لأحد من بعدي لعظمته كقولك:

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٢٩/٥

لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال، على إرادة وصف الملك بالعظمة لا أن لا يعطى أحد مثله فيكون منافسة، وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بأمر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الإجابة. وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الياء. إنك أنت الوهاب المعطي ما تشاء لمن تشاء.

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٣٦ الى ٨٣]

فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب (٣٦) والشياطين كل بناء وغواص (٣٧) وآخرين مقرنين في الأصفاد (٣٨)

فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته إجابة لدعوته وقرئ «الرياح» . تجري بأمره رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع، أو لا تخالف إرادته كالمأمور المنقاد. حيث أصاب أراد من قولهم أصاب الصواب فأخطأ الجواب.

والشياطين عطف على الريح. كل بناء وغواص بدل منه.

وآخرين مقرنين في الأصفاد عطف على كل كأنه فصل الشياطين إلى عملة استعملهم في الأعمال الشاقة كالبناء والغوص، ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر، ولعل أجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها، هذا والأقرب أن المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالإقران في الصفد وهو القيد، وسمي به العطاء لأنه يرتبط به المنعم عليه. وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه عكس وعد وأوعد وفي ذلك نكتة.

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٣٩ الى ٤٠]

هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب (٣٩) وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب (٤٠)

هذا عطاؤنا أي هذا الذي أعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم يسلط به غيرك عطاؤنا.

فامنن أو أمسك فاعط من شئت وامنع من شئت. بغير حساب حال من المستكن في الأمر، أي غير محاسب على منه وإمساكه لتفويض التصرف فيه إليك أو من العطاء أو صلة له وما بينهما اعتراض. والمعنى أنه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره، وقيل الإشارة إلى تسخير الشياطين، والمراد بالمن والإمساك إطلاقهم وإبقاءهم في القيد.

وإن له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا. وحسن مآب هو الجنة.

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٤١ الى ٤٤]

واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١) اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢) ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (٤٣) وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إن ا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب (٤٤)

واذكر عبدنا أيوب هو ابن عيص بن إسحاق وامرأته ليا بنت يعقوب صلوات الله عليه. إذ نادى ربه بدل من عبدنا وأيوب عطف بيان له. أني مسني بأني مسني، وقرأ حمزة بإسكان الياء وإسقاطها في الوصل. الشيطان بنصب بتعب. وعذاب ألم وهي حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولا هي." (١)

"لقال إنه مسه، والإسناد إلى الشيطان إما لأن الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل إنه أعجب بكثرة ماله أو استغاثة مظلوم فلم يغثه، أو كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه، أو لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب أو مراعاة للأدب، أو لأنه وسوس إلى أتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم، أو لأن المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس إليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع، وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر، وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل.

اركض برجلك حكاية لما أجيب به أي اضرب برجلك الأرض. هذا مغتسل بارد وشراب أي فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل أي ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك، وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الأخرى.

ووهبنا له أهله بأن جمعناهم عليه بعد تفرقهم أو أحييناهم بعد موتهم، وقيل وهبنا له مثلهم.

ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان. رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لأولي الألباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجأ إلى الله فيما يحيق بهم.

وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه. فاضرب به ولا تحنث روي أن زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افراثيم بن يوسف ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف إن برىء ضربها مائة ضربة، فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الحدود. إنا وجدناه صابرا فيما أصابه في النفس والأهل والمال، ولا يخل به شكواه إلى الله من الشيطان فإنه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع أنه قال ذلك خيفة أن يفتنه أو قومه في الدين. نعم العبد أيوب. إنه أواب مقبل بشراشره على الله تعالى.

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٥/٣٠

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٤٥ الى ٤٧]

واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار (٤٥) إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار (٤٦) وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار (٤٧)

واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب وقرأ ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع، أو على أن إبراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له، وإسحاق ويعقوب عطف عليه. أولي الأيدي والأبصار أولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين، أو أولي الأعمال الجليلة والعلوم الشريفة، فعبر بالأيدي عن الأعمال لأن أكثرها بمباشرتها وبالأبصار عن المعارف لأنها أقوى مباديها، وفيه تعريض بالبطلة الجهال أنهم كالزمنى والعماة.

إنا أخلصناهم بخالصة جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هي: ذكرى الدار تذكرهم الدار الآخرة دائما فإن خلوصهم في الطاعة بسببها، وذلك لأن مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك في الآخرة، وإطلاق الدار للاشعار بأنها الدار الحقيقة والدنيا معبر، وأضاف نافع وهشام بخالصة إلى ذكرى للبيان أو لأنه مصدر بمعنى الخلوص فأضيف إلى فاعله.

وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار لمن المختارين من أمثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر وأشرار. وقيل جمع خير أو خير على تخفيفه كأموات في جمع ميت أو ميت.

[سورة ص (٣٨) : آية ٤٨]

واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار (٤٨)

واذكر إسماعيل واليسع هو ابن أخطوب استخلفه إلياس على بني إسرائيل ثم استنبئ، واللام فيه كما في قوله: رأيت الوليد بن اليزيد مباركا. وقرأ حمزة والكسائي «والليسع» تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع. وذا." (١)

"أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون (١٢)

﴿أرسله معنا غدا يرتع﴾ نتسع في أكل الفواكه وغيرها والرتعة السعة ﴿ويلعب﴾ نتفرج بما يباح كالصيد

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٣١/٥

والرمى والركض الياء فيهما مدني وكوفي وبالنون فيهما مكي وشامي وأبو عمرو وبكسر العين حجازي من ارتعى يرتعي افتعال من الرعي ﴿وإنا له لحافظون﴾ من أن يناله مكروه." [١]

"فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢)

﴿فلما أحسوا﴾ أي المهلكون ﴿بأسنا﴾ عذابنا أي علموا علم حسن ومشاهدة ﴿إذا هم منها﴾ من القرية وإذا للمفاجأة وهم مبتدأ والخبر ﴿يركضون﴾ يهربون مسرعين والركض ضرب الدابة بالرجل فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب

الأنبياء (١٨ – ١٣)

أو شبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراضين لدوابهم فقيل لهم." [٢]

"لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون (١٣)

﴿لا تركضوا﴾ والقائل بعض الملائكة ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾ نعمتم فيه من الدنيا ولين العيش قال الخليل المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه ﴿ومساكنكم لعلكم تسألون﴾ أي يقال لهم استهزاء بهم ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليك ونزل بأموالكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو اجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب أكفكم وقال بعضهم لبعض لا تركضوا أو ارجعوا إلى منازلكم وأموالكم لعلكم تسألون مالا وخراجا فلا تقتلون فنودي من السماء يالثارات الأنبياء وأخذتهم السيوف فثم." [٣]

"حرفي الجر الداخلين على الهدى والضلال لأن صاحب الهدى كانه مستعل على فرس

سبأ (٣١ – ٢٥)

جواد يركضه حيث شاء والضال كأنه ينغمس فى ظلام لايرى اين يتوجه." [٤]

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٩٨/٢

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣٩٦/٢

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣٩٧/٢

(٤) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٦٣/٣

"إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد (٣١)

﴿إذ عرض عليه﴾ على سليمان ﴿بالعشى﴾ بعد الظهر ﴿الصافنات﴾ الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف حافر ﴿الجياد﴾ السراع جمع جواد لأنه يجود بالركض وصفها بالصفون لأنه لا يكون فى الهجان

ص (٣٥ - ٣٢)

إنما هو فى العراب وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها وإذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل الجياد الطوال الأعناق من الجيد وروي أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وكانت فرضا عليه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا لله فبقى مائة فما في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بأمره." (١)

"اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢)

﴿اركض برجلك﴾

حكاية ما أجيب به أيوب عليه السلام أي أرسلنا." (٢)

"إليه جبريل عليه السلام فقال له اركض برجلك أي اضرب برجلك الأرض وهي أرض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل ﴿هذا مغتسل بارد وشراب﴾ أى هذا ما تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله تعالى." (٣)

"وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب (٤٤)

﴿وخذ﴾ معطوف على اركض ﴿بيدك ضغثا﴾ حزمة صغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبضة من الشجر ﴿فاضرب به ولا تحنث﴾ وكان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برأ فحلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه وهذه الرخصة باقية ويجب أن

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١٥٤/٣

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١٥٧/٣

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١٥٨/٣

يصيب المضروب كل واحدة من المائة والسبب في يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة فى حاجة فخرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب عليه السلام إذا قام ﴿إنا وجدناه﴾ علمناه ﴿صابرا﴾ على البلاء نعم قد شكا إلى الله مابه واسترحمه لكن الشكوى إلى الله لا تسمى جزعا فقد قال يعقوب عليه السلام إنما أشكو بني وحزنى إلى الله على أنه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم أنه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل م ا ابتلي به وإرادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان ﴿نعم العبد﴾ أيوب ﴿إنه أواب﴾." (١)

"ويحتمل أن يكون المعنى: أن كل قرية هلكت لم تؤمن فهؤلاء كذلك، ولا يكون على هذا جوابا لقولهم: فليأتنا بآية بل يكون إخبارا مستأنفا على وجه التهديد وأهلكناها في موضع الصفة لقرية، والمراد أهل القرية.

وما أرسلنا قبلك إلا رجالا رد على قولهم: هل هذا إلا بشر مثلكم والمعنى أن الرسل المتقدمين [كانوا] رجالا من البشر، فكيف تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولا أهل الذكر يعني: أحبار أهل الكتاب وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام أي ما جعلنا الرسل أجسادا غير طاعمين، ووحد الجسد لإرادة الجنس، ولا يأكلون الطعام صفة لجسد، وفي الآية رد على قولهم: مال هذا الرسول يأكل الطعام [الفرقان: ٧] ومن نشاء يعني المؤمنين فيه ذكركم أي: شرفكم وقيل: تذكيركم قصمنا أي أهلكنا، وأصله من قصم الظهر أي كسره من قرية يريد أهل القرية: قال ابن عباس: هي قرية باليمن يقال لها حضور، بعث الله إليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر ملك بابل فأهلكهم بالقتل، وظاهر اللفظ أنه على العموم لأن كم للتكثير، فلا يريد قرية معينة يركضون عبارة عن فرارهم، فيحتمل أن يكونوا ركبوا الدواب، وركضوها لتسرع الجري أو شبهوا في سرعة جريهم على أرجلهم بمن يركض الدابة لا تركضوا أي قيل لهم لا تركضوا والقائل لذلك هم الملائكة. قالوه تهكما بهم، أو رجال بختنصر إن كانت القرية المعينة، قالوا ذلك لهم خداعا ليرجعوا فيقتلوهم أترفتم أي نعمتم لعلكم تسئلون تهكم بهم وتوبيخ أي:

ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون عما جرى عليكم، ويحتمل أن يكون تسألون بمعنى يطلب لكم الناس معروفكم وهذا أيضا تهكم قالوا يا ويلنا الآية اعتراف وندم حين لم ينفعهم حصيدا خامدين شبهوا في هلاكهم بالزرع المحصود، ومعنى خامدين: موتى وهو تشبيه بخمود النار لاعبين حال منفية أي ما خلقنا السموات والأرض لأجل اللعب بل للاعتبار بها، والاستدلال على صانعها

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣/١٥٨

لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا اللهو في لغة اليمن: الولد، وقيل المرأة، ومن لدنا: أي من الملائكة، فالمعنى على هذا لو أردنا أن نتخذ ولدا لاتخذناه من الملائكة، لا من بني آدم، فهو رد على من قال: إن المسيح ابن الله وعزير ابن الله، والظاهر أن اللهو بمعنى اللعب لاتصاله بقوله لاعبين.

وقال الزمخشري: المعنى على هذا لو أردنا أن نتخذ لهوا لكان ذلك في قدرتنا، ولكن ذلك." (١)

"واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب قد ذكرنا قصة أيوب عليه السلام في [الأنبياء: ٨٣] والنصب يقال بضم النون وإسكان الصاد: وبفتح النون وإسكان الصاد وبضم النون والصاد وبفتحهما، ومعناه واحد وهو المشقة، فإن قيل: لم نسب ما أصابه من البلاء إلى الشيطان؟ فالجواب من أربعة أوجه: أحدها أن سبب ذلك كان من الشيطان، فإنه روي أنه دخل على بعض الملوك فرأى منكرا فلم يغيره، وقيل: إنه كانت له شاة فذبحها وطبخها، وكان له جار جائع فلم يعط جاره منها شيئا، والثاني أنه أراد ما وسوس له الشيطان في مرضه من الجزع وكراهة البلاء، فدعا إلى الله أن يدفع عنه وسوسة الشيطان بذلك، والثالث أنه روي أن الله سلط الشيطان عليه ليفتنه فأهلك ماله فصبر وأهلك أولاده فصبر وأصابه المرض الشديد فصبر فنسب ذلك إلى الشيطان لتسليط الشيطان عليه، والرابع: روي أن الشيطان لقي امرأته فقال لها: قولي لزوجك إن سجد لي سجدة أذهبت ما به من المرض فذكرت المرأة ذلك لأيوب، فقال لها: ذلك عدو الله الشيطان وحينئذ دعا اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب

التقدير قلنا له: اركض برجلك فضرب الأرض برجله فنبعت له عين ماء صافية باردة، فشرب منها فذهب كل مرض كان داخل جسده، واغتسل منها فذهب ما كان في ظاهر جسده، وروي أنه ركض الأرض مرتين فنبع له عينان، فشرب من أحدهما واغتسل من الأخرى ووهبنا له أهله ذكر في الأنبياء وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث الضغث القبضة من القضبان، وكان أيوب عليه السلام قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط إذا برىء من مرضه، وكان سبب ذلك ما ذكرته له من لقاء الشيطان، وقوله لها إن سجد لي زوجك أذهبت ما به من المرض، فأمره أن يأخذ ضغثا فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة فيبر في يمينه، وقد ورد مثل هذا عن نبينا صلى الله عليه وسلم في حد رجل زنى وكان مريضا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم بعذق نخلة فيه شماريخ مائة فضرب به ضربة واحدة ذكر ذلك أبو داود «١» والنسائي، وأخذ به بعض العلماء، ولم يأخذ به مالك ولا أصحابه.

أولي الأيدي والأبصار الأيدي جمع يد وذلك عبارة عن قوتهم في الأعمال الصالحات، وإنما عبر عن ذلك

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/١٩

بالأيدي، لأن الأعمال أكثر ما تعمل بالأيدي، وأما الأبصار فعبارة عن قوة فهمهم وكثرة علمهم من قولك: أبصر الرجل إذا تبينت له الأمور، وقيل:

الأيدي جمع يد بمعنى النعمة، ومعناه أولوا النعم التي أسداها الله إليهم من النبوة والفضيلة، وهذا ضعيف، لأن اليد بمعنى النعمة أكثر ما يجمع على أيادي، وقرأ ابن مسعود: أولوا الأيدي بغير ياء، فيحتمل أن تكون الأيدي محذوفة الياء أو يكون الأيد

---

(١) . رواه في كتاب الحدود ج ٤ ص ٦١٥ عن أبي أمامة بن سهل بن ضيف.." [١]

"بذلك ولا ينفق عليه الأب أو ينزعه من أمه فيضره بذلك، فعلى هذا تكون الباء صلة، والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا أب ولده وعلى الوارث مثل ذلك يعني وعلى وارث أبي الولد إذا مات مثل ما كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الأب أن يقوم مقامه في القيام بحق الولد. وقيل: المراد بالوارث وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه فعلى هذا الوارث مثل ما كان على أبي الصبي في حال حياته، واختلف في أي وارث هو فقيل هم عصبة الصبي كالجد والأخ والعم وابنه. وقيل: هو كل وارث له من الرجال والنساء، وبه قال أحمد:

فيجبرون على نفقة الصبي كل على قدر سهمه منه. وقيل هو من كان ذا رحم محرم منه وبه قال أبو حنيفة. وقيل المراد بالوارث الصبي نفسه، فعلى هذا تكون أجرة رضاع الصبي في ماله فإن لم يكن له مال فعلى الأم ولا يجبر على نفقة الصبي غير الأبوين، وبه قال مالك والشافعي. وقيل معناه وعلى الوارث ترك المضارة فإن أرادا يعني الوالدين فصالا يعني فطام الولد قبل الحولين عن تراض منهما أي على اتفاق من الوالدين في ذلك وتشاور أي يشاورون أهل العلم في ذلك حتى يخبروا أن الفطام قبل الحولين لا يضر بالولد، والمشاورة استخراج الرأي بما فيه مصلحة فلا جناح عليهما أي فلا حرج ولا إثم على الوالدين في الفطام قبل الحولين إذا لم يضر بالولد وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم أي لأولادكم مراضع غير أمهاتهم إذا أبت أمهاتهم إرضاعهم أو تعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع لبن أو غير ذلك أو أردن التزويج فلا جناح عليكم إذا سلمتم يعني إلى المراضع ما آتيتم يعني لهن من أجرة الرضاع وقيل إذا سلمتم إلى أمهاتهم من أجرة الرضاع بقدر ما أرضعن بالمعروف أي بالإحسان والإجمال أمروا أن يكونوا عند تسليم الأجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لأنفس المراضع بما أمكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن واتقوا الله يعني وخافوا

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/٢١٠

الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما أوجب عليكم لأولادكم واعلموا أن الله بما تعملون بصير يعني لا يخفى عليه خافية من جميع أعمالكم سرها وعلانيتها، فإنه تعالى يراها ويعلمها. قوله عز وجل:

[سورة البقرة (٢): آية ٢٣٤]

والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير (٢٣٤)

والذين يتوفون يعني يموتون منكم وأصل التوفي أخذ الشيء وافيا، فمن مات فقد استوفى عمره كاملا، ويقال توفي فلان يعني قبض وأخذ ويذرون أي ويتركون أزواجا والمراد بالأزواج هنا النساء لأن العرب تطلق اسم الزوج على الرجل والمرأة يتربصن أي ينتظرن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا يعني قدر هذه المدة وإنما قال عشرا بلفظ التأنيث لأن العرب إذا أبهمت في العدد من الليالي والأيام غلبوا الليالي حتى إن أحدهم ليقول: صمت عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام فإذا أظهروا الأيام قالوا صمنا عشرة أيام وقيل إن هذه الأيام أيام حزن ولبس إحداد فشبهها بالليالي على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة في أن الله تعالى حد العدة بهذا القدر لأن الولد يركض في بطن أمه لنصف مدة الحمل، يعني يتحرك. وقيل: إن الروح ينفخ في الولد في هذه العشرة أيام، ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح» أخرجاه في الصحيحين بزيادة، فدل هذا الحديث على أن خلق الولد يجتمع في مدة أربعة أشهر ويتكامل خلقه بنفخ الروح فيه في هذه الأيام الزائدة.

(فصل: في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والإحداد. وفي مسائل) المسألة الأولى: عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشر وعدة الأمة على نصف عدة الحرة شهران." (١)

"عليك أن تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال إن كان يريد ذلك فلا أستطيع خروجا ولكن ائتني بزق خمر فأتته به فوضعه في مضجعه على سريره وسجاه ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته أين بعلك قالت هو نائم على سريره فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر وخرج، فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئا فقال: إن رجلا

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٦٧/١

طلبت منه ما طلبت لحقيق أن لا يدعني حتى يدرك ثأره مني فاشتد حجابه وحراسه وأغلق دونه أبوابه، ثم إن داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله عنه الحجاب ففتح الأبواب ودخل عليه وهو نائم على فراشه، فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله وخرج فاستيقظ طالوت فبصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه فلما كان من الليلة القابلة أتاه ثانيا فأعمى الله عنه الحجاب فدخل عليه وهو نائم فأخذ إبريق وضوئه وكوزه الذي يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئا من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى، فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه أشد، الطلب فلم يقدر عليه. ثم إن طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي في البرية فقال اليوم أقتله وركض في أثره فاشتد داود في عدوه. وكان إذا فزع لم يدرك فدخل غارا فأوحى الله تعالى إلى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت إلى الغار ونظر إلى بناء العنكبوت قال: لو كان دخل هنا لتخرق هذا النسج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى أتى جبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود إلا قتله فقتل خلقا كثيرا من العباد والعلماء حتى أتى بامرأة تعلم الاسم الأعظم فأمر خبازه بقتلها فرحمها الخباز فلم يقتلها، وقال: لعلنا نحتاج إلى عالم فتركها ثم وقع في قلب طالوت التوبة والندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس. وكان كل ليلة يخرج إلى القبور ويبكي وينادي أنشد الله عبدا يعلم لي توبة إلا أخبرني بها فلما كثر ذلك منه ناداه مناد من القبور: يا طالوت أما ترضى أن قتلتنا حتى تؤذينا أمواتا فازداد حزنا وبكاء فتوجه الخباز إلى طالوت لما رأى من حاله وقال: ما لك أيها الملك فأخبره وقال

: هل تعلم لي توبة أو تعلم في الأرض عالما أسأله عن توبتي فقال له الخباز أيها الملك إن دللتك على عالم يوشك أن تقتله فقال لا فتوثق منه باليمين فأخبره أن تلك المرأة العالمة عنده. فقال: انطلق بي إليها لأسألها عن توبتي قال نعم فانطلق به فلما قربا من الباب قال له الخباز. أيها الملك إنها إذا رأتك فزعت ولكن ائت خلفي فلما دخلا عليها قال لها الخباز: يا هذه ألست تعلمين حقي عليك؟ قالت: بلى قال فإن لي إليك حاجة فتقضيها قالت نعم قال هذا طالوت قد جاءك يسأل هل له من توبة فلما سمعت بذكر طالوت غشي عليها فلما أفاقت قالت والله ما أعلم له توبة ولكن دلوني على قبر نبي فانطلقوا بها إلى قبر أشمويل فوقفت عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الأعظم ثم قالت يا صاحب القبر فخرج ينفض التراب عن رأسه فلما نظر إلى ثلاثتهم قال: ما لكم أقامت القيامة قالت المرأة لا ولكن هذا طالوت قد جاء يسألك

هل له من توبة فقال أشمويل: يا طالوت ما فعلت بعدي قال لم أدع من الشر شيئا إلا فعلته وجئت أطلب التوبة فقال أشمويل يا طالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة إلا أن تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل أنت حتى تقتل آخرهم. ثم إن أشمويل سقط ميتا ورجع طالوت أحزن ما كان رهبة أن لا يتابعه بنوه على ما يريد. وكان قد بكى حتى سقطت أشفار عينيه ونحل جسمه فجمع أولاده وقال لهم: أرأيتم لو دفعت إلى النار هل كنتم تنقذونني منها فقالوا بلى ننقذك بما نقدر عليه قال: فإنها النار إن لم تفعلوا ما آمركم به قالوا: اعرض علينا ما أردت فذكر لهم القصة قالوا: وإنك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت. فتجهز هو وولده وخرج طالوت مجاهدا في سبيل الله فتقدم أولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو من بعدهم فقاتل حتى قتل وجاء قاتل طالوت إلى داود فبشره بقتله وقال له:." (١)

"والمتردية. وخصت الشاة، لأنها من أعم ما يأكله الناس، والكلام إنما يخرج على الأعم الأغلب ثم يلحق به غيره.

فإن قلت: لم أثبتت الهاء في النطيحة مع أنها في الأصل منطوحة فعدلوا بها إلى النطيحة وفي مثل هذا الموضع تكون الهاء محذوفة تقول: كف خضيب وعين كحيل يعني كف مخضوبة وعين مكحولة. قلت: إنما تحذف الهاء من الفعيلة إذا كانت صفة لموصوف يتقدمها، فإذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة وضعتها موضع الموصوف تقول: رأيت قبيلة بني فلان بالهاء لأنك إن لم تدخل الهاء لم يعرف أرجل هو أم امرأة. فعلى هذا، إنما دخلت الهاء في النطيحة لأنها صفة لموصوف غير مذكور وهو الشاة.

وقال ابن السكيت: قد تأتي فعيلة بالهاء وهي في تأويل مفعول بها تخرج مخرج الأسماء ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة وأكيلة السبع ومررت بقبيلة بني فلان. وقوله تعالى: وما أكل السبع قال قتادة: كان أهل الجاهلية إذا جرح السبع شيئا فقتله أو أكل منه أكلوا ما بقي منه، فحرمه الله تعالى.

والسبع اسم يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترس بنابه كالأسد والذئب والنمر والفهد ونحوه وفي الآية محذوف تقديره وما أكل السبع منه لأن ما أكله السبع فقد فقد فلا حكم له، إنما الحكم للباقي منه.

إلا ما ذكيتم يعني إلا ما أدركتموه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الأشياء المذكورة والظاهر أن هذا

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٨٥/١

الاستثناء يرجع إلى جميع المحرمات المذكورة في الآية من قوله تعالى: والمنخنقة، إلى، وما أكل السبع. وهذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس والحسن وقتادة.

قال ابن عباس: يقول الله تعالى ما أدركتم من هذا كله وفيه روح فاذبحوه فهو حلال. وقال الكلبي: هذا الاستثناء مما أكل السبع خاصة. والقول هو الأول وأما كيفية إدراكها، فقال أكثر أهل العلم من المفسرين: إن أدركت ذكاته بأن توجد له عين تطرف أو ذنب يتحرك فأكله جائز. قال ابن عباس: إذا طرفت بعينها أو ركضت برجلها أو تحركت فاذبح فهو حلال. وذهب بعض أهل العلم إلى أن السبع إذا جرح فأخرج الحشوة أو قطع لجوف قطعا تيأس معه الحياة فلا ذكاة لأن ذلك وإن كان به حركة ورمق إلا أنه قد صار إلى حالة لا يؤثر في حياته الذبح وهو مذهب مالك واختاره الزجاج وابن الأنباري، لأن معنى التذكية أن يلحقها وفيها بقية تشخب معها الأوداج وتضطرب اضطراب المذبوح لوجود الحياة فيه قبل ذلك وإلا فهو كالميتة. وأصل الذكاة في اللغة تمام الشيء، فالمراد من التذكية، تمام قطع الأوداج وانهار الدم ويدل عليه ما روي عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر «وسأحدثكم عن ذلك، أما السن فعظم وأما الظفر فمدى الحبشة» أخرجاه في الصحيحين.

وأقل الذبح في الحيوان المقدور عليه قطع المريء والحلقوم وأكمله قطع الودجين مع ذلك والحلقوم بعد الفم، وهو موضع النفس والمريء مجرى الطعام والودجان عرقان يقطعان عند الذبح وأما آلة الذبح فكل ما أنهرا الدم وفرى الأوداج من حديد وغيره إلا السن والظفر لما تقدم من نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك.

قوله تعالى: وما ذبح على النصب يعني وحرم ما ذبح على النصب. والنصب يحتمل أن يكون جمعا واحده نصاب وأن يكون واحدا وجمعه أنصاب وهو الشيء المنصوب. قيل: كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون حجرا منصوبة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه الحجارة بأصنام إنما الأصنام الصور المنقوشة. وقال ابن عباس: هي الأصنام المنصوبة. والمعنى: وما ذبح على اسم النصب أو لأجل النصب." (١)

"الحارث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بلغة له بيضاء أهداها له فروة بن فاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولي المسلمون مدبرين

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٨/٢

فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال العباس وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عباس ناد أصحاب السمرة فقال العباس، وكان رجلا صيتا: فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة. قال: فو الله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا لبيك لبيك. قال: فاقتتلوا والكفار والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحرث بن الخزرج. فقالوا: يا بني الحرث بن الخزرج يا بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس قال ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال: انهزموا ورب محمد. قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى قال:

فو الله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا.

قوله حمي الوطيس، أي اشتد الحرب. قال الخطابي: هذه الكلمة لم تسمع قبل أن يقولها النبي صلى الله عليه وسلم من العرب وهي ما اقتضبه وأنشأه. والوطيس في اللغة: التنور. وقوله: حدهم كليلا يعني لا يقطع شيئا (م) عن سلمة بن الأكوع قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا قال: فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بلغته ثم قبض قبضة من تراب الأرض ثم استقبل به وجوههم. وقال: شاهت الوجوه فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله بذلك وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين أخرجه مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبير: أمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين. وروى أن رجلا من بني نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال: أين الخيل البالق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم إلا كهيئة الشامة وما كان قتلنا إلا بأيديهم فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: تلك الملائكة. وروي أن رجلا من المشركين قال يوم حنين لما التقينا وأصحاب محمد لم يقفوا لنا حلب شاة أن كشفناهم فبينا نحن نسوقهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا. قال: فانهزمنا وركبوا أكتافنا فكانت إياها. واختلفوا هل قاتلت الملائكة يوم حنين على قولين والصحيح أنها لم تقاتل إلا يوم بدر وإنما كانت الملائكة يوم حنين مددا وعونا. وذكر البغوي أن الزهري قال: بلغني أن شيبة بن عثمان قال استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن طلحة وكانا قد قتلا يوم أحد

فأطلع الله رسوله على ما في نفسي فالتفت إلي وضرب في صدري وقال أعيذك بالله يا شيبة فأرعدت فرائضي فنظرت إليه وهو أحب إلي من سمعي وبصري فقلت أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أطلعك الله على ما في نفسي فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا إلى أوطاس وبها عيالهم وأموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأشعريين يقال له أبو عامر وأمره على الجيش فسار إلى أوطاس فاقتتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيال المشركين وهرب أميرهم مالك بن عوف النصري فأتى الطائف فتحصن بها وأخذ ماله وأه‍ه فيمن أخذ وقتل أبو عامر أمير المسلمين. قال الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف صبي ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم وأتى الجعرانة فأحرم منها بعمرة وقسم بها غنائم حنين وأوطاس وتألف أناسا منهم أبو سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو والأقرع بن حابس فأعطاهم (ق). عن أنس بن مالك أن ناسا من الأنصار قالوا يوم حنين حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي رجالا من قريش المائة من الإبل فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم." (١)

"من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي وإذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك قال فقلت أطلقها أم ماذا أفعل قال لا بل اعتزلها ولا تقربها قال وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك قال فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر قال فجاءت امرأة هلال بن أمية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خدام فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربنك فقالت إنه والله ما به حركة إلى

شيء وو الله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا قال فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه قال فقلت لا استأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا. قال ثم صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل عنا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/٣٤٦

يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت أنه قد جاء فرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إلى فرسا وسعى ساع من أسلم قبلي وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته والله ما أملك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أتأمل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئونني بالتوبة ويقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام إلا رجل من المهاجرين غيره.

قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور:

أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك. قال: قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ فقال: لا بل من عند الله. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فإني أمسك سهمي الذي بخيبر قال وقلت يا رسول الله إن الله إن أنجاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت قال فو الله ما علمت أن أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني الله، والله ما تعمدت كذبه منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي قال فأنزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة حتى بلغ أنه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب: والله ما أنعم الله عليهم الأرض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا إن الله عز وجل قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال الله سبحانه وتعالى: سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا

عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب: كنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله تعالى فيه فبذلك قال الله عز وجل: وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذي ذكر مما خلفنا عن الغزو وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه وفي رواية ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامي وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال علي الأمر فما." (١)

"معنى هذه الآية: لمحمد صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار. وقال عبد الرحمن بن زيد: نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة، وهما من بني عامر بن زيد وكانت قصتهما على ما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. قال: «أقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بني عامر بن زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه فدخل المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر، وكان من أجمل الناس وكان أعور فقال: يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك، فقال: دعه فان يرد الله به خيرا يهده فأقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا محمد ما لي إن أسلمت؟ قال: لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين. قال: تجعل الأمر لي بعدك؟ قال ليس ذلك لي إنما ذلك إلى الله تعالى يجعله حيث يشاء. قال: فتجعلني على الوبر وأنت على المدر؟ قال: لا قال: فما تجعل لي؟ قال: أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها. قال: أو ليس ذلك لي اليوم قم معي أكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عامر قد أوصى إلى أربد بن ربيعة إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف، فجعل عامر يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار أربد من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه، فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله، وجعل عامر يومئ إليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما صنع بسيفه، فقال: اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم صحو قائظ فأحرقته فولى عامر هاربا وقال: يا محمد دعوت ربك فقتل أربد، والله لأملأنها عليك خيلا جردا وشبابا مردا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يمنعني الله من ذلك وابنا قيلة يريد الأوس والخزرج، فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم إليه سلاحه، فخرج له خراج في أصل أذنه أخذه منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية، ثم ركب

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤١٧/٢

فرسه وجعل يركض في الصحراء، ويقول: ادن يا ملك الموت وجعل يقول الشعر، ويقول لئن أبصرت محمدا وصاحبه يعني ملك الموت لأنفذتهما برمحي فأرسل الله إليه ملكا فلطمه، فأرداه في التراب ثم عاد فركب جواده حتى مات على ظهره، وأجاب الله عز وجل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في عامر بن الطفيل فمات بالطعن، وأربد بن ربيعة مات بالصاعقة وأنزل الله عز وجل في شأن هذه القصة سواء منكم من أسر القول، ومن جهر به إلى قوله له معقبات من بين يديه، ومن خلفه يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه، ومن خلفه من أمر الله أي بأمر الله وقيل: إن تلك المعقبات من أمر الله، وفيه تقديم وتأخير تقديره له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، وقوله إن الله لا يغير ما بقوم خطاب لهذين عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة، يعني لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة التي أنعم بها عليهم حتى يغيروا ما بأنفسهم يعني: من الحالة الجميلة فيعصون ربهم، ويجحدون نعمه عليهم فعند ذلك تحل نقمته بهم، وهو قوله تعالى وإذا أراد الله بقوم سوءا يعني هلاكا وعذابا فلا مرد له يعني لا يقدر أحد أن يرد ما أنزل الله بهم من قضائه وقدره وما لهم من دونه من وال يعني وليس لهم من دون الله من وال يلي أمرهم ونصرهم ويمنع العذاب عنهم قوله عز وجل:

[سورة الرعد (١٣): الآيات ١٢ الى ١٣]

هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال (١٢) ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال (١٣)

هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا لما خوف الله عز وجل عباده بقوله: وإذا أراد الله بقوم سوءا ذكر في هذه الآية من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجه يشبه العذاب من وجه، فقال تعالى: هو الذي يعني هو الذي يريكم البرق والبرق معروف، وهو لمعان يظهر من خلال السحاب وفي كونه خوفا وطمعا وجوه: الأول إن عند." (١)

"يعني لا يخفى عليه شيء وهو السميع لأقوالهم العليم بأفعالهم. قوله عز وجل:

بل قالوا أضغاث أحلام يعني أباطيل وأهاويل رآها في النوم بل افتراه يعني اختلقه بل هو شاعر وذلك أن المشركين اقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله، فقال بعضهم أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم به شعر فليأتنا يعني النبي صلى الله عليه وسلم بآية

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٨/٣

يعني بحجة إن كان صادقا كما أرسل الأولون أي من الرسل بالآيات قال الله تعالى مجيبا لهم ما آمنت قبلهم أي قبل مشركي مكة من قرية أي من أهل قرية أتتهم الآيات أهلكناها يعني بالتكذيب أفهم يؤمنون يعني إن جاءتهم آية والمعنى أن أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما جاءتهم أفيؤمن هؤلاء. قوله تعالى: وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم هذا جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم، والمعنى إنا لم نرسل الملائكة إلى الأولين إنما أرسلنا رجالا يوحى إليهم مثلك فسئلوا أهل الذكر يعني أهل التوراة والإنجيل يريد علماء أهل الكتاب، فإنهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرا وإن أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أمر الله المشركين بسؤال أهل الكتاب لأن المشركين أقرب إلى تصديقهم من تصديق من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل أراد بالذكر القرآن يعني فاسئلوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن إن كنتم لا تعلمون قوله عز وجل: وما جعلناهم أي الرسل جسدا لا يأكلون الطعام هذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام، والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين يعني في الدنيا بل يموتون كغيرهم ثم صدقناهم الوعد يعني الذي وعدناهم بإهلاك أعدائهم فأنجيناهم ومن نشاء يعني من المؤمنين الذين صدقوهم وأهلكنا المسرفين يعني المشركين لأن المشرك مسرف على نفسه.

قوله عز وجل: لقد أنزلنا إليكم يعني يا معشر قريش كتابا فيه ذكركم يعني شرفكم وفخركم وهو شرف لمن آمن به، وقيل معناه فيه حديثكم، وقيل فيه ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد أفلا تعقلون فيه بعث على التدبر لأن الخوف من لوازم العقل. قوله تعالى:

[سورة الأنبياء (٢١): الآيات ١١ الى ٢٣]

وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢) لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون (١٣) قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (١٤) فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (١٥)

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (١٦) لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين (١٧) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (١٨) وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (١٩) يسبحون الليل والنهار لا يفترون (٢٠)

أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون (٢١) لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون (٢٢) لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (٢٣)

وكم قصمنا يعني أهلكنا من قرية كانت ظالمة يعني كافرة والمراد أهل القرية وأنشأنا بعدها أي أحدثنا بعد هلاك أهلها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا أي عذابنا بحاسة البصر إذا هم منها يركضون يعني يسرعون هاربين من قريتهم لما رأوا مقدمة العذاب لا تركضوا يعني قيل لهم لا تهربوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه يعني تنعمتم فيه من العيش ومساكنكم لعلكم تسئلون قال ابن عباس عن قتل نبيكم، قيل نزلت هذه الآية في أهل حضر موت قرية باليمن، وكان أهلها عربا فبعث الله إليهم نبيا يدعوهم إلى الله فكذبوه وقتلوه، فسلط الله عليهم بختنصر فقتلهم وسباهم، فلما استمر فيهم القتل هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا. أي لا تهربوا وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسألون شيئا من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من." (١)

"لترحمني كلمة زلت مني فلن أعود، وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي، أعوذ بك اليوم منك وأستجير بك من جهد البلاء، فأجرني وأستغيث بك من عقابك فأغثني، وأستعينك عن أمري فأعني، وأتوكل عليك فاكفني، وأعتصم بك فاعصمني وأستغفرك فاغفر لي فلن أعود لشيء تكرهه مني.

قال الله تعالى: يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي، فقد غفرت لك، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لأهل البلاء وعزا للصابرين، فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، فمنه تناول وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم، فإنهم قد عصوني فيك. روي عن أنس يرفعه أن أيوب لبث ببلائه ثماني عشرة سنة، وقال وهب: ثلاث سنين لم يزد يوما، وقال كعب: سبع سنين، وقال الحسن: مكث أيوب مطروحا على كناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرا يختلف فيه الدود، لا يقربه أحد غير رحمة صبرت معه بصدق، وكانت تأتيه بالطعام، وتحمد الله معه إذا حمد، وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه، فصرخ إبليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض، فلما اجتمعوا إليه قالوا:

ما أحزنك؟ قال: أعياني هذا العبد الذي لم أدع له مالا ولا ولدا ولم يزدد إلا صبرا، ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا تقربه إلا امرأته، فاستعنت بكم لتعينوني عليه، فقالوا له: فأين مكرك الذي أهلكت به من مضى؟ قال: بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا علي قالوا: من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة؟ قال: من قبل امرأته. قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها وليس يقربه أحد

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٢٢١

غيرها. قال: أصبتم فانطلق إبليس حتى أتى رحمة امرأة أيوب وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل وقال لها: أين بعلك يا أمة الله؟

قالت هو ذاك يحك قروحه ويتردد الديدان في جسده. فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع، فوسوس إليها وذكره، ما كانت فيه من النعم والمال، وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر، وأن ذلك لا ينقطع عنه أبدا، فصرخت فعلم أنها قد جزعت فأتاها بسخلة وقال: ليذبح لي هذه أيوب ويبرأ فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك أين المال أين الولد أين الصديق أين لونك الحسن أين جسمك الحسن؟ اذبح هذه السخلة واسترح. قال أيوب: أتاك عدو الله فنفخ فيك؟ ويلك أرأيت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه؟

قالت الله قال كم متعنا به قالت ثمانين سنة.

قال فمنذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك ما أنصفت ربك ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة، والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة أمرتيني أن أذبح لغير الله. طعامك وشرابك الذي تأتيني به علي حرام أن أذوق منه شيئا اعزبي عني فلا أراك، فطردها، فذهبت. فلما نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله وقارب أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك، فركض برجله فنبعت عين ماء، فاغتسل منها فلم يبق عليه من درنه ودائه شيء ظاهر إلا سقط، وعاد شبابه وجماله أحسن ما كان، ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها، فلم يبق في جوفه داء إلا خرج، فقام صحيحا وكسي حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان عليه وما كان له. من أهل ومال إلا وقد ضعفه الله له وذكر لنا أن الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جراد من ذهب فجعل يضمه بيده فأوحى الله إليه يا أيوب ألم أغنك؟ قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها؟ قال: فخرج حتى جلس على مكان مشرف. ثم إن امرأته قالت: أرأيت إن كان طردني إلى من أكله؟ أدعه يموت جوعا؟ ويضيع فتأكله السباع؟ لأرجعن إليه. فرجعت إليه فلا الكناسة رأت، ولا تلك الحالة التي كانت تعرف، وإذا الأمور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعيني أيوب، وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأله عن أيوب، فدعاها وقال: ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت: أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكناسة لا أدري." (١)

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٢٣٨

"أضاع أم ما فعل به؟ فقال أيوب: ما كان منك فبكت وقالت بعلي. فقال هل تعرفينه إذا رأيتيه؟ قالت وهل يخفى على أحد رآه ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه ثم قالت: أما إنه أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحا. قال: فإني أنا أيوب الذي أمرتني أن أذبح سخلة لإبليس، وإني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد علي ما ترين.

وقال وهب: لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين، فلما غلب أيوب إبليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امرأته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء. فقال لها: أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم. قال: هل تعرفيني؟ قالت لا. قال: أنا إله الأرض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لأنه عبد إله السماء وتركني فأغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليك وعليه كل ما كان لكما من مال وولد فإنه عندي ثم أراها إياه ببطن الوادي الذي لقيها فيه. وفي بعض الكتب أن إبليس قال لها اسجدي لي سجدة واحدة حتى أرد عليك المال والولد وأعافي زوجك. فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها. قال: لقد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك، ثم أقسم إن عافاه الله ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذلك: مسني الضر من طمع إبليس في سجود حرمتي له ودعائه إياها وإياي إلى الكفر. ثم إن الله تعالى رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها، وأراد أن يبر يمين أيوب، فأمره أن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغير فيضربها به ضربة واحدة. وقيل: لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء:

أحدها: ما قيل في حقه: لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا، والثاني: أن امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذؤابتها فأتته بطعام، والثالث: قول إبليس: إني أداويه على أن يقول أنت شفيتني. وقيل مسني الضر أي من شماتة الأعداء حتى روي أنه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك؟ قال: شماتة الأعداء. فإن قلت كيف سماه الله صابرا وقد أظهر الشكوى والجزع بقوله مسني الضر وقوله مسني الشيطان بنصب وعذاب؟ قلت: ليس هذا شكاية وإنما هو دعاء بدليل.

[سورة الأنبياء (٢١): آية ٨٤]

فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين (٨٤)

قوله تعالى: فاستجبنا له والشكوى إنما تكون إلى الخلق لا إلى الخالق بدليل قول يعقوب إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وقال سفيان بن عيينة: من أظهر الشكوى إلى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعا كما «روي أن جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال كيف

تجدك؟ قال: أجدني مغموما وأجدني مكروبا. وقال لعائشة حين قالت: وا رأساه بل أنا وا رأساه» قوله تعالى فاستجبنا له أي أجبنا دعاءه فكشفنا ما به من ضر وذلك أنه قال له اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يضرب برجله الأرض مرة أخرى ففعل، فنبعت عين ماء بارد، فأمره أن يشرب منها، فشرب، فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح ما كان وآتيناه أهله ومثلهم معهم قال ابن مسعود وابن عباس وأكثر المفسرين: رد الله إليه أهله وأولاده بأعيانهم وأحياهم الله وأعطاه مثلهم معهم، وهو ظاهر القرآن، وعن ابن عباس رواية أخرى أن الله رد إلى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا. وقيل كان له سبع بنين وسبع بنات.

وعن أنس يرفعه أن كان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين فأفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب، وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاضا. وروى أن الله تعالى بعث إليه ملكا وقال له: إن ربك يقرئك السلام بصبرك فاخرج إلى أندرك، فخرج إليه فأرسل الله عليه جرادا من ذهب فذهبت واحدة." (١)

"يده فأقام آصف في ملك سليمان بسيرته أربعة عشر يوما إلى أن رد الله تعالى على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع إلى ملكه وجلس على سريره وأعاد الخاتم في يده فثبت فهو الجسد الذي ألقي على كرسيه. وروي عن سعيد بن المسيب قال: احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله تعالى إليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر في أمور عبادي فابتلاه الله تعالى وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم وأخذ الشيطان إياه، قال القاضي عياض وغيره من المحققين: لا يصح ما نقله الأخباريون من تشبيه الشيطان به وتسليطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه وإن الشياطين لا يسلطون على مثله هذا وقد عصم الله تعالى الأنبياء من مثل هذا، والذي ذهب إليه المحققون أن سبب فتنته ما أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسنا أجمعين» وفي رواية لأطوفن بمائة امرأة فقال له الملك قل إن شاء الله فلم يقل ونسي قال العلماء والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه وهي عقوبته ومحنته لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل نسي أن

(١) تفسير الخ ا زن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٢٣٩

يستثني كما صح في الحديث لينفذ أمر الله ومراده فيه وقيل إن المراد بالجسد الذي ألقي على كرسيه أنه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض إن عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله، فعلم بذلك سليمان فأمر السحاب فحمله فكان يربيه في السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل في بعض مهماته إذا ألقى ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه في ذلك، فتنبه لخطئه فاستغفر ربه فذلك قوله عز وجل: وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب أي رجع إلى ملكه بعد الأربعين يوما وقيل أناب إلى الاستغفار وهو قوله:

[سورة ص (٣٨): آية ٣٥]

قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب (٣٥)

قال رب اغفر لي أي سأل ربه المغفرة وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي أي لا يكون لأحد من بعدي وقيل لا تسلبنيه في باقي عمري وتعطيه غيري كما سلبته مني فيما مضى من عمري إنك أنت الوهاب فإن قلت قول سليمان لا ينبغي لأحد من بعدي مشعر بالحسد والحرص على الدنيا.

قلت لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا ولا نفاسة بها ولكن كان قصده في ذلك أن لا يسلط عليه الشيطان مرة أخرى وهذا على قول من قال إن الشيطان استولى على ملكه.

وقيل سأل ذلك ليكون علما وآية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودلالة على قبول توبته حيث أجاب الله تعالى دعاءه ورد ملكه إليه وزاده فيه وقيل كان سليمان ملكا ولكنه أحب أن يخص بخاصية كما خص داود بإلانة الحديد وعيسى بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص فسأل شيئا يختص به كما روى في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن عفريتا من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان:

رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فرددته خاسئا» قوله تعالى:

[سورة ص (٣٨): الآيات ٣٦ الى ٤٢]

فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب (٣٦) والشياطين كل بناء وغواص (٣٧) وآخرين مقرنين في الأصفاد (٣٨) هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب (٣٩) وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب (٤٠)

واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١) اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢)." [١]

"فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء أي لينة ليست بعاصفة حيث أصاب أي حيث أراد والشياطين أي وسخرنا له الشياطين كل بناء أي يبنون له ما يشاء وغواص يعني يستخرجون له اللئالئ من البحر وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر وآخرين أي وسخرنا له آخرين وهم مردة الشياطين مقرنين في الأصفاد أي مشدودين في القيود سخروا له حتى قرنهم في الأصفاد هذا عطاؤنا أي قلنا له هذا عطاؤنا فامنن أي أحسن إلى من شئت أو أمسك أي عمن شئت بغير حساب أي لا حرج عليك فيما أعطيت ولا فيما أمسكت قال الحسن: ما أنعم الله تعالى على أحد نعمة إلا عليه تبعة إلا سليمان فإنه إن أعطى أجر وإن لم يعط لم تكن عليه تبعة وقيل هذا في أمر الشياطين يعني هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم فخل عنه وأمسك أي احبس من شئت منهم في العمل وقيل في الوثاق لا تبعة عليك فيما تتعاطاه وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب لما ذكر الله تعالى ما أنعم به عليه في الدنيا أتبعه بما أنعم به عليه في الآخرة.

قوله عز وجل: واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب أي بمشقة وعذاب أي ضر وذلك في المال والجسد وقد تقدمت قصة أيوب اركض يعني أنه لما انقضت مدة ابتلائه قيل له اركض أي اضرب برجلك يعني الأرض ففعل فنبعت عين ماء عذب هذا مغتسل بارد أمره الله تعالى أن يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فركض برجله الأرض مرة أخرى فنبعت عين ماء عذب أخرى فشرب منه فذهب كل داء كان في باطنه فذلك قوله عز وجل: وشراب.

[سورة ص (٣٨): الآيات ٤٣ الى ٥٢]

ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (٤٣) وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب (٤٤) واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار (٤٥) إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار (٤٦) وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار (٤٧)

واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار (٤٨) هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب (٤٩) جنات عدن مفتحة لهم الأبواب (٥٠) متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب (٥١) وعندهم قاصرات الطرف أتراب (٥٢)

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/٤٣

ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا أي إنما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لا على اللزوم وذكرى لأولي الألباب يعني سلطنا البلاء عليه فصبر، ثم أزلناه عنه وكشفنا ضره فشكر فهو موعظة لذوي العقول والبصائر وخذ بيدك ضغثا أي ملء كفك من حشيش أو عيدان أو ريحان فاضرب به ولا تحنث وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فشكر الله حسن صبرها معه فأفتاه في ضربها وسهل له الأمر وأمره بأن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة ففعل ولم يحنث في يمينه وهل ذلك لأيوب خاصة أم لا؟ فيه قولان أحدهما أنه عام.

وبه قال ابن عباس وعطاء بن أبي رباح والثاني أنه خاص بأيوب.

قال مجاهد واختلف الفقهاء فيمن حلف أن يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة.

فقال مالك والليث بن سعيد وأحمد لا يبر.

وقال أبو حنيفة والشافعي إذا ضربه ضربة واحدة فأصابه كل سوط على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الآية إنا وجدناه صابرا أي على البلاء الذي ابتليناه به نعم العبد إنه أواب." (١)

"صاحبه قالا: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش. وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بغدير الأشطاط قريبا من عسفان أتى عتبة الخزاعي. وقال: إن قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أشيروا علي أيها الناس أترون أن أميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فإن قعدوا قعدوا موتورين وإن نجوا تكن عنقا قطعها الله أو ترون أن نؤم البيت لا نريد قتال أحد ولا حربا فمن صدنا عنه قاتلناه. فقال أبو بكر: يا رسول الله إنما جئت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال: امضوا على اسم الله فنفذوا. قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فو الله ما شعر بهم خالد حتى إذا هو بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش. وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس: حل حل. فألحت فقالوا خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم من خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال: والذي نفسي بيده لا تدعوني

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/٤٤

قريش اليوم إلى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت. قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتربضه الناس تربضا فلم يلبث الناس أن نزحوه. وشكا الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم العطش، فنزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البئر فغرزه في جوفه. فو الله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا على أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنا لم نجيء لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاؤوا ماددتهم ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر.

فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل الناس فيه فعلوا وإلا فقد جموا وإن هم أبوا فو الذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره. فقال بديل: سأبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشا، فقال إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء. وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته. قال: سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفي، فقال: أي قوم، ألستم بالولد؟ قالوا: بلى. قال: أو لست بالوالد؟

قالوا: بلى. قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ؟ فلما ألحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإن هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فأقبلوها ودعوني آتية قالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: يا محمد أرأيت إن استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك وإن تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوها وإني لأرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر رضي الله عنه: امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد لك عندي ولم أجزك بها لأجبتك.

قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف. وقال: أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم. فرفع عروة رأسه،

فقال: من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال: أي غدر ألست أسعى في غدرتك؟

وكان المغيرة قد صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء.." (١)

"وقيل: سموا بذلك لتجمعهم. والتحبيش: التجمع. قوله: فإن قعدوا قعدوا موتورين، أي منقوصين. قوله:

فنفذوا: أي مضوا وتخلصوا. قوله: إن خالد بن الوليد بالغميم، اسم موضع ومنه كراع الغميم. وقوله: طليعة الطليعة، الجماعة يبعثون بين يدي الجيش ليطلعوا على أخبار العدو. قوله: وقترة الجيش: هو الغبار الساطع معه سواد. قوله: يركض نذير، النذير: الذي يعلم القوم بالأمر الحادث. قوله: حل حل: هو زجر للناقة. قوله خلأت القصوا: يعني أنها لما توقفت عن المشي وتقهقرت ظنوا ذلك خللا في خلقها وهو كالحران للفرس فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما خلأت أي ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل، أي منعها عن المسير. والذي منع الفيل عن مكة هو الله تعالى والقصوا اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قصوا وهو شق الأذن. قوله: خطة، أي حالة وقضية يعظمون فيها حرمات الله جمع حرمة وهي فروضه وما يجب القيام به يريد بذلك حرمة الحرم ونحوه. قوله: حتى نزل بأقصى الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها، وهي قرية ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل. وقال ما لك: هي من الحرم. وقال ابن القصار:

بعضها من الحل حكاه في المطالع. والثمد: الماء القليل الذي لا مادة له. والتربص: أخذ الشيء قليلا قليلا.

وقوله: فما زال يجيش بالري، يقال: جاشت البئر بالماء إذا ارتفعت وفاضت. والري ضد العطش، والصد الرجوع بعد الورود. وقوله: وكانت خزاعة عيبة، نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان عيبة نصح فلان إذا كان موضع سره وثقته في ذلك. قوله: نزلوا على أعداد مياه الحديبية، الماء العد: الكثير الذي لا انقطاع له كالعيون وجمعه أعداد. قوله: ومعهم العوذ المطافيل، العوذ: جمع عائذ وهي الناقة إذا وضعت إلى أن يقوى ولدها، وقيل: هي كل أنثى لها سبع ليال منذ وضعت. والمطافيل: جمع مطفل وهي الناقة معها فصيلها وهذه استعارة استعار ذلك للناس وأراد بهم أن معهم النساء والصبيان. قوله: وإن قريشا قد نهكتهم الحرب أي، أضرت بهم وأثرت فيهم.

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/١٦٥

وقوله: ماددتهم أي جعلت بيني وبينهم مدة. قوله: وإلا فقد جموا، أي: استراحوا. والجمام: بالجيم الراحة بعد التعب. قوله: تنفرد سالفتي السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا العنق. وقيل: السالفة حبل العنق وهو ما بينه وبين الكتف وهو كناية عن الموت لأنها لا تنفرد عنه إلا بالموت. قوله: إني استنفرت، يقال: استنفر القوم إذا دعاهم إلى قتال العدو، وعكاظ: اسم سوق كانت في الجاهلية معروفة. وقوله: بلحوا على فيه لغتان التخفيف والتشديد وأصل التبليح: الإعياء والفتور. والمراد: امتناعهم من إجابته وتقاعدهم عنه. قوله: استأصلت قومك.

واجتاح: أصله من الاجتياح إيقاع المكروه بالإنسان ومنه الجائحة والاستئصال والاجتياح متقاربان في مبالغة الأذى. قوله: إني لأرى وجوها وأشوابا: الأشواب، مثل الأوباش وهم الأخلاط من الناس والرعاع. يقال: فلان خليق بذلك أي جدير لا يبعد ذلك من خلقه قوله امصص بظر اللات وهي اسم صنم لهم كانوا يعبدونه والبظر ما تقطعه الخافضة وهي الخاتنة من الهنة التي تكون في فرج المرأة وكان هذا اللفظ شتما لهم يدور في ألسنتهم.

قوله: لولا يدلك عندي اليد النعمة وما يمتن به الإنسان على غيره. قوله: أي غدر معدول عن غادر وهو للمبالغة. وقوله: قد عرض عليكم خطة رشد، يقال: خطة رشد وخطة غي. والرشد والرشاد خلاف الغي والمراد منه أنه قد طلب منكم طريقا واضحا في هدى واستقامة. قوله: وهو من قوم يعظمون البدن أي الإبل تهدى إلى البيت في حج أو عمرة، وتقليدها: هو أن يجعل في رقابها شيء كالقلادة من لحاء الشجر أو نعل أو غيره ليعلم بذلك أنه هدى. والإشعار: هو أن يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه وقوله لما رأى الهدى يسيل عليه أي يقبل عليه كالسيل من عرض الوادي أي جانبه. وقوله: هذا مكرز وهو رجل فاجر. الفجور: الميل عن الحق وكل انبعاث في شر فهو فجور. قوله: هذا ما قاضى عليه، أي فاعل من القضاء وهو إحكام الأمر وإمضاؤه وهو في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقضاء الشيء وإتمامه. قوله: ضغطة، هو كناية عن القهر والضيق. قوله:

بجلباب السلاح، بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف الباء ويروى بضم اللام أيضا مع التشديد وهو وعاء من." (١)

"عسفان، وأمج أفطر ثم مضى حتى نزل بمر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين. ولم يتخلف من الأنصار والمهاجرين عنه أحد فلما نزل بمر الظهران، وقد عميت الأخبار عن قريش، ولا يأتيهم خبر عن

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٦٩/٤

رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يدرون ما هو فاعل خرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام: لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله، وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب. ليلتئذ واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه الهلاك لقريش إلى آخر الدهر. قال فجلست على بغلة رسول اللہ صلى الله عليه وسلم البيضاء، فخرجت عليها حتى جئت الأراك لعلي أجد حاطبا، أو صاحب لبن أو ذا حاجة يدخل مكة، فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة قال العباس: فو الله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء، وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيرانا قط. فقال بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب، فقال أبو سفيان خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها، فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي، فقال يا أبا الفضل فقلت نعم قال ما لك فداك أبي وأمي قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال:

وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك فردفني، ورجع صاحباه فخرجت أركض به على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من نيران المسلمين ينظرون إلي، ويقولون عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا فقام إلي فلما رأى أبا سفيان على عجز البغلة، قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد، ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وركضت البغلة فسبقته كما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء قال فاقتحمت عن البغلة سريعا، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخل عليه عمر فقال: يا رسول الله هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد، ولا عهد فدعني أضرب عنقه قال فقلت يا رسول الله إني قد أجرته ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه، وقلت والله لا ينجيك الليلة أحد دوني فلما أكثر عمر في شأنه قلت مهلا يا عمر. فو الله ما تصنع هذا إلا أنه رجل من بني عبد مناف، ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا، فقال مهلا يا عباس، فو الله لإسلامك يوم

أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، وما ذاك إلا لأني أعلم أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فائتني به قال فذهبت به إلى رحلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله وأني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئا بعد قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله، قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك، وأوصلك أما هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيئا فقال العباس: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فتشهد شهادة الحق وأسلم قال العباس: فقلت يا رسول الله إن أبا سفيان هذا رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله قال فخرجت به حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه قال ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت به قبيلة قال من هؤلاء يا عباس، فأقول سليم فيقول ما لي ولسليم، ثم القبيلة فيقول من هؤلاء، فأقول مزينة فيقول ما لي ولمزينة حتى نفدت القبائل. لا تمر قبيلة إلا سألني عنها، فإذا أخبرته عنها. فيقول ما لي، ولبني فلان حتى مر رسول الله." (١)

"وقال رؤبة:

وفي أخاديد السياط المتن ... شاف لبغي الكلب المشيطن

ووزنه فعلان عند الكوفيين، ونونه زائدة من شاط يشيط إذا هلك، قال الشاعر:

قد تظفر العير في مكنون قائلة ... وقد تشطو على أرماحنا البطل

والشيطان كل متمرد من الجن والإنس والدواب، قاله ابن عباس، وأنثاه شيطانة، قال الشاعر:

هي البازل الكوماء لا شيء غيرها ... وشيطانة قد جن منها جنونها

وشياطين: مع شيطان، نحو غراثين في جمع غرثان، وحكاه الفراء، وهذا على تقدير أن نونه زائدة تكون نحو: غرثان، مع اسم معناه الصحبة اللائقة بالمذكور، وتسكينها قبل حركة لغة ربيعة وغنم، قاله الكسائي. وإذا سكنت فالأصح أنها اسم، وإذ ألقيت ألف اللام أو ألف الوصل، فالفتح لغة عامة العرب، والكسر لغة

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في م عاني التنزيل الخازن ٤/٤٨٩

ربيعة، وتوجيه اللغتين في النحو، ويستعمل ظرف مكان فيقع خبرا عن الجثة والأحداث، وإذا أفرد نون مفتوحا، وهي ثلاثي الأصل من باب المقصور، إذ ذاك لا من باب يد، خلافا ليونس، وأكثر استعمال معا حال، نحو: جميعا، وهي أخص من جميع لأنها تشرك في الزمان نصا، وجميع تحتمله.

وقد سأل أحمد بن يحيى أحمد بن قادم عن الفرق بين. قام عبد الله وزيد معا، وقام عبد الله وزيد جميعا، قال: فلم يزل يركض فيها إلى الليل، وفرق ابن يحيى: بأن جميعا يكون القيام في وقتين وفي وقت واحد، وأما إذا قلت: معا، فيكون في وقت واحد.

الاستهزاء: الاستخفاف والسخرية، وهو استفعل بمعنى الفعل المجرد، وهو فعل، تقول:

هزأت به واستهزأت بمعنى واحد، مثل استعجب: بمعنى عجب، وهو أحد المعاني التي جاءت لها استفعل.

الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون المد: التطويل، مد الشيء:

طوله وبسطه، ألم تر إلى ربك كيف مد الظل «١» ، وأصل المد: الزيادة، وكل شيء دخل في شيء فكثره فقد مده، قاله اللحياني. وأمد بمعنى مد، مد الجيش، وأمده: زاده وألحق به ما يقويه من جنسه. وقال بعض أهل العلم: مد زاد من الجنس، وأمد: زاد من غير الجنس. وقال يونس: مد في الخير وأمد في الشر. انتهى قوله. ويقال: مد النهر وأمده.

---

(١) سورة الفرقان: ٢٥/ ٤٥.." (١)

"لا يعمل في المفردات، إنما يدخل على الجمل للحكاية، فيكون في موضع المفعول به، إلا إن كان المفرد مصدرا نحو: قلت قولا، أو صفة لمصدر نحو: قلت حقا، أو معبرا به عن جملة نحو: قلت شعرا وقلت خطبة، على أن هذا القسم يحتمل أن يعود إلى المصدر، لأن الشعر والخطبة نوعان من القول، فصار كالقهقرى من الرجوع، وحطة ليس واحدا من هذه. ولأنك إذا جعلت حطة منصوبة بلفظ قولوا، كان ذلك من الإسناد اللفظي وعري من الإسناد المعنوي، والأصل هو الإسناد المعنوي. وإذا كان من الإسناد اللفظي لم يترتب على النطق به فائدة أصلا إلا مجرد الامتثال للأمر بالنطق بلفظ، فلا فرق بينه وبين الألفاظ الغفل التي لم توضع لدلالة على معنى. ويبعد أن يرتب الغفران للخطايا على النطق بمجرد لفظ مفرد لم يدل به على معنى كلام. أما ما ذهب إليه أبو عبيدة من أن قوله حطة مفرد، وأنه مرفوع على الحكاية وليس مقتطعا من جملة، بل أمروا بقولها هكذا مرفوعة، فبعيد عن الصواب لأنه يبقي حطة مرفوعا بغير رافع، ولأن القول

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٠٣/١

إنما وضع في باب الحكاية ليحكى به الجمل لا المفردات، ولذلك احتاج النحويون في قوله تعالى: يقال له إبراهيم «١» إلى تأويل، وأما تشبيهه إياه بقوله:

سمعت الناس ينتجعون غيثا

وجدنا في كتاب بني تميم ... أحق الخيل بالركض المعار

فليس بسديد، لأن سمع ووجد كل منهما يتعلق بالمفردات والجمل، لأن المسموع والموجود في الكتاب قد يكون مفردا وقد يكون جملة. وأما القول فلا يقع إلا على الجمل، ولا يقع على المفردات إلا فيما تقدم ذكره، وليس حطة منها. واختلفت أقوال المفسرين في حطة، فقال الحسن: معناه حط عنا ذنوبنا، وقال ابن عباس وابن جبير ووهب: أمروا أن يستغفروا، وقال عكرمة: معناها لا إله إلا الله، وقال الضحاك: معناه وقولوا هذا الأمر الحق، وقيل: معناه نحن لا نزال تحت حكمك ممتثلون لأمرك، كما يقال قد حططت في فنائك رحلي. وقد تقدمت التقادير في إضمار ذلك المبتدأ قبل حطة وهي أقاويل لأهل التفسير. وقد روي عن ابن عباس أنهم أمروا بهذه اللفظة بعينها، قيل: والأقرب خلافه، لأن هذه اللفظة عربية وهم ما كانوا يتكلمون بها، ولأن الأقرب أنهم أمروا بأن يقولوا قولا دالا على التوبة والندم والخضوع، حتى لو قالوا: اللهم إنا نستغفرك ونتوب إليك، لكان

---

(١) سورة الأنبياء: ٢١/ ٦٠.." (١)

"وقيل: لها النفقة من جميع المال، وروي ذلك عن علي

، وعبد الله بن عمر، وشريح، وابن سيرين، والشعبي، وأبي العالية، والنخعي، وخلاس بن عمرو، وحماد بن أبي سليمان، وأيوب السختياني، والثوري، وأبي عبيد.

وظاهر قوله يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا أنه إذا تربصت هذه المدة ليس عليها أكثر من ذلك، وإن كانت ممن تحيض فلم تحض فيها، وقيل: لا تبرأ إلا بحيضة تأتي بها في المدة، وإلا فهي مستريبة، فتمكث حتى تزول ريبتها.

وأجمع الفقهاء على أن هذه الآية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول، وهذا من غرائب النسخ، فإن الحكم الثاني ينسخ الأول، وقيل: إن الحول لم ينسخ، وإنما هو ليس على وجه الوجوب، بل هو على الندب، فأربعة أشهر وعشرا، أقل ما تعتد به المتوفى عنها زوجها، والحول هو الأكمل والأفضل.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١/ ٣٦٠

وقال قوم: ليس في هذا نسخ، وإنما هو نقصان من الحول: كصلاة المسافر لما نقصت من الأربع إلى الاثنتين لم يكن ذلك نسخا، بل كان تخفيفا.

قالوا: واختص هذا العدد في عدة المتوفى عنها زوجها استبراء للحمل

فقد روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يكون خلق أحدكم نطفة أربعين يوما، ثم علقة أربعين يوما، ثم مضغة أربعين يوما، ثم ينفخ فيه الروح، أربعة أشهر وزاد الله العشر لأنها مظنة لظهور حركة الجنين، أو مراعاة لنقص الشهور وكمالها، أو استظهارا لسرعة ظهور الحركة أو بطئها في الجنين» .

قال أبو العالية وغيره: إنما زيدت العشر لأن نفخ الروح يكون فيها، وظهور الحمل في الغالب. وقال الأصمعي: ولد كل حامل يركض في نصف حمله، وقال الراغب: ذكر الأطباء أن الولد في الأكثر، إذا كان ذكرا يتحرك بعد ثلاثة أشهر، وإذا كان أنثى بعد أربعة أشهر، وزيد على ذلك عشرا استظهارا.

قال: وخصت العشرة بالزيادة لكونها أكمل الأعداد وأشرفها لما تقدم في: تلك عشرة كاملة «١» .

قال القشيري: لما كان حق الميت أعظم. لأن فراقه لم يكن بالاختيار، كانت مدة وفاته أطول، وفي ابتداء الإسلام كانت عدة الوفاة سنة، ثم ردت إلى أربعة أشهر وعشرة أيام

---

(١) سورة البقرة: ٢/ ١٩٦.." (١)

"نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من قد فر منهم وأقشعوا

وعاشرنا لا قى الحمام بنفسه ... بما مسه في الله لا يتوجع

وثبتت أم سليم في جملة من ثبت ممسكة بعيرا لأبي طلحة وفي يدها خنجر، ونزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته إلى الأرض واستنصر الله، وأخذ قبضة من تراب وحصا فرمى بها في وجوه الكفار وقال: «شاهت الوجوه» قال يعلى بن عطاء: فحدثني أبناؤهم عن آبائهم قالوا: لم يبق منا أحد إلا دخل عينيه من ذلك التراب، وقال للعباس وكان صيتا: ناد أصحاب السمرة، فنادى الأنصار فخذا فخذا، ثم نادى يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، فكروا عنقا واحدا وهم يقولون: لبيك لبيك، وانهزم المشركون فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتال المسلمين فقال: «هذا حين حمي الوطيس» وركض رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفهم على بغلته.

وفي صحيح مسلم من حديث البراء: أن هوازن كانوا رماة فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢/٥١٩

فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان يقود بغلته فنزل ودعا واستنصر، وهو يقول:

«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب اللهم أنزل نصرك» قال البراء: كنا والله إذا حمي البأس نتقي به صلى الله عليه وسلم، وأن الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم. وفي أول هذا الحديث: «أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟» فقال: أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولى. ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين السكينة: النصر الذي سكنت إليه النفوس، قاله ابن عطية. وقال الزمخشري: رحمته التي سكنوا بها. وقيل: الوقار والثبات بعد الاضطراب والقلق، ويخرج من هذا القول الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يزل ثابت الجأش ساكنه، وعلى المؤمنين ظاهره شمول من فر ومن ثبت. وقيل: هم الأنصار إذ هم الذين كروا وردوا الهزيمة. وقيل: من ثبت مع الرسول صلى الله عليه وسلم حالة فر الناس. وقرأ زيد بن علي: سكينته بكسر السين وتشديد الكاف مبالغة في السكينة. نحو شريب وطبيخ.

وأنزل جنودا لم تروها هم الملائكة بلا خلاف، ولم تتعرض الآية لعددهم.

فقال الحسن: ستة عشر ألفا. وقال مجاهد: ثمانية آلاف. وقال ابن جبير: خمسة آلاف.

وهذا تناقض في الأخبار، والجمهور على أنها لم تقاتل يوم حنين.

وعن ابن المسيب:

حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال: لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم، فلما." (١)

"لا علم له به. وهذا الظاهر. وقال الزجاج: يستشهد بها كما قال يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم «١» . وقال القرطبي في أحكامه: يسأل الفؤاد عما اعتقده، والسمع عما سمع، والبصر عما رأى. وقال ابن عطية: إن الله تعالى يسأل سمع الإنسان وبصره وفؤاده عما قال مما لا علم له به، فيقع تكذيبه من جوارحه وتلك غاية الخزي. وقيل: الضمير في كان ومسؤلا عائدان على القائف ما ليس له به علم، والضمير في عنه عائد على كل فيكون ذلك من الالتفات إذ لو كان على الخطاب لكان التركيب كل أولئك كنت عنه مسؤولا.

وقال الزمخشري: وعنه في موضع الرفع بالفاعلية، أي كل واحد منها كان مسؤولا عنه، فمسؤول مسند إلى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم «٢» يقال للإنسان: لم سمعت ما لا يحل لك

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٩٤/٥

سماعه؟ ولم نظرت ما لم يحل لك النظر إليه؟ ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه؟ انتهى. وهذا الذي ذهب إليه م ن أن عنه في موضع الرفع بالفاعلية، ويعني به أنه مفعول لم يسم فاعله لا يجوز لأن الجار والمجرور وما يقام مقام الفاعل من مفعول به ومصدر وظرف بشروطهما جار مجرى الفاعل، فكما أن الفاعل لا يجوز تقديمه فكذلك ما جرى مجراه وأقيم مقامه، فإذا قلت غضب على زيد فلا يجوز على زيد غضب بخلاف غضبت على زيد فيجوز على زيد غضبت. وقد حكى الاتفاق من النحويين على أنه لا يجوز تقديم الجار والمجرور الذي يقام مقام الفاعل على الفعل أبو جعفر النحاس ذكر ذلك في المقنع من تأليفه، فليس عنه مسؤلا كالمغضوب عليهم لتقدم الجار والمجرور في عنه مسؤلا وتأخيره في المغضوب عليهم وقول الزمخشري: ولم نظرت ما لم يحل لك أسقط إلى، وهو لا يجوز إلا إن جاء في ضرورة شعر لأن نظر يتعدى بإلى فكان التركيب، ولم نظرت إلى ما لم يحل لك كما قال النظر إليه فعداه بإلى.

وانتصب مرحا على الحال أي مرحا كما تقول: جاء زيد ركضا أي ر ا كضا أو على حذف مضاف أي ذا مرح، وأجاز بعضهم أن يكون مفعولا من أجله أي ولا تمش في الأرض للمرح ولا يظهر ذلك، وتقدم أن المرح هو السرور والاغتباط بالراحة والفرح وكأنه ضمن معنى الاختيال لأن غلبة السرور والفرح يصحبها التكبر والاختيال، ولذلك بقوله

---

(١) سورة النور: ٢٤/ ٢٤.

(٢) سورة الفاتحة: ١/ ٧.." [1]

"سورة الأنبياء

ترتيبها ٢١ سورة الأنبياء آياتها ١١٢ مكية

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ١ الى ٥٠]

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون (١) ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون (٢) لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون (٣) قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم (٤)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٩/٧

بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون (٥) ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون (٦) وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (٧) وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين (٨) ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين (٩)

لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون (١٠) وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢) لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون (١٣) قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (١٤)

فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (١٥) وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (١٦) لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين (١٧) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (١٨) وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (١٩)

يسبحون الليل والنهار لا يفترون (٢٠) أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون (٢١) لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون (٢٢) لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (٢٣) أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون (٢٤)

وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون (٢٥) وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون (٢٦) لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون (٢٧) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (٢٨) ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين (٢٩)

أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون (٣٠) وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون (٣١) وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون (٣٢) وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون (٣٣) وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون (٣٤)

كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون (٣٥) وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون (٣٦) خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي

فلا تستعجلون (٣٧) ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (٣٨) لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون (٣٩)
بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون (٤٠) ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن (٤١) قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون (٤٢) أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون (٤٣) بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون (٤٤)
قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون (٤٥) ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين (٤٦) ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين (٤٧) ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين (٤٨) الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون (٤٩)
وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون (٥٠)." (١)

"القصم: كسر الشيء الصلب حتى يبين تلاؤم أجزائه. الركض: ضرب الدابة بالرجل. خمدت النار: طفئت. دمغه: أصاب دماغه، نحو كبده ورأسه أصاب كبده ورأسه. رتق الشيء: سده فارتتق ومنه الرتقاء للمنضمة الفرج. فتق: فصل ما بين المتصلين. الفج: الطريق المتسع. السبح: العوم، كلأه: حفظه يكلؤه كلاءة. ويقال:
اذهب في كلاءة الله واكتلأت منه احترست. وقال ابن هرمة:
إن سليمى والله يكلؤها ... ضنت بشيء ما كان يرزؤها
النفخة: الخطوة، ونفخ له من عطاياه أجزأه نصيبا. قال الشاعر:
إذا ربدة من حيث ما نفخت له ... إياه برياها خليل يواصله
الخردل: حب معروف.
اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث." (٢)

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٠٣/٧
(٢) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٠٥/٧

"وعن سفيان مكارم أخلاقكم ومحاسن أعمالكم. وقيل: تذكرة لتحذروا ما لا يحل وترغبوا فيما يجب.

وقال صاحب التحرير: الذي يقتضيه سياق الآيات أن المعنى فيه ذكر مشائكم ومثالبكم وما عاملتم به أنبياء الله من التكذيب والعناد، فعلى هذا تكون الآية ذما لهم وليست من تعداد النعم عليهم، ويكون الكلام على سياقه ويكون معنى قوله هل هذا إلا بشر مثلكم أفلا تعقلون إنكارا عليهم على إهمالهم المتدبر والتفكر المؤديين إلى اقتضاء الغفلة. وقال ابن عطية: يحتمل أن يريد فيه شرفكم وذكركم آخر الدهر كما نذكر عظام الأمور، وفي هذا تحريض ثم أكد التحريض بقوله أفلا تعقلون وحركهم بذلك إلى النظر. وقال الزمخشري نحوه قال: ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وإنه لذكر لك ولقومك «١» أو موعظتكم أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء، وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث وأداء الأمانة والسخاء وما أشبه ذلك.

وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين. فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

لما رد الله تعالى عليهم ما قالوه بالغ تعالى في زجرهم بذكر ما أهلك من القرى، فقال: وكم قصمنا والمراد أهلها إذ لا توصف القرية بالظلم كقوله من هذه القرية الظالم أهلها «٢» قال ابن عباس: الإنشاء إيجاد الشيء من غير سبب أنشأه فنشأ وهو ناشيء والجمع نشاء كخدم، والقصم أفظع الكسر عبر به عن الإهلاك الشديد وكم تقتضي التكثير، فالمعنى كثيرا من أهل القرى أهلكنا إهلاكا شديدا مبالغا فيه. وما روي عن ابن عباس أنها حضوراء قرية باليمن، وعن ابن وهب عن بعض رجاله أنهما قريتان باليمن بطر أهلهما فيحمل على سبيل التمثيل لا على التعيين في القرية، لأن كم تقتضي التكثير.

ومن حديث أهل حضوراء أن الله بعث إليهم نبيا فقتلوه، فسلط الله عليهم بخت نصر كما

---

(١) سورة الزخرف: ٤٣/ ٤٤.

(٢) سورة النساء: ٤/ ٧٥.." (١)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤١٢/٧

"سلطه على أهل بيت المقدس بعث إليهم جيشا فهزموه، ثم بعث آخر فهزموه، ثم خرج إليهم بنفسه فهزمهم في الثالثة، فلما أخذ القتل فيهم ركضوا هاربين.

فلما أحسوا بأسنا أي باشروه بالإحساس والضمير في أحسوا عائد على أهل المحذوف من قوله وكم قصمنا من قرية ولا يعود على قوله قوما آخرين لأنه لم يذكر لهم ذنب يركضون من أجله، والضمير في منها عائد على القرية، ويحتمل أن يعود على بأسنا لأنه في معنى الشدة، فأنث على المعنى ومن على هذا السبب، والظاهر أنهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين. قيل:

ويجوز أن شبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فهم يركضون الأرض بأرجلهم، كما قال اركض برجلك «١» وجواب لما إذا الفجائية وما بعدها، وهذا أحد الدلائل على أن لما في هذا التركيب حرف لا ظرف، وقد تقدم لنا القول في ذلك.

وقوله: لا تركضوا قال ابن عطية: يحتمل أن يكون من قول رجال بخت نصر على الرواية المتقدمة، فالمعنى على هذا أنهم خدعوهم واستهزؤا بهم بأن قالوا للهاربين منهم: لا تفروا وارجعوا إلى منازلكم لعلكم تسئلون صلحا أو جزية أو أمرا يتفق عليه، فلما انصرفوا أمر بخت نصر أن ينادى فيهم يا لثارات النبي المقتول فقتلوا بالسيف عن آخرهم، هذا كله مروي ويحتمل أن يكون قوله: لا تركضوا إلى آخر الآية من كلام ملائكة العذاب، وصف قصة كل قرية وأنه لم يرد تعيين حضوراء ولا غيرها، فالمعنى على هذا أن أهل هذه القرى كانوا باغترارهم يرون أنهم من الله بمكان وأنه لو جاءهم عذاب أو أمر لم ينزل بهم حتى يتخاصموا ويسألوا عن وجه تكذيبهم لنبيهم فيحتجون هم عند ذلك بحجج تنفعهم في ظنهم، فلما نزل العذاب دون هذا الذي أملوه وركضوا فارين نادتهم الملائكة على وجه الهزء بهم.

لا تركضوا وارجعوا لعلكم تسئلون كما كنتم تطمعون لسفه آرائكم.

وقال الزمخشري: يحتمل أن يكون يعني القائل بعض الملائكة، أو من ثم من المؤمنين، أو يجعلون خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل، أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم.

---

(١) سورة ص: ٣٨/ ٤٢.." [١]

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٧/٤١٣

"ليس متعلقا بأفعل، بل هو بتبيين، لأنه لما حذف المضاف إليه أبهم لفظا فبينه بقوله: من ذلك، أي عنى من ذلك، وقد جاءت من مع كون أفعل التفضيل مضافا في قول الشاعر:

تحن نفوس الورى وأعلمنا ... بنا يركض الجياد في السدف

وخرج على أنه أراد علم بنا، فأضاف ناويا طرح المضاف إليه، فاحتملت قراءة زيد هذا التوجيه الآخر: أنه لما أضاف أصغر وأكبر على إعرابهما حالة الإضافة، وهذا كله توجيه شذوذ، وناسب وصفه تعالى بعالم الغيب، وأنه لا يفوت علمه شيء من الخفيات، فاندرج في ذلك وقت قيام الساعة، وصار ذلك دليلا على صحة ما أقسم عليه، لأن من كان عالما بجميع الأشياء كلها وجزئها، وكانت قدرته ثابتة، كان قادرا على إعادة ما فني من جميع الأرواح والأشباح. قيل: وقوله مثقال ذرة في السماوات، إشارة إلى علمه بالأرواح، ولا في الأرض، إشارة إلى علمه بالأشياء. وكما أبرزهما من العدم إلى الوجود أولا، فكذلك يعيدهما ثانيا. وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف يكون بمعنى اليمين مصححة لما أنكروه؟ قلت: هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها بالحجة القاطعة، وهو قوله:

ليجزي، فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء، وأن المحسن لا بد له من ثواب، والمسيء لا بد له من عقاب: انتهى، وفي السؤال بعض اختصار، وفيه دسيسة الاعتزال. والظاهر أن قوله: ليجزي متعلق بقوله: لا يعزب، وقيل: بقوله لتأتينكم، وقيل: بالعامل في كتاب مبين: أي إلا مستقرا في كتاب مبين ليجزي.

وقرأ الجمهور: معجزين مخففا، وابن كثير وأبو عمرو والجحدري وأبو السماك: مثقلا وتقدم في الحج، أي معجزين قدرة الله في زعمهم. وقال ابن الزبير: معناه مثبطين عن الإيمان من أراده، مدخلين عليه العجز في نشاطه، وهذا هو سعيهم في الآيات، أي في شأن الآيات. وقال قتادة: مسابقين يحسبون أنهم يفوتوننا. وقال عكرمة: مراغمين. وقال ابن زيد: مجاهدين في إبطالها. وقرأ ابن كثير وحفص وابن أبي عبلة: أليم هنا، وفي الجاثية بالرفع صفة للعذاب، وباقي السبعة بالجر صفة للرجز، والرجز: العذاب السيء.

والظاهر أن قوله: والذين سعوا مبتدأ، والخبر في الجملة الثانية، وهي أولئك.

وقيل: هو منصوب عطفا على الذين آمنوا، أي وليجزي الذين سعوا. واحتمل أن تكون الجملتان المصدرتان بأولئك هما نفس الثواب والعقاب، واحتمل أن تكونا مستأنفتين، والثواب والعقاب ما تضمنتا مما هو أعظم،

كرضا الله عن المؤمن دائما، وسخطه على الفاسق دائما. قال العتبي: والظاهر أن قوله: ويرى استئناف إخبار عمن أوتي العلم،." [(١)]

"وابن أبي عبلة: بالرفع، ويقفان على لزلفى، ويبتدآن وحسن مآب، وهو مبتدأ، خبره محذوف تقديره: وحسن مآب له.

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٤١ الى ٨٨]

واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١) اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢) ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (٤٣) وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب (٤٤) واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار (٤٥)

إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار (٤٦) وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار (٤٧) واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار (٤٨) هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب (٤٩) جنات عدن مفتحة لهم الأبواب (٥٠)

متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب (٥١) وعندهم قاصرات الطرف أتراب (٥٢) هذا ما توعدون ليوم الحساب (٥٣) إن هذا لرزقنا ما له من نفاد (٥٤) هذا وإن للطاغين لشر مآب (٥٥)

جهنم يصلونها فبئس المهاد (٥٦) هذا فليذوقوه حميم وغساق (٥٧) وآخر من شكله أزواج (٥٨) هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار (٥٩) قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار (٦٠)

قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار (٦١) وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار (٦٢) أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار (٦٣) إن ذلك لحق تخاصم أهل النار (٦٤) قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار (٦٥)

رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار (٦٦) قل هو نبأ عظيم (٦٧) أنتم عنه معرضون (٦٨) ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون (٦٩) إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين (٧٠)

إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين (٧١) فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥٢٠/٨

(٧٢) فسجد الملائكة كلهم أجمعون (٧٣) إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين (٧٤) قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين (٧٥)

قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين (٧٦) قال فاخرج منها فإنك رجيم (٧٧) وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين (٧٨) قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون (٧٩) قال فإنك من المنظرين (٨٠)

إلى يوم الوقت المعلوم (٨١) قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين (٨٢) إلا عبادك منهم المخلصين (٨٣) قال فالحق والحق أقول (٨٤) لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين (٨٥)

قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين (٨٦) إن هو إلا ذكر للعالمين (٨٧) ولتعلمن نبأه بعد حين (٨٨)." [١]

"الضغث: حزمة صغيرة من حشيش أو ريحان أو قضبان، وقيل: القبضة الكبيرة من القضبان، ومنه قولهم: ضغث على إبلة، والإبالة: الحزمة من الحطب، والضغث: القبضة عليها من الحطب أيضا، ومنه قول الشاعر:

وأسفل مني نهدة قد ربطتها ... وألقيت ضغثا من خلى متطيب

الحنث: فعل ما حلف على تركه، وترك ما حلف على فعله، الغساق: ما سال، يقال: غسقت العين والجرح. وعن أبي عبيدة: أنه البارد المنتن، بلغة الترك وقال الأزهري: الغاسق: البارد، ولهذا قيل: ليل غاسق، لأنه أبرد من النهار. الاقتحام: ركوب الشدة والدخول فيها، والقحمة: الشدة.

واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب، وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب، واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار، إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار، وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار، واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار.

لما أمر نبيه بالصبر، وذكر ابتلاء داود وسليمان، وأثنى عليهما، ذكر من كان أشد ابتلاء منهما، وأنه كان في غاية الصبر، بحيث أثنى الله عليه بذلك. وأيوب: عطف بيان أو." [٢]

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٩/١٥٩

(٢) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٩/١٦٠

"بدل. قال الزمخشري: وإذ بدل اشتمال منه. وقرأ الجمهور: أني بفتح الهمزة، وعيسى: بكسرها، وجاء بضمير التكلم حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه، ولو لم يحك لقال: إنه مسه، لأنه غائب، وأسند المس إلى الشيطان. قال الزمخشري: لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب، نسبه إليه وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه، مع أنه فاعله، ولا يقدر عليه إلا هو. وقيل: أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به البلاء، فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء، أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل. وذكر في سبب بلائه أن رجلا استغاثه على ظالم، فلم يغثه. وقيل: كانت مواشيه في ناحية ملك كافر، فداهنه ولم يفده. وقيل: أعجب بكثرة ماله. انتهى.

ولا يناسب مناصب الأنبياء ما ذكره الزمخشري من أن أيوب كانت منه طاعة للشيطان فيما وسوس به، وأن ذلك كان سببا لما مسه الله به من النصب والعذاب، ولا أن رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه، ولا أنه داهن كافرا، ولا أنه أعجب بكثرة ماله. وكذلك ما رووا أن الشيطان سلطه الله عليه حتى أذهب أهله وماله لا يمكن أن يصح، ولا قدرة له على البشر إلا بإلقاء الوساوس الفاسدة لغير المعصوم. والذي نقوله:

أنه تعالى ابتلى أيوب عليه السلام في جسده وأهله وماله، على ما روي في الأخبار.

وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم، أن أيوب بقي في محنته ثماني عشرة سنة يتساقط لحمه حتى مله العالم، ولم يصبر عليه إلا امرأته

، ولم يبين لنا توالي السبب المقتضي لعلته. وأما إسناده المس إلى الشيطان، فسبب ذلك أنه كان يعوده ثلاث من المؤمنين، فارتد أحدهم، فسأل عنه فقيل: ألقى إليه الشيطان أن الله لا يبتلي الأنبياء والصالحين، فحينئذ قال: مسني الشيطان، نزل لشفقته على المؤمنين.

مس الشيطان ذلك المؤمن حتى ارتد منزلة مسه لنفسه، لأن المؤمن الخير يتألم برجوع المؤمن الخير إلى الكفر ولذلك جاء بعده: اركض برجلك، حتى يغتسل ويذهب عنه البلاء، فلا يرتد أحد من المؤمنين بسبب طول بلائه، وتسويل الشيطان أنه تعالى لا يبتلي الأنبياء. وقيل: أشار بقوله: مسني الشيطان إلى تعريضه لامرأته، وطلبه أن تشرك بالله، وكأنه بتشكي هذا الأمر كان عليه أشد من مرضه. وقرأ الجمهور:

بنصب، بضم النون وسكون الصاد، قيل: جمع نصب، كوثن ووثن وأبو جعفر، وشيبة، وأبو عمارة عن حفص، والجعفي عن أبي بكر، وأبو معاذ عن نافع: بضمتين،." (١)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٦١/٩

"وزيد بن علي، والحسن، والسدي وابن أبي عبلة، ويعقوب، والجحدري: بفتحتين وأبو حيوة، ويعقوب في رواية، وهبيرة عن حفص: بفتح النون وسكون الصاد. وقال الزمخشري: النصب والنصب، كالرشد والرشد، والنصب على أصل المصدر، والنصب تثقيل نصب، والمعنى واحد، وهو التعب والمشقة. والعذاب: الألم، يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من أنواع الوصب. انتهى.

وقال ابن عطية: وقد ذكر هذه القراءات، وذلك كل بمعنى واحد معناه المشقة، وكثيرا ما يستعمل النصب في مشقة الإعياء. وفرق بعض الناس بين هذه الألفاظ، والصواب أنها لغات بمعنى من قولهم: أنصبني الأمر، إذ شق علي انتهى. وقال السدي:

بنصب في الجسد وعذاب في المال، وفي الكلام حذف تقديره: فاستجبنا له وقلنا:

اركض برجلك، فركض، فنبعت عين، فقلنا له: هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك، فاغتسل فبرأ، ووهبنا له، ويدل على هذه المحذوفات معنى الكلام وسياقه.

وتقدم الكلام في الركض في سورة الأنبياء. وعن قتادة والحسن ومقاتل: كان ذلك بأرض الجابية من الشأم.

ومعنى هذا مغتسل: أي ما يغتسل به، وشراب، أي ما تشربه، فباغتسالك يبرأ ظاهرك، وبشر بك يبرأ باطنك.

والظاهر أن المشار إليه كان واحدا، والعين التي نبعت له عينان، شرب من إحداهما واغتسل من الأخرى.

وقيل: ضرب برجله اليمنى، فنبعت عين حارة فاغتسل. وباليسرى، فنبعت باردة فشرب منها

، وهذا مخالف لظاهر قوله:

مغتسل بارد، فإنه يدل على أنه ماء واحد. وقيل: أمر بالركض بالرجل، ليتناثر عنه كل داء بجسده. وقال القتبي: المغتسل: الماء الذي يغتسل به. وقال مقاتل: هو الموضع الذي يغتسل فيه.

وقال الحسن: ركض برجله، فنبعت عين ماء، فاغتسل منها، ثم مشى نحوا من أربعين ذراعا، ثم ركض برجله، فنبعت عين، فشرب منها.

قيل: والجمهور على

أنه ركض ركضتين، فنبعت له عينان، شرب من إحداهما، واغتسل من الأخرى.

والجمهور:

على أنه تعالى أحيا له من مات من أهله، وعافى المرضى، وجمع عليه من شتت منهم.

وقيل: رزقه أولادا وذرية قدر ذريته الذين هلكوا، ولم يرد أهله الذين هلكوا بأعيانهم، وظاهر هذه الهيئة أنها في الدنيا. وقيل ذلك وعد، وتكون تلك الهيئة في الآخرة. وقيل:

وهبه من كان حيا منهم، وعافاه من الأسقام، وأرغد لهم العيش، فتناسلوا حتى تضاعف عددهم وصار مثلهم.." (١)

"ففرق بين المرية والشك كما ترى، وهذا كما تقدم له الفرق بين الريب والشك، وأنشد الطبري قول الأعشى:

٧٧٠ - تدر على أسؤق الممتري ... ن ركضا إذا ما السراب ارجحن

شاهدا على أن الممترين الشاكون، قال: «ووهم في ذلك لأن أبا عبيدة وغيره قالوا: الممترون في البيت هم الذين يمرون الخيل بأرجلهم همزا لتجري [كأنهم] يتحلبون الجري منها» .." (٢)

"قلت: أما تضعيفه المعنى فليس بجيد، بل الكناية في لسانهم أبلغ وهذا مما لا يختلف فيه. وأما الوجه الثاني فإنه يغتفر في الجار والظرف ما لا يغتفر في غيره، وشواهده كثيرة.

والمس عبر به عن الجنون في لسانهم، قالوا: مس فهو ممسوس، مثل: جن فهو مجنون، وأنشد أبو بكر:

١٠٩٩ - أعلل نفسي بما لا يكون ... كذي المس جن ولم يخنق

وأصله أنهم يقولون: إن الشيطان يمس الإنسان بيده ويركضه برجله، ويعبر بالجنون عن النشاط والسرعة وخفة الحركة، لذلك قال الأعشى يصف ناقته:

١١٠٠ - وتصبح عن غب السرى وكأنما ... ألم بها من طائف الجن أولق

وقال آخر:

١١٠١ - بخيل عليها جنة عبقرية ... .

قوله: ﴿ذلك بأنهم﴾ مبتدأ وخبر، أي: ذلك التخبط، أو ذلك القيام بسبب افترائهم هذا القول. وقيل: «ذلك» خبر مبتدأ مضمر تقديره: قيامهم ذلك. قال الشيخ: «إلا أن في هذا الوجه فصلا بين المصدر ومتعلقه الذي." (٣)

"قوله تعالى: ﴿بغتة﴾ : في نصبها أربعة أوجه، أحدها: أنها مصدر في موضع الحال من فاعل «جاءتهم» أي: مباغتة، وإما من مفعوله أي: مبغوتين. الثاني: أنها مصدر على غير الصدر؛ لأن معنى «جاءتهم» بغتتهم بغتة، فهو كقولهم: «أتيته ركضا» . الثالث: أنها منصوبة بفعل محذوف من لفظها، أي:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٦٢/٩

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٧٢/٢

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٣٢/٢

تبغتهم بغتة. الرابع: بفعل من غير لفظها، أي: أتتهم بغتة.

والبغت والبغتة مفاجأة الشيء بسرعة من غير اعتداد به ولا جعل بال منه حتى لو استشعر الإنسان به ثم جاءه بسرعة لا يقال فيه بغتة، ولذلك قال الشاعر:

١٨٩ - ٨- إذا بغتت أشياء قد كان قبلها ... قديما فلا تعتدها بغتات

والألف واللام في «الساعة» للغلبة كالنجم والثريا، لأنها غلبت على يوم القيامة، وسميت القيامة ساعة لسرعة الحساب فيها على الباري تعالى. وقوله «قالوا» هو جواب «إذا» .

قوله: ﴿ياحسرتنا﴾ هذا مجاز، لأن الحسرة لا يتأتى منها الإقبال، وإنما." (١)

"وكتيبة لبستها بكتيبة ... حتى إذا التبست نفضت لها يدي

فتركتهم تقص الرماح ظهورهم ... ما بين منعفر وآخر مسند

وهذه عبارة الزمخشري، فجعله من اللبس الذي هو الخلط، وبهذا التفسير الحسن ظهر تعدي «يلبس» إلى المفعول. و «شيعا» نصب على الحال. وهي جمع شيعة كسدرة وسدر. وقيل: «شيعا» منصوب على المصدر من معنى الفعل الأول أي: إنه مصدر على غير الصدر كقعدت جلوسا. قال الشيخ: «ويحتاج في جعله مصدرا إلى نقل من اللغة» . ويجوز على هذا أيضا أن يكون حالا كأتيته ركضا أي: راكضا أو ذا ركض. وقال أبو البقاء: «والجمهور على فتح الياء أي: يلبس عليكم أموركم، فحذف حرف الجر والمفعول، والأجود أن يكون التقدير: أو يلبس أموركم، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه» ، وهذا كله لا حاجة إليه لما عرفت من كلام الزمخشري.

وقرأ ابو عبد الله المدني: «يلبسكم» بضم الياء من «ألبس» رباعيا، وفيه وجهان، أحدهما: أن يكون المفعول الثاني محذوفا تقديره: أو يلبسكم الفتنة. و «شيعا» على هذا حال أي: يلبسكم الفتنة في حال تفرقكم وشتاتكم. والثاني: أن يكون «شيعا» هو المفعول الثاني كأنه جعل الناس يلبسون بعضهم مجازا كقوله:

١٩٤ - ٢- لبست أناسا فأفنيتهم ... وأفنيت بعد أناس أناسا." (٢)

"ثم قال الشيخ: «وأما قوله فخبيث فليس بخبيث؛ وذلك أنه بناه على أن الجملة الحالية إذا كانت اسمية وفيها ضمير ذي الحال فحذف الواو منها شاذ وتبع في ذلك الفراء، وليس بشاذ بل هو كثير في

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/٥٩٥

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/٦٧١

النظم والنثر» . قلت: قد سبق أبا القاسم في تسمية هذه الواو حرف عطف الفراء وأبو بكر ابن الأنباري. قال الفراء: «أوهم قائلون فيه واو مضمرة، المعنى: أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو وهم قائلون، فاستثقلوا نسقا على إثر نسق، ولو قيل لكان صوابا» . قلت: قد تقدم أن الشيخ نقل أن الواو ممتنعة في هذا المثال ولم يحك خلافا، وهذا قول الفراء: «ولو قيل لكان صوابا» مصرح بالخلاف له. وقال أبو بكر: «أضمرت واو الحال لوضوح معناها كما تقول العرب:» لقيت عبد الله مسرعا أو هو يركض «فيحذفون الواو لأمنهم اللبس، لأن الذكر قد عاد على صاحب الحال، ومن أجل أن» أو «حرف عطف والواو كذلك، فاستثقلوا جمعا بين حرفين من حروف ال‍عطف فحذفوا الثاني» .

قلت: فهذا تصريح من هذين الإمامين بما ذكره أبو القاسم، وإنما ذكرت نص هذين الإمامين لأعلم اطلاعه على أقوال الناس، وأنه لا يأتي بغير مصطلح أهل العلم كما يرميه به غير مرة.

و «قائلون» من القيلولة. يقال: قال يقيل قيلولة فهو قائل كبائع. والقيلولة: الراحة والدعة في الحر وسط النهار وإن لم يكن معها نوم. وقال الليث: هي نومة نصف النهار. قال الأزهري: «القيلولة: الراحة وإن لم يكن فيها نوم، بدليل قوله تعالى: ﴿أصحاب الجنة." (١)

"الصريح فيجيزون: جئتك ركضا، ولا يجيزون: جئتك أن أركض، وإن كان في تأويله.

الرابع: أنه مستثنى من أعم العام في الأزمان والتقدير: لتأتنني به في كل وقت لا في وقت الإحاطة بكم. وهذه المسألة تقدم فيها خلاف، وأن أبا الفتح أجاز ذلك، كما يجوزه في المصدر الصريح، فكما تقول: «أتيتك صياح الديك» يجيز «أن يصيح الديك» وجعل من ذلك قول تأبط شرا:

٢٨٠٦ - وقالوا لا تنكحيه فإنه ... لأول نصل أن يلاقي مجمعا

وقول أبي ذؤيب الهذلي:

٢٨٠٧ - وتالله ما إن شهلة أم واجد ... بأوجد مني أن يهان صغيرها

قال: «تقديره: وقت ملاقاته الجمع، ووقت إهانة صغيرها» . قال الشيخ: «فعلى ما قاله يجوز تخريج الآية، ويبقى» لتأتنني به «على ظاهره من الإثبات» . قلت: الظاهر من هذا أنه استثناء مفرغ، ومتى كان مفرغا وجب تأويله بالنفي.

ومنع ابن الأنباري من ذلك في «أن» وفي «ما» أيضا قال: «فيجوز أن تقول: خروجنا صياح الديك، ولا يجوز خروجنا أن يصيح، أو: ما يصيح الديك: فاغتفر في الصريح ما لم يغتفر في المؤول» . وهذا قياس

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥/٢٥٢

ما قدمته في منع وقوع «أن» وما في حيزها موقع الحال، ولك أن تفرق ما بينهما بأن الحال تلزم التنكير، وأن وما في حيزها نصوا على أنها في رتبة المضمر في." (١)

"الزمان. وقوله: «إن العامل فيها» فألقوا «لا يجوز لأن الفاء تمنع من ذلك.

هذا كلام الشيخ ثم قال بعده:» ولأن «إذا» هذه إنما هي معمولة لخبر المبتدأ الذي هو «حبالهم وعصيهم» إن لم يجعلها هي في موضع الخبر؛ لأنه يجوز أن/ يكون الخبر «يخيل» ، ويجوز أن تكون «إذا» و «يخيل» في موضع الحال.

وهذا نظير: «خرجت فإذا الأسد رابض ورابضا» فإذا رفعت «رابضا» كانت «إذا» معمولة له، والتقدير: فالبحضرة الأسد رابض، أو في المكان. وإذا نصبت كانت «إذا» خبرا. ولذلك يكتفى بها وبالمرفوع بعدها كلاما، نحو: «خرجت فإذا الأسد» .

قوله: ﴿يخيل إليه﴾ قرأ العامة «يخيل» بضم الياء الأولى وفتح الثانية مبنيا للمفعول. و «أنها تسعى» مرفوع بالفعل قبله لقيامه مقام الفاعل تقديره: يخيل إليه سعيها. وجوز أبو البقاء فيه وجهين آخرين: أحدهما: أن يكون القائم مقام الفاعل ضمير الحبال والعصي، وإنما ذكر ولم يقل «تخيل» بالتاء من فوق؛ لأن تأنيث الحبال غير حقيقي. الثاني: أن القائم مقام الفاعل ضمير يعود على الملقى، ولذلك ذكر. وعلى الوجهين ففي قوله «أنها تسعى» وجهان، أحدهما: أنه بدل اشتمال من ذلك الضمير المستتر في «يخيل» . والثاني: أنه مصدر في موضع نصب على الحال من الضمير المستتر أيضا. والمعنى: يخيل إليه هي أنها ذات سعي. ولا حاجة إلى هذا، وأيضا فقد نصوا على أن المصدر المؤول لا يقع موقع الحال. لو قلت: «جاء زيد أن يركض» تريد ركضا، بمعنى ذا ركض، لم يجز.

وقرأ ابن ذكوان «تخيل» بالتاء من فوق. وفيه ثلاثة أوجه، أحدها: أن." (٢)

"قوله: ﴿إذا﴾ : هذه فجائية. وقد تقدم الخلاف فيها مشبعا. و «هم» مبتدأ، و «يركضون» خبره، وتقدم في أول هذا الموضوع أن هذه الآية وأمثالها دالة على أن «لما» ليست ظرفية، بل حرف وجوب لوجوب لأن الظرف لا بد له من عامل ولا عامل هنا لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبلها. والجواب: أنه عمل فيها معنى المفاجأة المدلول عليه ب «إذا» .

والضمير في «منها» يعود على «قرية» . ويجوز أن يعود على «بأسنا» لأنه في معنى النقمة والبأساء، فأنث

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٢٢/٦

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٧٢/٨

الضمير حملا على المعنى. و «من» على الأول لابتداء الغاية، وللتعليل على الثاني. والركض: ضرب الدابة بالرجل. يقال: ركض الدابة يركضها ركضا.." (١)

"٣٧١٣ - نحن بغرس الودي أعلمنا ... منا بركض الجياد في السدف

وخرج على هذين الوجهين: إما التعلق بمحذوف، وإما نية اطراح المضاف إليه. قلت: وهذا كما احتاجوا إلى تأويل الجمع بين أل ومن في أفعل كقوله:

٣٧١٤ - ولست بالأكثر منهم حصى ... .

وهذه توجيهات شذوذ، لا يطلب فيها أكثر من ذلك فليقنع بمثله.." (٢)

"يتعلق به ﴿من ورآء حجاب﴾ إذ تقديره: أو يكلمه من وراء حجاب. وهذا الفعل المقدر معطوف على «وحيا» والمعنى: إلا بوحي أو إسماع من وراء حجاب أو إرسال رسول. ولا يجوز أن يعطف على «يكلمه» لفساد المعنى. قلت: إذ يصير التقدير: وما كان لبشر أن يرسل الله رسولا، فيفسد لفظا ومعنى. وقال مكي: «لأنه يلزم منه نفي الرسل ونفي المرسل إليهم» .

الثاني: أن ينصب ب «أن» مضمرة، وتكون هي وما نصبته معطوفين على «وحيا» و «وحيا» حال، فيكون هنا أيضا [حالا: والتقدير: إلا موحيا أو مرسلا] . وقال الزمخشري: «وحيا وأن يرسل مصدران واقعان موقع الحال؛ لأن أن يرسل في معنى إرسالا. و ﴿من ورآء حجاب﴾ ظرف واقع موقع الحال أيضا، كقوله: ﴿وعلى جنوبهم﴾ [آل عمران: ١٩١] . والتقدير: وما صح أن يكلم أحدا إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا» . وقد رد عليه الشيخ: بأن وقوع المصدر موقع الحال غير منقاس، وإنما قاس منه المبرد ما كان نوعا للفعل فيجوز: «أتيته ركضا» ويمنع «أتيته بكاء» أي: باكيا.

وبأن «أن يرسل» لا يقع حالا لنص سيبويه على أن «أن» والفعل لا يقع حالا، وإن كان المصدر الصريح يقع حالا تقول: «جاء زيد ضحكا» ، ولا يجوز «جاء أن يضحك» .." (٣)

"وجبة من خلفي، حتى ظننت أن فرسي تطلق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقرأ أبا عتيك" [مرتين] (١) قال: فالتفت إلى أمثال المصابيح ملء بين السماء والأرض، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقرأ أبا عتيك". فقال: والله ما استطعت أن أمضي فقال: "تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن، أما

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٣٧/٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٥١/٩

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٦٧/٩

إنك لو مضيت لرأيت الأعاجيب" " (٢) .

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق سمع البراء يقول: بينما رجل يقرأ سورة الكهف ليلة إذ رأى دابته تركض، أو قال: فرسه يركض، فنظر فإذا مثل الضبابة أو مثل الغمامة، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " تلك السكينة نزلت للقرآن، أو تنزلت على القرآن " (٣) . وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة (٤) . والظاهر أن هذا هو أسيد بن الحضير، رضي الله عنه، فهذا ما يتعلق بصناعة الإسناد، وهذا من أغرب تعليقات البخاري، رحمه الله، ثم سياق ظاهر فيما ترجم عليه من نزول السكينة والملائكة عند القراءة.

وقد اتفق نحو هذا الذي وقع لأسيد بن الحضير لثابت بن قيس بن شماس كما قال أبو عبيد:

حدثنا عباد بن عباد عن جرير بن حازم، عن عمه جرير بن زيد (٥) أن أشياخ أهل المدينة حدثوه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له: ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح؟ قال: "فلعله قرأ سورة البقرة". قال: فسئل ثابت فقال: قرأت سورة البقرة (٦) .

وفي الحديث المشهور الصحيح: " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده " رواه مسلم عن أبي هريرة (٧) .

ولهذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ [الإسراء: ٧٨] ، وجاء في بعض التفاسير: أن الملائكة تشهده. وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون " (٨) .

---

(١) زيادة من ط.

(٢) فضائل القرآن (ص٢٢٧) .

(٣) مسند الطيالسي برقم (٧١٤) .

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٦١٤) وصحيح مسلم برقم (٧٩٥) .

(٥) في ط، م: "يزيد".

(٦) فضائل القرآن (ص ٢٧) .

(٧) صحيح مسلم برقم (٢٦٩٩) .

(٨) صحيح البخاري برقم (٥٥٥) وصحيح مسلم برقم (٦٣٢) .." [١]

"وقال السدي: هي التي تقع من جبل أو تتردى في بئر.

وأما ﴿النطيحة﴾ فهي التي ماتت بسبب نطح غيرها لها، فهي حرام، وإن جرحها القرن وخرج منها الدم ولو من مذبحها.

والنطيحة فعيلة بمعنى مفعولة، أي: منطوحة. وأكثر ما ترد هذه البنية في كلام العرب بدون تاء التأنيث، فيقولون: كف خضيب، وعين كحيل، ولا يقولون: كف خضيبة، ولا عين كحيلة: وأما هذه فقال بعض النحاة: إنما استعمل فيها تاء التأنيث؛ لأنها أجريت مجرى الأسماء، كما في قولهم: طريقة طويلة. وقال بعضهم: إنما أتي بتاء التأنيث فيها لتدل على التأنيث من أول وهلة، بخلاف: عين كحيل، وكف خضيب؛ لأن التأنيث مستفاد من أول الكلام.

وقوله: ﴿وما أكل السبع﴾ أي: ما عدا عليها أسد، أو فهد، أو نمر، أو ذئب، أو كلب، فأكل بعضها فماتت بذلك، فهي حرام وإن كان قد سال منها الدماء ولو من مذبحها، فلا تحل بالإجماع. وقد كان أهل الجاهلية يأكلون ما أفضل السبع من الشاة أو البعير أو البقرة ونحو ذلك فحرم الله ذلك على المؤمنين.

وقوله: ﴿إلا ما ذكيتم﴾ عائد على ما يمكن عوده عليه، مما انعقد سبب موته فأمكن تداركه بذكاة، وفيه حياة مستقرة، وذلك إنما يعود على قوله: ﴿والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع﴾

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿إلا ما ذكيتم﴾ يقول: إلا ما ذبحتم من هؤلاء وفيه روح، فكلوه، فهو ذكي. وكذا روي عن سعيد بن جبير، والحسن البصري، والسدي.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا حفص بن غياث (١) حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي قال: ﴿وما أكل السبع إلا ما ذكيتم﴾ قال: إن مصعت بذنبها أو ركضت برجلها، أو طرفت بعينها فكل.

وقال ابن جرير: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثنا هشيم وعباد قالا حدثنا حجاج، عن حصين، عن الشعبي، عن الحارث، عن علي قال: إذا أدركت ذكاة الموقوذة والمتردية والنطيحة، وهي تحرك يدا أو رجلا فكلها.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥٦/١

وهكذا روي عن طاوس، والحسن، وقتادة وعبيد بن عمير، والضحاك وغير واحد: أن المذكاة متى تحركت بحركة تدل على بقاء الحياة فيها بعد الذبح، فهي حلال. وهذا مذهب جمهور الفقهاء، وبه قال (٢) أبو حنيفة والشافعي، وأحمد بن حنبل. وقال ابن وهب: سئل مالك عن الشاة التي يخرق جوفها السبع حتى تخرج أمعاؤها؟ فقال مالك: لا أرى أن تذكي أي شيء يذكى منها.

وقال أشهب: سئل مالك عن الضبع يعدو على الكبش، فيدق ظهره أترى أن يذكى قبل أن

---

(١) في د: "حفص بن عياش".

(٢) في أ: "يقول".." [1]

"وقال تعالى: ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين﴾ [القصص: ٥٨] .

وقوله: ﴿فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون﴾ أي: فكان منهم من جاءه أمر الله وبأسه ونقمته ﴿بياتا﴾ أي: ليلا ﴿أو هم قائلون﴾ من القيلولة، وهي: الاستراحة وسط النهار. وكلا الوقتين وقت غفلة ولهو (١) كما قال [تعالى] (٢) ﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون * أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون﴾ [الأعراف: ٩٧، ٩٨] . وقال: ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون * أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين * أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم﴾ [النحل: ٤٥-٤٧] .

وقوله: ﴿فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين﴾ أي: فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا أن اعترفوا بذنوبهم، وأنهم حقيقون بهذا. كما قال تعالى: ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة [وأنشأ بعدها قوما آخرين * فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون * لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون. قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين * فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا] خامدين﴾ (٣) [الأنبياء: ١١-١٥] .

وقال ابن جرير: في هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله: "ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم"، حدثنا بذلك ابن حميد، حدثنا جرير، عن أبي سنان، عن عبد الملك بن ميسرة الزراد قال: قال عبد الله بن مسعود [رضي الله عنه] (٤) قال رسول الله

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٢/٣

صلى الله عليه وسلم: "ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم". قال: قلت لعبد الملك: كيف يكون ذاك؟ قال: فقرأ هذه الآية: ﴿فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين﴾ (٥) .

وقوله: ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم﴾ الآية، كقوله [تعالى] (٦) ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ [القصص: ٦٥] وقوله: ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾ [المائدة: ١٠٩] فالرب تبارك وتعالى يوم القيامة يسأل الأمم عما أجابوا رسله فيما أرسلهم به، ويسأل الرسل أيضا عن إبلاغ (٧) رسالاته؛ ولهذا قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في تفسير هذه الآية: ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾ قال: يسأل الله الناس عما أجابوا المرسلين، ويسأل المرسلين عما بلغوا.

وقال ابن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا أبو سعيد الكندي، حدثنا المحاربي، عن ليث، عن نافع، عن ابن عمر [رضي الله عنهما] (٨) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام يسأل عن الرجل (٩)

---

(١) في ك: "لهو وغفلة".

(٢) زيادة من أ.

(٣) زيادة من ك، د، أ، وفي هـ "إلى قوله".

(٤) زيادة من أ.

(٥) تفسير الطبري (١٢/٣٠٤) .

(٦) زيادة من ك، م، أ.

(٧) في ك، م: "بلاغ".

(٨) زيادة من أ.

(٩) في ك: "عن رعيته".." [1]

"وانهزم منهم من انهزم، وأفاء الله على رسوله أموالهم وأبناءهم.

وفي الصحيحين من حديث شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، رضي الله عنهما، أنه قال له رجل: يا أبا عمارة، أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين، فقال: لكن رسول الله صلى الله

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٨٨/٣

عليه وسلم لم يفر، إن هوازن كانوا قوما رماة، فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا، فأقبل الناس على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام، فانهزم الناس، فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء، وهو يقول:

أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب (١)

قلت: وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، إنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى، وقد انكشف عنه جيشه، هو مع ذلك (٢) على بغلة وليست سريعة الجري، ولا تصلح لكر ولا لفر ولا لهرب، وهو مع هذا (٣) أيضا يركضها إلى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين، وما هذا كله إلا ثقة بالله، وتوكلا عليه، وعلما منه بأنه سينصره، ويتم ما أرسله به، ويظهر دينه على سائر الأديان؛ ولهذا قال تعالى: (ثم أنزل الله سكينته على رسوله) أي: طمأنينته وثباته على رسوله، (وعلى المؤمنين) أي: الذين معه، (وأنزل جنودا لم تروها) وهم الملائكة، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير:

[حدثنا القاسم قال] (٤) حدثني الحسن بن عرفة قال: حدثني المعتمر بن سليمان، عن عوف -هو ابن أبي جميلة الأعرابي -قال: سمعت عبد الرحمن مولى ابن برثن، حدثني رجل كان مع المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين (٥) لم يقوموا لنا حلب شاة - قال: فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم، حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء، فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم -قال: فتلقانا عنده رجال بيض حسان الوجوه، فقالوا لنا: شاهت الوجوه، ارجعوا. قال: فانهزمنا، وركبوا أكتافنا، فكانت إياها.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، حدثني محمد بن أحمد بن بالويه، حدثنا إسحاق بن الحسن الحربي (٦) حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا الحارث بن حصيرة، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: قال ابن مسعود، رضي الله عنه: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين، فولى عنه الناس، وبقيت معه في ثمانين رجلا من المهاجرين والأنصار، قدمنا ولم نولهم الدبر، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة. قال: ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته يمضي قدما، فحادت بغلته، فمال عن السرج، فقلت: ارتفع رفعك الله. قال: "ناولني كفا من التراب". فناولته، قال: فضرب به وجوههم، فامتلأت أعينهم ترابا، قال: "أين

---

(١) صحيح البخاري برقم (٢٨٦٤) ، وصحيح مسلم برقم (١٧٧٦) .

(٢) في ت، د، ك: "وهو مع هذا".

(٣) في ت، د، ك: "ذلك"

(٤) زيادة من ت، أ، والطبري.

(٥) في ت: "يوم حنين في آثارهم".

(٦) في ك: "الجرمي".." (١)

"وانهزم منهم من انهزم، وأفاء الله على رسوله أموالهم وأبناءهم.

وفي الصحيحين من حديث شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، رضي الله عنهما، أنه قال له رجل: يا أبا عمارة، أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين، فقال: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر، إن هوازن كانوا قوما رماة، فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا، فأقبل الناس على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام، فانهزم الناس، فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء، وهو يقول:

أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب (١)

قلت: وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، إنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى، وقد انكشف عنه جيشه، هو مع ذلك (٢) على بغلة وليست سريعة الجري، ولا تصلح لكر ولا لفر ولا لهرب، وهو مع هذا (٣) أيضا يركضها إلى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين، وما هذا كله إلا ثقة بالله، وتوكلا عليه، وعلما منه بأنه سينصره، ويتم ما أرسله به، ويظهر دينه على سائر الأديان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله﴾ أي: طمأنينته وثباته على رسوله، ﴿وعلى المؤمنين﴾ أي: الذين معه، ﴿وأنزل جنودا لم تروها﴾ وهم الملائكة، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير:

[حدثنا القاسم قال] (٤) حدثني الحسن بن عرفة قال: حدثني المعتمر بن سليمان، عن عوف -هو ابن أبي جميلة الأعرابي -قال: سمعت عبد الرحمن مولى ابن برثن، حدثني رجل كان مع المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين (٥) لم يقوموا لنا حلب شاة -قال: فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم، حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء، فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم -قال: فتلقانا عنده رجال بيض حسان الوجوه، فقالوا لنا: شاهت الوجوه، ارجعوا.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٢٨/٤

قال: فانهزمنا، وركبوا أكتافنا، فكانت إياها.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، حدثني محمد بن أحمد بن بالويه، حدثنا إسحاق بن الحسن الحربي (٦) حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا الحارث بن حصيرة، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: قال ابن مسعود، رضي الله عنه: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين، فولى عنه الناس، وبقيت معه في ثمانين رجلا من المهاجرين والأنصار، قدمنا ولم نولهم الدبر، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة. قال: ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته يمضي قدما، فحادت بغلته، فمال عن السرج، فقلت: ارتفع رفعك الله. قال: "ناولني كفا من التراب". فناولته، قال: فضرب به وجوههم، فامتلأت أعينهم ترابا، قال: "أين

(١) صحيح البخاري برقم (٢٨٦٤) ، وصحيح مسلم برقم (١٧٧٦) .

(٢) في ت، د، ك: "وهو مع هذا".

(٣) في ت، د، ك: "ذلك"

(٤) زيادة من ت، أ، والطبري.

(٥) في ت: "يوم حنين في آثارهم".

(٦) في ك: "الجرمي".." (١)

"الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير، لا يجمعهم كتاب حافظ -يريد الديوان -فقال كعب: فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي من الله، عز وجل، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزاة حين طابت الثمار والظل، وأنا إليها أصعر. فتجهز إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض من جهازي شيئا، فأقول لنفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى شمر (١) بالناس الجد، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئا، وقلت: الجهاز بعد يوم أو يومين ثم ألحقه (٢) فغدوت بعدما فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئا من جهازي. ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا، فلم يزل [ذلك] (٣) يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأدركهم -وليت أني فعلت -ثم لم يقدر ذلك لي، فطفقت إذا خرجت في الناس بعد

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٢٨/٤

[خروج] (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم [فطفت فيهم] (٥) يحزنني ألا أرى إلا رجلا مغموصا عليه في النفاق، أو رجلا ممن عذره الله، عز وجل، ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: "ما فعل كعب بن مالك؟ " قال رجل من بني سلمة: حبسه يا رسول الله برداه، والنظر في عطفيه. فقال له معاذ بن جبل: بئسما قلت! والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا! فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي (٦) فطفقت أتذكر (٧) الكذب، وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدا؟ أستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي. فلما قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما، زاح عني الباطل وعرفت أني لم أنج منه بشيء أبدا. فأجمعت صدقه، وصبح رس‍و‍ل الله صلى الله عليه وسلم، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس. فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له -وكانوا بضعة وثمانين رجلا -فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ويستغفر لهم، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى، حتى جئت، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال لي: "تعال"، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: "ما خلفك، ألم تك قد اشتريت ظهرك"؟ قال: فقلت: يا رسول الله، إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر، لقد أعطيت جدلا ولكنه والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله يسخطك علي، ولئن حدثتك بصدق تجد علي فيه، إني لأرجو أقرب عقبى ذلك [عفوا] (٨) من الله، عز وجل (٩) والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال: فقال رسول الله صلى الله ع‍ل‍يه وسلم: "أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك". فقمت وبادرني رجال من بني سلمة واتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون (١٠) فقد كان كافيك [من ذنبك] (١١) استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك. قال: فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي: قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، [لقيه معك] (١٢) رجلان، قالا ما قلت، وقيل لهما مثل ما قيل لك. قلت: فمن هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العامري، وهلال بن أمية الواقفي. فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا لي فيهما أسوة. قال: فمضيت حين ذكروهما لي -قال: ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا -أيها الثلاثة -من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما ه‍ي بالأرض التي كنت أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة.

فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف بالأسواق فلا يكلمني أحد، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مجلسه بعد الصلاة فأسلم، وأقول في نفسي: حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريبا منه، وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، فإذا التفت نحوه أعرض، حتى إذا طال علي ذلك من هجر المسلمين مشيت حتى تسورت حائط أبي قتادة –وهو ابن عمي، وأحب الناس إلي –فسلمت عليه، فوالله ما رد علي السلام، فقلت له: يا أبا قتادة، أنشدك الله: هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت. قال: فعدت فنشدته [فسكت، فعدت فنشدته] (١٣) فقال: الله ورسوله أعلم. قال: ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار. فبينا (١٤) أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط الشام، ممن (١٥) قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ قال: فطفق الناس يشيرون له إلي، حتى جاء فدفع إلي كتابا من ملك غسان، وكنت كاتبا (١٦) فإذا فيه: أما بعد، فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك. قال: فقلت حين قرأتها: وهذا أيضا من البلاء. قال: فتيممت به التنور فسجرته (١٧) حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك. قال: فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: بل اعتزلها ولا تقربها. قال: وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك قال: فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له: يا رسول الله، إن هلالا شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: "لا ولكن لا يقربنك" قالت: وإنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما يزال يبكي من لدن أن كان من أمرك ما كان إلى يومه هذا. قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه. قال: فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أدري ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته وأنا رجل شاب؟ قال: فلبثنا [بعد ذلك] (١٨) عشر ليال، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا: قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صارخا أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر. قال: فخررت ساجدا، وعرفت أن (١٩) قد جاء فرج، فآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض إلي

رجل فرسا، وسعى ساع من أسلم وأوفى على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس. فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، فنزعت (٢٠) ثوبي، فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت أؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة، يقولون: ليهنك توبة الله عليك. حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول، حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور: "أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك". قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: "لا بل من عند الله". قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، حتى يعرف ذلك منه. فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله. قال: "أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك". قال: فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. وقلت: يا رسول الله، إنما نجاني الله بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا ما بقيت. قال: فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني الله تعالى، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي. قال: وأنزل الله تعالى: ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم. وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم. يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ قال كعب: فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ألا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه [حين كذبوه] (٢١) ؛ فإن الله تعالى قال للذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، قال (٢٢) الله تعالى: ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون. يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ [التوبة: ٩٥، ٩٦] . قال: وكنا خلفنا -أيها الثلاثة -عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله أمرنا، حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله تعالى: (٢٣) ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ وليس

تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا الذي ذكر مما خلفنا بتخلفنا عن الغزو، وإنما هو عمن حلف له واعتذر إليه، فقبل منه.

هذا حديث صحيح ثابت متفق على صحته، رواه صاحبا الصحيح: البخاري ومسلم من حديث الزهري، بنحوه. (٢٤)

فقد تضمن هذا الحديث تفسير هذه الآية الكريمة بأحسن الوجوه وأبسطها. وكذا روي عن غير واحد من السلف في تفسيرها، كما رواه الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله في قوله تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ قال: هم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة وكلهم من الأنصار.

وكذا قال مجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي وغير واحد -وكلهم قال: مرارة بن ربيعة.

[وكذا في مسلم: مرارة بن ربيعة في بعض نسخه، وفي بعضها: مرارة بن الربيع] . (٢٥)

وفي رواية عن سعيد بن جبير: ربيع بن مرارة.

وقال الحسن البصري: ربيع بن مرارة (٢٦) أو مرارة (٢٧) بن ربيع.

وفي رواية عن الضحاك: مرارة بن الربيع، كما وقع في الصحيحين، وهو الصواب.

وقوله: "فسموا رجلين شهدا بدرا"، قيل: إنه خطأ من الزهري، فإنه لا يعرف شهود واحد من هؤلاء الثلاثة بدرا، والله أعلم.

ولما ذكر تعالى ما فرج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب، من هجر المسلمين إياهم نحوا من خمسين ليلة بأيامها، وضاقت عليهم أنفسهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، أي: مع سعتها، فسددت عليهم المسالك والمذاهب، فلا يهتدون ما يصنعون، فصبروا لأمر الله، واستكانوا لأمر الله، وثبتوا حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تخلفهم، وأنه كان عن غير عذر، فعوقبوا على ذلك هذه المدة، ثم تاب الله عليهم، فكان (٢٨) عاقبة صدقهم خيرا لهم وتوبة عليهم؛ ولهذا قال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ أي: اصدقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجا من أموركم، ومخرجا، وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن شقيق (٢٩) ؛ عن عبد الله، هو ابن مسعود، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى

(١) في ت، ك: "استمر".
(٢) في ت: "ألحقهم".
(٣) زيادة من ت، ك، أ، والمسند.
(٤) زيادة من ت، ك، أ، والمسند.
(٥) زيادة من ت، ك، أ، والمسند.
(٦) في أ: "شيء".
(٧) في ت، أ: "أتفكر".
(٨) زيادة من ت، ك، أ، والمسند.
(٩) في ت: "تعالى".
(١٠) في أ: "المخلفون".
(١١) زيادة من ت، ك، أ، والمسند.
(١٢) زيادة من ت، ك، أ، والمسند.
(١٣) زيادة من ت، ك، أ، والمسند.
(١٤) في ت، ك، أ: "وبينا".
(١٥) في ت: "فيمن".
(١٦) في ت: "وكتب كتابا".
(١٧) في ت، أ: "فسجرته فيها".
(١٨) زيادة من ت، ك، أ، والمسند.
(١٩) في أ: "أنه".
(٢٠) في ت، ك، أ: "فنزعت له".
(٢١) زيادة من ت، ك، أ، والمسند.
(٢٢) في ت، ك، أ: "فقال".
(٢٣) في ت: "عز وجل".
(٢٤) المسند (٤٥٦/٣ - ٤٥٩) وصحيح البخاري برقم (٨٨٩) وبرقم (٢٧٥٧) وصحيح مسلم برقم

(٢٧٦٩) .

(٢٥) زيادة من أ.

(٢٦) في جميع النسخ: "مرار" بدون هاء، والتصويب من الطبري.

(٢٧) في جميع النسخ: "مرار" بدون هاء، والتصويب من الطبري.

(٢٨) في ت، ك، أ: "وكان".

(٢٩) في أ: "سفيان".." [١]

"﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢) لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون (١٣) قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (١٤) فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (١٥) ﴾ .

يقول تعالى منبها على شرف القرآن، ومحرضا لهم على معرفة قدره: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم﴾ قال ابن عباس: شرفكم.

وقال مجاهد: حديثكم. وقال الحسن: دينكم.." [٢]

"﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾ [الزخرف: ٤٤] .

وقوله: ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة﴾ هذه صيغة تكثير، كما قال ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾ [الإسراء: ١٧] .

وقال تعالى: ﴿فكأين (١) من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد﴾ [الحج:٤٥] . وقوله: ﴿وأنشأنا بعدها قوما آخرين﴾ أي: أمة أخرى بعدهم.

﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ أي: تيقنوا أن العذاب واقع (٢) بهم، كما وعدهم نبيهم، ﴿إذا هم منها يركضون﴾ أي: يفرون هاربين.

﴿لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم﴾ هذا تهكم بهم قدرا أي: قيل لهم قدرا: لا تركضوا هاربين من نزول العذاب، وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور، والمعيشة والمساكن الطيبة.

قال قتادة: استهزاء بهم.

﴿لعلكم تسألون﴾ أي: عما كنتم فيه من أداء شكر النعمة.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٣٠/٤

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٣٤/٥

﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ اعترفوا بذنوبهم حين لا ينفعهم ذلك، ﴿فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين﴾ أي: ما (٣) زالت تلك المقالة، وهي الاعتراف بالظلم، هجيراهم حتى حصدناهم حصدا (٤) وخمدت حركاتهم وأصواتهم خمودا.

﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (١٦) لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين (١٧) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (١٨) وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (١٩) يسبحون الليل والنهار لا يفترون (٢٠) ﴾ .

يخبر تعالى أنه خلق السموات والأرض بالحق، أي: بالعدل والقسط، ﴿ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ [النجم:٣١] ، وأنه لم يخلق ذلك عبثا ولا لعبا، كما قال: ﴿وما خلقنا السماء (٥) والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾ [ص:٢٧]

وقوله تعالى: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين﴾ قال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا﴾ يعني: من عندنا، يقول: وما خلقنا جنة ولا نارا، ولا موتا، ولا بعثا، ولا حسابا.

وقال الحسن، وقتادة، وغيرهما: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا﴾ اللهو: المرأة بلسان أهل اليمن.

---

(١) في ف: "وكأين".

(٢) في ف: "تيقنوا العذاب أنه واقع".

(٣) في ف: "فما".

(٤) في ف، أ: "جعلناهم حصيدا خامدين".

(٥) في ف، أ: "السماوات".." [1]

"أيوب في مكانه: أن اركض برجلك، هذا مغتسل بارد وشراب" (١) .

رفع هذا الحديث غريب جدا.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، أخبرنا علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، قال: وألبسه الله حلة من الجنة، فتنحى أيوب فجلس في ناحية، وجاءت امرأته،

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥/٣٣٥

فلم تعرفه، فقالت: يا عبد الله، أين ذهب المبتلى الذي كان هاهنا؟ لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب، فجعلت تكلمه ساعة، فقال: ويحك! أنا أيوب! قالت: أتسخر مني يا عبد الله؟ فقال: ويحك! أنا أيوب، قد رد الله علي جسدي.

وبه قال ابن عباس: ورد عليه ماله وولده عيانا، ومثلهم معهم.

وقال وهب بن منبه: أوحى الله إلى أيوب: قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم، فاغتسل بهذا الماء، فإن فيه شفاءك، وقرب عن صاحبتك (٢) قربانا، واستغفر لهم، فإنهم قد عصوني فيك. رواه ابن أبي حاتم.

[وقال] (٣) أيضا: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عمرو بن مرزوق، حدثنا همام، عن قتادة، عن النضر ابن أنس، عن بشير (٤) بن نهيك، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لما عافى الله أيوب، أمطر عليه جرادا من ذهب، فجعل يأخذ بيده ويجعله في ثوبه". قال: "فقيل له: يا أيوب، أما تشبع؟ قال: يا رب، ومن يشبع من رحمتك".

أصله في الصحيحين (٥) ، وسيأتي في موضع آخر.

وقوله: ﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ قد تقدم عن ابن عباس أنه قال: ردوا عليه بأعيانهم. وكذا رواه العوفي، عن ابن عباس أيضا. وروي مثله عن ابن مسعود ومجاهد، وبه قال الحسن وقتادة.

وقد زعم بعضهم أن اسم زوجته رحمة، فإن كان أخذ ذلك من سياق الآية فقد أبعد النجعة، وإن كان أخذه من نقل أهل الكتاب، وصح ذلك عنهم، فهو مما لا يصدق ولا يكذب. وقد سماها ابن عساكر في تاريخه -رحمه الله تعالى- قال: ويقال: اسمها ليا ابنة منشا بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، قال: ويقال: ليا بنت يعقوب، عليه السلام، زوجة أيوب كانت معه بأرض البثنية.

وقال مجاهد: قيل له: يا أيوب، إن أهلك لك في الجنة، فإن شئت أتيناك بهم، وإن شئت

---

(١) ورواه ابن حبان في صحيحه برقم (٢٠٩١) "موارد" من طريق حرملة بن يحيى عن ابن وهب بنحوه.

(٢) في ف: "صحابتك".

(٣) زيادة من أ.

(٤) في ف: "بشر".

(٥) ورواه الحاكم في المستدرك (٥٨٢/٢) من طرق عن عمرو بن مرزوق به، وسيأتي أصل الحديث في صحيح البخاري عند تفسير الآية: ٤٢ من سورة ص.." [١]

"عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها.

وقد روى الإمام أحمد هاهنا أيضا حديثا، من رواية حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس فيه غرابة تركنا سياقه أيضا (١) .

وقد روى البخاري أيضا بعضه مختصرا فقال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا معلى (٢) بن منصور، عن حماد بن زيد، حدثنا ثابت، عن أنس بن مالك قال: إن هذه الآية: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش، وزيد بن حارثة، رضي الله عنهما (٣) .

وقال (٤) ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق، حدثنا ابن عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان قال: سألني علي بن الحسين ما يقول الحسن في قوله: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه [وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه] ﴾ (٥) ؟ فذكرت له فقال: لا ولكن الله أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد ليشكوها إليه قال: اتق الله، وأمسك عليك زوجك. فقال: قد أخبرتك أني مزوجكها، وتخفي في نفسك ما الله مبديه.

وهكذا روي عن السدي أنه قال نحو ذلك.

وقال (٦) ابن جرير: حدثني إسحاق بن شاهين، حدثني خالد، عن داود عن عامر، عن عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت: لو كتم محمد صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحي إليه من كتاب الله، لكتم: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ (٧) .

وقوله: ﴿فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها﴾ : الوطر: هو الحاجة والأرب، أي: لما فرغ منها، وفارقها، زوجناكها، وكان الذي ولي تزويجها منه هو الله، عز وجل، بمعنى: أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي ولا مهر ولا عقد ولا شهود من البشر.

قال (٨) الإمام أحمد: حدثنا هاشم -يعني: ابن القاسم أبو النضر -حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس، رضي الله عنه، قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة: "اذهب فاذكرها علي". فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري - حتى ما أستطيع أن أنظر إليها -أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت (٩)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٦٢/٥

على عقبي، وقلت: يا زينب، أبشري، أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك. قالت: ما أنا بصانعة شيئا حتى

---

(١) الحديث في المسند (١٤٩/٣) والغرابة من قوله: "فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأته زينب وكأنه دخله" فقد شك مؤمل في الرواية، وهو سيئ الحفظ.

(٢) في أ: "يعلى".

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٧٨٧) .

(٤) في ت: "وروى".

(٥) زيادة من ف.

(٦) في ت: "وروى".

(٧) تفسير الطبري (١١/٢٢) وأصله في الصحيح بلفظ: "من حدثك بثلاث".

(٨) في ت: "وروى".

(٩) في ف، أ: "وركضت".." [1]

"السماء فقال: ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ أي: من أمة مكذبة، ﴿فنادوا﴾ أي: (١) حين جاءهم العذاب استغاثوا وجأروا إلى الله. وليس ذلك بمجد عنهم شيئا. كما قال تعالى: ﴿فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون﴾] الأنبياء: ١٢ [أي: يهربون، ﴿لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون﴾] الأنبياء: ١٣ [

قال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن التميمي قال: سألت ابن عباس عن قول الله: ﴿فنادوا ولات حين مناص﴾ قال: ليس بحين نداء، ولا نزو ولا فرار (٢)

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ليس بحين مغاث.

وقال شبيب بن بشر (٣) عن عكرمة عن (٤) ابن عباس: نادوا النداء حين لا ينفعهم وأنشد:

تذكر ليلى لات حين تذكر (٥) .

وقال محمد بن كعب في قوله: ﴿فنادوا ولات حين مناص﴾ يقول: نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم، واستناصوا للتوبة حين تولت الدنيا عنهم.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٢٥/٦

وقال قتادة: لما رأو ا العذاب أرادوا التوبة في غير حين النداء.

وقال مجاهد: ﴿فنادوا ولات حين مناص﴾ ليس بحين فرار ولا إجابة.

وقد روي نحو هذا عن عكرمة، وسعيد بن جبير وأبي مالك والضحاك وزيد بن أسلم والحسن وقتادة.

وعن مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿ولات حين مناص﴾ ولا نداء في غير حين النداء.

وهذه الكلمة وهي "لات" هي "لا" التي للنفي، زيدت معها "التاء" كما تزاد في "ثم" فيقولون: "ثمت"، و "رب" فيقولون: "ربت". وهي مفصولة والوقف عليها. ومنهم من حكى عن المصحف الإمام فيما ذكره [ابن جرير] (٦) أنها متصلة بحين: "ولا تحين مناص". والمشهور الأول. ثم قرأ الجمهور بنصب "حين" تقديره: وليس الحين حين مناص. ومنهم من جوز النصب بها، وأنشد:

تذكر حب ليلى لات حينا ... وأضحى الشيب قد قطع القرينا (٧)

ومنهم من جوز الجر بها، وأنشد:

طلبوا صلحنا ولات أوان ... فأجبنا أن ليس حين بقاء (٨)

---

(١) في ت: "إلى".

(٢) وقد رو اه الطستي في مسائل نافع بن الأزرق أنه سأل ابن عباس فذكره.

(٣) في أ: "بشير".

(٤) في ت: "سئل".

(٥) البيت للأعشى، وعجزه: وقد تبت عنها والمناص بعيد.

(٦) ما بين المعقوفتين بياض في س.

(٧) البيت في تفسير الطبري (٢٣/٧٧) .

(٨) البيت لأبي زبيد الطائي، وهو في تفسير الطبري (٢٣/٧٧) .." (١)

"وقوله: ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ أي: هذا الذي أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا فأعط من شئت واحرم من شئت، لا حساب عليك، أي: مهما فعلت فهو جائز لك احكم بما شئت فهو صواب. وقد ثبت في الصحيحين (١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خير بين أن يكون عبدا رسولا -وهو الذي يفعل ما يؤمر به وإنما هو قاسم يقسم بين الناس ما أمره الله

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٧/٥٢

به-وبين أن يكون ملكا نبيا يعطي من يشاء ويمنع من يشاء بلا حساب ولا جناح، اختار المنزلة الأولى بعد ما استشار جبريل فقال له: تواضع فاختار المنزلة الأولى لأنها أرفع قدرا عند الله وأعلى منزلة في المعاد وإن كانت المنزلة الثانية وهي النبوة مع الملك عظيمة أيضا في الدنيا والآخرة ولهذا لما ذكر تبارك وتعالى ما أعطى سليمان في الدنيا نبه على أنه ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة أيضا، فقال: ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ أي: في الدار الآخرة.

﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١) اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢) ﴾

---

(١) في أ: "الصحيح".." (١)

"﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (٤٣) وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب (٤٤) ﴾

يذكر تعالى عبده ورسوله أيوب عليه السلام وما كان ابتلاه تعالى به من الضر في جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مغرز إبرة سليما سوى قلبه ولم يبق له من حال الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة (١) وتطعمه وتخدمه نحوا من ثماني عشرة سنة. وقد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا فسلب جميع ذلك حتى آل به الحال إلى أن ألقي على مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكمالها ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته رضي الله عنها فإنها كانت لا تفارقه صباحا و [لا] (٢) مساء إلا بسبب خدمة الناس ثم تعود إليه قريبا. فلما طال المطال واشتد الحال وانتهى القدر المقدور وتم الأجل المقدر تضرع (٣) إلى رب العالمين وإله المرسلين فقال: ﴿أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ [الأنبياء: ٨٣] وفي هذه الآية الكريمة قال: رب إني مسني الشيطان بنصب وعذاب، قيل: بنصب في بدني وعذاب في مالي وولدي. فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين وأمره أن يقوم من مقامه وأن يركض الأرض برجله. ففعل فأنبع الله عينا وأمره أن يغتسل منها فأذهب جميع ما كان في بدنه من الأذى (٤) ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر فأنبع له عينا أخرى وأمره أن يشرب منها فأذهبت ما كان في باطنه (٥) من السوء وتكاملت العافية ظاهرا وباطنا ولهذا قال تعالى: ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٧/٧٤

(١) في أ: "بالأجر".

(٢) زيادة من أ.

(٣) في ت، س: "ضرع".

(٤) في ت، س: "ما كان به من الأذى".

(٥) في أ: "بباطنه".." [1]

"قال (١) ابن جرير، وابن أبي حاتم جميعا: حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب (٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن نبي الله أيوب عليه السلام لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين كانا من أخص إخوانه به كانا يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه: تعلم -والله- لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين. قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: من ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله، فيكشف ما به (٣) فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له. فقال أيوب: لا أدري ما تقول غير أن الله يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله عز وجل، فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما، كراهية أن يذكرا الله إلا في حق. قال: وكان (٤) يخرج إلى حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وأوحى الله تعالى إلى أيوب، عليه السلام، أن ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ فاستبطأته فتلقته تنظر فأقبل (٥) عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان. فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى. فوالله على ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك إذ كان صحيحا. قال: فإني (٦) أنا هو. قال: وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير حتى فاض. هذا لفظ ابن جرير رحمه الله (٧)

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا (٨) أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحثو في ثوبه فناداه ربه (٩) يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب ولكن لا غنى بي عن بركتك". انفرد بإخراجه البخاري من حديث عبد الرزاق به (١٠)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٧/٧٤

ولهذا قال تعالى: ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب﴾ قال الحسن وقتادة: أحياهم الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم.

وقوله: ﴿رحمة منا﴾ أي: به على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته ﴿وذكرى لأولي الألباب﴾ أي: لذوي العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة.

---

(١) في ت: "روى".

(٢) في ت: "بسندهما".

(٣) في أ: "ما به من مرضه".

(٤) في أ: "وكان أيوب".

(٥) في أ: "وأقبل".

(٦) في أ: "فقال إني".

(٧) تفسير الطبري (١٠٧/٢٣) ورواه البزار في مسنده (٢٣٥٧) "كشف الأستار" وأبو نعيم في الحلية (٣٧٤/٣) من طريق سعيد ابن أبي مريم عن نافع بن يزيد به. قال البزار: "لا نعلم رواه عن الزهري عن أنس إلا عقيل، ولا عنه إلا نافع ورواه عن نافع غير واحد" وقال الهيثمي في المجمع (٢٠٨/٨) : "رجال البزار رجال الصحيح".

(٨) في ت: "وروى القاري".

(٩) في ت، س، أ: "ربه عز وجل".

(١٠) المسند (٣١٤/٢) وصحيح البخاري برقم (٢٧٨) .." [١]

"الناس؟ فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله [عليهم] (١) دخلوا في الإسلام وهم وافرون، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فماذا تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله به حتى يظهرني الله أو تنفرد هذه السالفة". ثم أمر الناس فسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض على طريق تخرجه (٢) على ثنية المرار والحديبية من أسفل مكة. قال: فسلك بالجيش تلك الطريق، فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم، ركضوا راجعين إلى قريش، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا سلك ثنية المرار، بركت ناقته، فقال الناس: خلأت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما خلأت،

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٧٥/٧

وما ذلك (٣) لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، والله لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم، إلا أعطيتهم إياها" [ثم] (٤) قال للناس: "انزلوا". قالوا: يا رسول الله، ما بالوادي من ماء ينزل عليه الناس. فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سهما من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه، فنزل في قليب من تلك القلب، فغرزه فيه فجاش بالماء حتى ضرب الناس عنه بعطن. فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة، فقال لهم كقوله لبشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش فقالوا: يا معشر قريش، إنكم تعجلون على محمد، وإن محمدا لم يأت لقتال، إنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحقه، فاتهموهم.

قال محمد بن إسحاق: قال الزهري: [و] (٥) كانت خزاعة في عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركها ومسلمها، لا يخفون على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كان بمكة، فقالوا: وإن كان إنما جاء لذلك فوالله لا يدخلها أبدا علينا عنوة، ولا يتحدث بذلك العرب. ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص، أحد بني عامر بن لؤي، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "هذا رجل غادر". فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ما كلم به أصحابه، ثم رجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله [صلى الله عليه وسلم] (٦) ؛ فبعثوا إليه الحليس بن علقمة الكناني، وهو يومئذ سيد الأحابيش، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "هذا من قوم يتألهون، فابعثوا الهدي" في وجهه، فبعثوا الهدي، فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوتاره من طول الحبس عن محله، رجع ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى (٧) ، فقال: يا معشر قريش، قد رأيت ما لا يحل صده، الهدي في قلائده قد أكل أوتاره من طول الحبس عن محله. قالوا: اجلس، إنما أنت أعرابي لا علم لك. فبعثوا إليه عروة بن مسعود الثقفي، فقال: يا معشر قريش، إن قد رأيت ما يلقى منكم من تبعثون إلى محمد إذا جاءكم، من التعنيف وسوء اللفظ، وقد عرفتم أنكم والد وأنا ولد، وقد سمعت بالذي نابكم، فجمعت من أطاعني من قومي، ثم جئت حتى آسيتكم بنفسي. قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم. فخرج (٨) حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه، فقال: يا محمد جمعت أوباش الناس، ثم جئت بهم لبيضتك لتفضها، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور، يعاهدون الله

---

(١) زيادة من أ.

(٢) في أ: "يحرصه".

(٣) في ت: "وما ذاك".

(٤) زيادة من ت، م، أ.

(٥) زيادة من ت، م.

(٦) زيادة من ت، م.

(٧) في ت: "فلما رجع إلى أصحابه".

(٨) في أ: "ثم خرج".." (١)

"فخذوا ذات اليمين". فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرا لقريش، وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها، بركت به راحلته. فقال الناس: حل حل فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، خلأت القصواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل". ثم قال: "والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله، إلا أعطيتهم إياها". ثم زجرها فوثبت، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء، يتبرضه الناس تبرضا، فلم يلبث (١) الناس حتى نزحوه، وشكي (٢) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش، فانتزع من كنانته سهما ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة، وكانوا عيبة نصح رسول الله [صلى الله عليه وسلم] (٣) من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي، نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا لم نجئ لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب فأضرت بهم، فإن شاؤوا مادنهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن (٤) الله أمره" قال بديل: سأبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشا فقال: إنا قد جئنا من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولا فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء. وقال: ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول: قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم، ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى. قال: أولست بالولد؟

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٤٧/٧

قالوا: بلى. قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا. قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ، فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آته. قالوا: ائته. فأتاه فجعل يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم له نحوا من قوله لبديل بن ورقاء. فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك؟ وإن تك الأخرى فإني والله لأرى وجوها، وإني لأرى أشوابا (٥) من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك، فقال أبو بكر، رضي الله عنه: امصص بظر اللات! أنحن نفر وندعه؟! قال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها، لأجبتك. قال: وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة، رضي الله عنه قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف، وقال له: أخر يدك من لحية النبي صلى الله عليه وسلم. فرفع عروة رأسه وقال: من هذا؟ قال: المغيرة بن شعبة. فقال: أي غدر، ألست أسعى في غدرتك؟! وكان المغيرة بن شعبة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شي".

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه (٦) ، قال: فوالله ما تنخم رسول الله [صلى الله عليه وسلم] (٧) نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذ توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه، تعظيما له صلى الله عليه وسلم، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشي، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه تعظيما له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. فقال رجل منهم من بني كنانة: دعوني آته. فقالوا: ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له" فبعثت له، واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله! ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت. فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت. فقال (٨) رجل منهم يقال له: "مكرز بن حفص"، فقال: دعوني آته. فقالوا: ائته.

فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم: "هذا مكرز [بن حفص] (٩) وهو رجل فاجر"، فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهل بن عمرو.

وقال معمر: أخبرني أيوب، عن عكرمة أنه قال: لما جاء سهل بن عمرو قال النبي صلى الله عليه وسلم: "قد سهل لكم من أمركم".

قال معمر: قال الزهري في حديثه: فجاء سهل بن عمرو فقال: هات أكتب بيننا وبينك (١٠) كتابا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " [اكتب] (١١) : بسم الله الرحمن الرحيم"، فقال سهل [بن عمرو] (١٢) : أما "الرحمن" فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: "باسمك اللهم"، كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا "بسم الله الرحمن الرحيم". فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اكتب: باسمك اللهم". ثم قال: "هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله". فقال سهل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: "محمد بن عبد الله"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "والله إني لرسول الله وإن كذبتموني. اكتب محمد بن عبد الله" قال الزهري: وذلك لقوله: "والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها". فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به". فقال سهل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهل: "وعلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا". فقال المسلمون: سبحان الله! كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟! فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهل

---

(١) في ت، م: "يلبثه".

(٢) في أ: "شكوا".

(٣) زيادة من م.

(٤) في ت، م: "أو لينفذن".

(٥) في أ: "أوشابا".

(٦) في ت: "بعينه".

(٧) زيادة من ت.

(٨) في أ: "فقام".

(٩) زيادة من أ.

(١٠) في ت: "بينكم".

(١١) زيادة من أ.

(١٢) زيادة من ت، م.." [1]

"قط، قال: رأيته وأبو سفيان آخذ بالركاب، والعباس آخذ بلجام دابته البيضاء وهو يقول:» أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب «وطفق يركض بغلته نحو الكفار، ثم قال للعباس: ناد المهاجرين والأنصار – وكان العباس رجلا صيتا – فجعل يناديك يا عباد الله، يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، فجاء المسلمون حين سمعوا صوته عنقا واحدا، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده كفا من الحصى، فرماهم بها، وقال:» شاهت الوجوه «فما زال أمرهم مدبرا، وحدهم كليلا حتى هزمهم الله، ولم يبق منهم أحد يومئذ إلا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب، فذلك قوله: ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ .

والمراد بالسكينة: ما يسكن إليه القلب، ويوجب الأمنة، ووجه الاستعارة فيه: أن الإنسان إذا خاف فر وفؤاده متحرك، وإذا أمن؛ سكن وثبت؛ فلما كان الأمن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الأمن. ثم قال تعالى: ﴿وأنزل جنودا لم تروها﴾ والمراد: أنزل الملائكة، وليس في هذه الآية ما يدل على عدة الملائكة، كما هو في قصة بدر، فقال سعيد بن جبير:» أيد الله نبيه بخمسة آلاف من الملائكة «ولعله إنما قاسه على يوم بدر.

وقال سعيد بن المسيب: حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال: لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم، فلما انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء، تلقانا رجال بيض الوجوه، فقالوا: شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا أكتافنا، واختلفوا في أن الملائكة هل قاتلوا ذلك اليوم؟ فالذي روي عن سعيد بن المسيب يدل على أنهم قاتلوا، وقال آخرون: إن الملائكة ما قاتلوا إلا يوم بدر، وفائدة نزولهم في هذا اليوم: هو إبقاء الخواطر الحسنة في قلوب المؤمنين.

ثم قال تعالى: ﴿وعذب الذين كفروا﴾ والمراد من هذا التعذيب: قتلهم وأسرهم، وأخذ أموالهم وسبي ذراريهم. وهذه الآية تدل على أن فعل العبد خلق لله تعالى؛ لأن المراد من هذا التعذيب ليس إلا الأخذ والأسر، وقد نسب تلك الأشياء إلى نفسه.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٥١/٧

قوله: ﴿وذلك جزآء الكافرين﴾ تمسك الحنفية في مسألة الجلد مع التعزير بقوله ﴿الزانية والزاني﴾ [النور: ٢] قالوا: الفاء تدل على كون الجلد جزاء، والجزاء اسم للكافي، وكون الجلد كافيا يمنع كون غيره مشروعا معه، وأجيبوا بأن الجزاء ليس اسما للكافي؛ لأنه." (١)

"الصلاة والسلام فاستحى منه. قالوا: وهو قول عكرمة، ومجاهد، الحسن، وسعيد بن جبير.

وروى سعيد بن جبير رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما تمثل له يعقوب، فضرب في صدره فخرجت شهوته من أنامله.

الثالث: قالوا: إنه سمع في الهواء قائلا: يا بن يعقوب، لا تكن كالطير له ريش، فإذا زنا ذهب ريشه.

الرابع: نقلوا عن ابن عباس أن يوسف عليه الصلاة والسلام لم ينزجر بكلام يعقوب حتى ركضه جبريل، فلم يبق به شيء من الشهوة إلا خرج.

قال ابن الخطيب: «ولما ذكر الواحدي هذه الروايات تصلف وقال: هذا الذي ذكرنا قول أئمة التفسير الذين أخذوا التأويل عمن شاهدوا التنزيل فيقال له: إنك لا تأتينا ألبتة إلا بهذه التصلفات التي لا فائدة فيها، فأين هذا من الحجة والدليل الذي ذكرناه، وأيضا: فإن ترادف الدلائل على الشيء الواحد جائز وإنه عليه الصلاة والسلام كان ممتنعا من الزنا بحسب الدلائل الأصلية، فلما انضاف إليها هذه الزواجر ازدادت قوة.

وأيضا: روي أن جبريل عليه الصلاة والسلام امتنع من دخول حجرة النبي المختار صلوات الله وسلامه عليه بسبب وقع هناك بغير علمه؛ قالوا: فامتنع جبريل عليه السلام من الدخول [عليه] أربعين يوما، وههنا زعموا أن يوسف حين اشتغاله بالفاحشة ذهب إليه جبريل، والعجب أيضا أنهم زعموا أنه لم يمتنع عن ذلك العمل بسبب حضور جبريل عليه السلام، ولو أن أفسق الخلق، وأكفرهم كان مشتغلا بفاحشة، فإذا دخل عليه رجل في زي الصالحين استحى منه؛ وترك [ذلك] العمل وهاهنا يعقوب عليه الصلاة والسلام عض على أنامله، فلم يلتفت، ثم إن جبريل عليه الصلاة والسلام على جلالة قدره دخل عليه، فلم يمتنع أيضا عن ذلك القبيح بدخوله حتى احتاج جبريل إلى أن ركضه على ظهره «.." (٢)

"خرجتم من عتبي، وغضبي عليكم إن لم تأتوني به؛ لوضوح عذركم.

والثاني: أنه متصل، وهو استثناء من المفعول له العام. قال الزمخشري: «فإن قلت: أخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء، ففيه إشكال.؟ قلت:» أن يحاط بكم «معفول له، والكلام المثبت، الذي هو قوله» لتأتنني به

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٩/١٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦٨/١١

«في معنى النفي، معناه: لا تمتنعون من الإتيان به؛ إلا للإحاطة بكم، أو لا تمتنعون منه لعلة واحدة وهي ﴿أن يحاط بكم﴾ فهو استثناء من أعم العام في المفعول له، والاستثناء من أعم العام لا يكون إلا في النفي وحده؛ فلا بد من تأويله بالنفي، ونظيره في الإثبات المتأول بالنفي بمعنى النفي قولهم: أقسمت بالله لما فعلت وإلا فعلت بزيد يريد ما أطلب منك إلا الفعل» . ولوضوح هذا الوجه لم يذكره غيره.

الثالث: أنه مستثنى من أعم العام من الأحوال قال أبو البقاء: تقديرهك لتأتنني به على كل حال، إلا في حال، إلا في حال الإحاطة بكم.

قال شهاب الدين: «قد نصوا على أن أن الناصبة للفعل، لا تقع موقع الحال وإن كانت مؤولة بمصدر، يجوز أن تقع موقع الحال؛ لأنهم لم يغتفروا في المؤول ما يغتفرونه في الصريح، فيجيزون: جئتك ركضا، ولا يجيزون: جئتك أن أركض وإن كانا في تأويله» .

الرابع: أنه مسثنى من أعم العام في الأزمان، والتقدير: لتأتنني به في كل وقت إلا في وقت الإحاطة بكم، وقد تقدم [البقرة: ٢٥٨] الخلاف في هذه المسألة، وأن أبا الفتح أجاز ذلك كما يجوزه في المصدر الصريح، فكما تقول: «آتيك صياح الديك» يجوز أن تقول: آتيك أن يصيح الديك، جعل من ذلك قول تأبط شرا: [الطويل]

٣١١٩ - وقالوا لها: لا تنكحيه فإنه ... لأول نصل أن يلاقي مجمعا

وقول أبي ذؤيب الهذلي: [الطويل]

٣١٢٠ - وتالله ما إن شهلة أم واحد ... بأوجد مني أن يهان صغيرها

قال: تقديره: وقت ملاقاته الجمع، ووقت إهانة صغيرها.

قال أبو حيان: «فعلى ما قاله يجوز تخريج الآية، ويبقى ﴿لتأتنني به﴾ على ظاهره من الإثبات» .." (١)

"وجعل عامر يومىء إليه، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما يصنع بسيفه، فقال:» اللهم أكفنيهما بما شئت «فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم مصحو صائف، فأحرقته، وولى عامر بن الطفيل هاربا، وقال: يا محمد! دعوت ربك فقتل أربد، والله لأملأنها عليك خيلا جردا، وفتيانا مردا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :» يمنعك الله من هذا، وأبناء قيلة «يريد الأوس، والخزرج؛ فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما أصبح، ضم عليه سلاحه، وقد تغير لونه، فخرج يركض في الصحراء ويقول: ابرز يا ملك الموت، ويقول الشعر، ويقول: واللات لئن أصبح لي محمدا وصاحبه يعني ملك المت لأنفذتهما برمحي؛ فأرسل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١/١٥٠

الله تبارك وتعالى ملكا فلطمه بجناحه، فأذراه في التراب، وخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة، فعاد إلى بيت السلولية، وهو يقول:» غدة كغدة البعير، وموت في بيت سلولية «، ثم دعا بفرسه، فركبه، ثم أجراه حتى مات على ظهره، فأجاب الله دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل عامر بالطعن، وأربد بالصاعقة» ، وأنزل الله في هذه القصة: ﴿سوآء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات﴾ يعنى للرسول صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله، يعنم: تلك المعقبات من أمر الله، وفيه تقديرم وتأخير.

ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما واختاره أبو مسلم الأصفهاني رحمه الله أن المراد يستوي في علم الله السر، والجهر، والمستخفي في ظلمة الليل والسارب بالنهار المستظهر بالمعاونين، والأنصار، وهم الملوك، والأمراء فمن لجأ إلى الله فلن يفوت الله سبحانه وتعالى أمره، ومن سار نهارا بالمعقبات، وهم الأحراس والأعوان الذين يحفظونه لم ينجه حراسه من الله تعالى والمعقب هو العون؛ لأنه إذا نصر هذا وذاك؛ فلا بد وأن ينصر ذاك هذا؛ فنصر كل واحد منهما معاقبة لنصرة الآخر؛ فهذه المعقبات لا تخلص من قضاء الله، وقدره، وهم وإن ظنوا أنهم يخلصون مخدومهم من أمر الله، ومن قضائه؛ فإنهم لا يقدرون على ذلك ألبتة. والمقصود من الكلام: بعث السلاطين، والأمراء، والكبراء على أن يطلبوا الخلاص من المكاره من الله، ويعلولوا على حفظه وعصمته ولا يعولوا في دعفها على الأعوان والأنصار؛ ولذلك قال تعالى جل ذكره بعده: ﴿وإذا أراد الله بقوم سواءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال﴾ .

قال القرطبي: «قيل: إن في الكلام نفيا محذوفا تقديره: لا يحفظونه من أمر الله تعالى ذكره الماوردي.." (١)

"وهذا هو النهي الثاني.

قوله تعالى: «مرحا» : العامة على فتح الراء، وفيه أوجه:

أحدها: أنه مصدر واقع موقع الحال، أي: مرحا بكسر الراء، ويدل عليه قراءة بعضهم فميا حكاه يعقوب «مرحا» بالكسر.

قال الزجاج: «مرحا» مصدر، ومرحا: اسم الفاعل، وكلاهما جائز، إلا أن المصدر هنا أحسن وأوكد، تقول:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١/٢٧٠

جاء زيد ركضا وراكضا، وآكد؛ لأنه يدل على توكيد الفعل.

الثاني: أنه على حذف مضاف، أي: ذا مرح.." (١)

"يكتفى بها وبالمرفوع بعدها كلاما نحو خرجت فإذا الأسد.

قوله: «يخيل إليه» قرأ العامة «يخيل» بضم الياء الأولى وفتح الثانية مبنيا للمفعول، و «أنها تسعى» مرفع بالفعل قبله لقيامه مقام الفاعل تقديره: يخيل إليه سعيها.

وجوز أبو البقاء فيه وجهين:

أحدهما: (أن يكون القائم مقام الفاعل ضمير الجبضا والعصي وإنما ذكر ولم يقل «تخيل» بالتاء من فوق، لأن تأنيث الحبال غير حقيقي.

الثاني: أن القائم مقام الفاعل ضمير يعود على الملقي، فلذلك ذكر. وعلى الوجهين: ففي قوله: «أنها تسعى» وجهان أحدهما) : أنه بدل اشتمال من ذلك الضمير المستتر أيضا، والمعنى: يخيل إليه هي أنها ذات سعي. ولا حاجة إلى هذا، وأيضا فقد نصوا على أن المصدر المؤول لا يقع موقع الحال، لو قلت: جاء زيد أن ركض، تريد ركضا بمعنى ذا ركض لم يجز.

وقرأ ابن ذكوان: «تخيل» بالتاء من فوق، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الفعل مسند لضمير الحبال والعصي، أي: تخيل الحبال (والعصي، و) «أنها تسعى» بدل اشتمال من ذلك الضمير.." (٢)

"قوله: «كانت ظالمة» في محل جر صفة ل «قرية» ، ولا بد من مضاف محذوف قبل «قرية» أي: وكم قصمنا من أهل قرية بدليل عود الضمير في قوله: «فلما أحسوا» ولا يجوز أن يعود على قوله «قوما» لأنه لم يذكر لهم ما يقتضي ذلك.

فصل

لما حكى عنهم تلك الاعتراضات الساقطة، لكونها في مقابلة ما ثبت إعجازه، وهو القرآن ظهر لكل عاقل أن اعتراضهم كان لأجل حب الرياسة والدنيا.

والمراد بقوله: «قصمنا» أهلكنا. قال ابن عباس: المراد منه القتل بالسيوف، والمراد بالقرية: حضور وسحول باليمن ينسب إليهما الثياب، وفي الحديث: «كفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ثوبين

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٨٦/١٢

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣١١/١٣

سحولين» ، وروي «حضورين» بعث الله إليهما نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم.

وروي «أنه لما أخذتهم السيوف ناداه مناد من السماء يا لثارات الأنبياء» فندموا واعترفوا بالخطأ، و ﴿قالوا ياويلنآ إنا كنا ظالميـن﴾ .

وقال الحسن: المراد عذب الاستئصال. وهذا أقرب، أن إضافة ذلك إلى الله أقرب من إضافته إلى القائل، ثم بتقدير أن يحمل ذلك على عذاب القتل فما الدليل على الحصر في القريتين اللتين ذكرهما ابن عباس.

وقوله: «كانت ظالمة» أي كافرة، يعني أهلها «وأنشأنا بعدها» أي: أحدثنا بعد علاك أهلها «قوما آخرين» . ﴿فلمآ أحسوا بأسنآ﴾ أي: عذابنا بحاسة البصر ﴿إذا هم منها يركضون﴾ أي: يسرعون هاربين.

والركض ضرب الدابة بالرجل، يقال: ركض الدابة يركضها ركضا، ومنه قوله تعالى: «اركض برجلك» . فيجوز أن يركبوا دوابهم فيركضوها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب. ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين.." (١)

"قوله: «إذا هم» : «إذا» هذه فجائية، وتقدم الخلاف فيها.

و «هم» مبتدأ، و «يركضون» خبره. وتقدم أول الكتاب أن أمثال هذه الآية دالة على أن «لما» ليست ظرفية بل حرف وجوب لوجوب، لأن الظرف لا بد له من عامل، ولا عامل هنا، لأن ما بعد «إذا» لا يعمل فيما قبلها. والجواب أنه عمل فيها معنى المفاجأة المدلول عليه ب «إذا» .

والضمير في «منها» يعود على «قرية» ، ويجوز أن يعود على «بسنا» لأنه في معنى النقمة والبأساء، فأنث الضمير حملا على المعنى. و «من» على الأول لابتداء الغاية، وللتعليل على الثاني.

قوله: «لا تركضوا» أي: قيل لهم: لا تركضوا، أي لا تهربوا. قال الزمخشري: القول محذوف، فإن قلت: من القائل؟ قلت: يحتمل أن يكون بعض الملائكة، أو من ثم من المؤمنين، أو يكون خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل، أو بقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفهم في دينهم. أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم.." (٢)

"مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ فقال: ارفع رأسك فقد استجبت لك ﴿اركض برجلك﴾ [ص: ٤٢] فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها، فلم يبق في ظاهر بدنه دابة إلا سقطت، ثم ضرب برجله

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٣/٤٥٦

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٣/٤٥٧

مرة أخرى، فنبعت عين أخرى، فشرب منها، فلم يبق في جوفه داء إلا خرج، وقام صحيحا، وعاد إليه شبابه وجماله حتى صار أحسن ما كان، ثم كسي حبة فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الأهل والمال إلا وقد ضاعفه الله، حتى ذكر أن الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب، فجعل يضمه بيده، فأوحى الله إليه: يا أيوب ألم أغنك؟ قال: بلى، ولكن من يشبع من نعمك، قال: فخرج حتى جلس مكان مشرف، ثم إن امرأته قالت: هب أنه طردني أفأتركه حتى يموت جوعا وتأكله السباع، لأرجعن غليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة، ولا تلك الحال، وإذا الأمور قد تغيرت، فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي، وهابت صاحب الحلة أن تأتيه، وتس أل عنه، فأرسل إيلها أيوب، ودعاها، فقال: ما تريدين يا أمة الله؟ فبكت، وقالت: بعليط، قال أتعرفينه إذا رأتيه، قالت: وهل يخفى علي فتبسم وقال: أنا هو.

فعرفته بضحكه فاعتنقته، ثم قال: إنك أمرتيني أن أذبح لإبليس سخلة، وإني أطعت الله، وعصيت إبليس، ودعوت الله، فرد علي ما ترين.

وروى الضحاك ومقاتل: أن أيوب بقي في البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات. وقال وهب: بقي في البلاء ثلاث سنين، فلما غلب أيوب – عليه السلام – إبليس ذهب إبليس – لعنه الله – إلى امرأته على هيئة ليست كهيئة بني آدم في العطم والحسن والجمال، وعلى مركب ليس من مراكب الناس، فقال لها: أنت صاحبة أيوب، قاقلت: نعم. قال: فهل تعرفيني؟ قالت: لا. قال: فأنا إله الأرض، صنعت بأيوب ما صنعت، وذلك لأن عبد إله السماء وتركني فأغضبني، ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك جميع ما لكما من مال وولد فإن ذلك عندي. قال وهب: وسمعت أنه قال: لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم الله لعوفي مما في البلاء، وفي رواية أخرى قال لها: لو شئت فاسجدي لي سجدة واحدة لرجعت المال والولد وأعافي زوجك. فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها. فقال لها أيوب – عليه." (١)

"المحفوظ، وقرأ زيد بن علي بخفض راء أصغر وأكبر وهي مشكلة جدا، وخرجت على أنهما في نية الإضافة، إذ الأصل: «ولا اصغره ولا أكبره» وما لا ينصرف إذا أضيف انجر في موضع الجر ثم حذف المضاف إليه ونوي معناه فترك المضاف بحاله وله نظائر كقولهم:

٤١٠٢ – بين ذراعي وجبهة الأسد ... ٤١٠٣ – يا تيم تيم عدي ... على خلاف. وقد يفرق بأن هناك ما يدل على المحذفو لفظا بخلاف هنا.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٣/٥٧٠

وقد رد بعضهم هذا التخريج لوجود «من» ؛ لأن «أفعل» متى أضيف لم يجامع «من» وأجيب عن ذلك بوجهين:

أحدهما: أن (من) ليست متعقة «بأفعل» بل محذوف على سبيل البيان؛ لأنه لما حذف المضاف إليه أبهم المضاف فبين «بمن» ومجروها أي أعني من ذلك.

والثاني: أنه مع تقديره للمضاف إليه نوي طرحه، فلذلك أتى «بمن» ويدل على ذلك أنه قد ورد التصريح بالإضافة مع وجود «من» قال الشاعر:

٤١٠١ – نحن بغرس الودي أعلمنا ... منا بركض الجياد في السدف." (١)

"فصل

قال بعض الحكماء: الآلام والأسقام الحاصلة في جسمه إنما حصلت بفعل الشيطان، وقيل: إنما حصلت بفعل الله تعالى. والعذاب المضاف في هذه الآية إلى الشيطان هو عذاب الوسوسة وإلقاء الخواطر الفاسدة أما تقرير القول الأول فهو ما روي أن إبليس سأل فيه ربه فقال: هل في عبيدك من لو سلطتني عليه يمتنع مني؟ فقال الله تعالى: نعم عبدي أيوب فجعل يأتيه بوساوسه وهو يرى إبليس عيانا ولا يلتفت إليه فقال: رب إنه قد امتنع علي فسلطني على ماله فكان يجيئه ويقول له: هلك من مالك كذا وكذا فيقول: الله أعطى والله أخذ ثم يحمد الله تعالى فقال: يا رب إن أيوب لا يبالي بماله فسلطني على ولده فجاءه وأخبره به فلم يلتفت إليه فقال: يا رب إنه لا يبالي بماله وولده فسلطني على جسده فأذن فيه فنفخ في جلد أيوب فحدث أسقام عظيمة وآلام شديدة فيه فمكث في ذلك البلاء سنين حتى استقدره أهل بلده فخرج إلى الصحراء وما ك١ن يقرب منه أحد فجاء الشيطان إلى امرأته، وقال: إن زوجك إن استغاث إلي خلصته من هذه البلاء فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف بالله لئن عافاه الله ليجلدها مائة جلده وعند هذه الواقعة قال: ﴿أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ فأجاب الله دعاءه وأوحى إليه أن: «اركض برجلك» وأظهر الله تعالى من تحت رجله عينا باردة طيبة فاغتسل منها فأذهب الله عنه كل داء في ظاهره وباطنه، ورد عليه أهله وماله.

وأما القول الثاني أن الشيطان لا قدرة له البتة على إيقاع الناس في الأمراض والأسقام ويدل عليه وجوه: الأول: أنا لو جوزنا حصول الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان فلعل الواحد منا إنما وجد الحياة بفعل الشيطان ولعل ما عندما من الخيرات والسعادات قد حصل بفعل الشيطان وحينئذ لاسبيل (لنا) إلى

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٦/٨

معرفة معطي الحياة والموت والصحة والسقم هو الله تعالى أم الشيطان.

الثاني: أن الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يسعى في قتل الأنبياء والأولياء، ولم (لا) يخرب دورهم ولم يقتل أولادهم.

الثالث: أن الله حكى عن الشيطان أنه قال: ﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾ [إبراهيم: ٢٢] فصرح بأنه لا قدرة له في حق البشر، إلا إلقاء الوساو والخواطر الفاسدة فدل ذلك على فساد القول بأن الشيطان هو الذي ألقاه في تلك الأمراض.." (١)

"قيما، ولابن السبيل معينا ولليتامى أبا فنودي: يا أيوب ممن كان ذلك التوفيق؟ فأخذ أيوب التراب ووضعه على رأسه وقال: منك يا رب ثم خاف من الخاطر الأول فقال: مسني الشيطان بنصب وعذاب وذكر احوالا أخر. والله أعلم.

قوله: ﴿اركض برجلك﴾ معناه أنه لما اشتكى مس الشيطان فكأنه سأل ربه أن يزيل عنه تلك البلية فأجابه الله بأن قال: ﴿اركض برجلك﴾ والركض هو الدفع القوي بالرجل. ومنه ركض الفرس والتقدير قلنا له اركض برجلك قيل: إنه ضرب برجله تلك الأرض فنبعت عين، فقيل: هذا مغتسل بارد وشراب أي هذا ما تغتسل به فيبرأ ظاهرك وتشرب منه فيبرأ باطنك. وظاهر (هذا) اللفظ يدل على أنه نبعت له عين واحدة من الماء فاغتسل منه، وشرب منه، والمفسرون قالوا: نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره ومن باطنه بإذن الله تعالى. وقيل: ضرب برجله اليمين فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها.

قوله: ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم﴾ قيل: هم عين أهله وديراه «ومثلهم» قيل: غيرهم مثلهم، والأول أولى؛ لأنه الظاهر فلا يجوز العدول عنه من غير ضرورة ثم اختلفوا فقيل: أزلنا عنهم السقم فأعيدوا أصحاء، وقيل: بل حضروا عنده بعد أن غابوا عنه واجتمعوا عبد أن تفرقوا، وقيل: بل تمكن منهم وتمكنوا منه كما يفعل بالعشرة والخدمة.

قوله: ﴿ومثلهم معهم﴾ الأقرب أنه تعالى (متعه) بصحته وماله وقواه حتى كثر نسله وصاروا أهله ضعف ما كانوا وأضعاف ذلك. وقال الحسن: المراد بهبة الأهل أنه تعالى أحياهم بعد أن هلكوا.." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٢٨/١٦

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٣٠/١٦

"قوله: «رحمة وذكرى» مفعول من أجله وهبناهم له لأجل رحمتنا إياه وليتذكر بحاله أولو الألباب يعني سلطنا عليه البلاء أولا فصبر، ثم أزلنا عنه البلاء وأوصلنا إليه الآلاء والنعماء تنبيها لأولي الألباب عن أن من صبر ظفر. وهو تسلية لمحمد – عليه (الصلاة و) السلام – كما تقدم. قالت المعتزلة: وهذا يدل على أن أفعال الله تعالى معللة بالأغراض والمقاصد لقوله: ﴿رحمة منا وذكرى لأولي الألباب﴾ .

قوله: ﴿وخذ بيدك ضغثا﴾ (ضغثا) معطوف على «اركض» والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش والقضبان، وقيل: الحزمة الكبيرة من القضبان وفي المثل: «ضغث على إبالة» والإبالة الحزمة من الحطب، قال الشاعر:

٤٢٧٦ – وأسفل مني نهدة قد ربطتها ... وألقيت ضغثا من خلى متطيب

وأصل المادة يدل على جمع المختلطات، وقد تقدم هذا في يوسف في قوله: ﴿أضغاث أحلام﴾ [يوسف: ٤٤] .

قوله: ﴿ضغثا فاضرب به ولا تحنث﴾ الحنث الإثم ويطلق على فعل ما حلف على تركه أو ترك ما حلف على فعله لأنهما سببان فيه غالبا.

فصل

هذا الكلام يدل على تقدم يمين منه، وقد روي أنه حلق على أهله، وختلفوا في سبب حلفه عليها، ويبعد ما قيل: إنها رغبة في طاعة الشيطان ويبعد أيضا ما روي أنها قطعت ذوائبها لأن المضطر يباح له ذلك، بل الأقرب أنها خالفته في بعض المهمات، وذلك أنها ذهبت في بعض المهمات فأبطأت فحلف في مرضه ليضربنها مائة إذا برئ،." (١)

"و «وحيا» حال ، فيكون هذا أيضا حالا، والتقدير: إلا موحيا أو مرسلا.

وقال الزمخشري: «وحيا وأن يرسل» مصدران واقعان موقع الحال، لأن: أن يرسل في معنى: إرسالا و ﴿من ورآء حجاب﴾ ظرف واقع موقع الحال أيضا كقوله: ﴿وعلى جنوبهم﴾ [آل عمران: ١٩١] والتقدير: وما صح أن يكلم أحدا إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا.

ورد عليه أبو حيان بأن وقوع المصدر موقع الحال غير منقاس وإنما قاس منه المبرد ما كان نوعا للفعل فيجيز أتيته ركضا ويمنع: أتيته بكاء أي باكيا.

وبأن: أن يرسل لا يقع حالا لنص سيبويه: على أن «أن» والفعل لا يقع حالا وإن كان المصدر الصريح يقع حالا تقول: جاء زيد ضحكا، ولا يجوز أن يضحك.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٦/٤٣١

الثالث: أنه عطف على معنى وحيا فإنه مصدر مقدر بأن والفعل والتقدير: إلا بأن يوحي إليه أو بأن يرسل. ذكره مكي وأبو البقاء.

قوله: ﴿من ورآء حجاب﴾ العامة على الإفراد. وابن أبي عبلة: حجب جمعا. وهذا الجار يتعلق بمحذوف تقديره: أو يكلمه من وراء حجاب. وقد تقدم أن هذا الفعل معطوف على معنى وحيا، أي إلا أن يوحي أو يكلمه.

قال أبو البقاء: ولا يجوز أن يتعلق من ب «يكلمه» (الموجودة في اللفظ لأن ما قبل الاستثناء لا يعمل فيما بعد إلا. ثم قال: وقيل: من مسبوقة بيكلمه﴾ لأنه ظرف والظرف يتسع فيه.." (١)

"و «ماريته» : جادلته وشاكلته فيما يدعيه، و «افتعل» فيه بمعنى «تفاعل» ، يقال: تماروا في كذا، وامتروا فيه نحو: تجاوروا، واجتوروا.

وقال الراغب: المرية: التردد في الأمر، وهي أخص من الشك، والامتراء والمماراة المحاجة فيما فيه مرية، وأصله من مريت الناقة إذا مسحت ضرعها للحلب.

ففرق بين المرية والشك كما ترى، وهذا كما تقدم له الفرق بين الريب والشك، وانشد الطبري قول الأعشى: [الطويل]

٨٣٩ - تدر على أسؤق الممتري ... ن ركضا إذا ما السراب ارجحن

شاهدا على أن الممترين الشاكون.

قال: ووهم في ذلك؛ لأن أبا عبيدة وغيره قالوا: الممترون في البيت هم الذين يمرون الخيل بأرجلهم همزا لتجري كأنهم يتحلبون الجري منها.

[فصل فيمن نزلت فيه الآية

قوله: ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ قال الحسن: من الذين علموا صحة نبوتك وإن بعضهم عاندوكم.

وقيل: بل يرجع إلى أمر القبلة.

وقيل: بل يرجع إلى صحة نبوته وشرعه، وهو أقرب؛ لأن أقرب مذكور إليه قوله: «من ربك» ؛ وظاهره يقتضي النبوة، فوجب أن يرجع إليه، ونهيه عن الامتراء لا يدل على أنه كان شاكا فيه كما تقدم القول في هذه المسألة] .." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٢٢/١٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٥/٣

"فصل

معنى الكلام ما يريد ما بقي مما أكل السبع. قال قتادة: كان أهل الجاهلية إذا جرح السبع شيئا فقتله وأكل بعضه أكلوا ما بقي، فحرمه الله.

قوله تعالى: ﴿إلا ما ذكيتم﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه استثناء متصل، والقائلون بهذا اختلفوا، فقال علي، وابن عباس، والحسن وقتادة: هو مستثنى من قوله: «والمنخنقة» إلى قوله: ﴿ومآ أكل السبع﴾ وعلى هذا إن أدركت ذكاته بأن وجدت عينا تطرف، أو ذنبا يتحرك، أو رجلا تركض فاذبح فإنه حلال، فإن هذه الحال تدل على بقاء الحياة فيه بتمامها.

وقال أبو البقاء: والاستثناء راجع على المتردية، والنطيحة وأكيلة السبع، وليس إخراجه المنخنقة [منه بجيد]

.

ومنهم من قال: هو مستثنى مما أكل السبع خاصة.

والقول الثاني: أنه منقطع، أي: ولكن ما ذكيتم من غيرها فحلال، أو فكلوه، كأن هذا القائل رأى أنها وصلت بهذه الأسباب إلى الموت، أو إلى حالة قريبة فلم تفد تزكيتها عنده شيئا.

والتذكية: الذبح، وذكت النار: ارتفعت، وأصل الذكاة تمام الشيء ومنه الذكاء في الفهم، وهو تمامه [والذكاء] في السن، وهو النهاية في الشباب، ذكى الرجل أي: أسن، قال: [الوافر]

١٩٢٥ - على أعراقه تجري المذاكي ... وليس على تقلبه وجهده

وقيل: الاستثناء من التحريم لا من المحرمات، يعني، حرم عليكم ما مضى إلا ما ذكيتم فإنه لكم حلال، فيكون الاستثناء منقطعا - أيضا -.

وإذا قيل: أصل التذكية الإتمام، فالمراد ههنا إتمام فري الأوداج وإنهار الدم.

قال - عليه الصلاة والسلام -: «ما أنهر الدم، وذكر اسم الله عليه فكل ليس السن والظفر» .." (١)

"قوله تعالى: ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقآء الله﴾ [الأية: ٣١] وصف أحوال منكري البعث بأمرين:

احدهما: حصول الخسران، أي: خسروا أنفسهم بتكذيبهم المصير إلى الله - تبارك وتعالى - وحصول العقاب.

قوله: ﴿حتى إذا جآءتهم الساعة بغتة﴾ في نصب «بغتة» أربعة أوجه:

أحدهما: أنها مصدر في موضع الحال من فاعل «جاءتهم» بغتتهم بغتة، فهو كقولهم: «أتيته ركضا» .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩٠/٧

الثالث: أنها منصوبة بفعل محذوف من لفظها، أي: تبغتهم بغتة.

الرابع: بفعل [من غير لفظها، أي: أتتهم بغتة، والبغت والبغتة مفاجأة الشيء بسرعة من] غير اعتدادبه، ولا جعل بال منه حتى لو استشعر الإنسان به، ثم جاء." (١)

"وأما الذي من تحت أرجلهم: كالرجفة والخسف، وقيل: حبس المطر والنبات. وقيل: هذا مجاز.

قال مجاهد وابن عباس في رواية عكرمة: «من فوقكم» أي: من الأمراء، أو من تحت أرجلكم من العبيد والسفلة.

قوله: «عذابا من فوقكم» يجوز أن يكون الظرف معلقا ب «نبعث» وأن يكون متعلقا بمحذوف على أنه صفة ل «عذابا» أي: كائنا من هاتين الجهتين. قوله: «أو يلبسكم شيعا» عطف على «يبعث» .

والجمهور على فتح الياء من «يلبسكم» وفيه وجهان:

أحدهما: أنه بمعنى يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة مشايعة لإمام، ومعنى خلطهم: إنشاب القتال بيهم، فيختلطون في ملاحم القتال كقول الحماسي: [الكامل]

٢١٩٠ - وكتيبة لبستها بكتيبة ... حتى إذا التبست نفضت لها يدي

فتركتهم تقص الرماح ظهورهم ... ما بين منعفر وآخر مسند

وهذه عبارة الزمخشري: فجعله من اللبس الذي هو الخلط، وبهذا التفسر الحسن ظهر تعدي «يلبس» إلى المفعول، و «شيعا» نصب على الحال، وهي جمع غير الصدر كقعدت جلوسا.

قال أبو حيان: «ويحتاج في جعله مصدرا إلى نقل من اللغة» .

ويجوز على هذا أيضا أن يكون حالا ك «أتيته ركضا» أي: راكضا، أو ذا ركض.

وقال أبو البقاء: والجمهور على فتح الياء، أي: يلبس عليكم أموركم، فحذف حرف الجر والمفعول، والأجود أن يكون التقدير: أو يلبس أموركم، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه.

فصل في معنى الآية

قال الفسرون: معناه: أن يجعلكم فرقا، ويثبت فيكم الأهواء المختلفة.

وروى عمرو بن دينار عن جابر، قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿قل هو القادر على أن يبعث." (٢)

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٠١/٨

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٠٢/٨

"قال الفراء: ﴿أو هم قآئلون﴾ فيه واو مضمرة، المعنى: أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون فاستثقلوا نسقا على أثر نسق، ولو قيل لكان صوابا.

قلت: قد تقدم أن الشيخ نقل أن الواو ممتنعة في هذا المثال، ولم يحك خلافا، وهذا قول الفراء: «ولو قيل لكان صوابا» مصرح بالخلاف له.

وقال أبو بكر: أضمرت واو الحال لوضوح معناها كما تقول العرب: «لقيت عبد الله مسرعا، أو هو يركض» فيحذفون الواو لأمنهم اللبس، لأن الذكر قد عاد على صاحب الحال، ومن أجل أن «أو» حرف عطف والو كذلك، فاستثقلوا جمعا بين حرفين من حروف العطف، فحذفوا الثاني.

قال شهاب الدين: فهذا تصريح من هذين الإمامين بما ذكره أبوا القاسم، وإنما ذكرت نص هذين الإمامين؛ لأعلم اطلاعه على اقوال الناس، وأنه لا يأتي بغير مصطلح أهل العلم كما يرميه به غير مرة.

و «قائلثون» من القيلأولة. يقال: قال يقيل [قيلولة﴾ فهو قائل ك «بائع» والقيلورة: الراحة والدعة في الحر وسط النهار، وإن لم يكن معها نوم.

وقال الليث: هي نومة نصف النهار.

قال الأزهري: «القيلولة: الراحة، وإن لم يكن فيها نوم بدليل قوله تعالى: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا﴾ [الفرقان: ٢٤] ، والجنة لا نوم فيها» .

قال شهاب الدين: و «ولا دليل فيما ذكر؛ لأن المقيل هنا خرج عن موضعه الأصلي إلى مجرد الإقامة بدليل أنه لا يراد أيضا الاستراحة في نصف النهار في الحر فقد خرج عن موضعه عندنا وعندكم إلى ما ذكرنا، والقيلولة مصدر ومثلها: القائلة والقيل والمقيل» .

فصل في المراد بالآية

معنى الآية أنهم جاءهم بأسنا، وهم غير متوقعين له، إما ليلا وهم نائمون، أو نهارا وهم قائلون، والمراد أنهم جاءهم العذاب على حين غفلة منهم، من غير تقدم أمارة تدلهم على نزول ذلك العذاب مكانه، قيل للكفار: لا تغتروا بأسباب الأمن والراحة، فإن عذاب الله إذا وقع وقع دفعة من غير سبق أمارة.." (١)

"وقال: شاهت الوجوه، فلم يق مشرك إلا ودخل في عينه وفمه ومنخريه منها. فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم.»

وقال قتادة وابن زيد: ذكر لنا «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٧/٩

بحصاة في ميمنة القوم، وبحصاة في ميسرة القوم، وبحصاة بين ظهرهم، وقال: شاهت الوجوه فانهزموا» فذلك قوله: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ [الأنفال: ١٧] . إذ ليس في وسع أحد من البشر أن يرمي كفاص من الحصى إلى وجوه جيش، فلا تبقى فيهم عين إلا ويصيبها منه شيء. وقيل: المعنى: وما بلغت إذ رميت ولكن الله بلغ، وقيل: وما رميت بالرعب في قلوبهم إذ رميت بالحصاء ولكن الله رمى الرعب في قلوبهم حتى انهزموا.

القول الثاني: أنها نزلت يوم خيبر. «روي أنه عليه الصلاة والسلام أخذ قوسا وهو على باب خيبر، فرمى سهما، فأقبل السهم حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو على فراشه» ، فنزلت الآية.

القول ،لثالث: أنها نزلت في يوم أحد، «وذلك أن أمية بن خلف أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقتة، وقال: يا محمد، من يحيي هذا وهو رميم؟ فقال عليه الصلاة والسلام :» يحييه الله يميتك ثم يحييك ثم يدخلك النار «فأسر يوم بدر، فلما افتدي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن عندي فرسا أعلفها كل يوم فرقا من ذرة كي أقتلك عليها.

فقال عليه السلام:» بل أنا أقتلك إن شاء الله «فلما كان يوم أحد أقبل أبي يركض على ذلك الفرس حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترض له رجال من المسلمين ليقتلوه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :» استأخروا «ورماه بحربة فكسر ضلعا من أضلاعه» ، فحمل فمات ببعض الطري ففي ذلك اليوم نزلت الآية.

والصحيح أنها نزلت في يوم بدر وإلا لدخل في أثناء القصة كلام أجنبي عنها، وذلك لا يليق بل لا يبعد أن يدخل تحته سائر الوقائع؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.." (١)

"اسمه مصعب بن الريان، وقال ابن إسحاق: اسمه الوليد بن مصعب، وروي أنه كان من أهل إصطخر «١» ورد مصر، فاتفق له فيها الملك، وكان أصل كون بني إسرائيل بمصر نزول إسرائيل بها زمن ابنه يوسف عليهما السلام.

ويسومونكم: معناه: يأخذونكم به، ويلزمونكم إياه، والجملة في موضع نصب على الحال، أي: سائمين/ لكم سوء العذاب، وسوء العذاب أشده وأصعبه، وكان فرعون ١٩ ب على ما روي قد رأى في منامه نارا خرجت من بيت المقدس، فأحرقت بيوت مصر، فأولت له رؤياه أن مولودا من بني إسرائيل ينشأ، فيخرب ملك فرعون على يديه، وقال ابن إسحاق، وابن عباس، وغيرهما: إن الكهنة والمنجمين قالوا لفرعون: قد

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٨١/٩

أظلك زمان مولود من بني إسرائيل يخرب ملكك «٢» .

ويذبحون بدل من: «يسومون» ، وفي ذلكم: إشارة إلى جملة الأمر، وبلاء معناه: امتحان واختبار، ويكون البلاء في الخير والشر.

وحكى الطبري وغيره في كيفية نجاتهم أن موسى- عليه السلام- أوحي إليه أن يسري من مصر ببني إسرائيل، فأمرهم موسى أن يستعيروا الحلي والمتاع من القبط «٣» ، وأحل الله ذلك لبني إسرائيل، ويروى أنهم فعلوا ذلك دون رأي موسى- عليه السلام- وهو الأشبه به، فسرى بهم موسى من أول الليل، فأعلم بهم فرعون، فقال: لا يتبعهم أحد حتى تصيح الديكة، فلم يصح تلك الليلة بمصر ديك حتى أصبح، وأمات الله تلك الليلة كثيرا من أبناء القبط، فاشتغلوا بالدفن، وخرجوا في الأتباع مشرقين، وذهب موسى عليه السلام إلى ناحية البحر حتى بلغه، وكانت عدة بني إسرائيل نيفا على ستمائة ألف، وكانت عدة فرعون ألف ألف ومائتي ألف، وحكي غير هذا مما اختصرته لقلة ثبوته، فلما لحق فرعون موسى، ظن بنو إسرائيل أنهم غير ناجين، فقال يوشع بن نون لموسى: أين أمرت؟ فقال:

هكذا، وأشار إلى البحر، فركض يوشع فرسه حتى بلغ الغمر «٤» ، ثم رجع، فقال لموسى: أين أمرت؟ فو الله: ما كذبت، ولا كذبت، فأشار إلى البحر، وأوحى الله تعالى

---

(١) إصطخر: بلدة بفارس، يقال: إن كور «فارس» ، الخمسة، أكبرها وأصلها كورة «إصطخر» ، ينظر: «مراصد الاطلاع» (١/ ٨٧) .

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٣١١) برقم (٨٩٣) ، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٣٣) ، وعزاه لابن جرير.

(٣) القبط: جيل بمصر. وقيل: هم أهل مصر. ينظر: «لسان العرب» (٣٥١٤) ، و «النهاية» (٤/ ٦) .

[.....]

(٤) غمر البحر: معظمه، والغمر: الماء الكثير، وقيل: الكثير المغرق. ينظر: «لسان العرب» (٣٢٩٣، ٣٢٩٤) .." (١)

"وقال أبو عبيدة «١» : أسروا: أظهروا، وهو من الأضداد، ثم بين تعالى الأمر الذي تناجوا به، وهو قول بعضهم لبعض على جهة التوبيخ بزعمهم: أفتأتون السحر المعنى:

أفتتبعون السحر وأنتم تبصرون، ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، أن يقول لهم وللناس جميعا:

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١/٢٣٥

قل ربي يعلم القول في السماء والأرض أي: يعلم أقوالكم هذه، وهو بالمرصاد في المجازاة عليها، ثم عدد سبحانه جميع ما قالته طوائفهم ووقع الآضراب بكل مقالة عن المتقدمة لها ليبين اضطراب أمرهم فقال تعالى: بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر والأضغاث: الأخلاط، ثم حكى سبحانه اقتراحهم، آية تضطرهم كناقة صالح وغيرها، وقولهم: كما أرسل الأولون دال على معرفتهم بإتيان الرسل الأمم المتقدمة.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٦ الى ٧]
ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون (٦) وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (٧)
وقوله سبحانه: ما آمنت قبلهم فيه محذوف يدل عليه المعنى تقديره: والآية التي طلبوها عادتنا أن القوم إن كفروا بها عاجلناهم، وما آمنت قبلهم قرية من القرى التي نزلت بها هذه النازلة، أفهذه كانت تؤمن؟.
وقوله: أهلكناها جملة في موضع الصفة ل قرية والجمل: إذا اتبعت النكرات فهي صفات لها، وإذا اتبعت المعارف فهي أحوال منها.
وقوله سبحانه: وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون هذه الآية رد على من استبعد منهم أن يبعث الله بشرا رسولا والذكر هو كل ما يأتي من تذكير الله عباده، فأهل القرآن أهل ذكر، وأما المحال على سؤالهم في هذه الآية فلا يصح أن يكونوا أهل القرآن في ذلك الوقت لأنهم كانوا خصومهم، وإنما أحيلوا على سؤال أحبار أهل الكتاب من حيث كانوا موافقين لكفار قريش على ترك الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٨ الى ١٢]
وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين (٨) ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين (٩) لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون (١٠) وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢)

---

(١) ينظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣٤) .." [1]

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٨١/٤

"وقوله سبحانه: وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام قيل: الجسد من الأحياء:
ما لا يتغذى، وقيل: الجسد يعم المتغذي من الأجسام وغير المتغذي ف جعلناهم جسدا على التأويل الأول: منفي، وعلى الثاني: موجب، والنفي واقع على صفته.

وقوله سبحانه: ثم صدقناهم الوعد الآية، هذه آية وعيد.

وقوله: ومن نشاء يعني من المؤمنين، والمسرفين: الكفار، ثم وبخهم تعالى بقوله: لقد أنزلنا إليكم كتابا/ يعني: القرآن، فيه ذكركم، أي: شرفكم، آخر ١٦ ب الدهر، وفي هذا تحريض لهم، ثم أكد التحريض بقوله: أفلا تعقلون وكم للتكثير، وقصمنا معناه: أهلكنا، وأصل القصم: الكسر في الأجرام، فإذا استعير للقوم والقرية ونحو ذلك فهو ما يشبه الكسر وهو إهلاكهم، وأنشأنا، أي: خلقنا وبثثنا أمة أخرى غير المهلكة.

وقوله: فلما أحسوا وصف عن حال قرية من القرى المجملة أولا قيل: كانت باليمن تسمى «حضور» ، بعث الله تعالى إلى أهلها رسولا فقتلوه، فأرسل الله تعالى عليهم بختنصر صاحب بني إسرائيل فهزموا جيشه مرتين، فنهض في الثالثة بنفسه، فلما هزمهم، وأخذ القتل فيهم ركضوا هاربين، ويحتمل أن لا يريد بالآية قرية بعينها، وأن هذا وصف حال كل قرية من القرى المعذبة إذا أحسوا العذاب من أي نوع كان «١» ، أخذوا في الفرار وأحسوا باشروه بالحواس.

ص: إذا هم منها يركضون «إذا» الفجائية، وهي وما بعدها جواب لما.

انتهى.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ١٣ الى ١٦]

لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون (١٣) قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (١٤) فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (١٥) وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (١٦)

وقوله: لا تركضوا يحتمل على الرواية المتقدمة أن يكون من قول رجال بختنصر على جهة الخداع والاستهزاء بهم، فلما انصرفوا راجعين أمر بختنصر أن ينادي فيهم: يا ثارات النبي المقتول «٢» ، فقتلوا بالسيف عن آخرهم.

---

(١) في ج: أكانوا.

(٢) في ج: المفتول.." [1]

"قال ع «١» : وهذا كله مروي، ويحتمل أن يكون: لا تركضوا إلى آخر الآية.

من كلام ملائكة العذاب على جهة الهزء بهم.

وقوله: حصيدا أي: بالعذاب كحصيد الزرع بالمنجل، وخامدين أي: موتى مشبهين بالنار إذا طفئت، ثم وعظ سبحانه السامعين بقوله: وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ١٧ الى ٢٠]

لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين (١٧) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (١٨) وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (١٩) يسبحون الليل والنهار لا يفترون (٢٠)

وقوله سبحانه: لو أردنا أن نتخذ لهوا الآية: ظاهر الآية: الرد على من قال من الكفار في أمر مريم- عليها السلام-، وما ضارعه من الكفر تعالى الله عن قول المبطلين و «إن» في قوله: إن كنا فاعلين يحتمل أن تكون شرطية، ويحتمل أن تكون نافية بمعنى:

ما كنا فاعلين، وكل هذا قد قيل، و «الحق» عام في القرآن والرسالة والشرع، وكل ما هو حق، فيدمغه معناه: يصيب دماغه، وذلك مهلك في البشر فكذلك الحق يهلك الباطل، والويل: الخزي.

وقيل: هو اسم واد في جهنم، وأنه المراد في هذه الآية، وهذه مخاطبة للكفار الذين وصفوا الله عز وجل بما لا يجوز عليه تعالى الله عن قولهم.

وقوله: ومن عنده ... الآية: عند هنا ليست في المسافات، وإنما هي تشريف في المنزلة. ولا يستحسرون أي: لا يكلون، والحسير من الإبل: المعيي.

وقوله: لا يفترون وفي «الترمذي» عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله» «٢» الحديث. قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح، وفي الباب عن عائشة، وابن عباس، وأنس، انتهى من أصل الترمذي، أعني:

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٨٢/٤

«جامعه» .

ــــــــــــــــــــــــ

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٧٦) .

(٢) تقدم تخريج حديث الأطيط. [.....]." [1]

"[سورة ص (٣٨) : الآيات ٣٦ الى ٤٨]

فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب (٣٦) والشياطين كل بناء وغواص (٣٧) وآخرين مقرنين في الأصفاد (٣٨) هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب (٣٩) وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب (٤٠) واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١) اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢) ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (٤٣) وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب (٤٤) واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار (٤٥)

إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار (٤٦) وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار (٤٧) واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار (٤٨)

وقوله تعالى: فسخرنا له الريح ... الآية، كان لسليمان كرسي فيه جنوده، وتأتي/ عليه الريح الإعصار، فتنقله من الأرض حتى يحصل في الهواء، ثم تتولاه الرخاء وهي اللينة القوية لا تأتي فيها دفع مفرطة فتحمله غدوها شهر ورواحها شهر، وحيث أصاب: معناه: حيث أراد قاله وهب وغيره «١» ، قال ع «٢» : ويشبه أن (أصاب) معدى «صاب يصوب» ، أي: حيث وجه جنوده، وقال الزجاج «٣» : معناه: قصد، قلت: وعليه اقتصر أبو حيان فإنه قال: أصاب: أي قصد وأنشد الثعلبي: [المتقارب]

أصاب الكلام فلم يستطع ... فأخطا الجواب لدى المفصل «٤»

انتهى.

وقوله: كل بناء بدل من الشياطين ومقرنين معناه: موثقين قد قرن بعضهم ببعض، والأصفاد القيود والأغلال، قال الحسن: والإشارة بقوله: هذا عطاؤنا ... الآية، إلى جميع ما أعطاه الله سبحانه من الملك «٥» وأمره بأن يمن على من يشاء ويمسك عمن يشاء، فكأنه وقفه على قدر النعمة، ثم أباح له التصرف فيه بمشيئته وهذا أصح الأقوال وأجمعها لتفسير الآية، وتقدمت قصة أيوب في سورة الأنبياء.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٨٣/٤

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٨٤) برقم: (٢٩٩١٧) عن ابن عباس، وبرقم: (٢٩٩١٩) عن مجاهد، وبرقم: (٢٩٩٢٠) عن الحسن، و (٢٩٩٢٣) عن وهب بن منبه، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٦٥) ، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٠٦) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٧) ، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة، ولابن المنذر عن الضحاك.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٠٦) .

(٣) ينظر: «معاني القرآن» (٤/ ٣٣٣) .

(٤) ينظر: البيت في «البحر المحيط» (٧/ ٣٨٢) ، و «الدر المصون» (٥/ ٥٣٦) والقرطبي (١٥/ ١٣٤) .

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٨٥) برقم: (٢٩٩٢٩) عن الحسن، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٠٦) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٨) ، وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة.." [١]

"وقوله: أني مسني الشيطان بنصب ... الآية، النصب: المشقة، فيحتمل أن يشير إلى مسه حين سلطه الله على إهلاك ماله وولده وجسمه حسبما روي في ذلك، وقيل: أشار إلى مسه إياه في تعرضه لأهله وطلبه منها أن تشرك بالله فكأن أيوب تشكى هذا الفصل، وكان عليه أشد من مرضه، وهنا في الآية محذوف تقديره: فاستجاب له وقال: اركض برجلك فروي أن أيوب ركض الأرض فنبعت له عين ماء صافية باردة فشرب منها، فذهب كل مرض في داخل جسده، ثم اغتسل فذهب ما كان في ظاهر بدنه، وروي أن الله تعالى وهب له أهله وماله في الدنيا، ورد من مات منهم، وما هلك من ماشيته وحاله، ثم بارك له في جميع ذلك، وروي أن هذا كله وعد به في الآخرة، والأول أكثر في قول المفسرين.

ت: وعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما قال عبد قط، إذا أصابه هم أو حزن: اللهم، إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله غمه وأبدله مكان حزنه فرحا، قالوا: يا رسول الله: ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات؟

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٦٩/٥

قال: أجل، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن» «١» . قال صاحب «السلاح» : رواه الحاكم في «المستدرك» ، وابن حبان في «صحيحه» . ت: ورويناه من طريق النووي عن ابن السني بسنده عن أبي موسى الأشعري، عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: «أنا عبدك ابن عبدك ابن أمتك في قبضتك» ، وفيه: «فقال رجل من القوم: إن المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات، فقال:
أجل، فقولوهن/ وعلموهن من قالهن، التماس ما فيهن أذهب الله تعالى حزنه وأطال فرحه» «٢» انتهى.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٥٢) ، وابن حبان في «صحيحه» (٣/ ٢٥٣) كتاب «الرقائق» باب: الأدعية ذكر الأمر لمن أصابه هم أو حزن أن يسأل الله ذهابه عنه وإبداله إياه فرحا (٩٧٢) ، وابن حبان (٧/ ٤٠٤، ٤٠٥) - الموارد باب: ما يقول إذا أصابه هم أو حزن (٢٣٧٢) ، وأبو يعلى (٩/ ١٩٨- ١٩٩) (٣٣١/ ٥٢٩٧) ، والحاكم (١/ ٥٠٩) كتاب «الدعاء» والشجري في «أماليه» (١/ ٢٩٩) ، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٩) ، (١٠/ ١٨٩- ١٩٠) .
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه. ا. هـ.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٩) رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان.
(٢) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٣٤) . [.....]." (١)

"الكعبة، وقال مجاهد، وقتادة، وابن زيد: في كل سماء بيت معمور، وفي كل أرض كذلك، وهي كلها على خط من الكعبة، وقاله علي بن أبي طالب «١» ، قال السهيلي:
والبيت المعمور اسمه «عريبا» ، قال وهب بن منبه: من قال: سبحان الله وبحمده، كان له نور يملأ ما بين عريبا وحريبا، وهي الأرض السابعة، انتهى.
والسقف المرفوع: هو السماء، واختلف الناس في البحر المسجور فقال مجاهد وغيره «٢» : الموقد نارا، وروي أن البحر هو جهنم، وقال قتادة «٣» : المسجور:
المملوء، وهذا معروف من اللغة، ورجحه/ الطبري «٤» ، وقال ابن عباس «٥» : هو الذي ذهب ماؤه، فالمسجور الفارغ، وروي أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة، وهذا معروف في اللغة، فهو من الأضداد،

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥/ ٧٠

وقيل: يوقد البحر نارا يوم القيامة، فذلك سجره، وقال ابن عباس أيضا «٦» : المسجور: المحبوس ومنه ساجور الكلب، وهي القلادة من عود أو حديد تمسكه، وكذلك لولا أن البحر يمسك لفاض على الأرض، والجمهور على أنه بحر الدنيا، وقال منذر بن سعيد «٧» : المقسم به جهنم، وسماها بحرا لسعتها وتموجها كما قال صلى الله عليه وسلم في الفرس: «وإن وجدناه لبحرا» «٨» ، والقسم واقع على قوله: إن عذاب ربك

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ١٨٦) عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٨٢) برقم: (٣٢٣١١) ، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٦) ، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٤٠) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٤٦) ، وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٨٣) برقم: (٣٢٣١٣) ، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٦) ، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٤٠) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٤٦) ، وعزاه لابن جرير.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٤٨٣) .

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤٨٣) برقم: (٣٢٣١٤) ، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٦) ، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٤٠) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٤٦) ، وعزاه للشيرازي في «الألقاب» من طريق الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن ذي الرمة.

(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٤٨٣) برقم: (٣٢٣١٥) ، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٦) ، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٤٠) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٤٥) ، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٧) ذكره ابن عطية (٥/ ١٨٧) . [.....]

(٨) أخرجه البخاري (٥/ ٢٨٤- ٢٨٥) كتاب «الهبة» باب: من استعار من الناس الفرس، حديث (٢٦٢٧) ، (٦/ ٤٢) كتاب «الجهاد والسير» باب: الشجاعة في الحرب والجبن، حديث (٢٨٢) (٦/ ٦٩) كتاب «الجهاد والسير» باب: اسم الفرس والحمار، حديث (٢٨٥٧) ، (٦/ ٧٨) ، باب: الركوب على الدابة الصعبة والفحولة من الخيل، حديث (٢٨٦٢) ، (٦/ ٨٣) باب: الفرس القطوف، حديث (٢٨٦٧) ، (٦/ ١٤٣) كتاب «الجهاد والسير» باب: مبادرة الإمام عند الفزع، حديث (٢٩٦٨) ، باب: السرعة والركض في الفزع، حديث (٢٩٦٩) ، (١٠/ ٦٠٩- ٦١٠) ، كتاب «الأدب» باب: المعاريض مندوحة على الكذب، حديث (٦٢١٢) ، ومسلم (٤/ ١٨٠٢) ، كتاب «الفضائل» باب: في شجاعة

النبي صلى الله عليه وسلم وتقدمه للحرب، حديث (٤٩/ ٢٣٠٧) ، وأبو داود (٢/ ٧١٥) ، كتاب «الأدب» باب: ما روي في." [١]

"تفسير سورة «العاديات»

وهي مكية في قول جماعة، وقيل: مدنية

[سورة العاديات (١٠٠) : الآيات ١ الى ٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا (١) فالموريات قدحا (٢) فالمغيرات صبحا (٣) فأثرن به نقعا (٤)

فوسطن به جمعا (٥) إن الإنسان لربه لكنود (٦)

قال ابن عباس وغيره: المراد ب العاديات: الخيل لأنها تعدو بالفرسان، وتضبح بأصواتها «١» ، وعن ابن مسعود وعلي أن العاديات هنا: الإبل لأنها تضبح في عدوها «٢» ، قال علي- رضي الله عنه-: والقسم بالإبل العاديات من عرفة ومن المزدلفة، إذا دفع الحاج، وبإبل غزوة بدر «٣» ، والضبح تصويت جهير عند العدو، قال الداودي: وهو الصوت الذي يسمع من أجوافها وقت الركض، انتهى.

وقوله تعالى: فالموريات قدحا قال علي وابن مسعود هي: الإبل وذلك بأنها [في] عدوها ترجم الحصباء بالحصباء فتتطاير منها النار، فذلك القدح، وقال ابن عباس:

هي الخيل وذلك بحوافرها في الحجارة، وقال ابن عباس أيضا وجماعة: الكلام/ عام يدخل في القسم كل من يظهر بقدحه نارا. - ص-: قدحا أبو البقاء: مصدر مؤكد

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٦٤) ، (٣٧٧٦٣) ، وذكره البغوي (٤/ ٥١٧) ، وابن عطية (٥/ ٥١٣) ، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٤٢) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٥٠) ، وعزاه للبزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والدارقطني في الأفراد، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٦٧) ، (٣٧٧٨٥) ، وذكره البغوي (٤/ ٥١٧) ، وابن عطية (٥/ ٥١٣) ، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٤١) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٥٢) ، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥/ ٣١٠

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٦٦) ، (٣٧٧٨١) ، وذكره البغوي (٤/ ٥١٧) ، وابن عطية (٥/ ٥١٣) ، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٤١) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٥٢) ، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في «المصاحف» ، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس بنحوه.." [١]

"أعوذ بالله معاذا (إنه)، أي: الشأن، (ربي): سيدي الذي اشتراني، (أحسن مثواي): أكرمني فلا أخونه وقيل إن الله ربى أحسن منزلتي فلا أعصيه (١)، (إنه لا يفلح الظالمون): المجازون الحسن بالسيئ أو لا يسعد الزناة، (ولقد همت به): قصدت مخالطته، (وهم بها): قصد مخالطتها لميل الطبع والشهوة الغير الاختياري (٢)، (لولا أن رأى برهان ربه) جوابه محذوف أي لخالطها وما ذكره أكثر السلف هو أن رأى صورة أبيه عاضا على أصبعه يعظه، (كذلك): مثل

---

(١) هذا هو الراجح عند المحققين. والله أعلم.

(٢) قال الإمام فخر الدين الرازي ما نصه:

اعلم أن هذه الآية من المهمات التي يجب الاعتناء بالبحث عنها وفي هذه الآية مسائل:

المسألة الأولى: في أنه عليه السلام هل صدر عنه ذنب أم لا؟ وفي هذه المسألة قولان: الأول: أن يوسف عليه السلام هم بالفاحشة. قال الواحدي في كتاب «البسيط» قال المفسرون: الموثوق بعلمهم المرجوع إلى روايتهم هم يوسف أيضا بهذه المرأة هما صحيحا وجلس منها مجلس الرجل من المرأة، فلما رأى البرهان من ربه زالت كل شهوة عنه.

قال جعفر الصادق رضي الله عنه بإسناده عن علي عليه السلام أنه قال: طمعت فيه وطمع فيها فكان طمعه فيها أنه هم أن يحل التكة،

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن وعنه أيضا أنها استلقت له وجلس بين رجليها ينزع ثيابه، ثم إن الواحدي طول في كلمات عديمة الفائدة في هذا الباب، وما ذكر آية يحتج بها ولا حديثا صحيحا يعول عليه في تصحيح هذه المقالة، وما أمعن النظر في تلك الكلمات العارية عن الفائدة

روي أن يوسف عليه السلام لما قال: ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب [يوسف: ٥٢] قال له جبريل عليه السلام ولا حين هممت يا يوسف فقال يوسف عند ذلك: وما أبرئ نفسي [يوسف: ٥٣]

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥/٦١٨

ثم قال والذين أثبتوا هذا العمل ليوسف كانوا أعرف بحقوق الأنبياء عليهم السلام وارتفاع منازلهم عند الله تعالى من الذين نفوا الهم عنه، فهذا خلاصة كلامه في هذا الباب.

والقول الثاني: أن يوسف عليه السلام كان بريئا عن العمل الباطل، والهم المحرم، وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين، وبه نقول وعنه نذب.

واعلم أن الدلائل الدالة على وجوب عصمة الأنبياء عليهم السلام كثيرة، ولقد استقصيناها في سورة البقرة في قصة آدم عليه السلام فلا نعيدها إلا أنا نزيد هاهنا وجوها:

فالحجة الأولى: أن الزنا من منكرات الكبائر والخيانة في معرض الأمانة أيضا من منكرات الذنوب، وأيضا مقابلة الإحسان العظيم بالإساءة الموجبة للفضيحة التامة والعار الشديد أيضا من منكرات الذنوب، وأيضا الصبي إذا تربى في حجر إنسان وبقي مكفي المؤنة مصون الغرض من أول صباه إلى زمان شبابه وكمال قوته فإقدام هذا الصبي على إيصال أقبح أنواع الإساءة إلى ذلك المنعم المعظم من منكرات الأعمال.

إذا ثبت هذا فنقول: إن هذه المعصية التي نسبوها إلى يوسف عليه السلام كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الأربع ومثل هذه المعصية لو نسبت إلى أفسق خلق الله تعالى وأبعدهم عن كل خير لاستنكف منه، فكيف يجوز إسنادها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام! المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة. ثم إنه تعالى قال في غير هذه الواقعة: كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء [يوسف: ٢٤] وذلك يدل على أن ماهية السوء والفحشاء مصروفة عنه، ولا شك أن المعصية التي نسبوها إليه أعظم أنواع/ وأفحش أقسام الفحشاء فكيف يليق برب العالمين أن يشهد في عين هذه الواقعة بكونه بريئا من السوء مع أنه كان قد أتى بأعظم أنواع السوء والفحشاء. وأيضا فالآية تدل على قولنا من وجه آخر، وذلك لأنا نقول هب أن هذه الآية لا تدل على نفي هذه المعصية عنه، إلا أنه لا شك أنها تفيد المدح العظيم والثناء البالغ، فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يحكي عن إنسان إقدامه على معصية عظيمة ثم إنه يمدحه ويثني عليه بأعظم المدائح والأثنية عقيب أن حكى عنه ذلك الذنب العظيم، فإن مثاله ما إذا حكى السلطان عن بعض عبيده أقبح الذنوب وأفحش الأعمال ثم إنه يذكره بالمدح العظيم والثناء البالغ عقيبه، فإن ذلك يستنكر جدا فكذا هاهنا والله أعلم. الثالث: أن الأنبياء عليهم السلام متى صدرت منهم زلة، أو هفوة استعظموا ذلك وأتبعوها بإظهار الندامة والتوبة والتواضع، ولو كان يوسف عليه السلام أقدم هاهنا على هذه الكبيرة المنكرة لكان من المحال أن لا يتبعها بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة لحكى الله تعالى عنه إتيانه بها كما في سائر المواضع وحيث لم يوجد شيء من ذلك علمنا أنه ما صدر عنه في هذه الواقعة ذنب ولا معصية. الرابع: أن كل من كان له

تعلق بتلك الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام من المعصية.
واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف عليه السلام، وتلك المرأة وزوجها، والنسوة والشهود ورب العالمين شهد ببراءته عن الذنب، وإبليس أقر ببراءته أيضا عن المعصية، وإذا كان الأمر كذلك، فحينئذ لم يبق للمسلم توقف في هذا الباب. أما بيان أن يوسف عليه السلام ادعى البراءة عن الذنب فهو قوله عليه السلام:
هي راودتني عن نفسي [يوسف: ٢٦] وقوله عليه السلام: رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه [يوسف: ٣٣] وأما بيان أن المرأة اعترفت بذلك فلأنها قالت للنسوة: ولقد راودته عن نفسه فاستعصم [يوسف: ٣٢] وأيضا قالت: الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين [يوسف: ٥١] وأما بيان أن زوج المرأة أقر بذلك، فهو قوله: إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك [يوسف: ٢٨، ٢٩] وأما الشهود فقوله تعالى: وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين [يوسف: ٢٦] وأما شهادة الله تعالى بذلك فقوله: كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين [يوسف: ٢٤] فقد شهد الله تعالى في هذه الآية على طهارته أربع مرات: أولها: قوله: لنصرف عنه السوء واللام للتأكيد والمبالغة. والثاني: قوله: والفحشاء أي كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء. والثالث: قوله: إنه من عبادنا مع أنه تعالى قال: وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما [الفرقان: ٦٣] والرابع: قوله: المخلصين وفيه قراءتان: تارة باسم الفاعل وأخرى باسم/ المفعول فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتيا بالطاعات والقربات مع صفة الإخلاص. ووروده باسم المفعول يدل على أن الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته، وعلى كلا الوجهين فإنه من أدل الألفاظ على كونه منزها عما أضافوه إليه، وأما بيان أن إبليس أقر بطهارته، فلأنه قال: فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين [ص: ٨٢، ٨٣] فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين ويوسف من المخلصين لقوله تعالى: إنه من عبادنا المخلصين فكان هذا إقرارا من إبليس بأنه ما أغواه وما أضله عن طريقة الهدى، وعند هذا نقول هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته ولعلهم يقولون كنا في أول الأمر تلامذة إبليس إلى أن تخرجنا عليه فزدنا عليه في السفاهة كما قال الخوارزمي:
وكنت امرأ من جند إبليس فارتقى ... بي الدهر حتى صار إبليس من جندي

فلو مات قبلي كنت أحسن بعده ... طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

فثبت بهذه الدلائل أن يوسف عليه السلام بريء عما يقوله هؤلاء الجهال.

وإذا عرفت هذا فنقول: الكلام على ظاهر هذه الآية يقع في مقامين:

المقام الأول: أن نقول لا نسلم أن يوسف عليه السلام هم بها. والدليل عليه: أنه تعالى قال: وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وجواب لولا هاهنا مقدم، وهو كما يقال: قد كنت من الهالكين لولا أن فلانا خلصك، وطعن الزجاج في هذا الجواب من وجهين: الأول: أن تقديم جواب لولا شاذ وغير موجود في الكلام الفصيح. الثاني: أن لولا يجاب جوابها باللام، فلو كان الأمر على ما ذكرتم لقال: ولقد همت ولهم بها لولا. وذكر غير الزجاج سؤالا ثالثا وهو أنه لو لم يوجد الهم لما كان لقوله: لولا أن رأى برهان ربه فائدة.

واعلم أن ما ذكره الزجاج بعيد، لأنا نسلم أن تأخير جواب لولا حسن جائز، إلا أن جوازه لا يمنع من جواز تقديم هذا الجواب، وكيف ونقل عن سيبويه أنه قال: إنهم يقدمون الأهم فالأهم، والذي هم بشأنه أعنى فكان الأمر في جواز التقديم والتأخير مربوطا بشدة الاهتمام. وأما تعيين بعض الألفاظ بالمنع فذلك مما لا يليق بالحكمة، وأيضا ذكر جواب لولا باللام جائز. أما هذا لا يدل على أن ذكره بغير اللام لا يجوز، ثم إنا نذكر آية أخرى تدل على فساد قول الزجاج في هذين السؤالين، وهو قوله تعالى: إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها [القصص: ١٠].

وأما السؤال الثالث: وهو أنه لو لم يوجد الهم لم يبق لقوله: لولا أن رأى برهان ربه فائدة. / فنقول:

بل فيه أعظم الفوائد، وهو بيان أن ترك الهم بها ما كان لعدم رغبته في النساء، وعدم قدرته عليهن بل لأجل أن دلائل دين الله منعته عن ذلك العمل، ثم نقول: إن الذي يدل على أن جواب لولا ما ذكرناه أن لولا تستدعي جوابا، وهذا المذكور يصلح جوابا له، فوجب الحكم بكونه جوابا له لا يقال إنا نضمر له جوابا، وترك الجواب كثير في القرآن، لأنا نقول: لا نزاع أنه كثير في القرآن، إلا أن الأصل أن لا يكون محذوفا. وأيضا فالجواب إنما يحسن تركه وحذفه إذا حصل في اللفظ ما يدل على تعينه، وهاهنا بتقدير أن يكون الجواب محذوفا فليس في اللفظ ما يدل على تعين ذلك الجواب، فإن هاهنا أنواعا من الإضمارات يحسن إضمار كل واحد منها، وليس إضمار بعضها أولى من إضمار الباقي فظهر الفرق. والله أعلم.

المقام الثاني: في الكلام على هذه الآية أن نقول: سلمنا أن الهم قد حصل إلا أنا نقول: إن قوله: وهم بها لا يمكن حمله على ظاهره لأن تعليق الهم بذات المرأة محال لأن الهم من جنس القصد والقصد لا يتعلق بالذوات الباقية، فثبت أنه لا بد من إضمار فعل مخصوص يجعل متعلق ذلك الهم وذلك الفعل غير مذكور

فهم زعموا أن ذلك المضمر هو إيقاع الفاحشة بها ونحن نضمر شيئا آخر يغاير ما ذكروه وبيانه من وجوه:
الأول:
المراد أنه عليه السلام هم بدفعها عن نفسه ومنعها عن ذلك القبيح لأن الهم هو القصد، فوجب أن يحمل في حق كل أحد على القصد الذي يليق به، فاللائق بالمرأة القصد إلى تحصيل اللذة والتنعم والتمتع واللائق بالرسول المبعوث إلى الخلق القصد إلى زجر العاصي عن معصيته وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقال:
هممت بفلان أي بضربه ودفعه.
فإن قالوا: فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله: لولا أن رأى برهان ربه فائدة.
قلنا: بل فيه أعظم الفوائد وبيانه من وجهين: الأول: أنه تعالى أعلم يوسف عليه السلام أنه لو هم بدفعها لقتلته أو لكانت تأمر الحاضرين بقتله، فأعلمه الله تعالى أن الامتناع من ضربها أولى صونا للنفس عن الهلاك، والثاني: أنه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه فربما تعلقت به، فكان يتمزق ثوبه من قدام، وكان في علم الله تعالى أن الشاهد يشهد بأن ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن، ولو كان ثوبه ممزقا من خلف لكانت المرأة هي الخائنة، فالله تعالى أعلمه بهذا المعنى، فلا جرم لم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا عنها، حتى صارت شهادة الشاهد حجة له على براءته عن المعصية.
الوجه الثاني: في الجواب أن يفسر الهم بالشهوة، وهذا مستعمل في الللغة الشائعة. يقول القائل: فيما لا يشتهيه ما يهمني هذا، وفيما يشتهيه هذا أهم الأشياء إلي، فسمى الله تعالى شهوة يوسف/ عليه السلام هما، فمعنى الآية: ولقد اشتهته واشتهاها لولا أن رأى برهان ربه لدخل ذلك العمل في الوجود. الثالث: أن يفسر الهم بحديث النفس، وذلك لأن المرأة الفائقة في الحسن والجمال إذا تزينت وتهيأت للرجل الشاب القوي فلا بد وأن يقع هناك بين الحكمة والشهوة الطبيعية وبين النفس والعقل مجاذبات ومنازعات، فتارة تقوى داعية الطبيعة والشهوة وتارة تقوى داعية العقل والحكمة. فالهم عبارة عن جواذب الطبيعة، ورؤية البرهان عبارة عن جواذب العبودية، ومثال ذلك أن الرجل الصالح الصائم في الصيف الصائف، إذا رأى الجلاب المبرد بالثلج فإن طبيعته تحمله على شربه، إلا أن دينه وهداه يمنعه منه، فهذا لا يدل على حصول الذنب، بل كلما كانت هذه
الحالة أشد كانت القوة في القيام بلوازم العبودية أكمل، فقد ظهر بحمد الله تعالى صحة هذا القول الذي ذهبنا إليه ولم يبق في يد الواحدي إلا مجرد التصلف وتعديد أسماء المفسرين، ولو كان قد ذكر في تقرير

ذلك القول شبهة لأجبنا عنها إلا أنه ما زاد على الرواية عن بعض المفسرين.
واعلم أن بعض الحشوية
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما كذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات»
فقلت الأولى أن لا نقبل مثل هذه الأخبار فقال على طريق الاستنكار فإن لم نقبله لزمنا تكذيب الرواة فقلت له:
يا مسكين إن قبلناه لزمنا الحكم بتكذيب إبراهيم عليه السلام وإن رددناه لزمنا الحكم بتكذيب الرواة ولا شك أن صون إبراهيم عليه السلام عن الكذب أولى من صون طائفة من المجاهيل عن الكذب.
إذا عرفت هذا الأصل فنقول للواحدي: ومن الذي يضمن لنا أن الذين نقلوا هذا القول عن هؤلاء المفسرين كانوا صادقين أم كاذبين، والله أعلم.
المسألة الثانية: في أن المراد بـذلك البرهان ما هو أما المحققون المثبتون للعصمة فقد فسروا رؤية البرهان بوجوه: الأول: أنه حجة الله تعالى في تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب والثاني: أن الله تعالى طهر نفوس الأنبياء عليهم السلام عن الأخلاق الذميمة. بل نقول: إنه تعالى طهر نفوس المتصلين به عنها كما قال:
إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا [الأحزاب: ٣٣] فالمراد برؤية البرهان هو حصول تلك الأخلاق وتذكير الأحوال الرادعة لهم عن الإقدام على المنكرات. والثالث: أنه رأى مكتوبا في سقف البيت ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا [الإسراء: ٣٢] والرابع: أنه النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش، والدليل عليه أن الأنبياء عليهم السلام بعثوا لمنع الخلق عن القبائح والفضائح فلو أنهم منعوا الناس عنها، ثم أقدموا على أقبح أنواعها وأفحش أقسامها لدخلوا تحت قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون [الصف: ٢، ٣] / وأيضا أن الله تعالى عير اليهود بقوله: أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم [البقرة: ٤٤] وما يكون عيبا في حق اليهود كيف ينسب إلى الرسول المؤيد بالمعجزات.
وأما الذين نسبوا المعصية إلى يوسف عليه السلام فقد ذكروا في تفسير ذلك البرهان أمورا: الأول: قالوا إن المرأة قامت إلى صنم مكلل بالدر والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب فقال يوسف: لم فعلت ذلك؟
قالت: أستحي من إلهي هذا أن يراني على معصية، فقال يوسف: أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع ولا أستحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت فو الله لا أفعل ذلك أبدا قالوا: فهذا هو البرهان. الثاني:

نقلوا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه تمثل له يعقوب فرآه عاضا على أصابعه ويقول له: أتعمل عمل الفجار وأنت مكتوب في زمرة الأنبياء فاستحى منه. قال وهو قول عكرمة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ومقاتل وابن سيرين قال سعيد بن جبير: تمثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته من أنامله. والثالث:

قالوا إنه سمع في الهواء قائلا يقول يا ابن يعقوب لا تكن كالطير يكون له ريش فإذا زنا ذهب ريشه. والرابع: نقلوا عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يوسف عليه السلام لم ينزجر برؤية صورة يعقوب حتى ركضه جبريل عليه السلام فلم يبق فيه شيء من الشهوة إلا خرج، ولما نقل الواحدي هذه الروايات تصلف وقال: هذا الذي ذكرناه قول أئمة التفسير الذين أخذوا التأويل عمن شاهد التنزيل فيقال له: إنك لا تأتينا البتة إلا بهذه التصلفات التي لا فائدة فيها فأين هذا من الحجة والدليل، وأيضا فإن ترادف الدلائل على الشيء الواحد جائز، وأنه عليه الصلاة والسلام كان ممتنعا عن الزنا بحسب الدلائل الأصلية، فلما انضاف إليها هذه الزواجر قوي الانزجار وكمل الاحتراز والعجب أنهم نقلوا أن جروا دخل حجرة النبي صلى الله عليه وسلم وبقي هناك بغير عمله قالوا: فامتنع جبريل عليه السلام من الدخول عليه أربعين يوما، وهاهنا زعموا أن يوسف عليه السلام حال اشتغاله بالفاحشة ذهب إليه جبريل عليه السلام، والعجب أنهم زعموا أنه لم يمتنع عن ذلك العمل بسبب حضور جبريل عليه السلام، ولو أن أفسق الخلق وأكفرهم كان مشتغلا بفاحشة فإذا دخل عليه رجل على زي الصالحين استحيا منه وفر وترك ذلك العمل، وهاهنا أنه رأى يعقوب عليه السلام عض على أنامله فلم يلتفت إليه، ثم إن جبريل عليه السلام على جلالة قدره دخل عليه فلم يمتنع أيضا عن ذلك القبيح بسبب حضوره حتى احتاج جبريل عليه السلام إلى أن يركضه على ظهره فنسأل الله أن يصوننا عن الغي في الدين، والخذلان في طلب اليقين فهذا هو الكلام المخلص في هذه المسألة والله أعلم. اهـ (مفاتيح الغيب. ١٨/ ٤٣٩ - ٤٤٤).." [(١)]

"يا قريش، (كتابا فيه ذكركم): صيتكم وشرفكم أو موعظتكم وذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم، (أفلا تعقلون): فتؤمنون به.

* * *

(وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢) لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون (١٣) قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢/٢١٨

(١٤) فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (١٥) وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (١٦) لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين (١٧) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (١٨) وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (١٩) يسبحون الليل والنهار لا يفترون (٢٠) أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون (٢١) لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون (٢٢) لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (٢٣) أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون (٢٤) وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون (٢٥) وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون (٢٦) لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون (٢٧) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم." (١)

"ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (٢٨) ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين (٢٩)

* * *

(وكم قصمنا): أهلكنا والقصم: الكسر الشديد، (من قرية): من أهلها، (كانت ظالمة وأنشأنا بعدها): مكانها، (قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا): أدركوا، وشاهدوا شدة عذابنا، (إذا هم منها يركضون): يهربون بسرعة، والركض ضرب الدابة بالرجل، (لا تركضوا) أي: قيل لهم لا تركضوا، (وارجعوا إلى ما أترفتم فيه): من التلذذ والتنعم والإتراف: إبطار النعمة، (ومساكنكم لعلكم تسألون) غدا من أعمالهم، أو تسألون شيئا من دنياكم فتعطون من شئتم، وتمنعون من شئتم، فإنهم أهل ثروة ينفقون رئاء الناس، تهكم بهم الملائكة بهذا القول، ووبخهم وقيل: يسألكم خدمكم في أموركم، كيف نأتي ونذر كعادة المنعمين، أو يسألكم الناس في مهامهم ويستشفون بتدابيركم، (قالوا): حين رأوا العذاب، (يا ويلنا إنا كنا ظالمين): ندموا حين لا ينفعهم الندم، (فما زالت تلك): المقالة، أي: الاعتراف بالظلم، (دعواهم): دعوتهم نحو: آخر دعواهم أن الحمد لله، (حتى جعلناهم حصيدا): مثل [زرع] محصود، (خامدين) ميتين من." (٢)

"صلة للعطاء أي إنه عطاء غير متناه، وعن عطاء معناه: امنن على من شئت من الشياطين بالإطلاق وأمسك في وثاقك من شئت منهم، لا تبعة عليك (وإن له عندنا لزلفى): لقربة ورتبة في الآخرة (وحسن

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٨/٣

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٩/٣

مآب) هو الجنة.

* * *

(واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١) اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢) ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (٤٣) وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب (٤٤) واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار (٤٥) إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار (٤٦) وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار (٤٧) واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار (٤٨) هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب (٤٩) جنات عدن مفتحة لهم الأبواب (٥٠) متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب (٥١) وعندهم قاصرات الطرف أتراب (٥٢) هذا ما توعدون ليوم الحساب (٥٣) إن هذا لرزقنا ما له من نفاد (٥٤) هذا وإن للطاغين لشر مآب (٥٥) جهنم يصلونها فبئس المهاد (٥٦) هذا فليذوقوه حميم وغساق (٥٧) وآخر من شكله أزواج (٥٨) هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالو النار (٥٩) قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار (٦٠) قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار (٦١) وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار (٦٢) أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار (٦٣) إن ذلك لحق تخاصم أهل النار (٦٤)

* * *." (١)

"(واذكر عبدنا أيوب) عطف بيان لعبدنا (إذ نادى ربه) بدل من عبدنا (أني) أي: بأني (مسني الشيطان بنصب): بتعب (وعذاب): ألم، ابتلاه الله تعالى بجسده وماله وولده حتى لم يبق فيه مغرز إبرة سليما سوى قلبه، ولم يبق له من الدنيا شيء يستعين به غير أن زوجته تخدم الناس بالأجر، وتطعمه نحوا من ثماني عشرة سنة، ورفضه القريب والبعيد حتى آل به الحال أن ألقي على مزبلة من البلدة هذه المدة، فلما طال واشتد الحال، تضرع إلى ربه تعالى، فقال: " مسني الشيطان " إلخ، فهذه حكاية لكلامه (١)، وأسند إلى الشيطان؛ لأنه سببه (اركض): اضرب (برجلك): الأرض وهذا حكاية لما أجيب به (هذا مغتسل بارد وشراب): أي فضربها فنبعت عين قيل له هذا مغتسل، أي: اغتسل، واشرب منه تزول منك داءك (ووهبنا له أهله ومثلهم

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤٨٠/٣

(١) لم يصح في ذلك شيء.." (١)

"أحواله عليه السلام إثر ما أشير إلى طرف منها بطريق النقل عن الملائكة والفاء فصيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالته الملائكة وخروجه من القوة إلى الفعل حسبما شرحته كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله تعالى ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ كأنه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت وإنما لم يذكر اكتفاء بحكاية الملائكة وإيذانا بعدم الخلف وثقة بما فصل في المواضع الأخر وأما عدم نظم بقية احواله عليه الصلاة السلام في سلك النقل فإما للاعتناء بأمرها أو لعدم مناسبتها لمقام البشارة لما فيها من ذكر مقاساته عليه الصلاة والسلام للشدائد ومعاناته للمكايد والمراد بالإحساس الإدراك القوي الجاري مجرى المشاهدة وبالكفر إصرارهم عليه وعتوهم ومكابرتهم فيه مع العزيمة على قتله عليه الصلاة والسلام كما ينبئ عنه الإحساس فإنه إنما يستعمل في أمثال هذه المواقع عند كون متعلقه أمرا محذورا مكروها كما في قوله عز وجل فلما أحسوا بأسنا إذا هم منا يركضون وكلمة من متعلقة بأحس والضمير المجرور لبني إسرائيل أي ابتدأ الإحساس من جهتهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف وقع حالا من الكفر

﴿قال﴾ أي لخص لأصحابه لا لجميع بني إسرائيل لقوله تعالى ﴿كما قال عيسى ابن مريم للحواريين﴾ الآية وقوله تعالى ﴿فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة﴾ ليس بنص في توجيه الخطاب إلى الكل بل يكفي فيه بلوغ الدعوة إليهم

﴿من أنصارى﴾ الأنصار جمع نصير كأشراف جمع شريف

﴿إلى الله﴾ متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء أي من أنصاري متوجها إلى الله ملتجئا إليه أو بأنصاري متضمنا معنى الإضافة كأنه قيل من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله عز وجل ينصرونني كما ينصرني وقيل إلى بمعنى في أي في سبيل الله وقيل بمعنى الدام وقيل بمعنى مع

﴿قال﴾ استئناف مبني على سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل فماذا قالوا في جوابه عليه الصلاة والسلام فقيل قال

﴿الحواريون﴾ جمع حواري يقال فلان حواري فلان أي صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣/٤٨١

ومنه الحواريات للحضريات لخلوص ألوانهن ونقائهن سمي به أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم من آثار العبادة وأنوارها وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض وذلك أن واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه الصلاة والسلام على قصعة لا يزال يأكل منها ولا تنقص فذكروا ذلك للملك فاستدعاه عليه الصلاة والسلام فقال له من أنت قال عيسى ابن مريم فترك ملكه وتبعه مع أقاربه فأولئك هم الحواريون وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا فمر بهم عيسى عليه الصلاة والسلام فقال لهم أنتم تصيدون السمك فإن اتبعتموني صرتم بحيث تصيدون الناس بالحياة الأبدية قالوا من أنت قال عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيئا فأمره عيسى عليه الصلاة والسلام بإلقائها في الماء مرة أخرى ففعل فاجتمع في الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا بأهل سفينة أخرى وملئوا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى عليه السلام وقيل كانوا اثني عشر رجلا آمنوا به عليه الصلاة والسلام واتبعوه وكانوا إذا جاعوا قالوا جعنا يا روح الله فيضرب بيده الأرض فيخرج منها لكل واحد رغيفان وإذا عطشوا قالوا." (١)

"﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾ هم الذين حكيت أحوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للإيذان بتسبب خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلقائه تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث وأحكامه المتفرعة عليه واستمرارهم على ذلك فإن كلمة حتى في قوله تعالى ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة﴾ غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فإنه أبدي لا حد له ﴿بغتة﴾ البغت والبغت مفاجأة للشيء بسرعة من ير شعور به يقال بغة بغتا وبغتة أي فجأة وانتصابها إما على أنها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم أي مباغتة أو من مفعول أي مبغوتين وإما على أنها مصدر مؤكد على غير الصدر فإن جاءتهم في معنى بغتتهم كقولهم أتيته ركضا أو مصدر مؤكد لفعل محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم أي جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة ﴿قالوا﴾ جواب إذا ﴿يا حسرتنا﴾ تعالي فهذا أوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وإن كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذرك من مبادىء الساعة يمي باسمها ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من مات فقد قامت قيامته أو جعل مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته ﴿على ما فرطنا فيها﴾ أي على تفريطنا في شأن الساعة وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالإيمان بها واكتساب الأعمال الصالحة كما في قوله تعالى على ما فرطت فى جنب الله وقيل الضمير للحياة الدنيا وإن

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢/ ٤١

لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشيء مع القدرة على ما فعله وقيل هو التضييع وقيل الفرط السبق ومنه الفارط أي السابق ومعنى فرطلى السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب كما في جلدت البعير وقوله تعالى ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾ حال من فاعل قالوا فائدته الأيذان بأن عذابهم ليس مقصورا على ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الأوزار الثقال والإيماء إلى أن تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه من فنون العقوبات والسر في ذلك أن العذاب الروحاني أشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز وجل منهما والوزر في الأصل الحمل الثقيل سمي به الإثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الأيدي في قوله تعالى فبما كسبت أيديكم فإن المعتاد حمل الأثقال على الظهور كما أن المألوف هو الكسب بالأيدي والمعنى أنهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال أنعهم يحملون أوزار ما عملوا من السيئات ﴿ألا ساء ما يزرون﴾ تذييل مقرر لما قبله وتكملة له أي بئس شيئا يزرونه وزرهم." (١)

"بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجام بغلته وابن عمه أبو سفيان ابن الحرث آخذا بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يحمل على الكفار فيفرون ثم يحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس كنت أكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على أنه صلى الله عليه وسلم كان في الشجاعة ورباطة الجأش سباقا للغايات القاصية وما كان ذلك إلا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الأنصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى
سورة براءة آيه (٢٦ ٢٧)." (٢)

"يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك ﴿والملائكة﴾ أي يسبح الملائكة ﴿من خيفته﴾ من هيبته وإجلاله جل جلاله وقيل الضمير للرعد ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ فيهلكه بذلك ﴿وهم﴾ أي الكفرة المخاطبون في قوله تعالى ﴿هو الذى يريكم البرق﴾ وقد التفت إلى الغيبة إيذانا بإسقاطهم عن درجة الخطاب وإعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٢٥/٣

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٥٦/٤

الخطاب كأنه قيل هو الذي يفعل أمثال هذه الأفاعيل العجيبة من إراءة البرق وإنشاء السحاب الثقال وإرسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين أو الرعد نفسه أو الملك الموكل به والملائكة ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبته تعالى وهم أي الكفرة الذين حكيت هناتهم مع ذلهم وهوانهم وحقارة شأنهم ﴿يجادلون فى الله﴾ أي في شأنه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من إنكار البعث واستعجال العذاب استهزاء واقتراح الآيات فالواو لعطف الجملة على ما قبلها من قوله تعالى ﴿هو الذى يريكم البرق﴾ الخ أو على قوله ﴿الله يعلم ما تحمل﴾ الخ وأما العطف على قوله تعالى ﴿ويقول الذين كفروا﴾ كما قيل فلا مجال له لأن قوله تعالى الله يعلم الخ استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك ونظائره من استعجال العذاب وإنكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل للحال أي فيصيب بالصواعق من يشاء وهم في الجدال وقد أريد به ما أصاب أربد بن ربيعة أخا لبيد فإنه أقبل مع عامر بن الطفيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغيانه الغوائل فدخلا المسجد وهو عليه الصلاة والسلام جالس في نفر من الأصحاب رضي الله عنهم فاستشرفوا الجمال عامر وكان من أجمل الناس وقد كان أوصى إلى أربد أنه إذا رأيتني أكلم محمدا صلى الله عليه وسلم فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه صلى الله عليه وسلم فدار أربد من خلفه صلى الله عليه وسلم فا خترط من سيفه شبرا فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومىء إليه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم الحال فقال اللهم اكفيهما بما شئت فأرسل الله عز وجل على أربد صاعقة في يوم صحو صائف فأحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن أصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لأنفذتهما برمحي فأرسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فأرداه في التراب فخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه فأجراه حتى مات على ظهره وقيل أريد به ما روي عن الحسن أنه كان رجل من طواغيت العرب فبعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه يدعونه إلى الله عز وجل فقال لهم أخبروني عما تدعونني إليه ما هو ومم هو من ذهب أم من فضة أم من نحاس أم من حديد أم من در فاستعظموا مقالته فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا رجلا أكفر قلبا ولا أعتى على الله منه فقال صلى الله عليه وسلم ارجعوا اليه فرجعوا إليه فما زاد إلا مقالته الأولى وأخبث فرجعوا إليه صلى الله عليه وسلم وأخبروه بما صنع فقال صلى الله عليه وسلم ارجعوا إليه فرجعوا فبينما هم عنده ينازعونه إذ ارتفعت سحابة ورعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحترق الكافر فجاءوا

يسعون ليخبروه صلى الله عليه وسلم بالخبر فاستقبلهم الأصحاب فقالوا احترق صاحبكم قالوا من أين علمتم قالوا أوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وهو شديد المحال﴾ أي والحال أنه شديدا لمما حلة والمكابرة والمماكرة لأعدائه من محله إذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو محال من." (١)

"﴿فلما أحسوا بأسنا إذا هم﴾) أي أدركوا عذابنا الشديد إدراكا تاما كأنه إدراك المشاهد المحسوس ﴿منها يركضون﴾ يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين بهم في فرط الإسراع." (٢)

"﴿لا تركضوا﴾ أي قيل لهم بلسان الحال أو بلسان المقال من الملك أو ممن ثمة من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾ من التنعم والتلذذ والإتراف إبطار النعمة ﴿ومساكنكم﴾ التي كانتم تفتخرون بها ﴿لعلكم تسألون﴾ تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات." (٣)

"﴿وأيوب﴾ الكلام فيه كما مر في قوله تعالى وداود وسليمان أي واذكر خبر أيوب ﴿إذ نادى ربه أني﴾ أي بأني ﴿مسنى الضر﴾ وقرىء بالكسر على إضمار القول أو تضمين النداء معناه والضر شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ وصفة تعالى بغاية الرجمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى به عن عرض المطلب لطفا في السؤال وكان عليه السلام روميا من ولد عيص بن إسحاق استسبأه الله تعالى وكثر أهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو سبعا وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات روي أن امرأته ماخير بنت ميشا ابن يوسف عليه السلام أو رحمة بنت أفرايم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت بمانين سنة فقال استحي من الله تعالى أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي وروي أن إبليس أتاها على هيئة عظيمة فقال أنا إله الأرض فعلت بزوجك ما فعلت لأنه تركني وعبد إله السماء فلو سجد لي سجدة لرددت عليه وعليك جميع ما أخذت منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لرجعت المال والولد وعافيت زوجك فرجعت إلى أيوب وكان ملقى في الكناسة لا يقرب منه أحد فأخبرته بالقصة فقال عليه السلام كأنك افتتنت بقول اللعين لئن

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٠/٥

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٥٨/٦

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٥٨/٦

عافاني الله عزوجل لأضربنك مائة سوط وحرام علي أن أذوق بعد هذا شيئا من طعامك وشرابك فطردها فبقي طريحا على الكناسة لا يحوم حوله أحد من الناس فعند ذلك خر ساجدا فقال رب أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة إلا سقطت ولا جراحة إلا برئت ثم ركض مرة اخرى فنبعث عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج وعاد صحيحا ورجع إليه شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك قوله تعالى." (١)

"﴿إذ عرض عليه﴾ راجع إليه عليه الصلاة والسلام قطعا وإذ منصوب باذكر أي اذكر ما صدر عنه إذ عرض عليه ﴿بالعشى﴾ هو من الظهر إلى آخر النهار ﴿الصافنات﴾ فإنه يشهد بأنه أواب وقيل ظرف لأواب وقيل لنعم وتأخير الصافنات عن الظرفين لما مر مرارا من التشويق إلى المؤخر والصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد أو رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد ينفق إلا في العراب الخلص وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما وأما الذي يقف على سنبكه فهو المنخيم ﴿الجياد﴾ جمع جواد وجود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية أي إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها وإذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل هو جمع جيد روي أنه عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين وأصاب ألف فرس وقيل أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعدما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله تعالى وبقي مائة فما في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بأمره." (٢)

"﴿اركض برجلك﴾ الخ إما حكاية لما قيل له أو مقول لقول مقدر معطوف على نادى أي فقلنا له اركض برجلك أي اضرب بها الأرض وكذا قوله تعالى ﴿هذا مغتسل بارد وشراب﴾ فإنه أيضا إما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر ونبوع الماء أو مقول لقول مقدر معطوف على مقدر ينساق إليه الكلام كأنه قيل

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٦/٨١

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٧/٢٢٥

فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب ويأباه ظاهر النظم الكريم وقوله تعالى." (١)

"﴿وخذ بيدك ضغثا﴾ معطوف على اركض أو على وهبنا بتقدير قلنا أي وقلنا خذ بيدك الخ والأول أقرب لفظا وهذا أنسب معنى فإن الحاجة إلى هذا الأمر لا تمس إلا بعد الصحة فإن امرأته رحمة بنت افرايم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماصر بنت ميشا بن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف إن برئ ليضربنها مائة ضربة فأمره الله تعالى بأخذ الضغث والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر وقال ﴿فاضرب به﴾ أي بذلك الضغث ﴿ولا تحنث﴾ في يمينك فإن البر يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها الحسن خدمتها إياه ورضاه عنها وهي باقية ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة إما بأطرافها قائمة أوبأعراضها مبسوطة على هيئة الضرب ﴿إنا وجدناه صابرا﴾ فيما أصابه في النفس والأهل والمال وليس في شكواه إلى الله تعالى إخلال بذلك فإنه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء على أنه قال ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه." (٢)

"يقول الحق جل جلاله: فإذا فرغتم من الصلاة فاذكروا الله في جميع أحوالكم قياما وقعودا وعلى جنوبكم إن أردتم حراسة قلوبكم، والنصر على عدوكم، أو إذا أردتم قضاء الصلوات وأداء فرضها، وأنتم في المعركة، فصلوا كما أمكنكم، قياما راجلين أو على خيولكم إيماء، وحل للضرورة حينئذ مشى وركض وطعن وعدم توجه، وإمساك ملطخ، وتنبيه وتحذير، هذا للصحيح، وقعودا وعلى جنوبكم، للمريض أو الجريح، هكذا قال جمهور الفقهاء في صلاة المسايفة «١» . وقال أبو حنيفة: لا يصلي المحارب حتى يطمئن.
فإذا اطمأننتم وذهب الخوف عنكم فأقيموا الصلاة على هيأتها المعلومة، واحفظوا أركانها وشروطها، وأتوا بها تامة، إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا أي: فرضا محدود الأوقات، لا يجوز إخراجها عن وقتها في شيء من الأحوال. قال البيضاوي: وهذا دليل على أن المراد بالذكر الصلاة، وأنها واجبة الأداء، حال المسايفة، والاضطراب في المعركة، وتعليل للأمر بالإتيان بها، كيف أمكن.
الإشارة: إذا فرغتم من الصلاة الحسية، فاستغرقوا أحواكم في الصلاة القلبية، حتى تطمئن قلوبكم في الحضرة القدسية، فإذا اطمأننتم في الحضرة، فأقيموا صلاة الشهود والنظرة، وهي الصلاة الدائمة، قال تعالى: الذين

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٧/٢٢٩

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٧/٢٢٩

هم على صلاتهم دائمون. وقال الورتجبي: إذا كنتم في حالة التمكين وامتلأتم من أنوار ذكره، فينبغي أن تخرجوا من أبواب الرخص، والاستراحة في سعة الروح، وترجعوا إلى مقام الصلاة، فإن آخر سيركم في ربوبيتي: أول بدايتكم فى عبوديتى. هـ.

ثم حذرهم من الوهن فى أمر الجهاد، فقال:

[سورة النساء (٤) : آية ١٠٤]

ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما (١٠٤)

قلت: الوهن: الفشل والضعف.

يقول الحق جل جلاله: ولا تضعفوا في طلب القوم، أي: الكفار، فتجاهدوهم في سبيل اللہ، فإن الحرب دائرة بينهم وبينكم، قد أصابهم مثل ما أصابكم، فإن تكونوا تألمون، أي: تتوجعون من الجراح، فإنهم يألمون كما تألمون، وأنتم ترجون من الله النصر والعز في الدنيا، والدرجات العلا في الآخرة، وهم لا يرجون

---

(١) المسايفة: المبارزة بالسيوف.." (١)

"الإشارة: ثبوت الخصوصية لا ينافي وصف البشرية، فنسبة أهل الخصوصية من البشر كاليواقيت بين الحجر.

ولا فرق بين خصوصية النبوة والولاية في الاتصاف بأوصاف البشرية، التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية. وتتميز خصوصية النبوة من الولاية بوحي الأحكام، وتتميز خصوصية الولاية من العمومية بالتطهير من الرذائل والتحلي بالفضائل، وبالغيبة عن رؤية الأكوان، بإشراق شمس العرفان، وذلك بالفناء عن الأثر بشهود المؤثر، ثم بالبقاء بشهود الأثر حكمة، مع الغيبة عنه، قدرة، ولا يعرف هذا إلا أهل الذكر الحقيقي، فلا يعرف مقام الأولياء إلا من دخل معهم، ولا يسأل عنهم إلا أمثالهم (فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) . فلا يشترط في الولي استغناؤه عن الطعام والشراب إذ لم يكن للأنبياء، فكيف بالأولياء؟ ولا استغناؤه عن النساء، قال تعالى:

ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية «١» ، نعم صاحب الخصوصية مالك لنفسه من غلبة

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٥٥/١

الشهوة عليه، ينزل إلى أرض الحظوظ بالإذن والتمكين، والرسوخ في اليقين. جعلنا الله منهم بمنه وكرمه.
وتقدم الكلام على قوله تعالى: فسئلوا أهل الذكر في سورة النحل «٢» . وبالله التوفيق.
ثم بين ما أجمل في قوله: (وأهلكنا المسرفين) ، فقال:

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ١١ الى ١٥]
وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢) لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون (١٣) قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (١٤) فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (١٥)
قلت: كم: خبرية مفيدة للتكثير، ومحلها نصب، مفعول بقصمنا، و (من قرية) : تمييز، و (كانت..) الخ: صفة لقرية.
يقول الحق جل جلاله: وكم قصمنا من قرية أي: كثيرا أهلكنا من أهل قرية كانت ظالمة بآيات الله تعالى، كافرين بها. وفي لفظ القصم- الذي هو عبارة عن الكسر بإبانة أجزاء المكسور وإزالتها بالكلية- من الدلالة على قوة الغضب والسخط ما لا يخفى. وأنشأنا أي: أحدثنا بعدها أي: بعد إهلاكها قوما آخرين ليسوا منهم نسبا ولا دينا، ففيه تنبيه على استئصالهم وقطع دابرهم بالكلية. فلما أحسوا بأسنا أي: أدركوا عذابنا الشديد إدراك المشاهد المحسوس إذا هم منها أي: من القرية يركضون:
يهربون مدبرين راكضين دوابهم. فقيل لهم، بلسان الحال أو المقال من الملك، أو ممن حضرهم من المؤمنين،

---

(١) من الآية ٣٨ من سورة الرعد.
(٢) الآية ٤٣ من سورة النحل.." [1]
"بطريق الاستهزاء والتوبيخ: لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه من النعم والتلذذ وإلى مساكنكم التي كنتم تفتخرون بها، لعلكم تسئلون تقصدون للسؤال، إذ كانوا أغنياء، أو للتشاور والتدبر في المهمات والنوازل، أو تسألون الفداء فتفتدوا من العذاب، أو تسألون عن قتل نبيكم وفيم قتلتموه.
قيل: نزلت في أهل حاضورا، قرية باليمن، وكان أهلها العرب، فبعث الله إليهم نبيا فكذبوه وقتلوه، فسلط

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٤٤٧

الله تعالى عليهم بختنصر، فقتلهم وسباهم، فلما انهزموا وهربوا قالت لهم الملائكة: لا تركضوا، وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم استهزاء بهم، وأتبعهم بختنصر، فأخذتهم السيوف، ونادى مناد من السماء: يا لثارات الأنبياء، فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم، فقالوا: يا ويلنا يا هلاكنا إنا كنا ظالمين مستوجبين العذاب. وهذا اعتراف منهم وندم حين لم ينفعهم ذلك.

فما زالت تلك دعواهم أي: فما زالوا يرددون تلك الكلمة، ويدعون بها، ويقولون: يا ويلنا، حتى جعلناهم حصيدا أي: مثل الحصيد، وهو المحصود من الزرع والنبات، فهو فعيل بمعنى مفعول، فلذلك لم يجمع، كجريح وقتيل. وجعلناهم خامدين ميتين، من خمدت النار إذا طفئت. وهو، مع «حصيدا» ، في حيز المفعول الثاني لجعل، كقولك: جعلته حلوا حامضا، والمعنى: جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود، أو حال من الضمير المنصوب في «جعلناهم» ، ولفظ الآية يقتضي العموم. والله تعالى أعلم.

الإشارة: وكم من قرية من قرى القلوب قصمنا أهلها، أي: ما فيها من الشكوك والأوهام، كانت ظالمة بتلك الخواطر، فأخرجناهم منها، وأنشأنا بعدها أنوارا وأسرارا وعلوما آخرين. فلما أحسوا بأسنا بورود الواردات الإلهية عليها، التي تأتي من حضرة القهار، إذا هم منها يركضون لأن الواردات الإلهية تأتي من حضرة القهار، لأجل ذلك لا تصادم شيئا من الظلمات إلا دمغته، فيقال لتلك الظلمات، التي هي الشكوك والأوهام: لا تركضوا، ولكن ارجعوا أنوارا، وانقلبوا واردات وأسرارا، وتنعموا في محلكم بشهود الحق، لعلكم تسألون، أي: تستفتون في الأمور، لأن القلب إذا صفا من الأكدار استفتى في العلوم، وفي الأمور التي تعرض، قالوا بلسان الحال- أي تلك الظلمات-:

يا ويلنآ إنا كنا ظالمين بحجب صاحبنا عن الله، فما زالت تلك دعواهم حتى صاروا خامدين، هامدين، ساكنين تحت مجاري الأقدار، مطمئنين بالله الواحد القهار، وهذه إشارة دقيقة، لا يفهمها إلا دقيق الفهم غزير العلم. وبالله التوفيق.

ثم بين أن إهلاك تلك القرى الظالمة كان لحكمة بليغة ومصلحة بديعة، ولم يكن عبثا لأنه تعالى منزه عن اللعب في خلقه، فقال:." (١)

"روى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أيوب نبي الله لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد «١» » . الحديث، وقال كعب: سبع سنين، وقيل: ثلاث عشرة سنة، وما قاله- عليه الصلاة والسلام- إن ثبت، هو الصحيح. وقال الحسن: مكث أيوب مطرودا على كناسة، في مزبلة بني

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٤٤٨

إسرائيل سبع سنين وشهرا، يختلف فيه الدود. ويمكن الجمع بين الأقوال بأن الشدة كانت سبعا والباقي مقدمات لها.

روي أن امرأته قالت له يوما: لو دعوت الله عز وجل؟ فقال لها: كم كانت مدة الرخاء؟ قالت: ثمانين سنة. فقال:

إني أستحيي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي. هـ. وروي أن الدود أكل جميع جسده حتى بقي عظاما نخرة، وهو مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله وحمده وشكره، فصرخ إبليس صرخة، وقال: أعياني هذا العبد الذي سألت ربي أن يسلطنى عليه، فقالت له العفاريت: أرأيت آدم حين أخرجته من الجنة، ما أتيته إلا من قبل امرأته، فتمثل لها بصورة رجل طيب، وفي رواية الحسن: في هيئة ليست كهيئة بني آدم، في أحسن صورة، فقال لها: أين بعلك يا أمة الله؟ فقالت: هو ذاك، يحك قروحه، ويتردد الدود في جسده، فقال لها: أنا إله الأرض الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لأنه عبد إله السماء وتركني، فلو سجد لي سجدة واحدة لرددت لكما ما كان لكما.

وقال وهب: قال لها: لو أكل طعاما ولم يسم عليه لعوفي من البلاء، فأخبرت أيوب، فقال: أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك، ثم أقسم، إن عافاه الله، ليضربنها مائة ضربة. ثم حلف لا يأكل لها طعاما، فبقي مهملا لا يأتي إليه أحد، وقال عند ذلك: (مسني الضر) من طمع إبليس في سجودي له، (وأنت أرحم الراحمين) ، فقيل له: (اركض برجلك) فركض، فنبعت عين ماء، فاغتسل منها، فلم يبق من دائه شيء، وسقطت الدود من جسده، وعاد شبابه وجماله. ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى، فشرب منها، فلم يبق في جوفه داء إلا خرج. وكانت امرأته «رحمة» حين حلف، تركته مدة، ثم ندمت وعادت، فوجدته في أحسن هيئة، فلم تعرفه، فقالت له: أين الرجل المبتلى الذي كان هنا؟ قال: أنا هو، شفاني الله، ثم عرفته بضحكه، فتعانقا، ثم أمره الله تعالى أن يأخذ جماعة من القضبان فيضربها ضربة واحدة ليبر في يمينه. هـ. «٢» .

---

(١) أخرجه فى حديث طويل ابن حبان (بترتيب ابن بلبان ٧/ ٢٨٩٨) ، وابن أبى حاتم فى التفسير (٨/ ٢٤٥٩) ، والبزار (كشف الأستار/ ٢٣٥٧) ، وقال الهيثمي (٨/ ٢٠٨) : رواه أبو يعلى، والبزار، ورجال البزار رجال الصحيح.

(٢) جل ما ذكره الشيخ المفسر من روايات فى قصة أيوب أخرجه الطبري فى تفسيره (١٧/ ٦٥) وما بعدها، وذكره البغوي وغيره فى تفاسيرهم. وهذا مما يجب تنزيه الأنبياء عنه. وقد رد العلماء المحققون هذه

الأخبار، وقال الدكتور أبو شهبة فى كتابه (الإسرائيليات والموضوعات) : والذي يجب أن نعتقده أن أيوب عليه السلام ابتلى، ولكن بلاءه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب. فأيوب عليه السلام أكرم على الله من أن يلقى على مزبلة، وأن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته ويقززهم منه.. إلخ كلامه. انظر:
كتاب الإسرائيليات والموضوعات. فهو كتاب نفيس.." (١)

"قال الكواشي: وهذا من المعاريض، وقد ثبت أن من اتبع محمدا على الهدى، ومن لم يتبعه على الضلال. هـ ويحتمل أن يكون من اللف والنشر المرتب. وفيه ضعف. وخولف بين حرفي الجار، الداخلين على الهدى والضلال لأن صاحب الهدى كأنه مستعل على فرس جواد، يركضه حيث شاء، والضال كأنه منغمس في ظلام، لا يدري أين يتوجه.

قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون أي: ليس القصد بدعائي إياكم خوفا من ضرر كفركم، وإنما القصد بما أدعوكم إليه الخير لكم، فلا يسأل أحد عن عمل الآخر، وإنما يسأل كل واحد عن عمله. وهذا أيضا أدخل في الإنصاف، حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم، وهو محظور، والعمل إلى المخاطبين، وهو مأمور به مشكور.

قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة، ثم يفتح أي: يحكم بيننا بالحق بلا جور ولا ميل، فيدخل المحقين الجنة، والمبطلين النار، وهو الفتاح الحاكم العليم بما ينبغي أن يحكم به.

قل أروني الذين ألحقتم أي: ألحقتموهم به شركاء في العبادة معه، بأي صفة ألحقتموهم به شركاء في استحقاق العبادة، وهم أعجز شيء. قال القشيري: كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك لانهماكهم في ضلالهم، مع تحققهم بأنها جمادات لا تفقه ولا تعقل، ولا تسمع ولا تبصر، ولا شبهة لهم غير تقليد أسلافهم. هـ. ومعنى قوله: (أروني) مع كونه يراهم: أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله، وأن يطلعهم على [حالة] «١» الإشراك به، ولذلك زجرهم بقوله: كلا أي: ارتدعوا عن هذه المقالة الشنعاء، وتنبهوا عن ضلالكم. بل هو الله العزيز أي: الغالب القاهر، فلا يشاركه أحد، و «هو» : ضمير الشأن، الحكيم في تدبيره وصنعه. والمعنى: بل الوحدانية لله وحده لأن الكلام إنما وقع في الشركة، ولا نزاع في إثبات الله ووجوده، وإنما النزاع فى وحدانية. أي: بل هو الله وحده العزيز الحكيم.

الإشارة: أرزاق الأرواح والأشباح بيد الله، فأهل القلوب من أهل التجريد اشتغلوا بطلب أرزاق الأرواح،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٨٧/٣

وغابوا عن طلب أرزاق الأشباح، مع كونهم مفتقرين إليه، أي: غابوا عن أسبابه. وأهل الظاهر اشتغلوا بطلب أرزاق الأشباح، وغابوا عن التوجه إلى أرزاق الأرواح، مع كونهم أحوج الناس إليه. وكل فريق يرجح ما هو فيه، فأهل الأسباب يعترضون على أهل التجريد، ويرجحون تعاطي الأسباب، وأهل التجريد يرجحون مقام التجريد، فيقولون لهم: وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين. قل: لا تسألون عما أجرمنا، بزعمكم، من ترك الأسباب، ولا نسأل

---

(١) فى الأصول [إحالة] والمثبت هو الذي فى تفسير النسفي.." (١)

"بعض الحكماء: كنت أقرأ القرآن ولا أجد حلاوة، حتى تلوته كأنه أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه، ثم رفعت إلى مقام، كأني أسمعه من جبريل، يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء الله بمنزلة أخرى، فأنا الآن أسمعه من المتكلم به، فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه.

العاشر: التبري، وهو أن يتبرأ من حوله، وقوته، والالتفات إلى نفسه بعين الرضا. انظر بقية كلامه فقد اختصرناه غاية.

ثم ذكر سليمان عليه السلام، فقال:

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٣٠ الى ٣٣]

ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب (٣٠) إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد (٣١) فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب (٣٢) ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق (٣٣)

يقول الحق جل جلاله: ووهبنا لداود سليمان نعم العبد أي: سليمان، فهو المخصوص، إنه أواب أي: رجاع إلى الله تعالى في السراء والضراء، وفي كل أموره، إذ عرض عليه أي: واذكر ما صدر عنه حين عرض عليه بالعشي وهو ما بين الظهر إلى آخر النهار، الصافنات الجياد أي:

الخيل الصافنات، وهي التي تقوم على طرف سنبك يد أو رجل. وهي من الصفات المحمودة، لا تكاد توجد إلا في الخيل العراب، الخلص. وقيل: هو الذي يجمع يديه ويستبق بهما، والجياد: جمع جواد، أو:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٤٩٤

جود، وهو الذي يسرع في جريه، أو: الذي يجود عند الركض، وقيل: وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين، واقفة وجارية، أي: إذا وقفت كانت ساكنة، وإذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها.

روي أنه عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين، وأصاب ألف فرس، وقيل: أصابها أبوه من العمالقة، وورثها منه، وفيه نظر فإن الأنبياء لا يورثون، إلا أن يكون تركها حبسا، فورث النظر فيها. ويكون عقرها بنية إبدالها. وقيل:

خرجت من البحر لها أجنحة، فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه، فاستعرضها، فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس، وغفل عن العصر، أو: عن الورد، كان له من الذكر وقتئذ، وهو أليق بالعصمة، فاغتم لما فاته، فاستردها، فعقرها، تقربا إلى الله تعالى، وبقي مائة، فما في أيدي الناس اليوم من الجياد فمن نسلها «١» .

---

(١) انظر تفسير البغوي (٧/ ٨٨) . [.....]." [1]

"الإشارة: ما أعطى الله عبدا مكنة إلا بعد محنة، ولا رفع مقاما إلا بعد ابتلاء، إما فى البدن والمال، وإما في الدين، إن صحبه رجوع وانكسار. كأن الله تعالى إذا أراد أن يرفع عبدا أهبطه إلى أرض قهرية العبودية، ثم يرفعه إلى مشاهدة عظمة الربوبية، ثم يملكه الوجود بأسره، يتصرف فيه بهمته كيف شاء. ولذلك قيل في معصية آدم:

نعمت المعصية أورثت الخلافة. وشاهده حديث: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» «١» . ومن كان الله عنده، ماذا يفوته؟

وقوله تعالى: وهب لي ملكا.. الخ، قال القشيري: لم يطلب الملك الظاهر، وإنما أراد به أن يملك نفسه، فإن الملك- على الحقيقة- من ملك نفسه، فمن ملكها لم يتبع هواه، - أي: فيكون حرا، فيملكه الله التصرف في الوجود. ثم قال: ويقال أراد به كمال حاله في شهود ربه، حتى لا يرى معه غيره، ويقال: سأل القناعة التي لا يبقى معها اختيار. هـ.

وقوله تعالى: هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب، هو عند الأولياء ليس خاصا بسليمان، ف كل من تمكن مع الله التمكن الكبير يفوض إليه الأمر، ويقال: افعل ما شئت، وشاهده: حديث أهل بدر. وقال

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٢٥

الشيخ أبو الحسن الشاذلي: رضي الله عنه يبلغ الولي مبلغا يقال له: أصحبناك السلامة، وأسقطنا عك الملامة، فاصنع ما شئت. ثم استشهد بالآية في حق سليمان، هذا، وإن كان للنبي من أجل العصمة، فلمن كان من الأولياء في مقام الإمامة قسط منه، من أجل الحفظة.

ثم ذكر أيوب عليه السلام، فقال:

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٤١ الى ٤٤]

واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١) اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢) ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (٤٣) وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب (٤٤)

---

(١) سبق تخريج الحديث.." [1]

"يقول الحق جل جلاله: واذكر عبدنا أيوب، وهو ابن عيصو ابن إسحاق عليه السلام، أي: من ذريته لأنه بعد يوسف، وامرأته: رحمة بنت إفرائيم بن يوسف. إذ نادى ربه، وهو بدل اشتمال من «عبدنا» . و «أيوب» :

عطف له، أني أي: بأني مسني الشيطان بنصب «١» أي: تعب، وفيه قراءات بفتحتين، وبضمتين، وبضم وسكون، وبنصب وسكون. وعذاب أي: ألم، يريد ما كان يقاسيه من فنون الشدائد، وهو الضر في قوله: مسني الضر «٢» ، وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به، وإلا لقيل: إنه مسه. وإسناده إلى الشيطان على طريق الأدب في إسناد ما كان فيه كمال إلى الله تعالى، وما كان فيه نقص إلى الشيطان أو غيره، كقول الخليل: وإذا مرضت «٣» ولم يقل: أمرضني. وكقول يوشع عليه السلام: وما أنسانيه إلا الشيطان «٤» . وفي الحقيقة: كل من عند الله. وقيل: أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه، من تعظيم ما نزل به من البلاء، ويغريه على الكراهة والجزع، فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء، أو بدفعه ورده بالصبر الجميل.

وروي: أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين، فارتد أحدهم، فسأل عنه، فقيل: ألقى إليه الشيطان: أن الله لا يبتلي الأنبياء والصالحين، فشكا ذلك إلى ربه. وذكر في سبب بلائه أنه ذبح شاة فأكلها، وجاره جائع،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣١/٥

أو: رأى منكرا فسكت عنه، أو: استغاثه مظلوم فلم يغثه، أو: كانت مواشيه في ناحية ملك كافر، فداهنه، فلم يغزه، أو: سؤاله امتحانا لصبره، أي: هل يصبر أم لا، أو: ابتلاه لرفع درجاته بلا سبب، وهو أولى «٥»
.

اركض برجلك، حكاية ما أجيب به أيوب عليه السلام، أي: أرسلنا له جبريل عليه السلام بعد انتهاء مدة مرضة، فقال له: اركض، أي: اضرب برجلك الأرض، وهي أرض موضع بالجابية «٦» ، فضربها، فنبعت عين، فقيل: هذا مغتسل بارد وشراب أي: هذا ما تغتسل منه، وتشرب منه، فيبرأ ظاهرك وباطنك، وقيل: نبعت له عينان حارة للاغتسال، وبا ردة للشرب، فاغتسل من إحداهما، فبرئ ما في ظاهره، وشرب من الأخرى، فبرئ ما في باطنه، بإذن الله تعالى. ومدة مرضه قيل: ثمان عشرة سنة، وقيل: أربعين، وقيل: سبع سنين، وسبعة أشهر، وسبعة أيام، وسبع ساعات «٧» .

---

(١) قرأ أبو جعفر «بنصب» بضم النون والصاد، وقرأ يعقوب بفتحهما، وقرأ الباقون بضم النون وسكون الصاد. انظر الإتحاف (٢/ ٤٢١)

(٢) من الآية ٨٣ من سورة الأنبياء.

(٣) من الآية ٨٠ من سورة الشعراء. [.....]

(٤) من الآية ٦٣ من سورة الكهف.

(٥) انظر تفسير النسفى (٣/ ١٥٧) .

(٦) الجابية: موضع بالشام.

(٧) راجع (٣/ ٤٨٧) من هذا الكتاب.." [(١)]

"وإنهم عندنا لمن المصطفين المختارين من بين أبناء جنسهم الأخيار: جمع خير، أو: خير، على التخفيف، كأموات جمع ميت، أو: ميت.

الإشارة: أولياء هذه الأمة- أي: العارفون بالله- يزاحمون الأنبياء والرسل في جل المراتب، قال عليه السلام: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» «١» أي: العلماء بالله فإنهم لم يقفوا مع دنيا ولا مع آخرة، بل حطوا هممهم على الله، ولم يقصدوا شيئا سواه، خلعوا النعلين عن الكونين، وركضوا إلى المكون، وكانت لهم اليد الطولى في عمل الطاعات عبودية، والبصيرة النافذة في مشاهدة الربوبية، هذه طريقهم، وهذا مذهبهم، ومن

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٢/٥

حاد منهم عن هذا لم يعدوه منهم. جعلنا الله ممن خرط فى سلكهم.
ثم ذكر بقية بنيه، فقال:

[سورة ص (٣٨) : آية ٤٨]
واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار (٤٨)
يقول الحق جل جلاله: واذكر إسماعيل، فصل ترجمته عن أبيه وأخيه للإشعار بعلو شأنه، واستقلاله بالشرف والذكر، ولعراقته في الصبر، الذي هو المقصود بالتذكير، وهو أكبر بنيه. واذكر اليسع بن خطوب «٢» بن العجوز، استعمله إلياس على بنى إسرائيل، ثم استنبئ. و «ال» فيه، قيل: للتعريف، وأصله: يسع، وقيل: زائدة لأنه عجمي علم، وقيل: هو يوشع، وذا الكفل وهو ابن عم اليسع، أو: بشر بن أيوب. واختلف في نبوته وسبب لقبه، فقيل: فر إليه مائة نبي من بني إسرائيل، خوفا من القتل، فآواهم وكفلهم، وقيل: تكفل بعبادة رجل صالح كان في وقته. وكل أي: وكلهم من الأحبار المشهورين بالخيرة.
الإشارة: إنما كان هؤلاء مصطفين أخيارا بالوفاء بالعهود، والوقوف مع الحدود، والصبر على طاعة الملك المعبود، وتحمل ما يقرب إلى حضرة الشهود. ف كل من اتصف بهذه الخصال كان من المصطفين الأخيار.
ثم ذكر عامة المؤمنين، أو: ما أعد لمن ذكر آجلا، بعد ذكرهم الجميل عاجلا، فقال:

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٤٩ الى ٥٤]
هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب (٤٩) جنات عدن مفتحة لهم الأبواب (٥٠) متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب (٥١) وعندهم قاصرات الطرف أتراب (٥٢) هذا ما توعدون ليوم الحساب (٥٣)
إن هذا لرزقنا ما له من نفاد (٥٤)

---

(١) قال فى كشف الخفاء (٢/ ٨٣، ح ١٧٤٤) : «قال السيوطي فى الدرر: لا أصل له. وقال فى المقاصد: قال شيخنا- يعنى ابن حجر- ومن قبله الدميري والزركشي: إنه لا أصل له. زاد بعضهم: ولا

يعرف فى كتاب معتبر» . وانظر أيضا العلل المتناهية (ح ٧٠٢) .

(٢) فى نسخة [قطوب] .." [١]

"وعند الصوفية: ثلاث طبقات: العامة ينتصرون، والخاصة لا ينتصرون، لكن يرفعون أمرهم إلى الله في أخذ حقهم من ظالمهم، وخاصة الخاصة يحسنون لمن أساء إليهم، كما تقدم. وقال القشيري: والذين إذا أصابهم البغي وهو الظلم، ينتصرون لعلمهم أن الظلم أصابهم من قبل أنفسهم، فينتصرون من الظالم، وهو النفس، ويكبحون عنانها من الركض في ميدان المخالفة. ثم قال: قوله: ولمن انتصر.. الآية، علم الله أن من عباده من لا يجد الحرية من أحكام النفس، ولا يستمكن من محاسن الخلق، فرخص لهم في المكافأة على سبيل العدل والقسط، وإن كان الأولى بهم الصفح والعفو. هـ.

ثم ذكر وبال الظلم وعقوبته، فقال:

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٤٤ الى ٤٨]

ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل (٤٤) وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم (٤٥) وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل (٤٦) استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير (٤٧) فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨)

يقول الحق جل جلاله: ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده أي: فما له من أحد يلي هدايته من بعد إضلال الله إياه، ويمنعه من عذابه. وترى الظالمين يوم القيامة، وهم الذين أضلهم الله، لما رأوا العذاب حين يرون العذاب، وأتى بصيغة الماضي للدلالة على تحقيق الوقوع، يقولون هل إلى مرد رجعة إلى الدنيا من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا.." [٢]

"يريد تهديدهم بذلك بقوله: وللكافرين أمثالها إلى غير ذلك من الآيات.

وقد هدد تعالى أهل القرى بأن يأتيهم عذابه ليلا في حالة النوم، أو ضحى في حالة اللعب، في قوله تعالى:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٥/٥

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٢٢/٥

أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون [٧ \ ٩٧، ٩٨] ، وهدد أمثالهم من الذين مكروا السيئات بقوله تعالى: أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم [١٦ \ ٤٥، ٤٦، ٤٧] .

قوله تعالى: فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين.

بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن تلك القرى الكثيرة التي أهلكها في حال البيات، أو في حال القيلولة، لم يكن لهم من الدعوى إلا اعترافهم بأنهم كانوا ظالمين.

وأوضح هذا المعنى في قوله: وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون قالوا ياويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين [٢١ \ ١١ - ١٥] .

قال ابن جرير رحمه الله: في هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم» . حدثنا بذلك ابن حميد، حدثنا جرير عن أبي سنان، عن عبد الملك بن ميسرة الزراد قال: قال عبد الله بن مسعود: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم» قال: قلت لعبد الله كيف يكون ذلك؟ قال: فقرأ هذه الآية: فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين [٧ \ ٥] .

قوله تعالى: فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين.

لم يبين هنا الشيء المسئول عنه المرسلون، ولا الشيء المسئول عنه الذين أرسل إليهم.

وبين في مواضع أخر أنه يسأل المرسلين عما أجابتهم به أممهم، ويسأل الأمم عما أجابوا به رسلهم.

قال في الأول: يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم [٥ \ ١٠٩] .." (١)

"فيما نعيب به المخالفين من الاحتجاج برواية الكذابين، والله يعصمنا من أمثال هذا.

قال مقيده عفا الله عنه: ما قاله الحافظ البيهقي - رحمه الله تعالى - من أن الحكم برواية عافية المذكور لهذا الحديث مرفوعا من جنس الاحتجاج برواية الكذابين فيه نظر ؛ لأن عافية المذكور لم يقل فيه أحد إنه

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٦/٢

كذاب، وغاية ما في الباب أن البيهقي ظن أنه مجهول ؛ لأنه لم يطلع على كونه ثقة، وقد اطلع غيره على أنه ثقة فوثقه، فقد نقل ابن أبي حاتم توثيقه، عن أبي زرعة، قال ابن حجر في «التلخيص» : عافية بن أيوب، قيل: ضعيف، وقال ابن الجوزي: ما نعلم فيه جرحا، وقال البيهقي، مجهول، ونقل ابن أبي حاتم توثيقه عن أبي زرعة.

ولا يخفى أن من قال إنه مجهول يقدم عليه من قال إنه ثقة ؛ لأنه اطلع على ما لم يطلع عليه مدعي أنه مجهول، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، والتجريح لا يقبل مع الإجمال، فعافية هذا وثقه أبو زرعة، والتعديل والتجريح يكفي فيهما واحد على الصحيح في الرواية دون الشهادة، قال العراقي في ألفيته: [الرجز]

وصححوا اكتفاءهم بالواحد ... جرحا وتعديلا خلاف الشاهد

والتعديل يقبل مجملا ... بخلاف الجرح للاختلاف في أسبابه

قال العراقي في ألفيته: [الرجز]

وصححوا قبول تعديل بلا ... ذكر لأسباب له أن تثقلا

ولم يروا قبول جرح أبهما ... للخلف في أسبابه وربما

استفسر الجرح فلم يقدح كما ... فسره شعبة بالركض فما

هذا الذي عليه حفاظ الأثر ... كشيخي الصحيح مع أهل النظر

إلخ. . .

وهذا هو الصحيح، فلا شك أن قول البيهقي في عافية: إنه مجهول أولى منه بالتقديم قول أبي زرعة: إنه ثقة ؛ لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ، وإذا ثبت الاستدلال بالحديث المذكور، فهو نص في محل النزاع.

ويؤيد ما ذكر من توثيق عافية المذكور أن ابن الجوزي مع سعة اطلاعه، وشدة بحثه عن الرجال، قال: إنه لا يعلم فيه جرحا.

وأما الآثار الدالة على ذلك: فمنها ما رواه الإمام مالك في «الموطأ» ، عن." (١)

"الله تعالى في سورة الصافات دلالة الآيات القرآنية على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق على وجه قاطع للنزاع، والغلام يطلق في لغة العرب على العبد وعلى الصغير الذي لم يبلغ وعلى الرجل البالغ، ومن إطلاقه على البالغ قول علي - رضي الله عنه - يوم النهروان

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢/١٢٧

: أنا الغلام القرشي المؤتمن ... أبو حسين فاعلمن والحسن

وقول صفوان بن المعطل السلمي لحسان – رضي الله عنهما –:

تلق ذباب السيف عني فإنني ... غلام إذا هوجيت لست بشاعر

وقول ليلى الأخيلية تمدح الحجاج بن يوسف:

إذا نزل الحجاج أرضا مريضة ... تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذي بها ... غلام إذا هز القناة سقاها

وربما قالوا للأنثى غلامة، ومنه قول أوس بن غلفاء الهجيمي يصف فرسا:

ومركضة صريحي أبوها ... يهان لها الغلامة والغلام

قوله تعالى: قال أبشرتموني على أن مسني الكبر.

بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن نبيه إبراهيم قال: إنه وقت البشرى بإسحاق مسه الكبر. وصرح في هود بأن امرأته أيضا قالت إنه شيخ كبير في قوله عنها: وهذا بعلي شيخا [١١ \ ٧٢] كما صرح عنها هي أنها وقت البشرى عجوز كبيرة السن وذلك كقوله في هود: ياويلتى أألد وأنا عجوز الآية [١١ \ ٧٢] ، وقوله في الذاريات: فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم [٥١ \ ٢٩] . وبين في موضع آخر عن نبيه إبراهيم أنه وقت هبة الله له ولده إسماعيل أنه كبير السن أيضا، وذلك قوله تعالى: الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء [١٤ \ ٣٩] .

قوله تعالى: فبم تبشرون.

الظاهر أن استفهام نبي الله إبراهيم – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – للملائكة بقوله فبم تبشرون [١٥ \ ٥٤] استفهام تعجب من كمال قدرة الله تعالى، ويدل لذلك أنه تعالى ذكر أن ما وقع له وقع نظيره لامرأته حيث قالت أألد وأنا عجوز وقد بين تعالى أن ذلك الاستفهام لعجبها من ذلك الأمر الخارق للعادة في قوله: قالوا أتعجبين من أمر الله الآية [١١ \ ٧٣] ويدل له أيضا وقوع مثله من نبي الله زكريا – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – لأنه لما قال: رب هب لي من لدنك ذرية طيبة [٣ \ ٣٨] .." (١)

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢٨١/٢

"وقوله: وآخرين مقرنين في الأصفاد [٣٨ \ ٣٨] .
وصفة البساط، وصفة حمل الريح له، وصفة جنود سليمان من الجن والإنس والطير كل ذلك مذكور بكثرة في كتب التفسير، ونحن لم نطل به الكلام في هذا الكلام المبارك.

قوله تعالى: وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين.
الظاهر أن قوله: وأيوب منصوب بـ «اذكر» مقدرا، ويدل على ذلك قوله تعالى في «ص» : واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب [٣٨ \ ٤١] .
وقد أمر - جل وعلا - في هاتين الآيتين الكريمتين نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يذكر أيوب حين نادى ربه قائلا: أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين [٢١ \ ٨٣] وأن ربه استجاب له فكشف عنه جميع ما به من الضر، وأنه آتاه أهله، وآتاه مثلهم معهم رحمة منه - جل وعلا - به وتذكيرا للعابدين، أي الذين يعبدون الله؛ لأنهم هم المنتفعون بالذكرى.
وهذا المعنى الذي ذكره هنا ذكره أيضا في سورة «ص» في قوله: واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب إلى قوله: لأولي الألباب [٣٨ \ ٤١ - ٤٣] والضر الذي مس أيوب، ونادى ربه ليكشفه عنه كان بلاء أصابه في بدنه وأهله وماله. ولما أراد الله إذهاب الضر عنه أمره أن يركض برجله ففعل، فنبعت له عين ماء، فاغتسل منها، فزال كل ما بظاهر بدنه من الضر، وشرب منها فزال كل ما بباطنه. كما أشار تعالى إلى ذلك في قوله: اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب [٣٨ \ ٤٢] .
وما ذكره في «الأنبياء» من أنه آتاه أهله ومثلهم معهم رحمة منه وذكرى لمن يعبده بينه في «ص» في قوله: ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب [٣٨ \ ٤٣] وقوله في «الأنبياء» : وذكرى للعابدين [٢١ \ ٨٤] مع قوله في «ص» ، وذكرى لأولي الألباب [٣٨ \ ٤٣] فيه الدلالة الواضحة على أن أصحاب العقول السليمة من شوائب الاختلال هم الذين يعبدون الله وحده ويطيعونه. وهذا يؤيد قول من قال من أهل العلم: إن من أوصى بشيء من ماله لأعقل الناس أن تلك الوصية تصرف لأتقى الناس وأشدهم طاعة لله تعالى؛ لأنهم هم أولو الألباب، أي العقول." (١)

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤/٢٣٧

"تعالى: إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب [٣٨ \ ١٤] . وقوله تعالى كل كذب الرسل فحق وعيد [٥٠ \ ١٤] والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وقد بين تعالى أن المراد بذكر إهلاك الأمم الماضية بسبب الكفر وتكذيب الرسل تهديد كفار مكة، وتخويفهم من أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك إن تمادوا على الكفر وتكذيبه صلى الله عليه وسلم.

ذكر تعالى ذلك في آيات كثيرة كقوله تعالى: أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها [٤٧ \ ١٠] لأن قوله تعالى: وللكافرين أمثالها تهديد عظيم بذلك.

وقوله تعالى: جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد [١١ \ ٨٢ - ٨٣] فقوله: وما هي من الظالمين ببعيد فيه تهديد عظيم لمن يعمل عمل قوم لوط من الكفر وتكذيب نبيهم، وفواحشهم المعروفة، وقد وبخ تعالى من لم يعتبر بهم، ولم يحذر أن ينزل به مثل ما نزل بهم، كقوله في قوم لوط: وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون [٣٧ \ ١٣٧ - ١٣٨] وقوله تعالى: ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا [٢٥ \ ٤٠] .

وقوله فيهم: ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون [٢٩ \ ٣٥] . وقوله فيهم: وإنها لبسبيل مقيم. وقوله فيهم وفي قوم شعيب وإنهما لبإمام مبين [١٥ \ ٧٩] والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وأما المسألة الثانية: وهي نداؤهم إذا أحسوا بأوائل العذاب ؛ فقد ذكر تعالى في آيات من كتابه نوعين من أنواع ذلك النداء:

أحدهما: نداؤهم باعترافهم أنهم كانوا ظالمين، وذلك في قوله تعالى: وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون إلى قوله قالوا ياويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين [٢١ \ ١١ - ١٥] وقوله تعالى: وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين [٧ \ ٤ - ٥] .

الثاني: من نوعي النداء المذكور نداؤهم بالإيمان بالله مستغيثين من ذلك العذاب." [١]

"فتارة يكون ذلك العمل بالجري والإسراع أمام من يريده بالسوء، وتارة يكون بالتأخر والروغان حتى ينجو من ذلك.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٦/٣٣٢

والعرب تطلق النوص على التأخر. والبوص بالباء الموحدة التحتية على التقدم، ومنه قول امرئ القيس:

أمن ذكر سلمى إذ نأتك تنوص ... فتقصر عنها خطوة وتبوص

وأصوب الأقوال في لات أن التاء منفصلة عن حين وأنها تعمل عمل ليس خلافا لمن قال: إنها تعمل عمل إن، ولمن قال: إن التاء متصلة بحين وأنه رآها في الإمام، وهو مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه متصلة بها.

وعلى قول الجمهور منهم القراء السبعة، أن التاء ليست موصولة بحين، فالوقف على لات بالتاء عند جميعهم، إلا الكسائي فإنه يقف عليها بالهاء.

أما قراءة كسر التاء وضمها فكلتاهما شاذة لا تجوز القراءة بها، وكذلك قراءة كسر النون من حين، فهي شاذة لا تجوز، مع أن تخريج المعنى عليها مشكل.

وتعسف له الزمخشري وجها لا يخفى سقوطه. ورده عليه أبو حيان في البحر المحيط، واختار أبو حيان أن تخريج قراءة الكسر أن حين مجرورة بمن محذوفة.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة فنادوا أصل النداء: رفع الصوت، والعرب تقول: فلان أندى صوتا من فلان، أي أرفع، ومنه قوله:

فقلت ادعي وأدعو إن أندا ... لصوت أن ينادي داعيان

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الأمم الماضية المهلكة ينادون عند معاينة العذاب، وأن ذلك الوقت ليس وقت نداء إذ لا ملجأ فيه ولا مفر ولا مناص. ذكره في غير هذا الموضع كقوله تعالى: فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا الآية [٤٠ \ ٨٤ - ٨٥] . وقوله تعالى: فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون قالوا ياويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين [٢١ \ ١٢ - ١٥] إلى غير ذلك من الآيات.." (١)

"(٢١٤٣٢) - عن علي بن أبي طالب - من طريق الحارث - قال: إذا أدركت ذكاة الموقوذة والمتردية والنطيحة، وهي تحرك يدا أو رجلا؛ فكلها أخرجه ابن جرير (٨) / (٦٤) - .

(٢١٤٣٣) - عن عبد الله بن عباس - من طريق علي - في قوله: (إلا ما ذكيتم)، يقول: ما ذبحتم من

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٦/٣٣٤

ذلك وبه روح فكلوه أخرجه ابن جرير (٨) / (٦٣)، وابن أبي حاتم - كما في الإتقان (٢) / (١١)، (١٢) - ، والبيهقي في سننه (٩) / (٢٤٩) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٢١٤٣٤) - عن أشعث، عن الحسن البصري: (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم)، قال الحسن: أي هذا أدركت ذكاته فذكه، وكل - فقلت: يا أبا سعيد، كيف أعرف؟ قال: إذا طرفت بعينها، أو ضربت بذنبها أخرجه ابن جرير (٨) / (٦٣) - .

(٢١٤٣٥) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - (إلا ما ذكيتم)، قال: فكل هذا الذي سماه الله ههنا - ما خلا لحم الخنزير - ، إذا أدركت منه عينا تطرف، أو ذنبا يتحرك، أو قائمة تركض، فذكيته؛ فقد أحل الله لك ذلك أخرجه ابن جرير (٨) / (٦٤) - قال ابن جرير مبينا معنى الآية على هذا القول وما ماثله ((٨) / (٦٦)): «فتأويل الآية على قول هؤلاء: حرمت الموقوذة والمتردية إن ماتت من التردي والوقذ والنطح وفرس السبع، إلا أن تدركوا ذكاتها، فتدركوها قبل موتها، فتكون لكم حينئذ حلالا كلها» - .

(٢١٤٣٦) - عن قتادة بن دعامة - من طريق معمر - قال: (إلا ما ذكيتم) من هذا كله - قال: فإذا وجدتها تطرف عينها، أو تحرك أذنها من هذا كله؛ منخنقة، أو موقوذة، أو نطيحة، أو ما أكل السبع، فهي لك حلال أخرجه عبد الرزاق (١) / (١٨٣)، وابن جرير (٨) / (٦٤) - ذهب ابن جرير ((٨) / (٦٧) - (٦٨)) إلى أن الاستثناء في الآية متصل، فقوله تعالى: (إلا ما ذكيتم) استثناء من قوله: (وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع)، مستندا إلى دلالة العقل واللغة، وعلل ذلك بأن: «كل ذلك مستحق الصفة التي هو بها قبل حال موته، فيقال لما قرب المشركون لآلهتهم فسموه لهم: هو (ما أهل لغير الله به)، بمعنى: سمي قربانا لغير الله - وكذلك المنخنقة: إذا انخنقت، وإن لم تمت فهي منخنقة، وكذلك سائر ما حرمه الله - جل وعز - مما بعد قوله: (وما أهل لغير الله به) إلا بالتذكية، فإنه يوصف بالصفة التي هو بها قبل موته، فحرمه الله على عباده إلا بالتذكية المحللة دون الموت بالسبب الذي كان به موصوفا - فإذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية: وحرم عليكم ما أهل لغير الله به، والمنخنقة، وكذا وكذا وكذا، إلا ما ذكيتم من ذلك» - .

." (١)

"وأرادوا أن يمكروا بصالح، فمشوا حتى أتوا على سرب السرب: حفير تحت الأرض – لسان العرب (سرب) – على طريق صالح، فاختبأ فيه ثمانية، وقالوا: إذا خرج علينا قتلناه، وأتينا أهله فبيتناهم – فأمر الله الأرض فاستوت عليهم، فاجتمعوا، ومشوا إلى الناقة وهي على حوضها قائمة، فقال الشقي لأحدهم: ائتها فاعقرها – فأتاها، فتعاظمه ذلك، فأضرب عن ذلك، فبعث آخر، فأعظمه ذلك، فجعل لا يبعث رجلا إلا تعاظمه أمرها، حتى مشى إليها، وتطاول، فضرب عرقوبيها، فوقعت تركض، وأتى رجل منهم صالحا، فقال: أدرك الناقة؛ فقد عقرت – فأقبل، وخرجوا يتلقونه، ويعتذرون إليه: يا نبي الله، إنما عقرها فلان، إنه لا ذنب لنا – قال: فانظروا هل تدركون فصيلها؟ فإن أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب – فخرجوا يطلبونه، ولما رأى الفصيل أمه تضطرب أتى جبلا – يقال له: القارة – قصيرا، فصعد، وذهبوا ليأخذوه، فأوحى الله إلى الجبل. فطال في السماء حتى ما تناله الطير، ودخل صالح القرية، فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه، ثم استقبل صالحا، فرغا رغوة، ثم رغا أخرى، ثم رغا أخرى، فقال صالح لقومه: لكل رغوة أجل يوم؛ فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام، (ذلك وعد غير مكذوب) [هود: (٦٥)] – ألا إن آية العذاب أن اليوم الأول تصبح وجوهكم مصفرة، واليوم الثاني محمرة، واليوم الثالث مسودة، فلما أصبحوا إذا وجوههم كأنها قد طليت بالخلوق الخلوق: طيب مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة – النهاية (خلق).؛ صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم: ألا قد مضى يوم من الأجل، وحضركم العذاب – فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم محمرة، كأنها خضبت بالدماء، فصاحوا، وضجوا، وبكوا، وعرفوا أنه العذاب، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم: ألا قد مضى يومان من الأجل، وحضركم العذاب – فلما أصبحوا اليوم الثالث فإذا وجوههم مسودة، كأنها طليت بالقار، فصاحوا جميعا: ألا قد حضركم العذاب – فتكفنوا، وتحنطوا، وكان حنوطهم الصبر والمغر المغرة والمغرة: طين أحمر يصبغ به – لسان العرب (مغر).، وكانت أكفانهم الأنطاع النطع – بالكسر، وبالفتح، وبالتحريك – : بساط من الأديم – تاج العروس (نطع).، ثم ألقوا أنفسهم بالأرض، فجعلوا يقلبون أبصارهم، فينظرون إلى السماء مرة، وإلى الأرض مرة، فلا يدرون من أين يأتيهم العذاب؛ من فوقهم من السماء، أم من تحت أرجلهم من الأرض، خسفا أو قذفا، فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء، فيها صوت كل صاعقة،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٢٩/١١

وصوت كل شيء له صوت في الأرض، فتقطعت قلوبهم في صدورهم، فأصبحوا في ديارهم جاثمين» أخرجه الحاكم (٢) / (٦١٧) - (٦١٨) ((٤٠٦٩))، وابن جرير (١٢) / (٤٥٨) - (٤٦٢) واللفظ له، من طريق حجاج المصيصي، عن أبي بكر بن عبد الله، عن شهر بن حوشب، عن عمرو بن خارجة به - قال الحاكم: «هذا حديث جامع لذكر هلاك آل ثمود، تفرد به شهر بن حوشب، وليس له إسناد غيرها، ولم يستغن عن إخراجه، وله شاهد على سبيل الاختصار بإسناد صحيح دل على صحة الحديث الطويل على شرط مسلم» - وقال الذهبي في التلخيص: «أبو بكر بن عبد الله واه» - وضعفه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الطبري - .

سورة الأعراف - (وإلى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) الآيات - قصة صالح مع ثمود

(٢٨١٢٠) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - (وإلى ثمود أخاهم صالحا)، قال: إن الله بعث صالحا إلى ثمود، فدعاهم، فكذبوه، فقال لهم ما ذكر الله في القرآن، فسألوا أن يأتيهم بآية، فجاءهم بالناقة لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، وقال: (ذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء) - فأقروا بها جميعا، فذلك قوله: (فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) [فصلت: (١٧)] - وكانوا قد أقروا به على وجه النفاق والتقية، فكانت الناقة لها شرب، فيوم تشرب فيه الماء تمر بين جبلين فيزحمانها، ففيهما أثرها حتى الساعة، ثم تأتي فتقف لهم حتى يحتلبون اللبن، فترويهم، ويوم يشربون الماء لا تأتيهم، وكان معها فصيل لها، فقال لهم صالح: إنه يولد في شهركم هذا مولود يكون هلاككم على يديه - فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر، فذبحوا أبناءهم، ثم ولد للعاشر، فأبى أن يذبح ابنه، وكان لم يولد له قبله شيء، وكان أبو العاشر أزرق أحمر، فنبت نباتا سريعا، فإذا مر بالتسعة فرأوه قالوا: لو كان أبناؤنا أحياء كانوا مثل هذا - فغضب التسعة على صالح لأنه أمرهم بذبح أبنائهم، ف (تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون) [النمل: (٤٩)] - قالوا: نخرج، فيرى الناس أنا قد خرجنا إلى سفر، فنأتي الغار، فنكون فيه، حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى المسجد أتيناه فقتلناه، ثم رجعنا إلى الغار فكنا فيه، ثم رجعنا فقلنا: (ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون)، يصدقوننا يعلمون أنا قد خرجنا إلى سفر - فانطلقوا، فلما دخلوا الغار أرادوا أن يخرجوا من الليل، فسقط عليهم الغار، فقتلهم، فذلك قوله: (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) حتى بلغ ههنا: (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم

وقومهم أجمعين) [النمل: (٤٨) - (٥١)] - وكبر الغلام ابن العاشر، ونبت
." (١)

"فكانوا إذا نظروا إلى الجبل قالوا: سمعنا وأطعنا - وإذا نظروا إلى الكتاب قالوا: سمعنا وعصينا أخرجه ابن أبي حاتم (٥) / (١٦١٠) - (١٦١١) - .

(٢٩٤١١) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عامر - قال: إني لأعلم لم تسجد اليهود على حرف، قال الله: (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم) - قال: لتأخذن أمري، أو لأرمينكم به - فسجدوا وهم ينظرون إليه مخافة أن يسقط عليهم، فكانت سجدة رضيها الله تعالى، فاتخذوها سنة أخرجه ابن جرير (١٠) / (٥٤٣)، وابن أبي حاتم (٥) / (١٦١١) - وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ - .

(٢٩٤١٢) - عن عكرمة، قال: أتى عبد الله بن عباس يهودي ونصراني، فقال لليهودي: ما دعاكم أن تسجدوا بجباهكم؟ فلم يدر ما يجيبه، فقال: سجدتم بجباهكم لقول الله: (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) - فخررتم لجباهكم تنظرون إليه - وقال للنصراني: سجدتم إلى الشرق لقول الله: (انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) [مريم: (١٦)] عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ - .

(٢٩٤١٣) - عن عبد الله بن عباس - من طريق الشعبي - قال: إنما اتخذت النصارى المشرق قبلة؛ لأن مريم اتخذت من أهلها مكانا شرقيا، فاتخذوا ميلاده قبلة، وإنما سجدت اليهود على حرف، حين نتق فوقهم الجبل، فجعلوا يتخوفون وهم ينظرون إليه، يتخوفون أن يقع عليهم، فسجدوا سجدة رضيها الله، فاتخذوها سنة أخرجه ابن جرير (١٠) / (٥٤٣)، (١٥) / (٤٨٤)، وإسحاق البستي في تفسيره، مختصرا ص (١٧٨)، وابن أبي حاتم (٥) / (١٦١١) - وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر - .

(٢٩٤١٤) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عامر - : (خذوا ما آتيناكم بقوة)، فأخذوا الكتاب بأيمانهم، وهم يعصون، ينظرون إلى الأرض، والكتاب الذي أخذوا بأيديهم، وهم ينظرون إلى الجبل مخافة أن يقع عليهم أخرجه ابن أبي حاتم (٥) / (١٦١١) - .

(٢٩٤١٥ (- عن الكلبي، قال: كتب هرقل ملك الروم إلى معاوية يسأله عن الشيء، وعن لا شيء، وعن دين لا يقبل الله غيره، وعن مفتاح الصلاة، وعن غرس الجنة، وعن صلاة كل شيء، وعن أربعة فيهم الروح ولم يركضوا في أصلاب الرجال ولا أرحام النساء، وعن رجل لا أب له، وعن رجل لا قوم له، وعن قبر جرى

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٥/١٩٧

بصاحبه،

". (١)

"وعن قوس قزح، وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة لم تطلع عليها قبلها ولا بعدها، وعن ظاعن ظعن مرة لم يظعن قبلها ولا بعدها، وعن شجرة نبتت بغير ماء، وعن شيء يتنفس لا روح له، وعن اليوم، وأمس، وغد، وبعد غد، ما أجزاؤها في الكلام، وعن البرق والرعد وصوته، وعن المجرة، وعن المحو الذي في القمر – فقيل لمعاوية: لست هناك، وإنك متى تخطئ شيئا في كتابك إليه يغتمز فيك يغتمز فيك: يطعن فيك – لسان العرب (غمز)،. فاكتب إلى ابن عباس – فكتب إليه فأجابه ابن عباس: أما الشيء فالماء؛ قال الله: (وجعلنا من الماء كل شيء حي) [الأنبياء: (٣)] – وأما لا شيء فالدنيا تبيد وتفنى، وأما الدين الذي لا يقبل الله غيره فلا إله إلا الله، وأما مفتاح الصلاة فالله أكبر، وأما غرس الجنة فلا حول ولا قوة إلا بالله، وأما صلاة كل شيء فسبحان الله وبحمده، وأما الأربعة التي فيها الروح ولم يركضوا في أصلاب الرجال ولا أرحام النساء فآدم، وحواء، وعصا موسى، والكبش الذي فدى الله به إسحاق، وأما الرجل الذي لا أب له فعيسى ابن مريم، وأما الرجل الذي لا قوم له فآدم، وأما القبر الذي جرى بصاحبه فالحوت حيث سار بيونس في البحر، وأما قوس قزح فأمان الله لعباده من الغرق، وأما البقعة التي طلعت عليها الشمس مرة ولم تطلع عليها قبلها ولا بعدها فالبحر حيث انفلق لبني إسرائيل، وأما الظاعن الذي ظعن مرة لم يظعن قبلها ولا بعدها فجبل طور سيناء؛ كان بينه وبين الأرض المقدسة أربع ليال، فلما عصت بنو إسرائيل أطاره الله بجناحين من نور فيه ألوان العذاب، فأظله الله عليهم، وناداهم مناد: إن قبلتم التوراة كشفته عنكم، وإلا ألقيته عليكم – فأخذوا التوراة معذرين المعذرون: الذين يعتذرون بلا عذر كأنهم المقصرون الذين لا عذر لهم – لسان العرب (عذر)،. فرده الله إلى موضعه، فذلك قوله: (وإذ نتقنا الجبل فوقهم) إلى آخر الآية – وأما الشجرة التي نبتت من غير ماء فاليقطينة التي أنبتت على يونس، وأما الذي يتنفس بلا روح فالصبح؛ قال الله: (والصبح إذا تنفس) [التكوير: (١٨)] – وأما اليوم فعمل، وأما أمس فمثل، وأما غد فأجل، وبعد غد فأمل، وأما البرق فمخاريق المخاريق: جمع مخراق، وهو آلة تزجر بها الملائكة السحاب وتسوقه – النهاية (خرق) – بأيدي الملائكة تضرب بها السحاب، وأما الرعد فاسم الملك الذي يسوق السحاب، وصوته زجره، وأما المجرة فأبواب السماء، ومنها تفتح الأبواب، وأما المحو الذي في القمر فقول الله:

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٥/٤٥٦

(وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل) [الإسراء: (١٢)]، ولولا ذلك
". (١)

"رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يده، فقال: «يا رب إنك إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبدا» – فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب – فأخذ قبضة من التراب، فرمى بها في وجههم، فما بقي من المشركين أحد إلا أصاب عينه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة؛ فولوا مدبرين أخرجه البيهقي في القضاء والقدر ص (١٧٥) ((١٤٥))، وأبو نعيم في دلائل النبوة ص (٤٦٩) – (٤٧٠) ((٤٠٠)) مطولا، وابن جرير (١١) / (٨٦)، وابن أبي حاتم (٥) / (١٦٧٣) ((٨٩٠٧)) – إسناده جيد – وينظر: مقدمة الموسوعة – .

(٣٠٤١١) – عن سعيد بن المسيب – من طريق ابن شهاب – قال: لما كان يوم أحد أخذ أبي بن خلف يركض فرسه، حتى دنا من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، واعترض رجال من المسلمين لأبي بن خلف ليقتلوه، فقال لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : «استأخروا» – فاستأخروا، فأخذ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حربته في يده، فرمى بها أبي بن خلف، وكسر ضلعا من أضلاعه، فرجع أبي بن خلف إلى أصحابه ثقيلا، فاحتملوه حين ولوا قافلين، فطفقوا يقولون: لا بأس – فقال أبي حين قالوا ذلك له: والله لو كانت بالناس لقتلتهم، ألم يقل: «إني أقتلك – إن شاء الله – ؟» – فانطلق به أصحابه ينعشونه حتى مات ببعض الطريق، فدفنوه – قال ابن المسيب: وفي ذلك أنزل الله: (وما رميت إذ رميت) الآية أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢) / (٣٥)، وابن أبي حاتم (٥) / (١٦٧٣) ((٨٩١٠)) مرسلا – وأورده الثعلبي (٤) / (٣٣٨) – وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد – .

(٣٠٤١٢) – عن سعيد بن المسيب – من طريق معمر – =

(٣٠٤١٣) – ومحمد ابن شهاب الزهري – من طريق معمر – ، قالا: أنزلت في رمية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم أحد أبي بن خلف بالحربة وهو في لأمته اللامة: الدرع، جمعها لؤم – اللسان (لأم).، فخدشه في ترقوته الترقوة: هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق، وهما ترقوتان من الجانبين – النهاية (ترق).، فجعل يتدأدأ أي: يتدحرج – القاموس (دأدأ) – عن فرسه مرارا، حتى كانت وفاته بها بعد أيام قاسى فيها العذاب الأليم، موصولا بعذاب البرزخ المتصل بعذاب الآخرة عزاه السيوطي إلى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم مرسلا – وفي ابن أبي حاتم (٥) / (١٦٧٣) عن ابن وهب عن يونس عن الزهري

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٥/٤٥٧

عن سعيد بن المسيب بنحوه بلفظ أطول - وعند ابن جرير (١١) / (٨٧) عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري دون سعيد بسياق مختلف! قال فيه: جاء أبي بن خلف الجمحي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بعظم حائل، فقال: الله محيي هذا يا محمد وهو رميم؟ وهو يفت العظم - فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «يحييه الله، ثم يميتك، ثم يدخلك النار» قال: فلما كان يوم أحد قال: والله لأقتلن محمدا إذا رأيته، فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: «بل أنا أقتله إن شاء الله» - وكذا أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢) / (٢٥٦) - علق ابن كثير ((٧) / (٤٣)) على قول ابن المسيب، والزهري، بقوله: «هذا القول عن هذين الإمامين غريب أيضا جدا، ولعلهما أرادا أن الآية تتناوله بعمومها، لا أنها نزلت فيه خاصة كما تقدم» - واستدرك ابن عطية ((٤) / (١٥٨)) على هذا القول لدلالة السياق بقوله: «هذا ضعيف؛ لأن الآية نزلت عقب بدر، وعلى هذا القول تكون أجنبية مما قبلها وما بعدها، وذلك بعيد» - . ". (١)

"(٣٢٠١٠) - عن أنس بن مالك، قال: لما اجتمع يوم حنين أهل مكة وأهل المدينة أعجبتهم كثرتهم، فقال القوم: اليوم - والله - نقاتل - فلما التقوا واشتد القتال ولوا مدبرين، فندب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأنصار، فقال: «يا معشر المسلمين، إلي، عباد الله، أنا رسول الله» - فقالوا: إليك - والله - جئنا - فنكسوا رؤوسهم، ثم قاتلوا حتى فتح الله عليهم أخرجه الحاكم (٣) / (٥٠) ((٤٣٦٨)) - قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» - .

(٣٢٠١١) - عن عبد الله بن عمر، قال: رأيتنا يوم حنين وإن الفئتين لموليتان، وما مع رسول الله مائة رجل عزاه السيوطي إلى ابن مردويه - .

(٣٢٠١٢) - عن البراء بن عازب أنه قيل له: هل كنتم وليتم يوم حنين؟ قال: والله، ما ولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولكن خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم حسرا ليس عليهم سلاح، فلقوا جمعا رماة هوازن وبني نصر، ما يكاد يسقط لهم سهم، فرشقوهم رشقا ما كادوا يخطئون، فأقبلوا هنالك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو على بغلته البيضاء، وابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به، فنزل، ودعا، واستنصر، ثم قال: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» علق ابن كثير ((٧) / (١٦٩) - (١٧٠)) على أثر البراء هذا بقوله: «قلت: وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، أنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى، وقد انكشف عنه جيشه، وهو مع ذلك على بغلة وليست سريعة الجري،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٧٦/١٦

ولا تصلح لكر ولا لفر ولا لهرب، وهو مع هذا أيضا يركضها إلى وجوههم، وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه - صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين - ، وما هذا كله إلا ثقة بالله، وتوكل عليه، وعلم منه بأنه سينصره، ويتم ما أرسله به، ويظهر دينه على سائر الأديان» - - ثم صف أصحابه أخرجه البخاري (٤) / (٤٣) ((٢٩٣٠))، ومسلم (٣) / (١٤٠٠) ((٧٧٦١))، وابن جرير (١١) / (٣٩٣) بنحوه - .

(٣٢٠١٣) - عن سعيد بن جبير - من طريق عطاء بن دينار - في قوله: (ثم وليتم مدبرين)، يعني: منهزمين عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فبلغ فلال المسلمين مكة، فلم يجعل الله لهم النار، وهذا بعد قتال أحد أخرجه ابن أبي حاتم (٦) / (١٧٧٤) - .

". (١)

"(٣٢٠١٤) - قال محمد بن السائب الكلبي: كان حول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثمائة من المسلمين، وانهزم سائر الناس تفسير البغوي (٤) / (٢٧) - .

(٣٢٠١٥) - قال مقاتل بن سليمان: (ثم وليتم مدبرين) لا تلوون على شيء تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (١٦٥) - .

آثار متعلقة بالآية

(٣٢٠١٦) - عن الحسن البصري - من طريق أبي الأشهب - قوله: (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت)، قال: هكذا يقع ذنب المؤمن من قلبه أخرجه ابن أبي حاتم (٦) / (١٧٧٤) - .

آثار في سياق غزوة حنين

(٣٢٠١٧) - عن العباس بن عبد المطلب، قال: شهدت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين، فلقد رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وما معه إلا أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فلزمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فلم نفارقه، وهو على بغلته الشهباء التي أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والمشركون ولى المسلمون مدبرين، وطفق النبي - صلى الله عليه وسلم - يركض يركض بغلته: أي يضربها برجله - انظر: النهاية (ركض) - بغلته قبل الكفار، وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة ألا تسرع، وهو لا يألو ما أسرع نحو المشركين، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بغرز الغرز: ركاب الرجل - اللسان (غرز) - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «يا عباس، ناد: يا أصحاب السمرة، يا أصحاب سورة البقرة» - وكنت رجلا صيتا، فقلت بأعلى

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٠٢/١٧

صوتي: يا أصحاب السمرة، يا أصحاب سورة البقرة - فوالله، لكأني عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، يقولون: يا لبيك، يا لبيك - فأقبل المسلمون، فاقتتلوا هم والكفار قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٢) / (١١٦): هكذا هو في النسخ، وهو بنصب الكفار، أي: مع الكفار.، وارتفعت الأصوات وهم يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فتطاول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو على بغلته، فقال: «هذا حين حمي الوطيس» حمي الوطيس: مثل يضرب للأمر إذا اشتد - مجمع الأمثال (٢) / (٤٩٦)، (٤٩٧) - - ثم أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حصيات، فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال
: ." (١)

"اعتزلها ولا تقربها - وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر - فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقالت: يا رسول الله، إن هلالا شيخ ضائع، وليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ - قال: «لا، ولكن لا يقربنك» - قالت: وإنه - والله - ما به حركة إلى شيء، والله، ما زال يبكي من لدن أن كان من أمرك ما كان إلى يومه هذا - فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في امرأتك؛ فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه - فقلت: والله، لا أستأذن فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وما أدري ما يقول إذا استأذنته وأنا رجل شاب - قال: فلبثنا عشر ليال، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا - قال: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله عنا؛ قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صارخا أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر - فخررت ساجدا، وعرفت أن قد جاء فرج، فآذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتوبة الله علينا حين صلى الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض إلي رجل فرسا، وسعى ساع من أسلم وأوفى على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءنى الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته، والله، ما أملك غيرهما يومئذ، فاستعرت ثوبين فلبستهما، فانطلقت أؤم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، يتلقاني الناس فوجا بعد فوج يهنئوني بالتوبة، يقولون: ليهنك توبة الله عليك - حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في المسجد حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٠٣/١٧

صافحني وهنأني، والله، ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره - قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة - - قال كعب: فلما سلمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك» - قلت: أمن عندك - يا رسول الله - أم من عند الله؟ قال: «لا، بل من عند الله» - وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتى أن انخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - - قال: «أمسك بعض مالك فهو خير لك» - قلت: إني أمسك سهمي الذي بخيبر - وقلت: يا رسول الله، إنما نجاني الله بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا ما بقيت - قال: فوالله، ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -

". (١)

"خرج رجل من تلك الأمة إلى فرعون من فراعنتهم، فقال: إن هذا الذي تزعمون أنه مجنون قد أتاكم بما كان يعدكم - فجاء يسير في موكبه وجماعة من أصحابه حتى وقف من نوح غير بعيد، فقال لنوح: ما تقول؟ قال: قد أتاكم ما كنتم توعدون - قال: ما علامة ذلك؟ قال: اعطف برأس برذونك - فعطف برذونه، فنبع الماء من تحت قوائمه، فخرج يركض إلى الجبل هاربا من الماء أخرجه ابن عساكر (٦٢) / (٢٥٢) - وعزاه السيوطي إلى إسحاق بن بشر - .

(٣٥٤٨١) - عن محمد بن علي - من طريق مسلم - قال: فار التنور من مسجد الكوفة من قبل أبواب كندة أخرجه ابن أبي حاتم (٦) / (٢٠٢٨) - .

(٣٥٤٨٢) - عن حذيفة بن اليمان=

(٣٥٤٨٣) - ومجاهد بن جبر، نحو ذلك علقه ابن أبي حاتم (٦) / (٢٠٢٨) - .

(٣٥٤٨٤) - عن مطرف بن عبد الله بن الشخير - من طريق داود - في قوله: (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور)، قال: كانت علامة بينه وبين ربه: إذا رأيت التنور يفور بالماء فاحمل فيها من كل زوجين اثنين أخرجه ابن أبي حاتم (٦) / (٢٠٢٨) - .

(٣٥٤٨٥) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - (وفار التنور)، قال: انبجس الماء منه؛ آية أن يركب بأهله ومن معه في السفينة تفسير مجاهد ص (٣٨٧)، وأخرجه ابن جرير (١٢) / (٤٠٥) -

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٧٦/١٨

.

(٣٥٤٨٦) – عن مجاهد بن جبر – من طريق ليث – قال: نبع الماء في التنور، فعلمت به امرأته، فأخبرته – قال: وكان ذلك في ناحية الكوفة أخرجه ابن جرير (١٢) / (٤٠٥) – .

(٣٥٤٨٧) – عن مجاهد بن جبر – من طريق ابن أبي نجيح – قوله: (وفار التنور) الماء منه أخرجه ابن أبي حاتم (٦) / (٢٠٢٨) – .

(٣٥٤٨٨) – عن الضحاك بن مزاحم – من طريق العوام – (وفار التنور)، قال: التنور: وجه الأرض – قال: قيل له: إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن اتبعك – قال: والعرب تسمي وجه الأرض: تنور الأرض أخرجه ابن جرير (١٢) / (٤٠٢) – .

(٣٥٤٨٩) – عن الضحاك بن مزاحم – من طريق عبيد بن سليمان – يقول في قوله

". (١)

"(٣٧٠٦٥) – عن عبد الله بن عباس – من طريق ابن أبي مليكة – قال: كان يولد لإخوته اثنا عشر ذكرا، ويولد له أحد عشر ولدا من أجل الشهوة التي خرجت تفسير سفيان الثوري ص (١٤٠) – .

(٣٧٠٦٦) – قال الحسن البصري: إن الله تعالى لم يذكر ذنوب الأنبياء في القرآن ليعيرهم، ولكن ذكرها ليبين موضع النعمة عليهم، ولئلا ييئس أحد من رحمته تفسير البغوي (٤) / (٢٣١) – .

(٣٧٠٦٧) – عن علي بن بذيمة – من طريق سفيان – قال: كان يولد لكل رجل منهم اثنا عشر، إلا يوسف ولد له أحد عشر؛ من أجل ما خرج من شهوته أخرجه ابن جرير (١٣) / (٩٤) – .

(لولا أن رأى برهان ربه)

(٣٧٠٦٨) – عن عبد الله بن عباس – من طريق سعيد بن جبير – في قوله: (لولا أن رءا برهان ربه)، قال: مثل له يعقوب، فضرب بيده على صدره، فخرجت شهوته من أنامله أخرجه ابن جرير (١٣) / (٩٠) – (٩١)، وابن أبي حاتم (٧) / (٣١٢٣)، والحاكم (٢) / (٣٤٦) – وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ – ذكر ابن عطية ((٥) / (٦٩)) نحو قول ابن عباس، وانتقده، فقال: «وقيل: إن جبريل ركضه، فخرجت شهوته على أنامله – وهذا ضعيف» – .

(٣٧٠٦٩) – عن عبد الله بن عباس – من طريق أبي روق، عن الضحاك – في قوله: (لولا أن رءا برهان ربه)، قال: رأى صورة أبيه يعقوب في وسط البيت، عاضا على إبهامه، فأدبر هاربا، قال: وحقك، يا أبه،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٥٨/١٩

لا أعود أبدا أخرجه ابن أبي حاتم (٧) / (٢١٢٤) - .

(٣٧٠٧٠) - عن عبد الله بن عباس - من طريق ابن أبي مليكة - قال: نودي: يا يوسف، أتزني فتكون كالطير وقع ريشه فذهب يطير فلا ريش له؟! تفسير الثعلبي (٥) / (٢١٢) - .

(لولا أن رأى برهان ربه)

(٣٧٠٧١) - عن عبد الله بن عباس - من طريق مجاهد - في قوله : (لولا أن رأى برهان ربه)، قال: قعد منها مقعد الرجل من امرأته، إذا بكف قد بدت بينهما، ليس فيها عضد ولا معصم، مكتوب فيها: (وإن عليكم لحافظين *كراما كاتبين * يعلمون

". (١)

"فقتلوهم، كما سلط بخت نصر والروم على اليهود ببيت المقدس فقتلوهم، وسبوهم حين قتلوا يحيى بن زكريا وغيره من الأنبياء تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٧٢) - .

(٤٨٧٧٢) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - في قول الله (قصمنا من قرية)، قال: قصمها: أهلكها أخرجه ابن جرير (١٦) / (٢٣٣) - .

(٤٨٧٧٣) - قال يحيى بن سلام، في قوله: (وكم قصمنا): أي: أهلكنا (من قرية كانت ظالمة) يعني: مشركة، يعني: أهلها، (وأنشأنا) أي: وخلقنا (بعدها قوما آخرين) تفسير يحيى بن سلام (١) / (٣٠١) - .

(فلما أحسوا بأسنا)

(٤٨٧٧٤) - قال مقاتل بن سليمان: فذلك قوله: (فلما أحسوا بأسنا)، يقول: فلما رأوا عذابنا أهل حضور تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٧٢) - .

(٤٨٧٧٥) - قال يحيى بن سلام، في قوله: (فلما أحسوا): رأوا (بأسنا) يعني: عذابنا، يعني: قبل أن يهلكوا - رجع إلى قصة من هلك تفسير يحيى بن سلام (١) / (٣٠١) - .

(إذا هم منها يركضون (١٢))

(٤٨٧٧٦) - عن إسماعيل السدي، في قوله: (إذا هم منها يركضون)، قال: يفرون عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .

(٤٨٧٧٧) - قال مقاتل بن سليمان: قوله: (إذا هم منها يركضون)، يقول: إذا هم من القرية يهربون تفسير

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٩/٢٠

مقاتل بن سليمان (٣) / (٧٢) - .

(٤٨٧٧٨) - قال يحيى بن سلام، في قوله: (إذا هم منها): من القرية، (يركضون) يفرون من العذاب حين جاءهم تفسير يحيى بن سلام (١) / (٣٠١) - .

(لا تركضوا)

". (١)

"(٤٨٧٧٩) - عن عبد الله بن عباس — من طريق العوفي - في قوله: (لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون ((١٣))) - يعني: من نزل به العذاب في الدنيا ممن كان يعصي الله من الأمم أخرجه ابن جرير (١٦) / (٢٣٤) - .

(٤٨٧٨٠) - عن ابن وهب، قال: حدثني رجل من المحررين المحررون: الموالي - النهاية (حرر)،. قال: كان باليمن قريتان، يقال لإحداهما: حضوراء، والأخرى: قلاثة، فبطروا وأترفوا حتى ما كانوا يغلقون أبوابهم، فلما أترفوا بعث الله إليهم نبيا، فدعاهم، فقتلوه، فألقى الله في قلب بختنصر أن يغزوهم، فجهز إليهم جيشا، فقاتلوهم، فهزموا جيشه، فرجعوا منهزمين إليه، فجهز إليهم جيشا آخر أكثف من الأول، فهزموهم أيضا، فلما رأى بختنصر ذلك غزاهم هو بنفسه، فقاتلوه، فهزمهم حتى خرجوا منها يركضون، فسمعوا مناديا يقول: (لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم) - فرجعوا، فسمعوا مناديا يقول: يا لثارات النبي - فقتلوا بالسيف، فهي التي قال الله: (وكم قصمنا من قرية) إلى قوله: (خامدين) أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع - تفسير القرآن (١) / (٦٩) - (٧٠) ((١٥٦)) - وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وفي الدر: «قلابة» بدل «قلاثة» - .

(٤٨٧٨١) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (لا تركضوا)، قال: لا تفروا أخرجه ابن جرير (١٦) / (٢٣٥) - وعلقه يحيى بن سلام (١) / (٣٠١) - وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم - .

(٤٨٧٨٢) - عن الربيع بن أنس، في الآية، قال: كانوا إذا أحسوا بالعذاب، وذهبت عنهم الرسل من بعد ما أنذروهم؛ فكذبوهم، فلما فقدوا الرسل وأحسوا بالعذاب أرادوا الرجعة إلى الإيمان، وركضوا هاربين من العذاب، فقيل لهم: (لا تركضوا) - فعرفوا أنه لا محيص لهم عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .

(٤٨٧٨٣) - قال مقاتل بن سليمان: قالت لهم الملائكة كهيئة الاستهزاء: (لا تركضوا)، يقول: لا تهربوا

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٥/٤٧٣

تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٧٣) - ذكر ابن عطية ((٦) / (١٥٦)) أن قوله: (لا تركضوا -) يحتمل أن يكون من قول رجال بختنصر، ويكون المعنى أنهم خدعوهم واستهزؤوا بهم بأن قالوا للهاربين منهم: لا تفروا وارجعوا إلى مواضعكم لعلكم تسألون صلحا أو جزية أو أمرا يتفق عليه - فلما انصرفوا أمر بختنصر بقتلهم - وذكر أنه يحتمل أن يكون من كلام ملائكة العذاب، وأن الآيات وصف قصة كل قرية، وأنه لم يرد تعيين حضورا ولا غيرها، ويكون المعنى: أن أهل هذه القرى كانوا باغترارهم يرون أنهم من الله تعالى بمكان، وأنه لو جاءهم عذاب أو أمر لم ينزل بهم حتى يخاصموا أو يسألوا عن وجه تكذيبهم لنبيهم، فيحتجون هم عند ذلك بحجج تنفعهم في ظنهم، فلما نزل العذاب دون هذا الذي أملوه وركضوا فارين نادتهم الملائكة - على وجه الهزء بهم - : لا تركضوا وارجعوا لعلكم تسألون كما كنتم تطمعون بسفه رأيكم، ثم يكون قوله: (حصيدا)، أي: بالعذاب تركوا كالحصيد - .
(وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم)
(١) ".

"تصرخ: يا أيوب، يا أيوب، حتى متى يعذبك ربك؟! ألا يرحمك؟! أين المال؟! أين الشباب؟! أين الولد؟! أين الصديق؟! أين لونك الحسن، وقد تغير وصار مثل الرماد؟! أين جسمك الحسن الذي قد بلي وتردد فيه الدواب؟! اذبح هذه السخلة واسترح - قال: أيوب: أتاك عدو الله فنفخ فيك، فوجد فيك رفقا فأجبته! ويلك! أرأيت ما تبكين عليه مما تذكرين مما كنا فيه؛ من المال والولد والصحة والشباب، من أعطانيه؟ قالت: الله - قال: فكم متعنا به؟ قالت: ثمانين سنة - قال: فمذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء الذي ابتلانا به؟ قالت: منذ سبع سنين وأشهر - قال: ويلك! والله، ما عدلت، ولا أنصفت ربك، ألا صبرت حتى نكون في هذا البلاء الذي ابتلانا ربنا ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة! والله، لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة؛ حيت أمرتيني أن أذبح لغير الله، طعامك وشرابك الذي أتيتيني به علي حرام، وأن أذوق شيئا مما ت أتيني به بعد إذ قلت لي هذا، فاغربي عني فلا أراك - فطردت، فذهبت، فقال الشيطان: هذا قد وطن نفسه ثمانين سنة على هذا البلاء الذي هو فيه! فباء بالغلبة، ورفضه، ونظر إلى أيوب قد طرد امرأته، وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق، ومر به رجلان وهو على تلك الحال - ولا والله، ما على ظهر الأرض يومئذ أكرم على الله من أيوب - ، فقال أحد الرجلين لصاحبه: لو كان لله في هذا حاجة ما بلغ به هذا - فلم يسمع أيوب شيئا كان أشد عليه من هذه الكلمة؛ فقال: رب، (مسني

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٧٤/٢٥

الضر) - ثم رد ذلك إلى الله، فقال: (وأنت أرحم الراحمين) - فقيل له: (اركض برجلك هذا مغتسل بارد) [ص: (٤٢)] - فركض برجله، فنبعت عين ماء، فاغتسل منها، فلم يبق من دائه شيء ظاهر إلا سقط، فأذهب الله كل ألم وكل سقم، وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان، ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى، فشرب منها، فلم يبق في جوفه داء إلا خرج، فقام صحيحا، وكسي حلة، فجعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من أهل ومال إلا وقد أضعفه الله له، حتى ذكر لنا: أن الماء الذي اغتسل به تطاير على صدره جرادا من ذهب، فجعل يضمه بيده، فأوحى الله إليه: يا أيوب، ألم أغنك؟ قال: بلى، ولكنها بركتك فمن يشبع منها؟! فخرج حتى جلس على مكان مشرف - ثم إن امرأته قالت: أرأيت إن كان طردني إلى من أكله؟ أدعه يموت جوعا، أو يضيع فتأكله السباع؟! لأرجعن إليه - فرجعت، فلا كناسة ترى، ولا تلك الحال التي كانت، وإذا الأمور قد تغيرت، فجعلت تطوف حيث الكناسة وتبكي، وذلك بعين أيوب، وهابت صاحب الحلة أن

(١) ".

"تأتيه فتسأل عنه، فأرسل إليها أيوب، فدعاها، فقال: ما تريدين، يا أمة الله؟ فبكت، وقالت: أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكناسة، لا أدري أضاع أم ما فعل - قال لها أيوب: ما كان منك؟ فبكت، وقالت: بعلي، فهل رأيته؟ فقال: وهل تعرفينه إذا رأيته؟ قالت: وهل يخفى على أحد رآه؟ ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه، ثم قالت: أما إنه كان أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحا - قال: فإني أيوب الذي أمرتني أن أذبح للشيطان، وإني أطعت الله وعصيت الشيطان، ودعوت الله فرد علي ما ترين - ثم إن الله رحمها بصبرها معه على البلاء، فأمره - تخفيفا عنها - أن يأخذ جماعة من الشجر، فيضربها ضربة واحدة؛ تخفيفا عنها بصبرها معه أخرجه ابن جرير (١٦) / (٣٦٠) - (٣٦٥)، ويحيى بن سلام (١) / (٣٣٥)، وعلق بعضه (١) / (٣٣٣) - .

(٤٩٤٩٩) - عن وهب بن منبه - من طريق عبد الصمد بن معقل، وغيره - نحو من ذلك، مطول جدا أخرجه ابن جرير (١٦) / (٣٣٣) - (٣٥٩) - قال ابن كثير (ت: سلامة (٥) / (٣٦٠)) تعليقا على هذا الأثر: «وقد ذكر عن وهب بن منبه في خبره [أي: أيوب] قصة طويلة، ساقها ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند عنه، وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين، وفيها غرابة تركناها لحال الطول» - .

آثار متعلقة بالقصة

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٩٨/٢٦

(٤٩٥٠٠) – عن أنس بن مالك، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه ذات يوم: تعلم – والله – لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد – قال: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم ي فيكشف عنه ما به – فلما جاء إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر له ذلك، فقال أيوب: لا أدري ما تقول غير أن الله يعلم أني كنت أمر بالرجلين يتنازعان يذكران الله، فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق – وكان يخرج لحاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) [ص: (٤٢)] – فاستبطأته، فأتته، فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي

". (١)

"(٥٢٠٦٥) – عن أبي محلم، قال: قيل لعامر الشعبي: مات فلان – قال: ليس هو في الدنيا ولا في الآخرة، هو في البرزخ أخرجه هناد ((٣١٥)) – .

(٥٢٠٦٦) – عن الحسن البصري – من طريق أبي رجاء – في الآية، قال: البرزخ بين الدنيا والآخرة أخرجه إسحاق البستي في تفسيره ص (٤٠٧) – وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد – .

(٥٢٠٦٧) – عن الحسن البصري – من طريق المبارك بن فضالة – قال: البرزخ: هي هذه القبور التي بينكم وبين الآخرة أخرجه آدم بن أبي إياس – كما في تفسير مجاهد ص (٤٨٨) – – .

(٥٢٠٦٨) – عن أبي المقدام، قال: كنت أساير الحسن ونحن راجعون من جنازة بكر بن عبد الله، فقلت: أرأيت قول الله: (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) – فنظر عن يمينه وعن شماله، فقال: هم هؤلاء في البرزخ كما ترون؛ يركضون عليهم؛ هما يحيكم كذا في المصدر: هما يحيكم، وهو كذلك في طبعة مكتبة الغرباء الأثرية ط (١)، (١٤٢٠) هـ – (٠٠٢٠) م، ص (١٣٣)، (١٤٩).؛ لا يسمعون الصوت أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور – موسوعة ابن أبي الدنيا (٦) / (٨٨) ((١٤٩)) – .

(٥٢٠٦٩) – عن محمد بن كعب القرظي، قال: البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة؛ ليس مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون، ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم – .

(٥٢٠٧٠) – عن قتادة بن دعامة – من طريق معمر – قال: برزخ بقية الدنيا أخرجه عبد الرزاق (٢) /

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٩٩/٢٦

(٤٨)، وابن جرير (١٧) / (١١٠) – وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد – .
(٥٢٠٧١) – عن قتادة بن دعامة – من طريق سعيد – (ومن ورائهم برزخ)، قال: أهل القبور في برزخ ما بين الدنيا والآخرة، هم فيه إلى يوم يبعثون أخرجه يحيى بن سلام (١) / (٤١٦) بنحوه – وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد – .
(٥٢٠٧٢) – قال إسماعيل السدي: أجل تفسير الثعلبي (٧) / (٥٦) – .
(٥٢٠٧٣) – قال إسماعيل السدي: البرزخ: ما بين النفختين علقه يحيى بن سلام (١) / (٤١٦) – .
(٥٢٠٧٤) – عن الربيع، قال: البرزخ: القبور عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد – .
". (١)

"(٥٥٩٦٧) – عن عبد الله بن عباس – من طريق يوسف بن مهران – قال: كتب صاحب الروم إلى معاوية يسأله عن أفضل الكلام ما هو؟ والثاني، والثالث، والرابع؟ وعن أكرم الخلق على الله، وأكرم الإماء على الله، وعن أربعة من الخلق لم يركضوا في رحم، وعن قبر سار بصاحبه، وعن المجرة، وعن القوس، وعن مكان طلعت فيه الشمس لم تطلع قبل ذلك ولا بعده – فلما قرأ معاوية الكتاب قال: أخزاه الله، وما علمي بما ههنا! فقيل له: اكتب إلى ابن عباس، فسله – فكتب إليه يسأله، فكتب إليه ابن عباس: إن أفضل الكلام لا إله إلا الله؛ كلمة الإخلاص، لا يقبل عمل إلا بها، والتي تليها سبحان الله وبحمده؛ أحب الكلام إلى الله، والتي تليها الحمد لله؛ كلمة الشكر، والتي تليها الله أكبر؛ فاتحة الصلوات والركوع والسجود، وأكرم الخلق على الله آدم، وأكرم إماء الله مريم، وأما الأربعة الذين لم يركضوا في رحم فآدم، وحواء، والكبش الذي فدى به إسماعيل، وعصا موسى؛ حيث ألقاها فصار ثعبانا مبينا، وأما القبر الذي سار بصاحبه فالحوت حين التقم يونس، وأما المجرة فباب السماء، وأما القوس فإنها أمان لأهل الأرض من الغرق بعد قوم نوح، وأما المكان الذي طلعت فيه الشمس لم تطلع قبله ولا بعده فالمكان الذي انفرج من البحر لبني إسرائيل – فلما قرأ عليه الكتاب أرسل به إلى صاحب الروم، فقال: لقد علمت أن معاوية لم يكن له بهذا علم، وما أصاب هذا إلا رجل من أهل بيت النبوة أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٦) / (٤٩) – وعزاه السيوطي إلى أبي العباس محمد بن إسحاق السراج في تاريخه – .
(٥٥٩٦٨) – عن سعيد بن جبير – من طريق جعفر بن أبي المغيرة – قال: كان البحر ساكنا لا يتحرك، فلما كان ليلة ضربه موسى بالعصا صار يمد ويجزر أخرجه ابن أبي حاتم (٨) / (٢٧٧١) – .

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٥٧/٢٧

(وأزلفنا ثم الآخرين (٦٤))

(٥٥٩٦٩) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عطاء الخر ا ساني - في قوله: (وأزلفنا)، قال: قربنا أخرجه ابن جرير (١٧) / (٥٨٦) - .

(٥٥٩٧٠) - عن قتادة بن دعامة - من طريق معمر - في قوله: (وأزلفنا ثم الآخرين)، ". (١)

"(٤٦٤٤) - عن ابن عباس، أنه رآهم يطوفون بين الصفا والمروة، فقال: هذا مما أورثتكم أم إسماعيل أخرجه الحاكم (٢) / (٢٧١) - .

(٤٦٤٥) - عن سعيد بن جبير، قال: أقبل إبراهيم ومعه هاجر وإسماعيل، فوضعهم عند البيت، فقالت: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم - قال: فعطش الصبي، فنظرت فإذا أقرب الجبال إليها الصفا، فسعت، فرقت عليه، فنظرت فلم تر شيئا، ثم نظرت فإذا أقرب الجبال إليها المروة، فنظرت فلم تر شيئا - قال: فهي أول من سعى بين الصفا والمروة، ثم أقبلت، فسمعت حفيفا أمامها، قال: قد أسمع، فإن يكن عندك غياث فهلم - فإذا جبريل أمامها يركض زمزم بعقبه، فنبع الماء، فجاءت بشن لها تقرش فيه الماء تقرش فيه الماء: أي: تجمعه، وتضم بعضه إلى بعض - لسان العرب (قرش) - فقال لها: تخافين العطش؟ هذا بلد ضيفان الله، لا يخافون العطش عزاه السيوطي إلى الخطيب في تالي التلخيص - .

إن الذين يكتمون ما أنزلنا من ا لبينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب

نزول الآية

(٤٦٤٦) - عن عبد الله بن عباس - من طريق ابن إسحاق بسنده - قال: سأل معاذ بن جبل أخو بني سلمة، وسعد بن معاذ أخو بني الأشهل، وخارجة بن زيد أخو الحارث بن الخزرج؛ نفرا من أحبار اليهود عن بعض ما في التوراة، فكتموهم إياه، وأبوا أن يخبروهم؛ فأنزل الله فيهم: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى) الآية أخرجه ابن إسحاق في السيرة - كما في سيرة ابن هشام (١) / (٥٥١) -، ومن طريقه ابن جرير (٢) / (٧٣٠)، وابن أبي حاتم (١) / (٢٦٨) ((١٤٣٩)) واللفظ له - وإسناده جيد - ينظر: مقدمة الموسوعة - .

(٤٦٤٧) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - في الآية، قال: زعموا أن رجلا من اليهود كان له صديق من الأنصار، يقال له: ثعلبة بن عنمة - قال له: هل تجدون محمدا عندكم؟ قال: لا - قال: محمد:

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٩/٢٧٠

البينات أخرجه ابن جرير (٢) / (٧٣١) - .

". [1]

"(٦٥٧٠٣) - عن قتادة بن دعامة، قال: (وتله للجبين) وكبه للقبلة ليذبحه، وذلك عند جمرة الوسطى أخرجه يحيى بن سلام (٢) / (٨٣٩) - .

(٦٥٧٠٤) - قال إسماعيل السدي: (وتله للجبين) ضرب الله تعالى صفحة من نحاس على حلقه تفسير البغوي (٧) / (٤٩) - .

(٦٥٧٠٥) - عن أبي عمران الجوني: (وتله للجبين) كبه لوجهه أخرجه ابن أبي حاتم - كما في فتح الباري (١٢) / (٣٧٩) - - .

(٦٥٧٠٦) - قال مقاتل بن سليمان: (وتله للجبين) وكبه لجبهته، فلما أخذ بناصيته ليذبحه عرف الله تعالى منهما الصدق تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٦١٥) - .

(٦٥٧٠٧) - قال عبد الملك ابن جريج - من طريق عبد الرزاق - : (وتله للجبين) وضع وجهه للأرض، قال: لا تذبحني وأنت تنظر إلى وجهي؛ عسى أن ترحمني فلا تجهز علي، أو أن أجزع فأرتكض ارتكض المذبوح برجله: إذا حركها - اللسان والقاموس (ركض).، فأمتنع منك، ولكن اربط يدي إلى رقبتي، ثم ضع وجهي إلى الأرض، فأما أنت فلا تنظر إلى وجهي، وأما أنا فإن جزعت لم أمتنع منك تفسير عبد الرزاق (٢) / (١٥١) - (١٥٢) - .

(٦٥٧٠٨) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - في قوله: (وتله للجبين)، قال: جبينه - قال: أخذ جبينه ليذبحه أخرجه ابن جرير (١٩) / (٥٨٦) - .

(٦٥٧٠٩) - عن فضيل بن عياض، قال: أضجعه، ووضع الشفرة، فأقلب جبريل الشفرة، فقال: يا أبت، شدني؛ فإني أخاف أن ينتضح عليك من دمي - ثم قال: يا أبت، حلني؛ فإني أخاف أن تشهد علي الملائكة أني جزعت من أمر الله تعالى أخرجه الخطيب في تالي التلخيص ((٤٨)) - .

(٦٥٧١٠) - عن علي بن صالح البكاء [المكي] - من طريق معمر بن سليمان - : أن إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - لما أضجع ابنه ليذبحه قال: يا أبت، شد وثاقي؛ فإني أخاف أن تنظر إلي وأنت تذبحني فلا تمضي لأمر ربك، أو أنظر إليك وأنت تذبحني فلا أدعك تمضي لأمر ربك - قال: فكبه على وجهه

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٩٥/٣

- قال، فذلك قول الله: (فلما أسلما وتله

". (١)

"(٦٦٨٣٣) - قال مقاتل بن سليمان: (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه) يعني: إذ قال لربه: (أني مسني الشيطان) يقول: أصابني الشيطان (بنصب) يعني: مشقة في جسده، (وعذاب) في ماله تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٦٤٧) - ذكر ابن عطية ((٧) / (٣٥١)) في قوله: (مسني الشيطان) عدة أوجه، فقال: «وقوله : (مسني الشيطان) يحتمل: أن يشير إلى مسه حين سلطه الله عليه حسبما ذكرنا - ويحتمل أن يريد: مسه إياه حين حمله في أول الأمر على أن يواقع الذنب الذي من أجله كانت المحنة؛ إما ترك التغيير عند الملك، وإما ترك مواساة الجار - وقيل: أشار إلى مسه إياه في تعرضه لأهله وطلبه منه أن يشرك بالله» - .

- آثار مطولة في قصة أيوب

(٦٦٨٣٤) - عن أنس بن مالك، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلان من إخوانه كانا من أخص إخوانه به، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم - والله - لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين - قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: من ثماني عشرة سنة لم ي فيكشف ما به - فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول، غير أن الله يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق - قال: وكان يخرج إلى حاجته، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، وأوحي إلى أيوب في مكانه: أن (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) - فاستبطأته، فتلقته تنظر، فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو على أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى؟ فوالله على ذلك ما رأيت أحدا أشبه به منك إذ كان صحيحا - قال: فإني أنا هو - قال: وكان له أندران ا‌لأندر: البيدر، وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام بلغة الشام - النهاية (أندر).؛ أندر للقمح، وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض» أخرجه ابن حبان (٧) / (١٥٧) - (١٥٩) ((٢٨٩٨))، والحاكم (٢) / (٦٣٥) ((٤١١٥))، وابن جرير (٢٠) / (١٠٩) - (١١٠)، وابن أبي حاتم

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٢٥/٣٤

- كما في تفسير ابن كثير (٥) / (٣٦١) - ، والثعلبي (٦) / (٢٩٥) - قال الحاكم: «هذا حديث صحيح، على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» - وقال أبو نعيم في الحلية (٣) / (٣٧٥): «غريب من حديث الزهري، لم يروه عنه إلا عقيل، ورواته متفق على عدالتهم، تفرد به نافع» - وقال ابن كثير: «رفع هذا الحديث غريب جدا» - وقال الهيثمي في المجمع (٨) / (٢٠٨) ((١٣٨٠٠)): «رواه أبو يعلى، والبزار، ورجال البزار رجال الصحيح» - وقال الألباني في الصحيحة (١) / (٥٣) - (٥٤) ((١٧)): «الحديث صحيح» - .

". (١)

"فكانت امرأته تسعى عليه، حتى قالت له: أما ترى، يا أيوب؛ قد نزل بي - والله - من الجهد والفاقة ما أن بعت قروني برغيف فأطعمتك، فادع الله أن يشفيك ويريحك - قال: ويحك! كنا في النعمة سبعين عاما، فاصبري حتى نكون في الضر سبعين عاما - فكان في البلاء سبع سنين، ودعا، فجاء جبريل ذات يوم، فأخذ بيده، ثم قال: قم - فقام، فنحاه عن مكانه، وقال: (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) - فركض برجله، فنبعت عين، فقال: اغتسل - فاغتسل منها، ثم جاء أيضا فقال: اركض - فركض برجله، فنبعت عين أخرى، فقال له: اشرب منها - وهو قوله: (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب)، وألبسه الله حلة من الجنة، فتنحى أيوب، فجلس في ناحية، وجاءت امرأته فلم تعرفه، فقالت: يا عبد الله، أين المبتلى الذي كان ههنا، لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب! وجعلت تكلمه ساعة، فقال: ويحك! أنا أيوب، قد رد الله علي جسدي - ورد عليه ماله وولده عيانا، ومثلهم معهم، وأمطر عليهم جرادا من ذهب، فجعل يأخذ الجراد بيده، ثم يجعله في ثوبه، وينشر كساءه ويأخذه، فيجعل فيه، فأوحى الله إليه: يا أيوب، أما شبعت؟ قال: يا رب، من ذا الذي يشبع من فضلك ورحمتك؟! أخرجه ابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير (٥) / (٣٥٦)، والبداية والنهاية (١) / (٥١١) - (٥١٢) - ، وابن عساكر (١٠) / (٦٣)، (٦٤) - وعزاه السيوطي إلى أحمد في الزهد - .

(٦٦٨٣٦) - عن نوف البكالي - من طريق أبي عمران الجوني - قال: الشيطان الذي مس أيوب يقال له: مسوط - فقالت امرأة أيوب: ادع الله أن يشفيك - فجعل لا يدعو حتى مر به نفر من بني إسرائيل، فقال بعضهم لبعض: ما أصابه ما أصابه إلا بذنب عظيم أصابه - فعند ذلك قال: (أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) [الأنبياء: (٨٣)] أخرجه آدم بن أبي إياس - كما في تفسير مجاهد ((٥٧٥)) ، وابن أبي

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١١٣/٣٥

حاتم - كما في تفسير ابن كثير (٥) / (٣٥٥ - (٣٥٦) - - .

(٦٦٨٣٧) - ق ال يحيى بن سلام: (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه) الآية، قال الحسن: إن إبليس قال: يا رب، هل من عبيدك عبد إن سلطتني عليه امتنع مني؟ قال: نعم، عبدي أيوب - فسلطه الله عليه ليجهد جهده ويضله، فجعل يأتيه بوساوسه وحبائله، وهو يراه عيانا، فلا يقدر منه على شيء، فلما امتنع منه قال الشيطان: أي رب، إنه قد امتنع مني، فسلطني على ماله - فسلطه الله على ماله، فجعل يهلك ماله صنفا ". (١)

"صنفا، فجعل يأتيه وهو يراه عيانا، فيقول: يا أيوب، هلك مالك في كذا وكذا - فيقول: الحمد لله، اللهم، أنت أعطيتنيه، وأنت أخذته مني، إن تبق لي نفسي أحمدك على بلائك - ففعل ذلك حتى أهلك ماله كله، فقال إبليس: يا رب، إن أيوب لا يبالي بماله؛ فسلطني على جسده - فسلطه الله عليه، فمكث سبع سنين وأشهرا حتى وقعت الأكلة في جسده.=

(٦٦٨٣٨) - قال يحيى بن سلام: وبلغني: أن الدودة كانت تقع من جسده، فيردها مكانها، ويقول: كلي مما رزقك الله - قال الحسن: فدعا ربه: (أني مسني الشيطان بنصب وعذاب) يعني: في جسده، وقال في الآية الأخرى: (أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) [الأنبياء: (٨٣)] تفسير ابن أبي زمنين (٤) / (٩٣) - .

(٦٦٨٣٩) - عن معاوية بن قرة، قال: إن أيوب نبي الله لما أصابه الذي أصابه قال إبليس: يا رب، ما يبالي أيوب أن تعطيه أهله ومثلهم معهم، وتخلف له ماله، سلطني على جسده - قال: اذهب، فقد سلطتك على جسده، وإياك - يا خبيث - ونفسه - قال: فنفخ فيه نفخة سقط لحمه، فلما أعياه صرخ صرخة اجتمعت إليه جنوده، فقالوا: يا سيدنا، ما أغضبك؟ فقال: لم لا أغضب؟! إني أخرجت آدم من الجنة، وإن ابنه هذا الضعيف قد غلبني - فقال المذهب المذهب: اسم شيطان من ولد إبليس - التاج (ذهب).: سيدنا، ما فعلت امرأته؟ فقال: حية - قال: أما هي فقد كفيتك أمرها - فقال له: فإن أطلقتها فقد أصبت، وإلا فأعطه المقادة أعطاه مقادته: انقاد له - تاج العروس (قود).، فجاء إليها، فاستزلها، فأتت أيوب، فقالت له: يا أيوب، إلى متى هذا البلاء؟ كلمة واحدة ثم استغفر ربك فيغفر لك - فقال لها: فعلتها أنت أيضا؟ ثم قال لها: أما - والله - لئن عافاني الله لأجلدنك مائة جلدة - فقال: رب، إن الشيطان مسني بنصب وعذاب - فأتاه جبريل، فقال له: (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) - فرجع إليه حسنه

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٥/١١٥

وشبابه، ثم جلس على تل من تراب، فجاءته امرأته بطعامه، فلم تر له أثرا، فقالت لأيوب وهو على التل: يا عبد الله، هل رأيت مبتلى كان ههنا، أتدري ما فعل؟ فقال لها: إن رأيته تعرفينه؟ فدارت، فلم تره، فرجعت إليه، فقالت: يا عبد الله، هل رأيت مبتلى كان ههنا؟ فقال لها: إن رأيته تعرفينه؟ فقالت له: لعلك أنت هو؟ قال: نعم - فأوحى الله إليه: أن خذ بيدك ضغثا فاضرب

(١) ".

"به ولا تحنث - قال: والضغث: أن يأخذ الحزمة من السياط، فيضرب بها الضربة الواحدة عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢))

(٢) ".

"(٦٦٨٤٠) - عن مجاهد بن جبر، في قوله: (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب)، قال: ركض برجله اليمنى، فنبعت عين، وضرب بيده اليمنى خلف ظهره، فنبعت عين، فشرب من إحداهما، واغتسل من الأخرى عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر - .

(٦٦٨٤١) - عن الحسن البصري - من طريق أبي هلال - : أن نبي الله أيوب لما اشتد به البلاء؛ إما دعا وإما عرض بالدعاء، فأوحى الله إليه: أن اركض برجلك - فنبعت عين، فاغتسل منها، فذهب ما به، ثم مشى أربعين ذراعا، ثم ضرب برجله، فنبعت عين، فشرب منها أخرجه ابن جرير (٢٠) / (١٠٨) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٦٦٨٤٢) - قال الحسن البصري - من طريق معمر - : فنادى حين نادى: (أني مسني الشيطان بنصب وعذاب) - فأوحى الله إليه: أن (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) - فركض ركضة خفيفة، فإذا عين تنبع حتى غمرته، فرد الله جسده، ثم مضى قليلا، ثم قيل له: (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) - فركض ركضة أخرى، فإذا بعين أخرى، فشرب منها، فطهر جوفه، وغسلت له كل قذر كان فيه أخرجه عبد الرزاق (٢) / (١٦٧) - وذكر نحوه يحيى بن سلام - كما في تفسير ابن أبي زمنين (٤) / (٩٤) - - .

(٦٦٨٤٣) - عن وهب بن منبه - من طريق بعض أهل العلم - (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب)، قال: فركض برجله، فانفجرت له عين، فدخل فيها واغتسل، فأذهب الله عنه كل ما كان من البلاء أخرجه

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٥/١١٦

(٢) موسوعة التفسير المأثور ٣٥/١١٧

ابن جرير (٢٠) / (١٠٨) - .
(٦٦٨٤٤) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - قال: ضرب برجله الأرض؛ أرضا يقال لها: الجابية الجابية: قرية من أعمال دمشق - معجم البلدان (٢) / (٣).، فإذا عينان تنبعان، فشرب من إحداهما، واغتسل من الأخرى أخرجه ابن جرير (٢٠) / (١٠٧) - (١٠٨) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد -
.
". (١)

"(٦٦٨٤٥) - قال مقاتل بن سليمان: (اركض) يعني: ادفع الأرض (برجلك) بأرض الشام، فنبعت عين من تحت قدمه، فاغتسل فيها، فخرج منها صحيحا، ثم مشى أربعين خطوة، فدفع برجله الأخرى، فنبعت عين ماء أخرى؛ ماء عذب بارد، شرب منها، فذلك قوله: (هذا مغتسل) الذي اغتسل فيها، ثم قال: (بارد وشراب) الذي أشرب منه، وكان الدود يأكله سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات متتابعات تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٦٤٧) - (٦٤٨) - .
(٦٦٨٤٦) - عن عبد الملك ابن جريج، في قوله: (اركض برجلك) قال: اضرب برجلك، (هذا) الماء (مغتسل) قال: يغسل عنك المرض عزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .
(٦٦٨٤٧) - قال سفيان الثوري: كان أيوب - صلى الله عليه وسلم - في كناسة لبني إسرائيل سبع سنين، الدود يترددن في جسده، فبعث الله إليه عينين؛ واحدة عند رأسه، والأخرى عند رجليه، (هذا مغتسل بارد وشراب) - وبعث الله جرادا من ذهب، فجعل يلتقطها، فأوحى الله إليه: يا أيوب، أما تشبع؟ قال: ومن شبع من رحمتك؟! تفسير سفيان الثوري ((٢٥٩)) - .
آثار متعلقة بالآية
(٦٦٨٤٨) - عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قال: «بينا أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحثي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى، وعزتك، ولكن لا غنى لي عن بركتك» أخرجه البخاري (١) / (٦٤) ((٢٧٩))، (٤) / (١٥١) ((٣٣٩١))، (٩) / (١٤٣) ((٧٤٩٣)) - .
(٦٦٨٤٩) - عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قال: «لما عافى الله أيوب أمطر عليه جرادا من ذهب، فجعل يأخذه بيده، ويجعله في ثوبه، فقيل له: يا أيوب، أما تشبع؟ قال: ومن يشبع من

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١١٨/٣٥

فضلك ورحمتك؟!» أخرجه الحاكم (٢) / (٦٣٦) ((٤١١٦))، وابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير (٥) / (٣٦٢) - - قال الحاكم: «هذا حديث صحيح، على شرط البخاري، ولم يخرجاه» - وقال الذهبي في التلخيص: «على شرط البخاري ومسلم» - وقال ابن كثير في قصص الأنبياء (١) / (٣٦٦): «وهو على شرط الصحيح» - .

(ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (٤٣))

(٦٦٨٥٠) - قال الحسن البصري: ورد عليه أهله وولده وأمواله من البقر والغنم (١) ".

"وأعطى الراجل سهما أخرجه أحمد (٢٤) / (٢١٢) - (٢١٣) ((١٥٤٧٠))، وأبو داود (٤) / (٣٦٨) - (٣٦٩) ((٢٧٣٦))، (٤) / (٦٢٨) ((٣٠١٥))، والحاكم (٢) / (١٤٣) ((٢٥٩٣))، (٢) / (٤٩٨) ((٣٧١١))، وابن جرير (٢١) / (٢٤٣) - (٢٤٤) - قال الحاكم في الموضع الأول: «هذا حديث كبير، صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» - وقال في الموضع الآخر: «هذا حديث صحيح، على شرط مسلم، ولم يخرجاه» - وتعقبه الذهبي بقوله: «لم يرو مسلم لمجمع - ابن يعقوب - شيئا، ولا لأبيه، وهما ثقتان» - وقال الألباني في ضعيف سنن أبي داود (٢) / (٣٥٧) - (٣٥٨) ((٤٧٥)): «وعلته يعقوب هذا؛ فإنه لا يعرف، وفي متنه نكارة» - وقال في موضع آخر (٢) / (٤٣٢) ((٥٢٥)): «إسناده ضعيف؛ لجهالة يعقوب هذا، وبه أعله ابن القطان، وتبعه الزيلعي» - .

(٧١٠٥٥) - عن مجمع بن جارية، قال: لما كنا بضجنان رأيت الناس يركضون، وإذا هم يقولون: أنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فركضت مع الناس حتى توافينا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فإذا هو يقرأ: (إنا فتحنا لك فتحا مبينا)، فلما نزل بها جبريل قال: ليهنك، يا رسول الله - فلما هنأه جبريل هنأه المسلمون أخرجه الواقدي في مغازيه (٢) / (٦١٧) - (٦١٨)، ومن طريقه ابن سعد في الطبقات (٤) / (٣٧٢) - إسناده ضعيف جدا؛ الواقدي وهو محمد بن عمر قال فيه ابن حجر في التقريب ((٦١٧٥)): «متروك مع سعة علمه» - .

(٧١٠٥٦) - عن عبد الله بن عباس، قال: انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الحديبية إلى المدينة، حتى إذا كان بين المدينة ومكة نزلت عليه سورة الفتح عزاه السيوطي إلى ابن مردويه - .

(٧١٠٥٧) - عن المسور ومروان في قصة الحديبية، قالا: ثم انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١١٩/٣٥

– راجعا، فلما كان بين مكة والمدينة نزلت عليه سورة الفتح من أولها إلى آخرها، فلما أمن الناس وتفاوضوا لم يكلم أحد بالإسلام إلا دخل فيه، فلقد دخل في تلك السنين في الإسلام أكثر مما كان فيه قبل ذلك، وكان صلح الحديبية فتحا عظيما أخرجه البيهقي في الكبرى (٩) / (٣٧٣) ((١٨٨١٤))، وفي دلائل النبوة (٤) / (١٥٩) – (١٦٠)، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى، قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال: حدثني الزهرى، عن عروة، عن مروان والمسور بن مخرمة به – إسناده جيد – .

(٧١٠٥٨) – عن عروة بن الزبير – من طريق أبي الأسود – ، ومحمد بن شهاب الزهري – من طريق موسى بن عقبة – قالا: أقبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الحديبية راجعا، فقال رجل من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : والله، ما هذا بفتح؛ لقد صددنا عن البيت، وصد
". (١)

"الأشطاط قريبا من عسفان أتاه عينه الخزاعي، فقال: إني قد تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد جمعوا لك الأحابيش، وجمعوا لك جموعا، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت – فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : «أشيروا علي؛ أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم، فإن قعدوا موتورين محزونين، وإن نجوا تكن عنقا قطعها الله، أم ترون أن نؤم البيت؛ فمن صدنا عنه قاتلناه؟» – فقال أبو بكر: الله ورسوله أعلم، يا رسول الله، إنما جئنا معتمرين، ولم نجئ لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه – فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : «فروحوا إذن» – فراحوا، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : «إن خالد بن الوليد بالغميم، في خيل لقريش طليعة الطليعة: مقدمة الجيش – فتح الباري (٥) / (٣٣٥).؛ فخذوا ذات اليمين» – فوالله، ما شعر بهم خالد، حتى إذا هو بقترة ةترة الجيش: غبرته – النهاية (قتر) – الجيش، فانطلق يركض نذيرا لقريش، وسار النبي – صلى الله عليه وسلم – ، حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : «حل حل حل حل – بفتح المهملة وسكون اللام – : كلمة تقال للناقة إذا تركت السير – فتح الباري (٥) / (٣٣٥).» – فألحت أي: لزمت مكانها – النهاية (لحح) – فقالوا: خلأت خلأت الناقة: بركت، أو حرنت من غير علة – وقيل: إذا لم تبرح مكانها – لسان العرب (خلأ) – القصواء القصواء: لقب ناقة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – – النهاية (قصا) – – فقال النبي – صلى الله عليه وسلم

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٤٤/٣٧

- : «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل» - ثم قال: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها» - ثم زجرها، فوثبت به، فعدل بهم، حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء ثمد - بفتح المثلثة والميم - : حفيرة فيها ماء مثمود، أي: قليل، وقوله: قليل الماء - تأكيد لدفع توهم أن يراد لغة من يقول: إن الثمد الماء الكثير - وقيل: الثمد ما يظهر من الماء في الشتاء ويذهب في الصيف - فتح الباري (٥) / (٣٣٦) - (٣٣٧) - إنما يتبرضه الناس تبرضا التربض: هو الأخذ قليلا قليلا، والبرض: اليسير من العطاء، وقال صاحب العين: هو جمع الماء بالكفين - فتح الباري (٥) / (٣٣٧)،. فلم يلبثه الناس أن نزحوه، فشكي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العطش، فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه - قال: فوالله، ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه - فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة، وكانوا عيبة

." (١)

"(٩٦٤٠) - عن مجاهد بن جبر: (فإن خفتم فرجالا أو ركبانا)، قال: هذا في العدو، يصلي الراكب والماشي يومئون إيماء حيث كان وجوههم، والركعة الواحدة تجزئك عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٩٦٤١) - عن الضحاك بن مزاحم - من طريق جويبر - في قوله: (فرجالا أو ركبانا)، قال: ذلك عند القتال، يصلي حيث كان وجهه، راكبا أو راجلا، إذا كان يطلب، أو يطلبه سبع، فليصل ركعة يومئ إيماء، فإن لم يستطع فليكبر تكبيرتين أخرجه ابن جرير (٤) / (٣٨٧) - .

(٩٦٤٢) - عن الضحاك بن مزاحم - من طريق علي بن الحكم - قال: وأما قوله: (فرجالا أو ركبانا)، رخص لهم أن يصلوا وهم يقاتلون، ركعتين أينما توجه، يومئ إيماء إن لم يقدر على الركوع والسجود أخرجه ابن أبي حاتم (٢) / (٤٥٠) ((٢٣٨٥))، وأخرج عبد الرزاق في مصنفه (٢) / (٥١٤) - (٥١٥) ((٤٢٦٣)) نحوه مختصرا من طريق جابر، ولفظه: تجزئ تكبيرتين حيث كان توجهه - .

(٣٤٩٦) - عن طاووس - من طريق ابنه - (فإن خفتم فرجالا أو ركبانا)، قال: ذاك عند المسايفة أخرجه

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٠١/٣٧

ابن جرير (٤) / (٣٨٨) - .

(٩٦٤٤) - عن الحسن البصري - من طريق يونس - (فرجالا أو ركبانا)، قال: إذا كان عند القتال صلى راكبا أو ماشيا حيث كان وجهه، يومئ إيماء أخرجه ابن جرير (٤) / (٣٨٧) - وعلق ابن أبي حاتم (٢) / (٤٥٠) (عقب (٢٣٨٢)) نحوه - .

(٩٦٤٥) - عن الحسن البصري - من طريق الفضل بن دلهم - (فإن خفتم فرجالا أو ركبانا)، قال: ركعة وأنت تمشي، وأنت يوضع وضعت الناقة وأوضعت: أسرعت في سيرها بما دون الشد - اللسان (وضع) - بك بعيرك، ويركض بك فرسك، على أي جهة كان أخرجه ابن جرير (٤) / (٣٨٨) - وعلق ابن أبي حاتم (٢) / (٤٥٠) (عقب (٢٣٨٤)) نحوه - .

(٩٦٤٦) - عن عطية العوفي - من طريق سعيد - (فإن خفتم فرجالا أو ركبانا)، قال: ذلك في الموقف، وهم مصافو العدو، ركعة وسجدتين، يومئ برأسه إيماء أخرجه ابن أبي حاتم (٢) / (٤٥٠) ((٢٣٨٣)) - .

(٩٦٤٧) - عن حماد [بن أبي سليمان]، نحو ذلك علقه ابن أبي حاتم (٢) / (٤٥٠) (عقب (٢٣٨٤)) - .

(٩٦٤٨) - عن عطاء بن أبي رباح - من طريق عبد الملك بن أبي سليمان - في قوله:
". (١)

"في مضجعه، فدخل طالوت إلى منام داود، وقد هرب داود، فضرب الزق ضربة فخرقه، فسالت الخمر منه، فقال: يرحم الله داود، ما كان أكثر شربه للخمر - ثم إن داود أتاه من القابلة في بيته وهو نائم، فوضع سهمين عند رأسه، وعند رجليه وعن يمينه وعن شماله سهمين، فلما استيقظ طالوت بصر بالسهام، فعرفها، فقال: يرحم الله داود، هو خير مني، ظفرت به فقتلته، وظفر بي فكف عني - ثم إنه ركب يوما، فوجده يمشي في البرية، وطالوت على فرس، فقال طالوت: اليوم أقتل داود - وكان داود إذا فزع لا يدرك،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٤١/٥

فركض على أثره طالوت، ففزع داود، فاشتد، فدخل غارا، وأوحى الله إلى العنكبوت فضربت عليه بيتا، فلما انتهى طالوت إلى الغار نظر إلى بناء العنكبوت، فقال: لو دخل ههنا لخرق بيت العنكبوت - فتركه، وملك داود بعد ما قتل طالوت، وجعله الله نبيا أخرجه ابن جرير (٤) / (٥٠٧) - (٥٠٩)، وفي تاريخه (١) / (٤٧٢) - (٤٧٥)، وابن أبي حاتم (٢) / (٤٧٨) - .

(١٠٠٨٢) - عن عبد الملك ابن جريج - من طريق حجاج - ، نحوه أخرجه ابن جرير (٤) / (٥١١) - (٥١٣) - .

(١٠٠٨٣) - قال مقاتل بن سليمان: - وطلب داود نصف مال طالوت، ونصف ملكه؛ فحسده طالوت على صنيعه، وأخرجه - فذهب داود حتى نزل قرية من قرى بني إسرائيل، وندم طالوت على صنيعه، فقال في نفسه: عمدت إلى خير أهل الأرض، بعثه الله لقتل جالوت، فطردته، ولم أف له - وكان داود أحب إلى بني إسرائيل من طالوت، فانطلق في طلب داود، فطرق امرأة ليلا من قدماء بني إسرائيل تعلم اسم الله الأعظم وهي تبكي على داود، فضرب بابها، فقالت: من هذا؟ قال: أنا طالوت - فقالت: أنت أشقى الناس وأشرهم، هل تعلم ما صنعت؟! طردت داود النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وكان أمره من الله ، وكانت لك آية فيه من أمر الدرع، وصفة أشماويل، وظهوره على جالوت، وقتل الله [به] أهل الأوثان فانهزموا، ثم غدرت بداود وطردته! هلكت، يا شقي - فقال لها: إنما أتيتك لأسالك: ما توبتي؟ قالت: توبتك أن تأتي مدينة بلقاء، فتقاتل أهلها وحدك، فإن افتتحتها فهي توبتك - فانطلق طالوت، فقاتل أهل بلقاء وحده، فقتل - وعمدت بنو إسرائيل إلى داود ، فردوه، وملكوه، ولم يجتمع بنو إسرائيل لملك قط غير داود ، فكانوا اثني عشر سبطا، لكل سبط ملك بينهم، فذلك قوله - تبارك وتعالى - : (فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت) تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٢١٠) - .

(وآتاه الله)

". (١)

"قال: محفوظ ذلك عند الله، عالم به، شاكر له، وإنه لا شيء أشكر من الله، ولا أجزى لخير من الله أخرجه ابن أبي حاتم (٢) / (٥٤٢) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٢٥/٥

(١١١١١) - قال مقاتل بن سليمان: (وما تنفقوا من خير) يعني: من مال - كقوله: (إن ترك خيرا) [البقرة: (١٨٠)]، يعني: مالا -، للفقراء أصحاب الصفة؛ (فإن الله به عليم) يعني: بما أنفقتم عليم تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٢٢٥) - .

(الذين ينفقون أموالهم باليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

نزول الآية

(١١١١٢) - عن يزيد بن عبد الله بن عريب المليكي، عن أبيه، عن جده، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: «أنزلت هذه الآية: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) في أصحاب الخيل» أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥) / (١٥٨) ((٢٦٩٦))، والطبراني في الكبير ١٧) / (١٨٨) ((٥٠٤)) بلفظ: «في نفقات الخيل»، وابن المنذر (١) / (٤٥) - (٤٦) ((١٨))، وابن أبي حاتم (٢) / (٥٤٢) ((٢٨٨٠)) - قال الهيثمي في المجمع (٦) / (٣٢٤) ((١٠٨٨٣)): «رواه الطبراني في الكبير، والأوسط، ويزيد بن عبد الله وأبوه لا يعرفان» - .

(١١١١٣) - عن أبي أمامة الباهلي، قال: نزلت هذه الآية في أصحاب الخيل: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) فيمن لم يربطها خيلاء ولا لمضمار أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢) / (٦٠) ((٩١٩))، وابن عساكر في تاريخه (٤٠) / (٤٤) - (٤٥)، وابن المنذر (١) / (٤٦) ((١٩))، وابن جرير (٥) / (٣٤)، من طريق رجاء بن أبي سلمة، عن عجلان بن سهل، عن أبي أمامة به - إسناده ضعيف، عجلان بن سهل هو الباهلي، قال عنه البخاري في الضعفاء ص (٩١): «لم يصح حديثه» - وقال ابن حبان في المجروحين (٢) / (١٩٣): «منكر الحديث على قلة روايته، يروي عن أبي أمامة ما لا يشبه حديثه، لا يجوز الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات» - وقال الذهبي في المغني (٢) / (٤٣١): «لا يعرف، ضعفه أبو زرعة» - والمضمار: الموضع الذي تضمر فيه الخيل - وتضميرها: أن تعلف قوتا بعد سمنها - ويكون المضمار وقتا للأيام التي تضمر فيها الخيل للسباق أو للركض إلى العدو - لسان العرب (ضمر) - .

". (١)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٠٠/٦